

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

عدد خاص عن الغرب الإسلامي . الإصدار الأول

في هذا العدد:

العددان الحادي عشر والثاني عشر ـ السنة الثالثة ـ صيف ـ خريف ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

الذخائر

مجلة فصلية محكمة
تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

صاحبها ورئيس تحريرها
كامل سلمان الجبوري

عدد خاص

الغرب الإسلامي ـ ١

العددان ١١ و١٢ ـ السنة الثالثة ـ صيف ـ خريف ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

قواعد النشر

- الأبحاث والدراسات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- الإلتزام بالمنهج العلمي لجهة موضوعية البحث ودقة الإسناد.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح، أو مطبوعة على الآلة الكاتبة، أو الحاسوب.
- يجري تقييم الأبحاث والدراسات إستناداً إلى المبادىء الأكاديمية وهي لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة موجزا بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

وكلاء التوزيع

- **لبنان:** دار المحجة البيضاء ـ بيروت ـ حارة حريك ـ ص.ب: (١٤/٥٤٧٩).
  هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ فاكس: (٥٤٣٤٣٨ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١).
- **سوريا:** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات. دمشق ـ البرامكة ـ ص.ب: (١٢٠٣٥).
  هاتف: ٢١٢٧٧٩٧ ـ ٢١٢٤٨٣١ ـ ٢١٢٨٢٤٨ ـ فاكس: (٢١٢٢٥٣٢).
- **مصر:** مؤسسة الأهرام ـ القاهرة ـ شارع الجلاء.
  هاتف: ٥٧٨٦١٠٠ ـ فاكس: (٥٧٨٦٠٢٣).
- **المغرب:** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ سوشبرس ـ ص.ب: (١٣/٣٨٦).
  هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: (٤٠٤٠٣١/٢).
- **البحرين:** الشركة العربية للوكالات والتوزيع ـ المنامة ـ ص.ب: (١٥٦).
  هاتف: ٢٥١٥٣١ ـ فاكس : (٢٤٥٢٥٥).
- **الإمارات العربية المتحدة:** دبي ـ ص.ب: (٢٠٠٧).
  هاتف: ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس: (٢٦٦٩٨٢٧).

(مطلوب وكلاء للتوزيع)

المراسلات

توجه باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
لبنان ـ بيروت ـ الغبيري ـ ص.ب: (٢٥/١٣١)
فاكس: (٥٤٣٤٣٨ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١) (٥٤٣٤٨٨ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١)

جوانب من تاريخ الأشراف بالمغرب وتحقيق أنسابهم

الدكتور خالد بن أحمد الصقلي(*)

القسم الثاني[1]

لقد كانت فترة ثلاثين سنة من الاضطرابات قناة للعبور، وفرصة نادراً ما تعوض، استغلها أدعياء النسب الشريف. ولكن إذا كانت هناك منفعة أخروية ومزايا خص بها الشرفاء، وخاصة منهم من يتحلون بأنبل الخصال، بدليل النصين القرآني والنبوي، فلماذا ادعى الكثير الانتساب إلى البيت النبوي في هذه الدار الدنيوية؟

مما لا شك فيه أن وجود أفراد من هذه الفئة الاجتماعية منذ عهد خير البشرية صلى الله عليه وسلم في أي بلد إسلامي جعلهم يحظون بالتعظيم والتبجيل من قبل كل الفئات الاجتماعية حكاماً ومحكومين، أغنياء وفقراء.

١ ـ نظرة موجزة عن مكانة الشرفاء بالمجتمع المغربي منذ قيام الدولة العلوية إلى سنة ١١٧١/١٧٥٩:

منذ تقلد زمام الحكم شرفاء سجلماسة تبلورت معالم تعظيم الشرفاء في عدة جوانب، ذلك أنا نجد أن هؤلاء استمروا ـ كما كانوا خلال عهد السعديين ـ معفيين من أداء الضرائب ومن دفع الزكاة[2]، وأحياناً من التجنيد العسكري[3]. غير أن حضورهم الرمزي بجانب المجاهدين أثناء حدوث مواجهة عسكرية ضد من تسول له نفسه للنيل من كرامة هذا الوطن يعد زاداً معنوياً، كما هو الشأن بالنسبة لحضورهم بجانب المجاهدين بطنجة سنة

---

* أستاذ في كلية الآداب ـ فاس ـ المغرب.

(١) نشر القسم الأول من هذه الدراسة في مجلة الدوحة المغربية، ع٤، الرباط، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٥ ـ ٥١.

(٢) - Norman Cigar. Societe rt vie politique a Fes: (0661/0381)- Hesperis Tamuda. Volume 18/P:102

(٣) أبو القاسم الزياني. (تحفة الأعلام) ص: ١٢ مخطوط بالخزانة العامة رقم: ك ٢٢٤.

١٠٩٥/ ١٦٨٣ لمحاربة الإنكليز[١].

وتجدر الإشارة إلى أن أصحاب هذه الفئة الاجتماعية كانوا من أهل الحل والعقد بجانب العلماء والأعيان، حيث بدونهم لا تتم مراسيم البيعة التي تخول لكل سلطان تبوُّء كرسي الحكم. ولقد قام هؤلاء بتأدية البيعة للسلطان المولى الرشيد سنة ١٠٧٧/ ١٦٦٦ [٢]، والمولى إسماعيل سنة ١٠٨٢/ ١٦٧١ [٣]، والمولى أحمد بن إسماعيل سنة ١١٣٩/ ١٧٢٦ [٤]، والمولى عبد الملك بن إسماعيل سنة ١١٤٠/ ١٧٢٧ [٥]، والمولى علي بن إسماعيل سنة ١١٤٧/ ١٧٣٤ [٦]، والمولى محمد بن إسماعيل سنة ١١٤٩/ ١٧٣٦، بعد عزل المولى عبد الله[٧]، والمولى المستضيء بن إسماعيل سنة ١١٥١/ ١٧٣٨ [٨].

كما أنهم مقابل هذه الحظوة المعنوية التي ينالونها بتأديتهم هذه البيعة التي تعبر عن وزنهم بالمجتمع المغربي، يحصلون على مقابل مادي[٩].

وبين الفينة والأخرى من فترة حكم أي سلطان كان الشرفاء يتوافدون على حضرته لتجديد الولاء والطاعة، كما حدث مع المولى عبد الله سنة ١١٥٣/ ١٧٤٠ [١٠].

ويتجلى لنا سمو مكانة الشرفاء بالمجتمع المغربي على الصعيدين الرسمي والشعبي عندما تحل أزمات اقتصادية وسياسية، فعلى الصعيد الاقتصادي نجد أنه حدث بمدينة فاس جفاف كبير سنة ١٠٩١/ ١٦٨٠. وأثناء إقامة صلاة الاستسقاء بالباب الحمراء داخل باب الفتوح، كانت نعال المصطفى صلى الله عليه وسلم - التي توجد إلى اليوم في ملك الصقليين الطاهريين الحسينيين[١١] - بجانب الخطيب محمد العربي بردلة. وكان من بين المصلين شرفاء فاس تبعاً لنصيحة شيخ الإسلام عبد القادر بن علي الفاسي الفهري. ولقد استشفع الخطيب في خطبته بآل البيت، وأدى ذلك إلى نزول المطر بغزارة[١٢].

---

(١) محمد بن الطيب القادري (نشر المثاني). ٢/ (٣٢٣-٣٢٤).
(٢) المرجع نفسه، ٢/ ١٦٨.
(٣) أحمد الناصري (الاستقصا). ٧/ ٤٥.
(٤) المرجع نفسه، ٧/ ١١٤.
(٥) المرجع نفسه، ٧/ ١١٩- محمد بن الطيب القادري م.س. ٣/ (٢٩٩-٣٠٠).
(٦) المرجع نفسه، ٧/ ١٣٧.
(٧) محمد بن الطيب القادري م.س. ٣/ ٣٩٣.
(٨) أحمد الناصري م.س. ٧/ ١٤٧.
(٩) المرجع نفسه، ٧/ ١٤٧.
(١٠) محمد بن الطيب القادري م.س. / ١١٤.
(١١) بخصوص هاته النعال انظر: لتحقيقي لكتاب (غاية الأمنية) لعبد الواحد الفاسي. ج١١/ ص (٤٦٦-٤٧١).
(١٢) محمد بن المدني كنون (الدرة المكنونة). ص: ١٤٨.

وعلى الصعيد السياسي، فلقد قامت فئة الأشراف بالاستشفاع لدى المولى إسماعيل لكي يبقى المولى محرز والياً بفاس الجديد سنة ١٠٩١/ ١٦٨٠ [١].

وأثناء سنة ١١١٤/ ١٧٢٠ قام أعيان فاس وتوافدوا على حضرة المولى إسماعيل ببلاطه بمكناسة الزيتون. وكان في مقدمتهم الشرفاء الطاهريون الصقليون الحسينيون، الذين حملوا معهم النعال النبوية الشريفة. وقاموا بالاستشفاع بها لدى الجناب الشريف، لكي يقوم بالتخفيف من شدة الضرائب، فقبل شفاعتهم[٢].

ويرجع الفضل إلى نفس الفئة في إصلاح ذات البين بين سكان فاس والمولى عبد الله سنة ١١٤٢/ ١٧٢٩ لما رفض هؤلاء السكان تسليم البساتين والقصبات الموجودة بهذه المدينة لنفس السلطان. وهذا الموقف جعل السلطان يصل هؤلاء الوسطاء بألف دينار، علاوة على منحهم أرفع اللباس[٣].

كما أصدر السلاطين ظهائر شريفة، منها ما تحث على تعظيم آل البيت فقط، ومنها ما تحث على تعظيمهم ومنحهم امتيازات[٤].

والسلطة المركزية لم تأخذها هوادة في الضرب بقوة على كل من يؤذي الأشراف، ولعل أبرز مثال لذلك هو ابن زيان الذي قام بالتنكيل بأشراف فاس، وبمصادرة أموالهم سنة ١١٥١/ ١٧٣٨. وهذا العمل جعل السلطان المولى المستضيء يأمر أن يطاف هذا الشخص على دابة وهو يردد عبارة: (هذا جزاء من يؤذي الأشراف). فطيف به. ثم قطع رأسه وعلق على باب المحروق قرب باب أبي الجنود بفاس[٥].

وعند حلول السلطان بإحدى المدن، كان من الطبيعي أن يجد الشرفاء في مقدمة المستقبلين له[٦].

إذن كانت هذه الامتيازات المعنوية علاوة على الامتيازات المادية حافزاً على بروز كثرة المتشرفة عبر قناة اضطرابات ثلاثين سنة. فكيف أصبح حال النسب الشريف؟ وما هو موقف السلطة المركزية من ذلك؟

---

(١) محمد بن الطيب القادري م.س. ٢/ (٢٩٥-٢٩٦).
(٢) المرجع نفسه ٣/ ١٤٤.
(٣) المرجع نفسه ٤/ (٣٢٢-٣٢٤).
(٤) هناك ظهير إسماعيلي بتاريخ ١٠٨٥/ ١٦٧٤. وهو صادر لصالح أولاد شماس أهل فجيج. ومما ورد به ما نصه: «... واحترمناهم وعظمناهم تعظيماً للنسب الطاهر...» ونص هذا الظهير يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة رقم: ك ١٥٧٤ ضمن مجموع ص: ٦٤.
(٥) أحمد الناصري م.س. ٧/ ١٤٩.
(٦) المرجع نفسه، ٧/ ١٢٥.

٢- مجهودات السلطة المركزية في تحقيق النسب الشريف بالمغرب خلال عصر السلاطين: المولى محمد الثالث والمولى اليزيد والمولى سليمان:

ـ أ ـ الحالة التي أصبح عليها النسب الشريف بالمغرب من جراء أزمة ثلاثين سنة:

مما لا شك فيه أن خير من يصف لنا هذه الظاهرة هم المعاصرون لها، وكذلك بالنسبة للحلول التي أعطيت لها. وهكذا نجد محمد بن عبد الصادق بن الريسون العلمي الحسيني[١] يذكر: «وقد كثر المدعون في زماننا لهذا النسب الكريم، جرأة على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وجهلاً بالوعيد الوارد... وانضم إلى ذلك تساهل العوام في شهادتها، ومسامحة الخاصة في الإنكار على من انتسب لهذا النسب الشريف، ظناً منهم أن ذلك أسلم لهم وهيهات! فأين السلامة وقد أسلموا الذخيرة الحسنى الذي هو النسب النبوي، الذي إليه المفزع معاشاً وملاذاً، ومنه استمد العالم ظاهراً وباطناً؟ وتركوا في أيدي العوام يبيعونه بثمن بخس...»[٢] وعلى منواله يجسد هذه الظاهرة أبو القاسم الزياني فيذكر أنه: «لما مات المولى إسماعيل تبدل أهل المناصب الذين كانوا في دولته ممن لا خبرة لهم، وقام المتشرفة وأهل الدعاوي، وكتبوا الرسوم وزوروا الشهادات، وقصدوا الملوك في تجديد ما كان بيدهم، ولم يجدوا من ينبه عليهم ولا يلتفت لتلبيسهم...»[٣].

وقد أصبحت الخزينة تعاني من العجز المالي من جراء الامتيازات المالية كالإعفاء من الضرائب[٤]، التي أصبحت تمنح للشرفاء والمتشرفة على حد سواء. ولما تقلد زمام السلطة المولى محمد الثالث قام بفرض الزكاة والأعشار على القبائل، لكن عماله الذين أنيطت لهم مهمة استخلاصها: (لم يجدوا من يعطيها لكثرة ادعاء الشرف)[٥]، إذن كيف واجهت السلطة المركزية هذه الظاهرة؟

ـ ب ـ مجهودات السلاطين الثلاثة في تحقيق النسب الشريف:

من جراء الحالة التي أصبح عليها النسب الشريف في المغرب، والتي لا تخالف الشرع فحسب، بل تهدد اقتصاد الدولة من جراء قلة المداخيل، تجندت السلطة المركزية لمقاومتها. وكان يؤازرها ويشد عضدها العلماء.

---

(١) وقفنا له على كتاب: (فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير) مخطوطاً بالخزانة الحسينية رقم ٥٢٩١. وذكر به أن مؤلفه هو محمد بن إدريس العلمي العلالي وهو خطأ وانظر إلى: عبد السلام بن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى. ١/ ٦١ رقم ٤٠٥ ـ محمد عبد الله عنان: فهارس الخزانة الملكية. ١/ ٢٤٨ـ٣٧٠.

(٢) محمد العلمي م.س.ص: ١٩.

(٣) أبو القاسم الزياني (التحفة) ص: ١١.

(٤) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ. ٣/ ٥٤٤.

(٥) أبو القاسم الزياني (التحفة ص: ١١.

في خضم ذلك تقلد الحكم السلطان المولى محمد بن عبد الله: (١١٧١ ـ ١٢٠٤/١٧٥٧ ـ ١٧٨٩)، وكان عالماً بعدة علوم، ونجد من بينها علم الأنساب[١]. ويعتبر ذلك مؤشراً يبشر بأن تحقيق النسب الشريف سيصبح على يديه قائماً. وعلاوة على ذلك فهو من أهل البيت، الذين عرفوا بغيرتهم على نسبهم الشريف[٢].

وهكذا لما تقلد زمام السلطة قام بتكليف العلماء والقضاة وأعيان القبائل بالبحث في المجتمع البدوي للتمييز بين الشرفاء والمتشرفة، بالاعتماد على الكناش الإسماعيلي الذي سجل فيه الشرفاء الشرعيين. ولقد قامت النخبة المذكورة بتنفيذ المهام التي أسندت إليها. وأصبح الشرفاء بالبادية أشياخهم الذين كلفوا بدفع زكاتهم وأعشارهم[٣].

أما بخصوص المجتمع الحضري فإن السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما تقلد زمام السلطة قام بإصدار ظهير شريف، ومضمونه هو إسناد خطة النقابة لاثني عشر شريفاً بمدينة فاس لتمييز الشرفاء من المتشرفة. ونجد من بين هؤلاء النقباء عبد الملك بن أحمد العمراني الجوطي، وحفيد بن محمد فتحا الصقلي الحسيني، ومما يقوله السلطان في هذا الظهير بالنسبة للمهام المنوطة بهؤلاء ما نصه: (... وأذنا لهم في تفحص الرسوم الحادثة والقديمة، والبحث عن أصول المنتسبين للنسبة الطاهرة الكريمة، والاطلاع على ما في أيديهم من البينات والعقود، والنظر في الموجبات والشهود، وتصحيح النسبة وإبطالها بالموجب الشرعي، والوجه الواضح المرسي على السنن المعروفة والنهج المعهود...)[٤].

وعلى أثر حدوث الجفاف سنة ١٢٠١/١٧٨٧ أمر السلطان المولى محمد بن عبد الله بترتيب الدقيق في المدن وتفريقه في كل حي على الضعفاء. وهذا الأمر جعل أشراف فاس يطلبون من السلطان أن يخصهم بنصيبهم ولا يدخلون مع عامة الناس. فأجابهم السلطان بالقبول. ثم أعطى تعليماته بأن يقسم مال إراثه المنقطعين بفاس على هؤلاء في كل شهر. وهذه الامتيازات فتحت الباب من جديد على مصراعيه، حيث برز من جديد كثرة أدعياء النسب الشريف من اجل الاستفادة من نفس الامتيازات. وأمام هذه الوضعية اشتكى عامة

(١) أبو القاسم الزياني (الترجمة الكبرى) ص: ١٨ من تقديم المحقق: عبد الكريم الفيلالي.

(٢) انظر محمد بن السكاك المكناسي (نصح ملوك الإسلام) ص: (٢٢ـ٢٣).

(٣) أبو القاسم الزياني (التحفة) ص (١٢ـ١٣).

(٤) السطور: (٦ـ٩) من الظهير الشريف المؤرخ بتاريخ أواخر جمادى الأولى عام ١١٧١ الموافق لأوائل يبراير ١٧٨٨ أي بعد تقلد صاحبه زمام السلطة بحوالي ثلاثة أشهر. وهذا الظهير ورد عند عبد الرحمن بن زيدان في: (إتحاف أعلام الناس) ٣/٣٤٩. والنسخة التي اعتمدناها من نفس الظهير تتميز على نسخة ابن زيدان بكونها مرافقة بشهادة قاضي فاس وعدلين منهما بتاريخ يوم الجمعة ١٧ شعبان سنة ١٣٦٠/ الموافق ٢٠ شتنبر ١٩٤٠. ويؤكد هؤلاء على مصداقية هذا الظهير. وللمهتم بمهام خطة النقابة خلال عهد السلطان المولى محمد الثالث، فعلاوة على هذا الظهير انظر إلى محمد العلمي (فتح العليم الخبير) ص: ٢٠.

الأشراف للسلطان المذكور من اجل العمل على وضع حد لهذه الظاهرة[١].

وكعادته استجاب السلطان بالقبول لهذا الطلب، فأصدر يوم الأحد ١٧ جمادى الثانية ١٢٠١ الموافق ٢٥ يبراير ١٧٨٧ ظهيراً شريفاً، حدد فيه الشرفاء الشرعيين الذين يمكنهم الاستفادة من مال إراثة المنقطعين بفاس، وهذا الظهير الشريف إن كان قد وضع حداً من جديد للمتشرفة، فهو يؤكد على كون هذا السلطان كان له إلمام بالأنساب عامة، وأنساب الأشراف على الخصوص. ومما يذكره السلطان في هذا الظهير ما نصه: (.. وقد أحاطت الناس بما لم يحيطوا به علماً، ويعلم ويتحقق أن العلماء العاملين أجمعوا أن النسب المقطوع به في غربنا من غير شك ولا ريب، هو ما أدخل في دفتر مولانا الجد[٢] ... وشهدت لهم به الكافة والجمهور، وحقق من دفتر لأبي العباس أحمد المنصور[٣] ... وبمقتضى هذا الظهير منحت خطة النقابة للبحث في النسب الشريف لمولاي رشيد بن عبد الهادي بن عبد النبي الدرقاوي الحسني[٤].

وهكذا خلال عهد هذا السلطان أصبح النسب الشريف محققاً بالمغرب و (أعطى الحق لأهله)، و(رد كل فرع لأصله)[٥] وأخمد أهل الدعاوي ولم يبق لهم ذكر)[٦].

ولما تقلد زمام السلطة المولى اليزيد بن محمد الثالث: (١٢٠٤ ـ ١٢٠٦/ ١٧٨٩ ـ ١٧٩٢) أثبت (شرف أهل الدعاوي، الذين ذكروا له أن والده حرمهم من شرفهم. وتم ذلك على يد الحاجب ابن الزنكي، وكاتبه بلعباس)[٧].

أما المولى سليمان بن محمد الثالث: (١٢٠٦ ـ ١٢٣٨/ ١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) فقد شهر بعمله وفضله، وقام بتجديد الظهائر التي منحها سلفه المولى اليزيد للأشراف والمتشرفة، غير أنه لما قامت الرعية بتقديم شكوى له، أصدر تعليماته لعماله بعدم منح صلاحية للظهائر التي قام

---

(١) أبو القاسم الزياني (التحفة) ص: ١٣.

(٢) يقصد به الديوان الإسماعيلي الذي يميز الأشراف عن المتشرفة بالمغرب. وتوجد منه سبع صفحات بخط أبي القاسم الزياني في الخزانة العامة تحت رقم: د ٣٤٠٢.

(٣) يعتبر أحمد المنصور السعدي أول سلطان مغربي حقق نسب الأشراف بالمغرب بكيفية شمولية. غير أن الديوان الذي وضعه في هذا الإطار، والذي اعتمد عليه المولى إسماعيل أثناء قيامه بنفس العمل يعتبر إلى الآن ضائعاً.

(٤) السطور: (١٦/ ١٩) ص: ٢ من الظهير الشريف. ولقد رد نص هذا الظهير عند عبد الرحمن بن زيدان: (الإتحاف) ٣/ (٢٣٦ـ٢٤١) (العز والصولة) ٢/ (١٠٧ـ١٠٩). غير أن الظهير الذي اعتمدناه والموقوف عليه بخزانة خاصة هو عبارة عن نسخة تتميز بأنها تمت مقابلتها ومماثلتها مع الأصل من قبل قاضي فاس وعدلين منها بتاريخ يوم الجمعة ١٥ ربيع الثاني عام ١٣٠٠ الموافق ٢٣ يبراير ١٨٨٣. ومن بين أهم الجوانب التي توضح لنا أهمية هذا الظهير كونه يوجد مكتوباً به أسماء أغلبية البيوتات الحسنية بالمغرب.

(٥) إدريس العلوي (الدرر البهية). ١/ ١١ـ محمد سكيرج (الدرر اللآلي) ص: ٥٧.

(٦) أبو القاسم الزياني (التحفة) ص: ١٣.

(٧) المرجع نفسه، ص: ١٣.

بتجديدها. ثم أمرهم بتحصيل الزكاة والعشر، ولا يتركوهما لشريف أو متشرف[١].

ومن أجل نفس الغاية قام نفس السلطان فأصدر ظهيرين شريفين خلال سنة واحدة. ولعل القيام بهذا العمل يعبر عن وزن هذه الظاهرة بالمجتمع المغربي خلال هذه الفترة الزمنية. وقد حدث إصدار الظهير الأول خلال يوم الاثنين ٧ ربيع النبوي عام ١٢١٠ الموافق ٢١ شتنبر ١٧٩٥ وهو موجه إلى النقيبين الشريفين العالمين السيد عبد الكبير بن عبد الهادي بن عبد النبي الدرقاوي الحسني، والسيد سليمان الحوات بن محمد العلمي الحسني. وهذا الظهير يؤكد على ثلاثة أفكار أساسية:

بالنسبة للفكرة الأولى: فهو يذكر أنه بالاستناد إلى ديواني السلطانين: المولى أحمد المنصور السعدي، والمولى إسماعيل العلوي، اللذين يشتملان على أسماء الأسر الشريفة النسب بالمغرب، فإن نقباء الأشراف خلال عهد المولى محمد بن عبد الله قد أغفلوا إضافة بعض الأشراف الشرعيين. وهو الأمر الذي يحتم تدارك هذا الإغفال[٢]. ثم يشير نفس السلطان إلى أن الأشراف بالمغرب يتميز نسبهم بكونه عبارة عن طبقات وفق مقاييس، ومما يقوله نفس الظهير في هذا المضمار ما نصه: (... وأهل النسبة فيه طبقات بعضها فوق بعض درجات، فأولهم المشاهير الذين عد شرفهم المتواتر، ثم أهل الرسوم والظهائر التي لا يتوجه إلى أهلها طعن، ولا يتطرق بها للمتمسك احتمال. ثم أهل الرسوم التي توجه الطعن إليها. وقد ضرب لهم الآجال عليها. ثم أهل الظهائر والتحلية التي ربما يكون بها عبرة في الظاهر، ثم أهل الدعاوي المجردة مع أهل الدعاوي الكاذبة، وهم الكثرة أجناد مجندة...)[٣].

وأما بخصوص الفكرة الأساسية الأخيرة التي يتضمنها نفس الظهير فتتجلى في: الدعوة إلى ضرورة تمييز الشرفاء من المتشرفة، كأهل فجيج الذين صاروا يعدون أنفسهم شرفاء. وفيما يتعلق بالثلاثين فرقة التي تدعي النسب الشريف، وكان قد أعطى لها أجلاً لكي تبرر مصداقية ادعائها، فمن الأفضل إثبات شرف نسبها لعدم وجود دليل ينفي ادعائها خصوصاً مع قرب الاحتفال آنذاك بذكرى مولد جد الأشراف صلى الله عليه وسلم[٤].

---

(١) أبو القاسم الزياني (التحفة)، ص: ١٣.

(٢) السطور: (١٣ ـ ١٩) من الظهير الشريف.

(٣) السطور: (٩ ـ ١٢) من الظهير الشريف.

(٤) السطور: (٢١ ـ ٢٥) من الظهير الشريف. وبخصوص هذا الظهير فنصه يوجد عند العباس بن إبراهيم المراكشي (الأعلام) ١٠/(١٢ ـ ١٢٩) ـ عبد الرحمن بن زيدان (العز والصولة) ٢/ (١١١ ـ ١١٣). غير أن النسخة التي اعتمدناها وقفنا عليها بخزانة خاصة ومرافقة بشهادة المقابلة والمماثلة من النسخة الأصلية من نفس الظهير من قبل قاضي فاس وعدلين منها بتاريخ يوم الاثنين ١٨ ربيع الثاني عام ١٣٦٠ الموافق ٢٦ يبراير ١٨٨٢.

أما بخصوص إصدار الظهير الثاني: فيرجع تاريخه إلى يوم الأربعاء متم شعبان عام ١٢١٠ الموافق ٩ مارس ١٧٩٦. وظروف إصداره هي أنه لما توصل السلطان المذكور بالرسالة من النقيبين السالفي الذكر. ويتضمن ستة أفكار أساسية وهي:

١ ـ موافقة المولى سليمان لإضافة النقيبين المذكورين للشرفاء العلميين والقادريين ضمن قائمة الشرفاء المنعم عليهم[١].

٢ ـ مؤازرتهما لتمكنهما بفضل مساعدة العارف بالله العربي الدرقاوي من إبطال دعوة هاتين الطائفتين من الشرفاء، على كونهم أصحاب مال إراثة المنقطعين بفاس وحدهم دون غيرهم[٢].

٣ ـ التأكيد على أن شرفاء النسب سواسية في الحقوق والواجبات[٣].

٤ ـ التذكير على كون فاس تعتبر: (دار هجرة كل مؤمن، والأشراف فيها يتميزون بقبض الصلة من عطايا الملوك)[٤].

٥ ـ التحذير من ادعاء النسب الشريف الذي من أجل المحافظة على حرمته، وضعت خطة النقابة[٥].

٦ ـ النصح بلزوم التقوى في ممارسة هذه الخطة[٦].

وإذا كان المولى سليمان قد بذل جهوداً جبارة في تحقيق النسب الشريف حتى أن المتشرفة: (انقطع كلامهم واستراحت الرعايا من ضررهم واستكانوا)[٧].

وإذا كان قد اعتمد في ذلك على ديواني المنصور السعدي والمولى إسماعيل العلوي، فإن ما قام به ظل جاري العمل خلال عهد المولى الحسن الأول[٨].

وهكذا إذا كان تحقيق نسب الأشراف قد صار واقعاً ملموساً خلال عصر السلاطين

(١) السطر ٦ من الظهير الشريف.

(٢) السطور (٦ ـ ١٠) من الظهير الشريف.

(٣) السطور (١٠ ـ ١٢) من الظهير الشريف.

(٤) السطران (١٣ ـ ١٤) من الظهير الشريف.

(٥) السطران (١٤ ـ ١٥) من الظهير الشريف.

(٦) السطران (١٥ ـ ١٦) من الظهير الشريف. وبخصوص نسخة هذا الظهير فهي توجد في ملكيتي، ووقفت عليها بخزانة خاصة، وتمت مقابلتها ومماثلتها بأصل من قبل قاضي فاس وعدلين منها بتاريخ يوم السبت ١٨ ربيع النبوي عام ١٣٠٠ الموافق ١٦ سبراير ١٨٨٤.

(٧) أبو القاسم الزياني (التحفة) ص ١٣.

(٨) هناك ظهير شريف للمولى الحسن بن محمد (١٢٩٠ـ١٣٢٥) / (١٨٧٣ـ١٩٠٧) بتاريخ ١٣٠٩/١٨٩١ قام خلاله بتجديد ظهير للمولى سليمان، ويحدد ضمنه فرق الشرفاء المستفيدين من مال إراثة المنقطعين بفاس. وهو ما يعني السير على نهج العمل الذي عمل بمقتضاه المولى سليمان في هذا الإطار، وقد ورد هذا الظهير عند العباس بن إبراهيم المراكشي م.س. ١٠/ (١٢٩ـ١٣٠).

الثلاثة بعد فوضى أزمة ثلاثين سنة، فإن نفس التحول حدث بخصوص موقف السلطة المركزية من المنتمين الشرعيين لهذه الفئة.

وقبل أن نظهر نماذج هذا التحول الذي برز على الخصوص في إغداق العطايا لصالح المنتمين لهذه الفئة الاجتماعية، فمن اللازم أن نسلط الأضواء على نماذج لمكانتهم بالمجتمع المغربي

٣ ـ مكانة آل البيت بالمجتمع المغربي خلال عصر السلاطين الثلاثة:

أ ـ نظرة عامة عن المكانة التي أصبح عليها آل البيت من جراء أزمة ثلاثين سنة:

بعد مرور ثلاثين سنة من الفوضى الشاملة، كان من الطبيعي أن يكون أصحاب هذه الفئة الاجتماعية قد أصبحوا يعانون الكثير من لعب أدوارهم على مسرح الأحداث بالمجتمع المغربي بكيفية طبيعته. إضافة إلى ذلك فوجود كثرة أدعياء النسب الشريف يعني حصول هؤلاء على عدة امتيازات، كالإعفاء من دفع الضرائب والحصول على عطايا، وهو الأمر الذي يعني ضعف بعض موارد الدولة، وضياع الكثير من العطايا لصالح آل البيت الشرعيين. وقد تبلورت خلال هذه الفترة من الأزمة مظاهر التنكيل بالشرفاء، كما هو الشأن بالنسبة لتنكيل جيش العبيد بشرفاء وزّان سنة ١١٤١/١٧٢٨ [١]، وكما هو الأمر بالنسبة للسلطان المولى محمد بن عربية، الذي قام سنة ١١٤٩/ ١٧٣٦ بالتنكيل بشرفاء سلجماسة وفاس لما تقلد زمام السلطة لرفضهم تأدية البيعة له[٢]، ولكن هل سيستمر الحال على نفس الشاكلة بعد أزمة ثلاثين سنة؟

ب ـ إبراز بعض النماذج للأدوار التي لعبها الشرفاء على الصعيد السياسي خلال عصر السلاطين الثلاثة:

نلاحظ أنه مع حلول فترة الاستقرار السياسي أخذ الشرفاء يقومون من جديد بلعب أدوارهم على الساحة السياسية.

وهكذا نجد أن حضورهم في حفل البيعة كان ضرورة لازمة، فالمولى محمد الثالث كان ممن بايعه بمراكش الحمراء فئة الشرفاء[٣]، وكذلك الشأن بالنسبة للمولى اليزيد بضريح المولى عبد السلام بن مشيش بجبل العلم[٤]، والمولى سليمان بضريح المولى إدريس الثاني

---

(١) محمد بن الطيب القادري م.س. ٣/ (٣١٨ـ٣١٩).
(٢) المرجع نفسه ٤/ (١٤ـ١٥).
(٣) تحدث عن ذلك كل من أحمد الناصري م.س. ٨/ ٤ـ محمد أكنسوس (الجيش العرمرم). ١/ ١٣٤.
(٤) تحدث عن ذلك كل من أحمد الناصري م.س. ٨/ ٦ـ عبد الرحمن بن زيدان (الدرر الفاخرة) ص:٦٥ـ محمد أكنسوس م.س ١/ ١٧ـ محمد فتحا البزيوي (تاريخ دول الإسلام). ص: ١٤٩ مخطوط بالخزانة الحسينية، رقم: ٤١٣.

بفاس[١]، وإن مكاني بيعة المولى اليزيد والمولى سليمان يؤكدان على سمو مكانة صاحبي الضريحين اللذين ينتميان لآل البيت لدى عامة الناس وخاصتهم آنذاك، وهو الأمر الذي يساهم في زيادة كسب التأييد لكل من السلطانين.

وقد كان لجوء أحد الجناة إلى بعض الأضرحة الرئيسية بالبلاد كما هو الشأن بالنسبة لأضرحة المولى عبد السلام بن مشيش، والمولى إدريس الأول، والمولى إدريس الثاني بمثابة لجوء سياسي إلى تراب دولة أخرى في عصرنا[٢] ولعل أبرز مثال يعطى هو لجوء المولى اليزيد ثلاث مرات إلى ضريح المولى إدريس الأول، في خلال سنة ١١٨٢/١٧٦٨ مرتين، وخلال سنة ١١٨٩/ ١٧٧٥ مرة واحدة[٣] نظراً لكونه أعلن الثورة ضد والده، مما جعل عقابه أمراً منتظر الحدوث. غير أنّ احتماءه مرتين بضريح مؤسس أول دولة مغربية مستقلة وشريفة، واستشفاع فئة اجتماعية متميزة، وهم أشراف زرهون لدى السلطان المولى محمد الثالث جعل هذا الأخير يصدر عفوه بدون تراجع. ونظراً لنفس السببين فقد تم خلال المرة الثالثة العفو عن المولى اليزيد صحبة جيش العبيد الذين كانوا يساندونه في ثورته[٤].

ولقد كان حضور الشرفاء خلال عهد المولى محمد الثالث لاستقبالهم له عند حلوله بمدينة فاس من المراسيم الجاري بها العمل[٥]، وكذا تأديتهم صلاة الجمعة بجانبه، وكذلك حضورهم حفلة زفاف أبنائه[٦].

والسلطة المركزية لم تأخذها هوادة في التنكيل بمن يسيء إلى أصحاب هذه الفئة الاجتماعية، كما هو الأمر بالنسبة للمولى حسن بن إسماعيل الذي كان شرفاء سجلماسة يتضايقون من نفوذه، فوضع نفس السلطان حداً لهذا العمل رغم أن المولى الحسن يعتبر عمه، وذلك كاستجابة لطلب شرفاء سجلماسة، وحدث ذلك سنة ١١٩٨/ ١٧٨٣ [٧].

وكان من الطبيعي أن يحدث في كل علاقة ما هو إيجابي وسلبي. وفي هذا الصدد نجد السلطان المولى محمد الثالث قد راسل بعض فئات الأشراف بفاس، وهم الأدارسة والطالبيون والغالبيون والعلويون من السبط الحسني، ثم الصقليون والعراقيون والمسفريون من السبط الحسيني. وعاتبهم لكونهم لم يقدموا يد المساعدة لابنه المولى إبراهيم لما نهبت داره[٨].

---

(١) تحدث عن ذلك كل من: أحمد الناصري م.س. ٨/ ٨٧ ـ ٩٠ ـ عبد الرحمن بن زيدان (الدرر) ص: ٦٧ـ محمد أكنسوس م.س. ١/ ١٨١.

(٢) إبراهيم حركات (المغرب) ٣/ ٤٣٥.

(٣) أحمد الناصري م.س. ٨/ (٧٣ـ٧٥)ـ محمد فتحا البزيوي م.س.ص: ١٤٨.

(٤) المرجع نفسه ٨/(٤٥ـ٤٧). المرجع نفسه ص: ١٤٨.

(٥) محمد بن الطيب القادري م.س. ٤/ ١٢٤.

(٦) المرجع نفسه ٤/ ١٧٦.

(٧) أحمد الناصري م.س. ٨/ ٥١.

(٨) أبو القاسم الزياني (التاج) ص: ١٨٥ـ١٨٨.. والرسالة المذكورة وردت بدون تاريخ.

وإذا كانت هذه الحادثة تبرز لنا أسماء سبعة بيوتات من أسماء البيوتات الشريفة بالمغرب خلال عهد هذا السلطان، فإنها تؤكد على كون أصحاب هذه الفئة الاجتماعية كان لهم وزن يؤثر في سير الأحداث بهذه المدينة.

وخلال سنة ١٢٣٥/١٨٢٠ حدثت فتنة بفاس بسبب نزاع وقع بين قاضيها العباس بن أحمد التاودي، ومفتيها الفقيه محمد بن إبراهيم الدكالي في قضية جرت بين شريفين: واحد شفشاوني حسني، والآخر عراقي حسيني. وكتب جماعة من المدرسين وطلبة العلم رسالة شكوى تبرز أن حكم القاضي يعتبر جائراً. ولكن السلطان: «لكمال أناته وعقله، لم يقبل شهادة عالم على مثله»[١].

ولما رأى المشتكون أن السلطان المذكور: (لم يساعدهم هجموا على القاضي وهو بمجلس حكمه. وأرادوا قتله. وسدد نحوه الشريف أبو عبد الله محمد الطاهر الكتاني كابوساً أخرجه فيه فأخطأه، فانزعج القاضي، ولزم بيته...)[٢].

وأعتقد أن الحادثة تبرز لنا سمو مكانة أهل البيت لدى عامة الناس على العموم، ولدى فئة طلبة العلم وأهله على الخصوص. كما توضح لنا أن بعض أهل البيت كانوا يقومون أحياناً بأخذ الثأر لقرابتهم.

ورغم وقوع هاتين الحادثتين فإنهما لم تنالا من حسن العلاقة التي جمعت بين السلطة المركزية والأشراف، ثم أن هذه السلطة قد أغدقت العطايا لفائدة أصحاب هذه الفئة الاجتماعية.

ت ـ عطايا السلاطين الثلاثة لصالح أهل البيت:

لما تولى زمام السلطة المولى محمد الثالث بعد بيعته لمراكش، توجه إلى مدينة فاس وأجزل العطاء لكثير من الفئات الاجتماعية ومن جملتها فئة الأشراف[٣].

ثم أمر سنة ١١٧٩/١٧٦٥ بصرف ريع ضريح سيدي أحمد بن محمد الشاوي الكائن بحومة الجرف من عدوة فاس القرويين لصالح الشرفاء القادريين الحسنيين[٤].

---

(١) أحمد الناصري م.س. ٨/ ١٤٧.

(٢) انظر إلى أحمد الناصري م.س. ٨/ (١٤٧ـ١٤٨).

(٣) أحمد الناصري م.س. ٨/ ٥.

(٤) محمد بن الطيب القادري م.س. ٤/ (١٦٧ـ١٦٨) وصاحب الضريح المذكور هو أحد العلماء والصلحاء بمدينة فاس. وهو من عرب الشاوية. ويرجع نسبه إلى عرب الحجاز من بني هلال وبني سليم الذين نقلهم الفاطميون إلى الصعيد، ثم إلى برقة، وإفريقية، ثم قام يعقوب المنصور بإدخالهم إلى المغرب الأقصى. وتوفي سنة ١٠١٤/١٦٠٥. وضريحه مشهور بمدينة فاس. ونجد من مصادر ترجمته: ـ سليمان الحوات (الروضة المقصودة) ص: (٣٢ـ٣٣). مخطوط بالخزانة العامة رقم: ك. ٢٣٥١ ـ عبد السلام بن الطيب القادري (معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي)، مخطوط بالخزانة العامة رقم د: ٧٧٧ـ عبد الكريم الكتاني (روض الأنفاس) ص: ٢٧٨ مخطوط بالخزانة العامة رقم: ك ١٢٦٤/ ١٠، محمد بن الطيب =

ولقد أصدر هذا السلطان ظهائر شريفة لفائدة ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم. وهكذا أصدر ظهيراً سنة توليته زمام السلطة لفائدة شرفاء أولاد الولي سيدي خلف الله يتضمن احترامهم، وإخراجهم من زمرة العامة، ودعوتهم لصرف زكاتهم وأعشارهم لصالح ضعفائهم[١].

وخلال سنة ١١٩٠/١٧٧٦ أصدر ظهيراً يتضمن تخصيص مال إراثة المنقطعين بفاس لفائدة الشرفاء بهذه المدينة. ويحدد هذا الظهير ست عشرة طائفة منهم للاستفادة من هذا الامتياز المادي، سواء من السبط الحسني كالأدارسة والعمرانيين، أو من السبط الحسيني كالعراقيين والصقليين[٢].

وخلال سنة ١١٩٩/١٧٨٤ أصدر ظهيراً لفائدة الشرفاء الأدارسة أهل تغمرت ضمن احترامهم من جهة، وإعفاءهم من التكاليف والوظائف السلطانية من جهة ثانية[٣].

أما بخصوص شرفاء تافيلالت فقد أصبحوا يحصلون كل سنة على مائة ألف مثقال، إضافة إلى ما كان ينعم عليهم بطريقة مستمرة[٤].

ولقد أصبح بقية شرفاء المغرب يحصلون على نفس الحصة من المال سنوياً[٥]. وخلال سنة ١١٨٩/ ١٧٧٥ وصلهم بـ: ٢٠٠٠٠٠ دينار[٦].

ومما يسجل بمداد الفخر لهذا السلطان بخصوص العطايا لصالح الشرفاء، أن نهجه هذا الاتجاه لم يقتصر على شرفاء المغرب، بل تجاوز حدود هذه البلاد السياسية، وذلك أنه وصل شرفاء الحجاز واليمن بصلات كبيرة.

وهكذا بعث صحبة ولده المولى عبد السلام ألف سبيكة من الذهب لأشراف الحرمين الشريفين وينبع وبدر وغيرهم بالحجاز[٧].

وأرسل سنة ١١٩٩/ ١٧٨٤ لشرفاء الحجاز واليمن ٣٥٠٠٠٠ دينار[٨]. ولقد أصبحت

= القادري: م.س. ١/(١٣٢-١٣٣) - كتاب (الكواكب الضاوي في نعتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي) مخطوط بالخزانة العامة رقم: د ٧٩٩، - محمد الكتاني (سلوة الأنفاس) ١/ (٢٧٤-٢٧٩).

(١) نص هذا الظهير ورد عند محمد الخلفاوي المخلوفي الحسني (بهجة الأبصار في جميع من وقفت على تحقيق نسبه من آل النبي المختار) ص: ٣٨٢ مخطوط بالخزانة العامة. رقم: ك ١٢٥٦/ ٤.

(٢) بخصوص نص هذا الظهير فانظر إلى عبد الرحمن بن زيدان (الإتحاف) ٣/(٢٣٤ - ٢٣٦).

(٣) ورد نص هذا الظهير عند محمد الخلفاوي المخلوفي الحسني م.س. ص: ٤١٠.

(٤) أحمد الناصري م.س. ٨/ ٧٠.

(٥) المرجع نفسه، ٨/ ٧٠.

(٦) عبد الرحمن بن زيدان (الإتحاف) ٣/ ٢٢٦.

(٧) المرجع نفسه ٣/ (٢٢٧ - ٢٢٨).

(٨) أحمد الناصري م.س. ٨/ ٥٧.

١٠٠٠٠ مثقال راتباً سنوياً لأهل الحرمين الشريفين، وشرفاء الحجاز واليمن[١]، ومن أجل ضمان استمرارية هذه السياسة فقد حبس هذا السلطان أملاكاً من مداخيلها الشرفاء[٢].

وقصارى القول أنه بخصوص هذا المحور، فإننا نجد أن هذا السلطان قد أغدق كثيراً على الشرفاء. و(أغناهم عن غيره، وملأ وطابهم من بره وخيره)[٣].

أما السلطان المولى اليزيد فقد كان (ذا سخاء وجود وإنعام، معتنياً بجوائز أهل البيت الكريم)[٤]. ومن أجل نفس الغاية أصدر ظهائر لصالح بعض آل البيت تأمر بتعظيمهم، كما هو الشأن بالنسبة لظهير شريف أصدره لصالح الطاهر بن محمد الخرشفي بتاريخ ١٢٠٤/١٧٨٩[٥].

ورغم أن المولى سليمان أمر بمنح تسليم مال إراثة المنقطعين بفاس على شرفائها لما كثر أدعياء النسب الشريف، فإنه (أغناهم عنه بالعطايا المترادفة)[٦] وشهر بـ: (إحسانه لآل البيت منتهى الإحسان)[٧].

وعلى سنة أبيه أنهم هذا السلطان على الشرفاء بالمغرب بـ: ١٠٠٠٠٠ مثقال، باستثناء ما كان ينعم عليهم كل سنة من سنوات حكمه[٨].

وبدوره أصدر ظهائر لصالح بعض الشرفاء، ونجد ظهيراً منها أصدره سنة ١٢٠٦/١٧٩١ لفائدة الشريف علي بن بركة وهو يأمر بتوقيره واحترامه[٩] وأصدر ظهيراً آخر سنة ١٢١١/١٧٩٦ وهو يأمر بتوقير واحترام محمد بن القطب أحمد الصقلي الحسيني، وأخيه عبد السلام، وأولاد أخويه علي وهاشم، ودفع زكاتهم وأعشارهم للفقراء من أسرتهم[١٠].

وهكذا نجد أن المؤلف عاصر حقبة زمنية من اهتمام السلطة المركزية وعامة الناس

---

(١) المرجع نفسه ٨/ ٧٠.

(٢) محمد العلوي (الفتوحات الإلهية) ص: أ من مقدمة المدني بن الحسني.

(٣) إدريس العلوي م. س. ١/ ١٦. وبخصوص دفتر هدايا وصلات السلطان المولى محمد الثالث لصالح أشراف الحرمين الشريفين والحجاز واليمن ومصر والشام وللأشراف العلويين فيوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بتاريخ ١١٩٩/ ١٧٨٤ ضمن مصورات جائزة جلالة الملك الحسن الثاني (حرف: ر) سنة ١٤٠٢/ ١٩٨٢ جائزة المخطوطات والوثائق.

(٤) محمد الكتاني م. س ٢/ ٢٣١.

(٥) ورد نص هذا الظهير عند إبراهيم حركات (المغرب) ٣/ (٥٤٤_٥٤٥).

(٦) أبو القاسم الزياني (التحفة) ص: ١٣.

(٧) إدريس العلوي م. س. ١/ ١٧٤.

(٨) أحمد الناصري م. س. ٨/ ١٣١.

(٩) هذا الظهير هو الوثيقة رقم: ٢١٦ من جائزة جلالة الملك الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق لسنة ١٣٩٤_١٩٧٤_ المديرية العامة للثقافة، قسم الخزانات والمخطوطات والوثائق. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة _ الرباط.

(١٠) هذا الظهير توجد نسخة منه لدي، ووقفت عليه بخزانة خاصة.

وخاصتهم بالأشراف. وإذا كانت السلطة المركزية قد قامت بتحقيق أنساب الأشراف خلال هذا العصر، فإن التأليف في الأنساب عامة وأنساب الأشراف خاصة قد عرف ازدهاراً وتقدماً لم يسبق لهما مثيل، فكيف يتجلى ذلك؟

٤ ـ نظرة موجزة عن كتب الأنساب خلال عصر السلاطين الثلاثة:

لو حاولنا استعراض جل كتب الأنساب التي ألفت خلال هذا العصر لطال بنا المقام. غير أننا نكتفي بذكر بعض النماذج. وعموماً يلاحظ وجود (تضخم في مؤلفات الأنساب)[١]. فالسلطان المولى محمد الثالث ألف في بعض مناقب أهل البيت[٢]. وبفضل توجيهه ألف محمد العلمي كتاب (فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير)[٣]. ونجد كتاباً في نسب العلميين[٤] لمحمد بن عبد القادر العلوي الحسني السجلماسي. كما أن كتاب (عناية أولي المجد) يؤكد أن السلطان المولى سليمان كان له إلمام كبير بعلم الأنساب.

أما على صعيد التأليف بمبادرات خاصة من قبل العلماء، فنجد كتاب (درة المطالب في نسب بني أبي غالب)[٥] لمحمد بن الطيب القادري، وهذا الكتاب عبارة عن أرجوزة في التعريف بنسب الأشراف الغالبيين، و(أرجوزة في الفروع العلوية)[٦] لمحمد التهامي بن عبد الله العلوي اليوسفي الشاكري المتوفى سنة ١٢١٠/ ١٧٩٥، ودفترين متعلقين بإحصاء الأشراف العلويين بتافيلالت لمؤلفين مجهولين[٧].

أما سليمان الحوات فألف كتاب (قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون)[٨] وهم الشرفاء الدباغيون الحسنيون القاطنون بحي العيون من عدوة فاس القرويين، ولا زال عقبهم إلى اليوم قاطنين بنفس الحي بالدار رقم: ٢٣.

ولقد ألف أبو القاسم الزياني كتاب (تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب)[٩]، ونظم (أرجوزة حول بعض فرق الجوطيين بفاس ومكناس)[١٠].

---

(١) محمد المنوني، المصادر التاريخية المدونة في العصر العلوي الثالث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ع: ١٢/ص: ١٤٠. سنة ١٤٠٦ـ١٩٨٦.

(٢) انظر كتابه: (الفتوحات الإلهية).

(٣) ورد ذكره بهامش سابق.

(٤) هذا الكتاب وقفنا عليه مخطوطاً بخزانة خاصة ومقياسه: ٢١، ٥,١٥ ومسطرته: ٢٥، وعدد صفحاته: ٢٧ وهو بدون تاريخ.

(٥) يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة رقم: ك ٩/١٢٣٤.

(٦) مخطوط بالخزانة الحسينية رقم: ٤٧٧٧.

(٧) وهما مخطوطان بالخزانة الحسينية تحت رقم: ٥٩١ ورقم: ٢٨٢٣.

(٨) يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة رقم: ك ١٤٨٠.

(٩) يوجد مخطوطاً بالخزانة الحسينية رقم: ٢٤٧١.

(١٠) تشتمل على ٩٨ بيتاً وتوجد مخطوطة بالخزانة العامة رقم: ك ١٢٦٤/ ١٤.

وأخيراً نجد عبد الواحد بن محمد الفاسي ألف كتاب: (غاية الأمنية) ونظم أرجوزة: (إغاثة اللهفان)[١].

والجدير بالذكر أنه إذا كان هذا العصر قد عرف تقدماً بخصوص التأليف في أنساب الأشراف، سواء بأمر من السلطة المركزية، أو بمبادرات خاصة من العلماء، فإن التأليف في هذا الميدان شمل أيضاً نسب الأسر التي لا تنتمي للنسب النبوي الشريف، ومثالا ذلك هما جدول حول تسلسل الأسرة الفاسية الفهرية[٢]، وضعه محمد فتحا بن أحمد الفاسي، و(تقييد في نسب أسرة الدريج بفاس وتطوان)[٣]، لسليمان الحوات.

وخلاصة القول أن فئة الأشراف لعبت أدواراً متنوعة في تاريخ المغرب منذ قدوم المولى إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، كما يلاحظ أن المغاربة قاموا بتعظيم المنتسبين لهاته الفئة، وبتحقيق أنسابها. وتجدر الإشارة إلى أن البحث في تاريخ الأشراف بالمغرب وتحقيق أنسابهم لا زال قليلاً رغم توفر المادة العلمية، ورغم أن هذا البحث يساهم في سد ثغرات وتصحيح أخطاء متعلقة بجوانب من هذا التاريخ. ولقد أشار محمد جواد مغنية إلى كون موضوع آل البيت تتفرع عنه بحوث شتى، تتصل بحياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[٤].

وفي هذا الإطار نجد أن كتب الأنساب المغربية بصفة عامة، وكتب أنساب آل البيت منها بصفة خاصة، تمدنا بمادة علمية عن هذا التاريخ، ولكن يلاحظ أن أغلبية الدراسات التاريخية المغربية لا تعتمد عليها، فكيف يمكن دراسة تاريخ المغرب - الذي يتميز بحكم الأشراف الأدارسة والسعديين وخاصة العلويين - دون الاطلاع على هاته الكتب؟ وكيف يمكن دراسة أدوار فئة الشرفاء الذين يعتبرون من الفئات التي تكون البناء الاجتماعي المغربي دون الاطلاع على هاته الكتب كذلك؟.

ومما يميز كتب أنساب الأشراف المغربية كونها لا تتقيد بإطار مكاني معين وبفترة زمنية محددة، بل تتضمن نسبهم وتاريخهم حسب المادة العلمية المتوفرة لمؤلفيها. وتعتمد على مصادر ووثائق متنوعة أصبح الكثير منها اليوم مفقوداً، وتمدنا بجوانب من السيرة النبوية، وبسير أعلام أهل البيت، وبتراجم لأعيان البيوتات الشريفة من صلحاء وعلماء تقلدوا خططاً دينية وعلمية كالقضاء والتدريس، وتحدثنا عن بعض الجوانب الدينية، كحديثها عن زوايا الأشراف، وبعض الجوانب السياسية كعلاقة فئة الأشراف بالجهاز الحاكم، وعن نفوذ هاته الفئة الاجتماعية، وأحياناً تبرز وزن بعض أفرادها الاقتصادي...

---

(١) قمت بتحقيقهما، ولم ينشرا بعد، فالكتاب خاص بالبيت الصقلي، والأرجوزة خاصة بالبيت القادري.
(٢) يوجد مخطوطاً بالخزانة الحمزوية بإقليم الراشدية رقم: ٣٥١.
(٣) يوجد مخطوطاً بالخزانة الحسينية رقم: ١٣٣٩.
(٤) محمد مغنية، كتاب (أهل البيت، منزلتهم ومبادئهم)، ص: ٥.

وأختم هذا المقال بمقولتين لعالمين مسلمين، فالأول من المشرق، وهو أحمد بن حجر الهيثمي الذي يقول عن البحث في النسب الشريف: «وينبغي لكل أحد أن تكون له غيرة على أهل النسب الشريف وضبطه، حتى لا ينتسب أحد إليه صلى الله عليه وسلم إلا بحق»[١].

أما الثاني فهو من المغرب وهو محمد بن أبي غالب بن السكاك العياضي الذي يتحول عما يناله الباحث في آل البيت وعن مطلبه الأخروي الحافز لتأليفه كتاباً حولهم: «... إيه معاشر أهل البيت الكريم قد خدمتكم بهذا التأليف، وخديم الكرام تلحقه العناية وتكنفه الحرمة، وقد تمسكت بعنايتكم عند زلازل الموت، وظلمة القبر، ووحشة وأهوال يوم القيامة وشدائدها...»[٢].

(١) أحمد بن حجر الهيثمي (الصواعق المحرقة) ص: ٤٥.
(٢) محمد بن السكاك، (نصح ملوك الإسلام). ص: ٣٣.

مسالك التأليف في فقه النوازل بالغرب الإسلامي

الدكتور مصطفى الصمدي(*)

مدخل:

إن المطلع على المدونات الفقهية، ومجامع النوازل، وكتب الفتاوى يجد نفسه أمام بحر زاخر متلاطم الأمواج، خصوصاً إذا علمنا أن أغلبها لم يكن مقصوداً التأليف، ومن ثم يجد الباحث نفسه أمام كتب كتبت عن كل شيء، ولامست كل ما له صلة بحياة الناس في موضوعات شتى.

وقد توالت حركة التأليف ـ بمعنى الجمع ـ بتوالي الأيام وتعاقب الحوادث والأقضية، ولعل الذي شغل الفقهاء عن بيان منهجهم وتنظيم مادة مؤلفاتهم، هو سرعة وتيرة تلاحق الحوادث، مما لا يسعف الفقيه في ترتيب المادة وجمعها وتبويبها، فكان له في كل يوم وقائع ونوازل، بل وفي كل ساعة ولحظة، وكأن الفقيه أخذت منه المسائل وقته كله في إيجاد الأجوبة المناسبة، وهي عملية ليست بالسهلة، لما تتطلبه من مراجعة واستحضار لأقوال السابقين، وإعمال النظر في الترجيح والاختيار والتدقيق في الوقائع وتقليب المسائل، على أن أمر التصنيف والتبويب والتقييد أُوكل في الغالب إلى التلاميذ الذين تولوا فيما بعد جمع المادة مما سمعوه عن شيوخهم المفتين.

إن المفتي غالباً ما كان يجد نفسه بين كثرة النوازل وتشعب قضاياها، وبين مطاردة عنصر الزمان الذي يستلزم منه فض نوازل اليوم لملاحقة أقضية الغد، وهكذا..

وهذا هو السر في أن الغالب على مادة هذا الفن أنها كانت من جمع وتقييد اللاحقين من التلاميذ والنساخ.

إن هذا العلم لم يعطه حقه من التصنيف والتبويب، ولعل الداعي إلى ذلك أننا وجدنا أعلام المدرسة المالكية بالغرب الإسلامي مشغولين بالشروح والتعاليق والهوامش على أمهات كتب المذهب، كالمدونة، والواضحة، والعتبية، ومختصر ابن الحاجب، وتهذيب البرادعي،

(*) أستاذ باحث بكلية الآداب بنمسيك ـ المغرب.

وجامع ابن يونس وغيرها.. وهذا لا يعني أنهم أغفلوا واقع الناس وقضاياهم، ولم يهتموا بظواهر الحياة المطروحة. لا أبداً وإنما الذي أقصد التنبيه إليه، هو ضخامة مادة النوازل وبقاؤها في الغالب غير مرتبة ولا مبوبة، مما يجعل مهمة الباحث فيها غاية في العسر والصعوبة.

وقبل الحديث عن أشكال التأليف في هذا الفن لابد من بيان المصطلحات التي يكثر استعمالها بين الدارسين، والتي يقف عليها الباحث وهو يكتنف بحر هذا الموضوع.

فنجد مثلاً النوازل والفتاوى والأجوبة والمسائل والأقضية والأسئلة، وكلها تطلق ليراد بها نوع واحد من الكتب الفقهية التي اهتمت بتفاصيل شؤون الناس في حياتهم اليومية في مجالات متعددة، من عبادات ومعاملات وعادات وعقائد وسلوك وأخلاق وبدع وعلاقات مع الغير، وغيرها من الموضوعات التي تلامس حياة الناس، يفزعون فيها إلى ذوي المعرفة ممن ينتصبون لمهمة الإفتاء، فيجدون الحلول والأجوبة المناسبة.

فيقال مثلاً: نوازل فلان، كنوازل العلمي أو نوازل ابن عرضون، أو النوازل الكبرى والصغرى للوزاني مثلاً، كما يقال: فتاوى فلان، مثل فتاوى ابن رشد أو فتاوى الشاطبي، ويقال: كذلك مسائل فلان، ومنها مسائل أبي الوليد، ويقال: أجوبة فلان كأجوبة ابن ورد و.. وهكذا.

وكلها تجمع محتويات ومضامين واحدة، وعليه، فإنها أسماء لمسمى واحد. ويظل مصطلح النوازل هو الغالب الشائع عند المغاربة، في إشارة دقيقة إلى صِبْغتها الواقعية، وظرفيتها الزمانية، وفي إقصاء شبه تام للافتراضات النظرية التي غالباً ما كان الفقهاء يشيحون بأوجههم عنها، ولا يولونها اهتمامهم، تأسياً بأصول إمام المذهب في ذلك.

وبناء على ذلك فالغالب في إطلاق مصطلح النوازل عند المغاربة يسير إلى واقعيتها وحلولها بالناس، وإيذانها للفقهاء بانطلاق العملية الاجتهادية بحثاً عن المخرج، وإيجاداً للحكم المناسب باستقراء النصوص المقررة، واللجوء إلى المقارنة أو الترجيح أو التأويل أو التخصيص.. وهكذا.

ولما كان الفقه الإسلامي عمدته تنظيم حياة الناس في المعاش والمعاد، كان واقعياً في أحكامه يجاري الوقائع ويساير المتغيرات، ويظل السؤال والاستفتاء قائماً قيام الحياة، فالنصوص متناهية، وقضايا الحياة مستمرة مسترسلة.

إن طبيعة فقه النوازل بالغرب الإسلامي عموماً، وبالأندلس خصوصاً، عرف تطبيقه العملي، وهو ينصهر مع خصوبة المجتمع الأندلسي الذي ازدهرت به الفتيا، وانتصب لها فطاحل الأئمة، ممن كانت لهم اليد الطولى في ضبط قواعد المذهب وأصوله. فأغنوا هذا الحقل بإجاباتهم وفتاويهم التي حفظ لنا الزمن بعضها، ولا يزال الكثير منها غائراً تشير إليه التراجمة ومصادر التاريخ، وسجلات الأدب، عدت على أغلبه عوادي الزمن مما أصاب تلك

البلاد الذاهبة.

لم يدع هؤلاء المفتون مجالاً من مجالات الحياة إلا وعالجوه المعالجة الشرعية المناسبة، فبحثوا في الأصول النظرية من الأمهات الفقهية، وربطوها بالواقع المعيش بكل ملابساته وخصوصياته، ومن تم نشطت حركة التأليف في كثير من الأمور التي لها علاقة بتنظيم شؤون الحياة كالحسبة والوثائق والشروط، وموضوعات الأحوال الشخصية كالنفقة والفرض وتقديراته، ومواضيع الفلاحة والمياه والصناعة والتجارة وأحكام البيوع والسكة، والتسعير والمضاربة، وميادين القتال والجهاد وأحكام أهل الذمة وغيرها من المسائل التي خُصت، كما سنرى، بتآليف خاصة وأخرى جمعت هذه الموضوعات كلها.

إن نظرة متأنية إلى هذا الموروث الفقهي تعطينا صورة حية عن واقع هذه الأمة الاجتماعي والسياسي والتاريخي في هذا الثغر من العالم الإسلامي. إنه نتاج عقول تفاعلت مع الواقع في زمن معين وفي بيئة معينة.

إن المطلع على كتب النوازل والفتاوى ليلمس بجلاء ملحظين أساسيين:

أ ـ دقة هذه المصادر في تصوير واقع الحياة وقضايا المجتمع، مما جعلها تحظى باهتمام المؤرخين، باعتبارها من أصدق الوثائق وأضبطها.

ب ـ نطقها بمكانة الفقيه داخل المجتمع وبيان أدواته الاجتهادية ومصادره العقلية والنقلية وهو يجسد حقيقة الفقه الإسلامي وطبيعته المتطورة في استجابة للحوادث واستيعاب للمتغيرات.

ولعل هذه المدونات التي تُعد مرآة حقيقة تعكس واقع الناس وقضاياهم، وما عنَّ لهم من ملمات ومشكلات في أمور دينهم، وتعطينا فكرة واضحة عن أن الفقه الإسلامي غير قابل للجمود، بل إنه يساير تطورات المجتمعات البشرية بمختلف معطياتها ومشاربها.

وقد كان المفتي يجلس للإفتاء زمناً طويلاً، وقد ينتقل من مكان إلى آخر، وحيثما حلّ وارتحل يكون مناراً ومرجعاً للسؤال والاستفتاء، فيحدث أن يجتمع لدى الفقيه الواحد عدد مهم من الأجوبة الصادرة عنه، فيعمد إلى جمعها في كتاب خاص، وهذا ما لم يكن متيسراً لغالبهم للأسباب التي شرحت آنفاً، وغالباً ما يكون مصير هاته الفتاوى تعهد التلاميذ أو الأولاد والأصحاب بجمعها وترتيب مادتها، وهذا الجمع قد يكون جمعاً خاصاً لفتاوى فقيه واحد، وقد يكون كما هو الشائع الغالب جمع فتاوى أو أجوبة كثير من الفقهاء على اختلاف بلدانهم وأزمانهم.

ولذلك لم تكن هذه الفتاوى على شاكلة واحدة من حيث طريقة الجمع والتصنيف، وإنما جاءت متباينة تبعاً لدواعي تأليفها وطبيعة ظروف واضعيها. وباطلاعي على معظمها أمكنني التمييز بين مناهج عديدة سأتحدث عنها بالتعريف على النحو الآتي:

وجدت بعض مؤلفات النوازل عَمَدَ فيها جامعوها إلى ترتيب وتصنيف مجموعة من

فتاوى المتقدمين في بلد معين أو منطقة جغرافية محددة قد تضيق وقد تتسع، ثم يضيفون إليها فتاوى أخرى متنوعة لعلماء آخرين، وأحياناً، يضيف إليها هذا الجامع من فتاويه الخاصة إن كان من أهل الاختصاص الفقهي، كما حدث مع ولد عياض حين جمع فتاوى أبيه في مذاهب الحكام، وزاد عليها من فتاويه ما كمل به الكتاب. وكذلك فعل الونشريسي في المعيار الذي جعله جامعاً لفتاوى منطقة الغرب الإسلامي، عبر زمان ممتد من القرون الأولى إلى حدود المائة العاشرة، ثم أضاف إليه عديداً من فتاويه استُفتي فيها، وكان أشهرها فتواه في شأن من بقي بالأندلس بعد السقوط، والمحرمة عليهم بقاؤهم بين ظهراني النصارى، وقد سمى فتواه هاته «أسنى المتاجر فيمن غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر».

وهناك صنف آخر من الفتاوى تجاوز فيه بعض الفقهاء الطريقة المعهودة في النوازل بانتظار الأسئلة، ثم إيراد الأجوبة المناسبة عنها، وهو صنف وجدته مبثوثاً في ثنايا النصوص التاريخية، وهي فتاوى تتعلق ببعض الظواهر الاجتماعية والقضايا السياسية الملحة التي انبرى لها الفقهاء دون أن ينتظروا بشأنها سؤالاً، فبينوا موقف الشرع، فيها إما تنبيهاً للعوام، أو تحذيراً للسلطان في غير محاباة ولا مجاراة.

وتندرج هذه الفتاوى في إطار المهمة الأساسية التي كان يستشعرها العلماء وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وغالباً ما يفضي هذا النوع من الفتاوى إلى مواجهات مع السلطة السياسية التي كانت ترى في هذا النوع من الفتاوى تحريضاً للرعية، واستنفاراً لها لمعارضة الحكام في سلوكاتهم الزائغة عن الشرع، على أن هذا النوع من الفتاوى لم يكن محل إجماع بين الفقهاء، بل وُجد من الفقهاء من بقي في صف السلطة يزكي مواقفها، ويصف الآخرين بالخروج عن الجماعة وعن طاعة أولي الأمر، وهؤلاء غالباً ما كان الحاكم يختارهم إلى جانبه لاستصدار الفتاوى المزكية للمواقف، وتسجل لنا كتب التاريخ مساجلات ومراجعات بين الفقهاء في هذا النوع من الفتاوى[١].

وضمن هذه الأنواع، هناك التأليف المصنف وهناك غير المصنف، ومؤلفات مقصودة للمناظرة والمراجعة، وأخرى للتوجيه والتنظير، وهكذا.

وقد اعتمدت هذا التقسيم لما لاحظته، وأنا أجمع هذه الدواوين من بطون مصادر التراجم والفهارس من تناثر وتفرق يجعل هذه المؤلفات غائرة منسية، وكأني بها تصرخ وتستجدي جهود الباحثين وهمم المتخصصين لجمعها وسلكها في عقد منتظم عن طريق الفهرسة والجمع والدراسة والتحليل. وهو عمل ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة من

(١) محمد أستيتو: النوازل وطبيعة مصادرها وحدود توظيفها في الكتابة التاريخية، مجلة كلية الآداب وجدة، عدد ٥ـ ١٩٩٥.

أهل الاختصاص، وعبر جهود المؤسسات العلمية الجادة.

وحسبي أنني أضع اللبنة الأولى لبناء معجم تراجم المفتين وأصحاب النوازل بالغرب الإسلامي، على غرار معجم الأدباء والمفسرين ومعجم المتصوفة، وكذا كتب الطبقات من لغويين ونحويين وقراء وغيرها، وكذلك بناء فهرسة جامعة لمؤلفات فقه النوازل حسب التسلسل التاريخي لهذا التأليف، وهو أمر هام ومفيد في تتبع تطور حركة التأليف، مما سيذلل بعض الصعاب، ويوفر بعض الجهد على الباحثين في هذا المجال.

وقد تبين بالبحث أن مناهج التصنيف يمكن ترتيبها كالآتي:

١ ـ التأليف بحسب الأماكن والبلدان:

وهذا النوع من التأليف في النوازل جعله أصحابه خاصاً بمنطقة جغرافية محددة، ولم يشاؤوا أن يخلطوه بنوازل غيرها من البلدان، فكان أفيد للباحث في الوقوف على مشاكل تلك البيئة وأقضيتها، وأعراف أهلها وانشغالاتهم اليومية، ومعرفة أعلام الإفتاء بها.

وهذا النوع من التأليف يفيد الباحث أيضاً في إدراك معالم مؤسسة الإفتاء بهذه المنطقة أو تلك في زمن معين، فتصبح مدرسة الإفتاء بها محددة المعالم بينة التوجه، من حيث الأدوات والمصادر والمواقف والتلاميذ والخصائص.. إلى غير ذلك من الاستنتاجات العلمية الهامة.

وينبغي الإشارة إلى أن التحديد الجغرافي لهذا النوع من التأليف قد يتسع فيشمل منطقة جغرافية واسعة، وقد يضيق فيشمل نوازل فقهاء ينتسبون لمدينة واحدة.

ونذكر من أمثلة هذا المسلك:

١ ـ كتاب «المعيار المعرب والبيان المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب» لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت٩١٤هـ). هذا الكتاب جعله صاحبه موسوعة فقهية لاجتهادات الفقهاء وفتاويهم على امتداد هذه المنطقة، منذ حوالي نهاية القرن الثالث إلى حين وفاته. فكانت بذلك أهم مجموعة فقهية تهم منطقة المغرب العربي باصطلاح اليوم.

لقد جعله صاحبه وعاء صب فيه كل النوازل والفتاوى المغاربية الأندلسية، فاعتبر أهم مدون في النوازل لا يعرف له نظير في القدر والمحتوى.

ولقد طبع المعيار مرتين: الأولى على الحجر بفاس عام ١٣١٤هـ في اثني عشر جزءاً بعناية وتحقيق جماعة من الفقهاء، والثانية محققة على يد جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي في ثلاثة عشر جزءاً، خصص الجزء الأخير منه للفهارس، وذلك سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م بعناية وزارة الأوقاف.

٢ ـ كتاب «الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادرة عن علماء الحضرة»: لمؤلف مجهول، وهو أهم ما وصلنا من نوازل حضرة غرناطة زمن احتضارها، فقد جمع فيه صاحبه فتاوى أشهر أعلام غرناطة وأعمالها، جمعه بعد سنة ٨٣٨هـ سنة وفاة أبي القاسم بن سراج

آخر المفتين الذين يترجم عليهم المؤلف، وقبل سنة ٨٦٥هـ سنة وفاة الفقيه محمد السرقسطي الذي يذكره كثيراً، ويورد فتواه فيقول: حفظه الله.

٣ ـ كتاب «جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام» لأبي القاسم البرزلي (ت٨٤٤هـ)[١] فقيه تونس ومفتيها.

وهو من أضخم كتب النوازل بالغرب الإسلامي. سجل فيه صاحبه فتاوى كبار شيوخ الإفريقيين والأندلسيين والمغاربة، ودوَّن فيه مراجعات ومناظرات جرت بين علماء هذه المنطقة، فكان بذلك منضبطاً لهذا التحديد المنهجي الذي وضعت.

ومما يدل على قيمة هذا الكتاب وغزارة مادته النوازلية في هذا الشق من الغرب الإسلامي أن الفقهاء المغاربة ينقلون عنه كثيراً، ويعتمدونه في مؤلفاتهم وفتاويهم. وممن اختصرها: أحمد بن يحيى الونشريسي في كتاب عنونه بـ«مختصر أحكام البرزلي» في نحو ٣٣٨ صفحة، يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٢١٩٨د. ضمن مجموع. وينقل عنه كثيراً العلمي الحسني الشفشاوني في نوازله وآخرون.

٤ ـ كتاب «الجواهر المختارة فيما لقيته من نوازل جبال غمارة» لصاحبه أبي فارس عبد العزيز بن الحسن مهدي الزياتي (ت١٠٥٥هـ)، جل هذه النوازل تتعلق بقضايا وقعت في الغرب الشمالي: فاس ومكناسة، وتازة، وبالخصوص منطقة غمارة، اشتغل بتحقيقه الباحث محمد مزين في إطار رسالة جامعية.

٥ ـ كتاب أحكام ابن سهل وهو معروف بـ«الإعلام بنوازل الأحكام» ألفه عيسى بن سهل الأسدي الغرناطي (ت٤٨٦هـ)، وهو من الصنف الذي جمع أجوبة فقهاء ينتسبون لمنطقة واحدة، فقد جعله صاحبه خاصاً بفتاوى الأندلسيين، وهو من أقدم المجاميع الأندلسية في هذا المجال،لم يورد فيه إلا النادر من فتاوى القيروانيين التي ساقها على سبيل الاستئناس والاستشهاد، أما الأقضية والوقائع والحوادث والمشكلات، فمن بيئة الأندلس استقاها، ومن مجتمعها انتقاها، فجاءت فصول الكتاب بمعلومات تاريخية وحضارية خلال القرن الخامس الهجري، وهو من القرون الثرية ببلاد الأندلس من حيث أنماط العلاقات الاجتماعية بين مختلف الطوائف والملل من مسلمين ونصارى ويهود، وهي الفترة التي نشطت فيها مؤسسة القضاء الشوري الذي تولاه كبار علماء الأندلس ومفتيها.

٦ ـ كتاب «الدرر المكنونة في نوازل مازونة» تأليف الفقيه يحيى بن موسى المازوني (ت٨٨٣هـ)، ويظهر فيه المحدد الجغرافي واضحاً، فقد ذكر صاحبه في مقدمته أنه جعله خاصاً بفتاوى علماء تونس وبجاية وتلمسان والجزائر.

---

(١) اختلف في تاريخ وفاته على ثلاثة أقوال: ٨٤١ـ ٨٤٣ـ ٨٤٤. راجع ابن مخلوف: شجرة النور، ص٢٤٥، فهرست الرصاع ص٥٥.

ينقل عنه الونشريسي كثيراً، ولعله كان عمدته في جمعه مادة المعيار ليضيف إليه نوازل فاس والأندلس.

ويؤكد أحمد بابا التنبكتي هذا التحديد الجغرافي للكتاب حين ترجم لصاحبه فقال: «وألف نوازله المشهورة المفيدة في فتاوى المتأخرين من أهل تونس والجزائر وتلمسان وغيرهم في سفرين»[١].

٧ ـ مجموع فتاوى علماء غرناطة، تأليف أبي القاسم محمد بن طركاط العكي الأندلسي، تولى قضاء ألمرية سنة ٨٥٤هـ، ولم يعرف تاريخ وفاته.

جمع فيه نوازل فقهاء غرناطة، توجد منه نسخ عديدة، منها نسخة الخزانة العامة بالرباط د١٤٤٧.

وواضح من هذه النماذج أن واضعيها التزموا بما حددوه في عناوين مؤلفاتهم، وبما شرطوه في التقديم لها، فجاءت جامعة لفتاوى علماء المنطقة وأجوبة فقهائها من معاصري المؤلف أو من السابقين له، وغالباً ما تم ترتيب مادة الكتاب على حسب ترتيب أبواب الفقه.

٢ ـ التأليف المتخصص في الموضوع الواحد:

وهذا الصنف اقتصر فيه أصحابه على التأليف في قضية واحدة دون خلطها بغيرها، فيكون الأمر دليلاً على أن المسألة طُرحت بحدة في المجتمع، فيطلب من الفقيه المفتي أن يخصها بالتأليف المفصل حتى يُجلي جوانبها على ضوء قواعد المذهب ومقررات الشرع.

وهذا النوع غالباً ما يحليه أصحابه بعبارة «رسالة في كذا» أو «هذا تقييد في موضوع كذا»، وقد وجدتها تخرج عن قاعدة تدوين النص النوازلي التي يحضر فيها السؤال ثم الجواب، فهي أجوبة من دون صيغة «سئل»، لكن تخصيصها بالتأليف المبسط والمفصل دليل على تضافر الأسئلة عنها، واستشكال أمرها، وإلحاح الناس عليها بما يفرضه الواقع وتمليه الحاجة، فينهض الفقيه ليبيّن وجه الشرع في ذلك، ويعيد الناس إلى الصواب في الأمر.

ويظهر في هذا النوع من التأليف الذي يشمل قضايا العبادات والمعاملات والسياسة الشرعية والأطعمة، وأحكام أهل الذمة وغيرها، براعة المفتي ونبوغه، ذلك أنه لا يحاكي ما هو مقرر في أبواب الفقه النظري، بل إنه يعمد إلى ربط النصوص بالواقع بالنظر إلى النازلة في محيطها وظروفها، فيستدرك على السابقين ويرجح ويخالف، ويأتي من بعده ليؤلف في نفس الموضوع برأي مخالف ومغاير، وهكذا يمضي التأليف في النوازل في حركة دائمة ونشاط مستمر.

وقد وجدت لهذا الصنف نماذج كثيرة لكثرة المواضيع وتنوع قضايا أقتصر على ذكر بعضها.

---

(١) أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج ص٣٥٩.

١ - من المفتين من شغلهم أمر ضبط كتابة الوثائق والعقود والشروط التي تنظم المعاملات بين فئات المجتمع الأندلسي، وتروم حفظ الأنفس وصيانة الأعراض وحماية الحقوق والأموال، فألّفوا في هذا الموضوع التآليف الكثيرة التي تشهد على حضوره بقوة، وهي مادة غنية بالنوازل، ثرية بالمعطيات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وغيرها، من ذلك:

أ - كتاب «الوثائق والسجلات» للفقيه الموثق محمد بن أحمد الأموي الأندلسي المعروف بابن العطار (ت٣٩٩هـ) اعتنى بتحقيقه ونشره الإسبانيان شالميتا وكورينطي، ونشره المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد سنة ١٩٨٣، وقد كان منهجه في الكتاب أنه يورد الوثيقة وموضوعها، ثم يتبعها ببيان الوجه الفقهي فيها ويفسرها تفسيراً شافياً.

ب - «المقنع في علم الشروط» للفقيه الأندلسي أحمد بن مغيث الطليطلي (ت٤٥٩هـ)، جعله صاحبه خاصاً بموضوع كتابة العقود وضبطها، فأورد فيه صيغاً كثيرة للعقود في مواضيع مختلفة، ثم يتعقبها بالحديث عن فقه الوثيقة وما يندرج تحتها من أحكام.

والكتاب حققه الباحثان الإسبانيان فرانسيسكو خابير/ أغيري سادابي وهو من منشورات المعهد الإسباني للتعاون مع العالم العربي، العدد الخامس[١].

ج - «المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود» لصاحبه علي بن يحيى الجزيري (ت٥٨٥هـ)، يشتمل على وثائق وعقود تضمنت نوازل شيقة في موضوع الزواج، وقد حقق ونشر على يد أسونشيون فريراس Asunution Ferreras ونشره المعهد الإسباني للتعاون مع العالم العربي[٢].

د - كتاب «المحتوى في علم الوثائق»، ذكره ابن بشكوال في الصلة عند ترجمته لأبي عمر أحمد بن عبد القادر الإشبيلي، وهو كتاب ضخم مطول بلغ أسفاراً عديدة وصلت إلى خمسة عشر مجلداً[٣].

على أن التأليف في موضوع الوثائق والشروط توالى عبر تاريخ الأندلس لحاجة الناس الشديدة إليه، نذكر من بينها «وثائق ابن الهندي»، و«الوثائق المجموعة» لابن فتحون، و«وثائق الغرناطي» و«المنهج السالك» لابن زرقون، و«النهاية والتمام في الوثائق والأحكام» لأبي الحسن علي بن عبد الله المتيطي والمشهورة بالمتيطية، و«الطرر» لابن عات.. وغيرها كثير مما لا يسع بسطه في هذا الباب[٤].

(١) المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٩٤.
(٢) المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٩٨.
(٣) ابن بشكوال، الصلة (١/ ٤٤).
(٤) راجع عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ص١١٣- ١١٨، فقد ذكر جملة من كتب الوثائق الأندلسية والمغربية.

٢ ـ وجدنا من المفتين من اهتم بموضوع الحسبة أو ما يعرف بأحكام السوق، وإن كان لفظ الحسبة أعم وأشمل، وقد كانت من الخطط التي يُعين لها أصحابها، وأهلها يتولون النظر في أمور الناس ومعاملاتهم وما يضبط تصرفاتهم.

وتذكر كتب التراجم كثيراً ممن اشتغل بهذا المنصب بتعيين من الوالي أو الحاكم، وتحتاج هذه المادة إلى استخراج وترتيب وجمع.

وقد سجلت من المؤلفات في هذا الموضوع ما يلي:

أ ـ «أحكام السوق» ليحيى بن عمر الأندلسي (ت٢٨٩هـ) من أقدم ما ألف في موضوع الحسبة، جمع فيه ما ينبغي للوالي أن يفعله في سوق رعيته من المكيال والميزان والأقفزة والأرطال والأواقي، وفيه: القضاء بالقيم وبيع الفاكهة قبل أن تطيب، والخبازين والجزارين، وبيع الدوامات والصور، والغش والتدليس، والملاهي والقدور المتخذة للخمر، وصاحب الحمام، وبكاء أهل الميت والخروج إلى المقابر، وفيمن يمشي بالخف الصرار، وفيمن يرش أمام حانوته، وفي الطين إذا كثر في السوق، وفيمن يحفر حفيراً حول أرضه أو داره أو يحدث لداره باباً، وفي اليهود والنصارى يتشبهون بالمسلمين، وفي بيع أهل البلاد الشيء المائع، وفي التطفيف، ورفع السوق لواحد، وفي المحتكر.

مما سئل عن جميعه يحيى بن عمر فأجاب فيه ودوّن عنه، رواية أبي عبد الله بن شبل عنه[١].

وقد كان الدكتور محمود علي مكي قد قام بدراسة هذا النص ونشره في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٥٦، فاعتبر من الباحثين الأوائل الذين تفطنوا لكتب النوازل ونبهوا إلى دررها، ودعوا إلى ضرورة استثمارها في دراسة الجوانب التاريخية والحضارية للمجتمع الأندلسي، تنضم إلى أعمال المستشرقين من أمثال جاك وشاخت ودوزي وكلود كاهان وليفي بروفنسال وبرونشفيك وغيرهم، ممن نهلوا في دراساتهم التاريخية من كتب النوازل، هذا المنجم البكر حسب تعبير «شاخت»[٢].

وقد نشر هذا النص مرة ثانية بتحقيق حسن حسني عبد الوهاب ومراجعة فرحات الدشراوي[٣].

ب ـ ثلاثة وثائق في شؤون الحسبة، الأولى لمحمد بن أحمد بن عبدون التجيبي،

---

(١) راجع: محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٥٦، المجلد الرابع. وابن شبل هو أبو عبد الله محمد بن سليم بن شبل الإفريقي سمع من سحنون وكان من الثقات، توفي سنة ٣٠٧هـ. انظر الديباج (٢/ ٣١٢) رقم ١١٨.

(٢) J. Schacht. Esquisse d' une histoire du droit musulman. Edit. Max Besson PAIS 3591 (Traduction Francaise). A la page 67 et 69.

(٣) طبع بتونس سنة ١٩٧٥.

والثانية لأحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب، والثالثة لعمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي، نشرها واعتنى بها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، وصدرت عن مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٩٥ بالقاهرة.

وهذه الوثائق ضافية بمعلومات شيقة عن فصول الحياة العامة بالأندلس، وأحوال أهلها في معاشهم ومعاملاتهم، ومجالات عمل المحتسب وما يشترط فيه، وعلاقة الحسبة بالقضاء، وهكذا..

٣ ـ «رسالة في أحكام البنيان والعمران وتنظيم المجال»: من تأليف عيسى بن موسى بن أحمد بن الإمام التطيلي الأندلسي المتوفى سنة ٣٨٦هـ، سماها «القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر»، وهي رسالة فريدة في موضوع كان لابن الإمام فضل السبق فيه، والغريب أنها لم تشتهر ولم تنل حظها من الدراسة مثل ما حظيت به رسالة ابن الرامي التونسي والمسماة بـ«الإعلان بأحكام البنيان»، والتي جاءت صورة طبق الأصل لكتاب ابن الإمام وهذا بشهادة ابن الرامي نفسه.

والكتاب فيه معالجة لطيفة وقيمة للقضايا المتعلقة بالمباني وحقوق الجوار في السكن وقواعد المعاملات، فيحلل ذلك وفق مقررات الفقه الإسلامي وتوجيهات الشريعة، ولا يكتفي بذلك بل ينتقل إلى ما يطرح في ساحة القضاء من نزاعات ومشاكل.

والكتاب ظل حبيس الرفوف، إلى أن هيأ الله له أحد أصدقائنا الباحثين للعمل على تحقيقه في إطار دبلوم الدراسات العليا بفاس.

وقد عمدت الأيسيسكو ـ نظراً لقيمة الموضوع ـ إلى طبعه ونشره بتعاون مع جامعة الزيتونة بتونس، وصدر سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤ ـ «زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض» لصاحبه علي بن محمد بن علي بن باق، لم نعثر له على ترجمة، لكن نقولاً في الكتاب ترجح أنه عاش بعد النصف الثاني من المائة السابعة. وهو يهتم بموضوع النفقات والقروض مما كان مطروحاً بحدة في المجتمع الأندلسي، وكان القضاء فيه غالباً ما يتم الاعتماد فيه على العرف والعادة بحسب حال المنفق والمنفق عليه.

وقد ألفه صاحبه وهو يعي بعمق مسؤوليته في تطبيق الشريعة الإسلامية في حياة الناس بمجتمع ألمرية الأندلسية، وكان قد تولى مهمة النظر في تقدير الفرض ببلده ألمرية، فاقتضت خاله استقصاء النظر والبحث فيما ذكره أئمة العلم، فقام كذلك وجمعه في هذا الكتاب كما ذكره في طليعته، ورتبه على مقدمة في ذكر المد وصفته وما يتركب منه، وتقدير الدراهم والدنانير وأنواعها بمدن الأندلس كقرطبة وغيرها. وعشرة فصول تتضمن أسماء المكاييل والموازين وأنواع النفقات، كنفقة الحوامل والقرابة وملك اليمين والأيتام والأوصياء والحواضن والمراضع والأضحية، وضمان النفقة وكيفية توزيعها، والأطعمة وأنواعها

ومقاديرها، ومراتب الفروض وفرض الإدام والكسوة واختلافها باختلاف فصول السنة، ونفقة الحمام والسكنى، والفصل الأخير في الإخدام وأحكامه.

وتتخلل هذه الفصول مسائل وفوائد مهمة ترجع إلى تقاليد الأندلسيين الاجتماعية من أطعمة وألبسة وأعراس، مما يفيد في دراسة التاريخ الحضاري لهذه المنطقة من الأندلس السليبة[١].

٥ ـ وفي موضوع الحوادث والبدع توالت التآليف مخبرة بضجر الفقهاء مما كان يظهر بالمجتمع الأندلسي من بدع وأهواء فيها خروج عن السنة وسيرة السلف، فشددوا النكير على أصحابها وشنعوا عليهم فعلهم، بل وحاربوا ذلك بما أوتوا من علم ونظر، وأذكر في هذا الصدد:

كتاب «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (ت٢٨٦هـ)، صدر مرتين: الأولى بعناية الأستاذ محمد دهمان، والثانية بتحقيق الدكتورة ماربيل فيرو.

كتاب «الحوادث والبدع» لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ) وقد صدر بتحقيق الدكتور محمد الطالبي، كما عُني بتحقيقه الدكتور عبد المجيد التركي.

على أن أمر البدع استشرى وعمّ في بلاد الأندلس أيام الدولة النصرية في أمور كثيرة مست العقيدة ومجال العبادات والعادات، وسجلت لنا كتب النوازل ما كان بين الفقهاء في هذه الفترة من اختلاف في تقرير مفهوم البدعة، ومن ثَمَّ جاءت مواقفهم بين مترخص ومجيز ومتشدد، ففي فتاوى ابن لب وابن سراج واعتصام الشاطبي وفتاواه الشيء الكثير[٢].

٦ ـ رسائل في موضوعات مختلفة نذكر من بينها:

رسالة في تحريم الغناء والسماع لأبي بكر الطرطوشي/ تحقيق عبد المجيد التركي.

رسالة في تحريم الجبن الرومي لأبي بكر الطرطوشي/ تحقيق عبد المجيد التركي.

«إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد» لأبي العباس أحمد العزفي (ت٦٣٣هـ). مخطوط مغربي جيد، توجد نسخة شمسية منه عند الأستاذ محمد الشريف بكلية الآداب بتطوان، سلمها له المرحوم العلامة محمد المنوني، ويتألف المخطوط من ١٣٧ ورقة من الحجم المتوسط.

مقالة في الأوزان لعلي بن محمد بن القطان الفاسي (ت٦٢٨هـ).

---

(١) راجع التعريف بالكتاب ضد الفقيه بو خبزة التطواني ضمن مستل تعريفي ببعض المخطوطات الأندلسية نسخة مصورة خاصة/ وراجع دراسة عن الكتاب للدكتور حسن الوراكلي «إشارات اجتماعية واقتصادية عن مدينة ألمرية» من خلال مصدر فقهي/ مجلة أبحاث أندلسية نونبر ١٩٩٠، وكذلك مجلة الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة ٦ـ١٠ نونبر ١٩٨٦.

(٢) راجع عن موضوع البدع والحوادث بالأندلس، حسن الوراكلي، «ياقوتة الأندلس» دراسة في التراث الأندلسي، ص ١٥٩ـ١٨٠. دار الغرب الإسلامي ١٩٩٤.

تلخيص القول في المكاييل والأوزان والنصب الشرعية وتبيين مقاديرها، من أقوال العلماء المعتنين بتحقيق ذلك، لمؤلف مجهول كتبها سنة ٦٨٥هـ، مخطوط الزاوية الناصرية بتمكروت ضمن مجموعة رقمه ق٤١٦.

«الدوحة المشتركة في ضوابط دور السكة»، لأبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، نشره الدكتور حسين مؤنس في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد المجلد ٦ سنة ١٩٨٥ من صفحة ٦١ إلى صفحة ٢٠٤.

«أسنى المتاجر فيمن غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر» لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني (ت٩١٤هـ) وهي الفتوى المشهورة في شأن من بقي من المسلمين ببلاد الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٨هـ، وقد ناقش العلماء هذه الفتوى القاصمة فردوا عليها ردوداً ضافية، وكان أول من نشرها هو الدكتور حسين مؤنس في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد الخامس سنة ١٩٥٧.

وقد بز المغاربة أقرانهم من الأندلسيين في هذا النوع من التأليف، وقد وقفت على رسائل كثيرة في هذا الباب، أذكر بعضها مثل «جواب أبي حفص الفاسي السلطان حول الاستعانة بالكفار في أمور الجهاد»، ورسالة «صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة» للمسناوي، ورسالة في الحسبة لأبي سعيد المزكلدي، ورسالة في «الإمامة العظمى» لأبي سعود الفاسي، ورسالة «القول الكاشف في حكم الاستنابة في الوظائف» للمسناوي، و«تقييد الموازين والمكوس» لأبي زيد الفاسي، وجواب حول «مسألة العقوبة بالمال» لمحمد بن العربي أبي المحاسن الفاسي، و«رفع الالتباس في مسألة الخماس» لابن رحال المعداني، و«تحفة الإخوان في فوات بيع الثنيا بطول الزمان» لمحمد التاودي بن سودة، و«الفتح المبين في بيان الزكاة وبيت مال المسلمين» لجماعة من علماء فاس لسيدي محمد بن عبد الله في شأن الموازين. و«تحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة» لأحمد البويعقوبي، ورسالة في «تضمين الصناع» لابن رحال، وغيرها كثير شاهد على المواضيع الملحة التي شغلت بال الفقهاء فخصوها بالتأليف والتحليل[1].

والتآليف من هذا القبيل كثيرة، وحسبي أني مثلت لهذا المنهج ببعضها، فاتضح أن المفتي كان دائماً يرعى بعينه الحالات المستعصية والوقائع الملحة، التي غالباً ما لا يحسم فيها الخلاف بفتاوى عرضية متفرقة هنا وهناك، وإنما تفرض أن تخص بتأليف مستقل شاق ومفصل يعزز فيه الفقيه رأيه بالأقوال المعتمدة في المذهب، ويعمل نظره في ربطها بالواقع المتجدد والعرف المعتمد.

---

(١) راجع تفصيل ذلك في كتاب فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام للدكتور الحسن العبادي ص٤٦، منشورات كلية الشريعة أكادير ١٩٩٩.

٣ ـ التأليف بحسب الأشخاص الأعلام:

هذا الصنف من كتب النوازل جمع أجوبة فقيه واحد، وقد يكون ذلك من جمعه هو أو من جمع تلاميذه الأصحاب، إما إملاء منه أو جمعاً عنه خلال توليه مهمة الإفتاء أو الشورى، وقد كان يحدث أن توجه لبعض الفقهاء لمكانتهم وشهرتهم أسئلة معينة ومحددة فيجيبون عنها، فيشتهر الجواب بشهرة المفتي.

وهذه هي السمة الغالبة على كتب النوازل، فغالباً ما تنسب لصاحبها ويتداولها الناس معزوة لأصحابها.

وقد قمت باستقراء كتب الفهارس فعثرت على كم وافر من كتب النوازل من هذا الصنف، ووجدت إشارات كثيرة إلى أسماء كثير من الفتاوى، وفي مرحلة الاستخراج والوقوف عليها مخطوطة أو مطبوعة وجدت القدر اليسير مما حفظته أيادي الزمن، وعزّ عليّ الحصول على الكثير منها، فاستنتجت أن قسماً كبيراً من هذا النوع من تراثنا التليد قد تعرض للضياع والتلف لضياع هذا الجزء الغالي من بلاد الإسلام، فيبقى أن قدراً كبيراً من هذه المؤلفات مذكور في بطون مدونات النوازل كأحكام ابن سهل، ومعيار الونشريسي، وجامع البُرزُلي وغيرها التي نجد من بين نقولها المعتمدة فتاوى لأعلام أندلسيين، لكننا لا نجد لها أثراً ولا وجوداً ضمن الأرشيفات والخزائن حسب ما أوصلني إليه بحثي وجهدي.

ولقد ذكر الدكتور محمد حجي نماذج من هذه الفتاوى الضائعة الغائرة والتي ما تزال تحتاج إلى جهد الباحثين وتنقيب المختصين ـ في مقال له حول المجتمع الأندلسي من خلال كتب النوازل[١] ـ بعضاً من هذه الفتاوى المشهورة شهرة أصحابها، أمثال فتاوى أصبغ بن خليل (ت٢٩٣هـ)، وفتاوى المشاور بن لبابة (ت٣٣٠هـ)، وفتاوى أصبغ بن الفرج (ت٣٩٩هـ)، وفتاوى عبد الله بن دحون (ت٤٣١هـ)، وفتاوى أبي الحسن علي حدة (ت٧٤٦هـ)، وفتاوى محمد بن علاق (ت٨٠٦هـ)، وفتاوى محمد بن علي الحفار (ت٨١٠هـ).

لقد كانت الإشارات من الأستاذ حجي دافعاً لي للبحث عن أماكن وجود هذه الفتاوى، لكني لم أظفر بطلبتي وأنا أتصفح فهارس الخزائن وكتب الفهارس ومعاجم المؤلفات، فترجح لدي أن نسبة هذه الفتاوى لأصحابها آت من كثرة تردد فتاويهم في مدونات النوازل اللاحقة لعصورهم والتي يكثر فيها النقل عنهم، وزاد من هذا الترجيح أن الدكتور حجي فرق بينها وبين الفتاوى المعروفة بذكر أسماء المؤلفات من وضع أصحابها واصطلاحهم. ففي نفس المقال وفي معرض سرده لهذه الفتاوى يقول: ونوازل القاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل (ت٤٨٦هـ) المسماة «الإعلام بنوازل الأحكام أو الأحكام الكبرى»، ونوازل القاضي

(١) محمد حجي: جولات تاريخية ص٢٣. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى ١٩٩٥ بيروت.

المشاور بن الحاج (ت٥٢٩هـ) المسماة «الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة»، ونوازل أبي الوليد بن هشام (ت٦٠٦هـ) وتسمى «المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام».. وهكذا.

ولعل هذه الإشارة تستنهض هِمَمَ الباحثين لجمع فتاوى هؤلاء الأعلام من بطون المدونات والمجاميع وتخصيصها بالدراسة والتحقيق والتحليل، فالأمر فيه كبير الفائدة ولاشك.

ومن نماذج التأليف في هذا الصنف ما يلي:

أ ـ فتاوى ابن رشد الجد (ت٥٢٠هـ) جمعها تلميذه أبو الحسن محمد بن الوزان القرطبي، وهي من أشهر الفتاوى الأندلسية نظراً لمكانة صاحبها، فقد كان مفتي قرطبة وقاضي الجماعة بها، انتهت إليه رئاسة الفقه في زمانه، فحلق حوله التلاميذ من كل قطر، وطاروا إليه بالمسائل من كل أنحاء الأندلس ومن عدوة المغرب.

وقد تم تحقيق الكتاب مرتين على التوالي، بتونس على يد الباحث المختار التليلي وقد سماها فتاوى ابن رشد، وقد كان حققها قبله الدكتور الحبيب التجكاني وسماها مسائل أبي الوليد.

والكتاب سجل فصولاً متنوعة من حياة الأندلسيين في شتى مجالات الحياة وكل شؤون الدين بصفة عامة.

وفي إشارة للدكتور حجي حول فتاوى ابن رشد أشار إلى أن تلميذه ابن الوزان لم يجمع كل الفتاوى الصادرة عن ابن رشد، وأنه أغفل عدداً كبيراً منها، والذي يزكي ذلك وجود كثير من فتاويه مبثوتة في مصنفات فقهية متأخرة تتبع أثرها الباحث التونسي.

يقول محمد الحجي: «وهناك أيضاً كتاب آخر في النوازل منسوباً إلى أبي الوليد بن رشد يوجد مخطوطاً في الخزانة العامة بالرباط، يقول ابن رشد في مقدمته: «وبعد، حمداً لله تعالى والصلاة على رسوله المصطفى، فإني بجميل صنع الله بي، وجزيل أفضاله عندي، وحسن عونه لي، أيام نظري في القضاء والأحكام، وزمن تقييدي أحكام غيري من القضاة والحكام، جرت على يدي نوازل استطلعت فيها رأس من أدركت من الشيوخ والعلماء، وانفصلت لدي مسائل نوازل كشف عنها كبار الفقهاء، إذ كانوا من أهل هذا الشأن بأرفع مكان، وأعلى منـزلة، وأعظم درجة رسوخاً وعلماً ودربة وفهماً، منها ما شافهتهم فيه، ومنها ما كلمتهم في معانيه، وكنت قد علقت ذلك على حسب وقوعه، لا على ترتيبه وتنويعه لأتذكر به متى احتجت..».

يدل هذا التقديم على أن ابن رشد كان قد بدأ بجمع الفتاوى التي استدعاها هو من معاصريه الفقهاء حين كان مشاوراً ـ بالكسر ـ قاضياً بقرطبة (من عام ٥١١هـ إلى عام ٥١٥هـ) لكن انشغاله بإنهاء كتابيه: «البيان والتحصيل» و«المقدمات والممهدات» ووفاته بالقرب من

ذلك، جعله لا يستوعب كل الفتاوى والأحكام، ورأى تلميذه ابن الوزان أن ينتقي جملة من فتاوى الشيخ، وبذلك يكون لابن رشد كتابان في النوازل، الأول المشهور وهو بقلم ابن رشد من جمع تلميذه ابن الوزان، وتكون النوازل الثانية بأقلام فقهاء مشاورين آخرين جمعها ابن رشد نفسه، ولذلك ما يعزوه من كتب التراجم التي نسبت لابن رشد كتابين في النوازل، الأول باسم الفتاوى، والثاني باسم المسائل، ومعلوم أن للاسمين مدلولاً واحد»[١]

ب ـ فتاوى القاضي عياض وولده محمد المسماة بـ«مذهب الحكام في نوازل الأحكام» وأصله فتاوى تضمنتها جذاذات وبطاقات للقاضي عياض السبتي، جمعها بعد وفاته ابنه القاضي أبو عبد الله محمد.

والكتاب جمع نوازل متعددة في خمسين باباً من أبواب الفقه، استفتى عياض في بعضها شيوخ المذهب في زمانه، وفي مقدمتهم ابن الحاج التجيبي وابن رشد الجد، وأفتى في غالبها وهو الذي تقلد القضاء والإفتاء بسبتة والأندلس، وهو الفقيه الحاذق الذي خلف آثاراً فقهية كثيرة، ما هذه النوازل إلا جزءاً منها.

ولم يكن ابنه المكمل لهذه النوازل دون مستوى أبيه في العلم بالأحكام وطرق تخريجها، ولذلك كثيراً ما وجدناه يضيف ويعلق ويستدرك على أبيه، فتكثر في الكتاب عبارة قال محمد، والمقصود بها رأيه الخاص وتعليقاته الاجتهادية.

وقد أورد الدكتور محمد بن شريفة محقق الكتاب نموذجاً لذلك، وهو يتحدث عن استقلالية ولد عياض في الفهم والنظر ساقه من هذه النوازل في نازلة موضوعها: الخلع.

«سئل أبي ـ رضي الله عنه ـ في مجلس قضائه بمحضر جملة من فقهاء البلد وأهل الفتوى بها عن رجل خالع زوجه على أن أخرته بكالئها بعد حلوله إلى ستة أشهر، فسكت ـ رضي الله عنه ـ عن الجواب، فقال أحد الحاضرين: هذا مما لا خفاء به، الخلع لازم وتأخير المال عنه لازم للزوجة، فأنكر أبي ـ رضي الله عنه ـ ذلك وقال: الخلع لازم وتعجيل المال له لازم».

ثم عقب على هذا بقوله:

«قال محمد بن عياض: المسألة منصوصة في المدونة ظاهرة بينة، ونصها: أرأيت إن خالعها على أن أخرت الزوج بدين لها عليه إلى أجل من الآجال. قال: قال مالك: الخلع جائز، ولها أن تأخذه بالمال حالاً، ولا مرية أن الكالى دين من الديون»[٢].

ج ـ تقريب الأمل البعيد في نوازل أبي سعيد:

وهو شيخ الإفتاء بغرناطة أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي من أهل

(١) محمد حجي: المجتمع الأندلسي من خلال كتب النوازل، كتاب جولات تاريخية (١/ ٢٣).

(٢) مذاهب الحكام، تحقيق محمد بن شريفة ص٢٢.

غرناطة، يكنى أبا سعيد، مولده سنة ٧٠١هـ ت٧٨٢هـ.

وتوجد هذه التفاوى مجموعة غير مخلوطة بغيرها في ثلاث نسخ حسب علمي، اثنتان مجهولتا النسخ، والثالثة توجد ضمن مجموع ابن طركاظ العكي الذي جعله خاصاً بفتاوى الغرناطيين، وكان نصيب ابن لب منها الأوفر والأوفى.

وأما «تقريب الأمل البعيد» فهي نسخة مطولة بلغت ٢٣٥ صفحة، وقد نسختها من دير الإسكوريال وتحمل رقم ١٠٩٦.

والثانية تحمل اسم نوازل ابن لب أشار الفقيه بوخبزة في تعريفه بهذه النوازل أنه وقف على نسخة منها بمكتبة الحرم المدني بالمدينة المنورة في رمضان من عام ١٤١٢هـ في مجلد ضخم يزيد على ما جمع ابن طركاظ بأربعة أضعاف أو أكثر من تحبيس أحد الوزراء.

ويشير أحد الباحثين إلى نفس المعلومة، وذكر أنها محفوظة بمكتبة الحرم المدني رقم ٢١٧/٢/١٢١ [(١)]. وكل هاته النسخ جمعت فتاوى ابن لب في غير ما ترتيب، فشملت مواضيع متنوعة وأسئلة مختلفة وردت على الرجل فأفتى فيها، ودونت عنه فاشتهرت باسمه، واعتمدها المفتون والجامعون بعده، فنجد صدى فتاويه عند الونشريسي والبرزلي والعلمي والزياتي والوزاني وغيرهم.

د ـ أجوبة ابن ورد التميمي (ت٥٤٠هـ).

وقد شملت مواضيع متنوعة سئل عنها الفقيه الحافظ القاضي أبو القاسم أحمد بن محمد التميمي الشهير بابن ورد، المتوفى سنة (٥٤٠هـ) وُجهت إليه من جزيرة ميورقة الأندلسية قال في أولها: «أما بعد، حمداً لله عزّ وجلّ والصلاة على نبيه المصطفى أفضل الرسل، فإن السؤالات المتضمنة بهذا الكتاب وردت علي من جزيرة ميورقة جبرها الله من قبل بعض أهل العلم المهتمين بنوازله، الراغبين في فوائده وقّرهم الله، فتوقفت عنها زماناً إذا لم تحضرني بها نية، ولا وجدت لها مكاناً لما أنا بسبيله من الانكباب على تواليف أعان الله عليها ونفع بها منه وفضله ثم بعد لأي ثابت لي نية إليها، فاعتزمت عليها، وسلكت في الأجوبة مسلكاً وسطاً لا مفرطاً ولا مفرطاً يرتقي عن الجوابات المقتضبة، وينحط عن الشروحات المستوعبة.» [(٢)].

وقد بلغ مجموع هذه المسائل ثلاثاً وتسعين مسألة في قضايا مختلفة انتقلت من العبادات إلى المعاملات والآداب والمناقب وغيرها.

هـ ـ نوازل ابن بشتغير (ت٥١٦هـ):

وهي نوازل اشتهرت أيضاً منسوبة إلى صاحبها الفقيه القاضي الوزير النبيل أبو العباس أحمد بن سعيد بن بشتغير اللورقي الأندلسي، وقد أشرت إلى مظان وجودها في فصل

---

(١) محمد الحبيب الهيلة: مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن ٥/١١ إلى نهاية ٩/١٥. مجلة أبحاث أندلسية، العدد ٩ـ١٩٩٣.

(٢) أجوبة ابن ورد، مخطوط خاص، ص١.

المؤلفات.

واللافت للنظر هو قلة الناقلين عنها، بل ويكاد اسم ابن بشتغير يغيب عن مدونات النوازل اللاحقة رغم جودتها وطول باع صاحبها، وبالرغم من أنها جمعت أجوبة مهمة من مختلف حواضر الأندلس والمغرب رفعت إليه، فأبدى فيها نظره وأجاب عنها وفق مقررات الفقه المالكي، وقد جاءت هذه الأجوبة مبوبة تضمنت موضوعات فقهية من قبيل مسائل الإقرار والإيمان، والرهن والضمان، ومسائل من الشفعة والقسمة والضرر والبنيان، ومسائل من الحيازة، ونوازل الوصايا والعتق، وقضايا الدماء والحدود، وتضمين الصناع والبيوع، ومسائل من الأنكحة والطلاق والإحداد واللعان، ومسائل الأكرية والإجارات والمزارعة، ومواضيع أخرى مختلفة جامعة.

٤ ـ التأليف المتنوع المختلط:

وأقصد بهذا الصنف من التأليف تلك الدواوين النوازلية التي جنح فيها أصحابها إلى تسجيل أجوبتهم على الأقضية والمسائل، من دون أن يخضعوها للترتيب المعتمد في كتب الفقه، فجاءت مختلطة غير مبوبة، فتجد نفسك وأنت تطالع هذا النوع من النوازل تنتقل من موضوع إلى آخر مما كان من أحوال المجتمع، وهو ما يجعلك أمام مرآة حقيقية عن واقع تلك الفترة وملابساتها وظروف أهلها وعوائدهم، وهو ما يضفي طابع التشويق عليها، ويجعل القارى يخرج عن رتابة التأليف النظري الذي دأبت عليه كتب الفقه.

وفي اعتقادي يعود عدم ترتيبها وتبويبها إلى تشعبها وغزارة مادتها، وغالباً ما كان الفقيه المفتي يكتفي بإيراد الجواب المناسب، ولم يكن يجد من سعة الوقت ما يجعله يهتم لترتيبها وتبويبها لانصرافه عن ذلك إلى الأهم، فيقوم أحد التلاميذ، في حياته أو بعد موته، إلى جمعها والتقاطها من حوافظ التلاميذ والمعاصرين[١].

وأذكر من نماذج هذا الصنف ما يلي:

* فتاوى ابن رشد الجد (ت٥٢٠هـ) توجد المسائل فيها على غير ترتيب، وقد جمعها تلميذه أبو الحسن محمد الوزان، وبقيت كذلك شاهدة على تنوع القضايا والمشكلات التي كان ابن رشد يستشير فيها كبار فقهاء عصره، ويفتي في بعضها برأيه واجتهاده.

وقد أحسن المحققان المختار التليلي والحبيب التجكاني حينما جعلا فهارس لهذا الديوان سجّلا فيها رؤوس المسائل وعناوينها.

---

(١) إن الحاجة تبدو ماسة للنظر في هذه النوازل بهدف ترتيبها وتصنيفها، حتى تنتظم فصولها ومواردها تسهيلاً لأمر الاستفادة منها، فالباحث يتيه في بحر هذه الأجوبة بحثاً عن رأي أو قول أو جزئية فيطول الجهد ويضيع الوقت، وإنها لعمري من الأمور الملحة التي ينبغي أن تنصب حولها جهود الباحثين والمهتمين.

* مسائل أبي سعيد بن لب الغرناطي في نسخها المشار إليها آنفاً، وكذلك تقريب الأمل البعيد في نوازل أبي سعيد، فقد جاءت كذلك على غير ترتيب.
* كتاب الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادرة عن علماء الحضرة، جمعت فتاوى مختلفة ومتنوعة لفقهاء غرناطة في المائة الثامنة وبعدها.
* مجموع فتاوى فقهاء غرناطة لابن طركاط العكي (ت بعد٨٥٤ هـ) على قضاء ألمرية.
* أجوبة ابن ورد التميمي.

وقد سبقت هذه النماذج للتمثيل فقط، وإلا فإنها هي السمة الغالبة في النوازل الأندلسية للأسباب التي ذكرت.

وكأني بأصحاب هذا الصنف من التأليف والتدوين أرادوا أن يجعلوا ذلك سجلاً جامعاً للأقضية والمسائل وآراء الفقهاء وفتاويهم بشأنها، ومن ثَمَّ فهي لا تنضبط لقواعد التأليف والكتابة، فهي أقرب إلى التدوين منها إلى التأليف.

ولا ينبغي أن ننسى حداثة التأليف في هذا المجال، وأنه كان في الدرجة الثانية من اهتمام الفقهاء إن صح هذا التعبير، ذلك أننا وجدنا كبار فقهاء المالكية بالأندلس ينصرفون إلى الدرس الفقهي تأليفاً وشرحاً واختصاراً وتعليقاً، وكانت تستصدر منهم الفتاوى عرضاً، فلم يخصوها بالتأليف، وإنما بقيت تتداول من طريق السند، وسجلتها كتب الفهارس والبرامج، وهكذا سمعنا بفتاوى أصبغ بن الخليل (ت٢٩٣هـ)، وفتاوى محمد بن لبابة (ت٣٣٠هـ)، وفتاوى أصبغ بن الفرج (ت٣٩٩هـ) وغيرهم كثير.

وغالباً ما يعمد جامعو هذه النوازل من التلاميذ أو المعاصرين إلى ذكر اسم الفقيه المفتي ثم يستعرض كل فتاويه وأجوبته ولا يعمد إلى ترتيبها.

٥ ـ التأليف المتنوع المصنف:

وقد وجدت قسماً آخر من كتب النوازل صدرت على شاكلة كتب الفقه من حيث ترتيب الأبواب والفصول، وهذا النوع غالباً ما تم تصنيفه بعد الانتهاء من تقييده؛ إما على يد مؤلفه، أو على يد أحد تلامذته، لأن طبيعة هذه المادة لا تقبل التصنيف بدءاً إذا علمنا أن إرسال الفتاوى يكون بحسب الحاجة الملحة والواقع المتجدد، ولكل يوم قضاياه، وموضوعاته، فغالباً ما يتم الاحتفاظ بتلك الفتاوى في بطاقات وجذاذات ليتم ترتيبها وتدوينها بحسب المحور الجامع بينها ضمن الباب الناظم لها.

وينبغي الإشارة إلى أنني وجدت بعضاً من هذه المؤلفات مرتباً على حسب الترتيب المعهود في كتب الفقه مبتدأ بكتاب الطهارة فالزكاة فالصيام فالحج.. وهكذا.

ووجدت البعض الآخر فيه المادة النوازلية ضمن أبوابها الجامعة لها، ولكنها جاءت في وضعها على غير التبويب المعهود.

فمن ذلك تصنيف القاضي عياض للمذاهب، عمد فيه إلى جمع المسائل ضمن كتب،

جعل مثلاً كتاب الصلاة الذي حقه أن يقدم عند آخر الكتاب، ومبتدأ بكتاب الأقضية، وهكذا.

وجاء ترتيب المواضيع عند ابن الحاج في الفصول المقتضبة على الشكل التالي: قضايا الزواج والصداق ـ مسألة البيوع والشركة ـ الوصايا والحضانة والطلاق ـ مسائل الإضرار بالجار ـ مسائل المياه ـ مسائل الأقضية ـ مسائل الشفعة ـ القراض ـ وأخيراً مسائل تتعلق بالعقيدة ومحاربة أهل البدع.

وقد رتبها عبد الرحمن بن محمد القيسي من أهل ألمرية (ت٧٣٧هـ)[١]

وقد عرف هذا النوع من التأليف ارتقاء وتطوراً بعد أن استوى هذا العلم على سوقه واستقر، فقد وجدت الفقهاء المتأخرين من أمثال البرزلي والونشريسي وغيرهم من المغاربة من أمثال العلمي الشفشاوني والزياتي والوزاني يبرعون في عرض فتاوى السابقين وتسجيل فصولها، فجمعوا بين الفقه النظري المعتمد على أصول المذهب وقواعده وتبويباته، وأضافوا إليه ما جمعوه من فتاوى ونوازل في الباب المدروس.

فهذا أبو القاسم البرزلي مثلاً يبتدى في بداية كل باب فقهي ببعض التحديات الفقهية النظرية، ثم لا يطيل في ذلك ليعود إلى ما جمعه من نوازل تندرج في الباب، فيقول مثلاً: «وفيما ذكرناه كفاية فنرجع إلى ما رسمناه من النوازل فمنها..»[٢]

وأذكر من نماذج هذا التصنيف ما يلي:

«الإعلام بنوازل الأحكام» لابن سهل الأسدي (ت٤٨٦هـ).

نوازل ابن الحاج التجيبي الشهيد (ت٥٢٩هـ) والمسماة: «الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة».

«المعيار المعرب والبيان المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب» لأبي يحيى الونشريسي (ت٩١٦هـ).

«مذاهب الحكام في نوازل الأحكام» للقاضي عياض وولده محمد.

«المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام» لأبي الوليد هشام بن عبد الله القرطبي (ت٦٠٦هـ).

نوازل أبي المطرف الشعبي المالقي (ت٤٩٧هـ).

٦ ـ الاشتغال بالاختصار والترتيب:

ونظراً لضخامة مادة بعض كتب النوازل وقيمتها المعرفية وغزارة فوائدها، بالإضافة إلى مكانة أصحابها ورتبهم العلمية، فإنه وجد من الفقهاء من لجؤوا إلى اختصارها وترتيبها تقريباً للفائدة وتسهيلاً للانتفاع بها، وهكذا نقف في ثنايا بعض كتب التراجم والفهارس على إشارات

---

(١) راجع ترجمته في نيل الابتهاج ص٢٤٤ رقم ٢٨٨. ودرة الحجال رقم الترجمة ٩٩٢.

(٢) أحكام البرزلي، بداية كتاب الإيمان، مخطوط الخزانة العامة رقم د٤٥٠.

إلى هذه المختصرات، فقد ذكر صاحب نيل الابتهاج في ترجمته لعبد الرحمن القيسي الأندلسي من أهل ألمرية (ت٧٣٧هـ) أنه رتب واختصر نوازل ابن رشد، ونوازل ابن الحاج[١]. وممن رتب نوازل ابن رشد الفقيه محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الرعيني الأندلسي (ت٧٧٩هـ)[٢].

وقام أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع التونسي (ت٧٤٣هـ) باختصار نوازل ابن رشد[٣]. وكذلك فعل أبو عبد الله محمد بن هارون الكناني التونسي (ت٧٥٠هـ)[٤].

وتحتضن مكتبة الزاوية الحمزية بتافيلالت مختصراً قيماً لأحكام ابن سهل، سماه صاحبه أبو عمران موسى بن أبي علي الزناتي «اقتضاب السهل من اختصار ابن سهل»[٥].

واختصره كذلك يحيى بن عمر القرطبي (ت٥٦٧هـ)، وتوجد منه نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس ٩٤٤٨- أوراقها ٩٦ [٦].

وذكر ابن الخطيب في الإحاطة، وابن فرحون في الديباج حين ترجمتهما لابن منخل، أبي محمد عبد الله بن أحمد الغافقي الغرناطي (ت٧٣١هـ) أنه رتب نوازل أبي عبد الله بن الحاج في مجموع سماه «المنهاج في ترتيب مسائل أبي عبد الله بن الحاج»[٧].

ويوجد في الخزانة العامة مختصر أحكام البرزلي «في نحو ٣٣٨ صفحة لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار[٨]، واختصره كذلك أحمد حلولو القيرواني والبوسعيدي البجائي[٩]. وقام من المغاربة الفقيه إبراهيم بن هلال الصنهاجي السجلماسي (ت٩٠٣هـ) صاحب النوازل المشهورة بنوازل ابن هلال، بترتيب نوازل أبي الحسن الصغير الزرويلي (ت٧١٩هـ) على التبويب المتعارف في المؤلفات الفقهية، بعد أن كانت على غير ذلك، وعنونها بـ«الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير»، وقد نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية عام ١٣١٩هـ. وقد كانت نوازل إبراهيم بن هلال السجلماسي غير مرتبة، حتى رتبها تلميذه أبو القاسم بن أحمد بن علي المتوفى سنة ٩٠١هـ وجمعها علي بن أحمد بن محمد

---

(١) التنبكتي: نيل الابتهاج، ص٢٤٤ رقم الترجمة ٢٨٨.

(٢) نيل الابتهاج ٤٥٨- ٤٥٩. رقم ٥٦٩.

(٣) راجع مقدمة تحقيق معين الحكام (١/ ١٠٤).

(٤) لقد قامت الباحثة فاطمة الدعداع بتحقيق هذا المختصر في نطاق دكتوراه في الفقه والسياسة الشرعية بجامعة الزيتونة بإشراف محمد الشاذلي النيفر سنة ١٩٨٦.

(٥) مكتبة الزاوية الحمزية تافيلالت رقمها ٣٢٥، وراجع مقال أبي الأجفان: الفتاوى الأندلسية، وتقويم تحقيق فتاوى ابن رشد أعمال منشورات كلية الآداب تطوان ١٩٩١، التراث الأندلسي التوثيق والقراءة.

(٦) أبو الأجفان، المقال السابق.

(٧) انظر الإحاطة (٣/ ٤١١)، والديباج (١/ ٤٤٤).

(٨) مخطوط الخزانة العامة رقم ٢١٩٨د، ضمن مجموع.

(٩) انظر شجرة النور، ص٢٤٥، فتاوى ابن سراج ص٥٠. تحقيق محمد أبي الأجفان.

الجزولي الحياني الرسموكي المتوفى سنة ١٠٤٩هـ.

وقد اقتصرت على ذكر بعض هذه المختصرات والترتيبات، ولا يزال الكثير منها غائراً في بطون الأرشيفات مما تصادفه وأنت تجول بين ثناياها، وهو ما يزكي ما أشرت إليه سابقاً من أن الاشتغال بالترتيب والاختصار والتعليق كان منهجاً قائماً له أهله ورجاله، خصوا به أجود المؤلفات وأفيدها لشهرة أصحابها، ولكثرة المعتمدين عليها والناقلين عنها.

٧ ـ التأليف المقصود للمناظرة والمراجعة:

وهذا الصنف من التأليف سجل لنا صوراً من التكامل العلمي بين علماء الغرب الإسلامي عموماً من القيروان إلى الأندلس، ومنها إلى عدوة المغرب في مختلف العصور.

لقد وجدنا في ثنايا كتب النوازل تقاييد ورسائل تضمنت سجالات ومراجعات بين الفقهاء على اختلاف مواقعهم الجغرافية، فقد كانت الفتوى تعرف توحداً وتكاملاً، مخترقة الحدود الجغرافية، ويرجع الفضل في ذلك إلى التلاميذ الذين غالباً ما كانوا يتنقلون بين المفتين لاستصدار واستطلاع مواقف العلماء من القضايا المطروحة، بحثاً عن الحلول وحسماً للخلاف في أمور كثيرة كان بين الفقهاء خلاف بشأنها، بين مجيز ومانع ومتشدد وميسر.

وقد سجلت لنا بعض كتب النوازل نماذج من الأقضية التي كان يستفتى فيها من طريق المراسلة بين الأندلسيين والمغاربة والقيروانيين.

وكثيراً ما كانت تطول هذه الأسئلة والأجوبة فتشكل تأليفاً خاصاً مستقلاً. ومما وقفت عليه في هذا الباب:

كتاب أبي عبد الله محمد الرصاع التونسي (ت٨٩٤هـ) سماه: «الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية» وردت عليه من شيخ غرناطة أبي عبد الله محمد المواق (ت٨٩٧هـ)[١].

وسجل كتاب جامع مسائل الأحكام للبرزلي نماذج من هذه الأسئلة نقلها عن مختصر شيخه ابن عرفة الورغمي، وفيها مرافعات ومراجعات فقهية بينه وبين معاصريه من فقهاء غرناطة خلال القرن الثامن، أمثال ابن لب والمواق والشاطبي وغيرهم.

وكذلك فعل الونشريسي في المعيار، فنقل كثيراً من هذه الأسئلة والأجوبة في مواضيع متعددة.

إن الوحدة السياسية بين هذه البلدان، استتبعت وحدة الإفتاء ونشاط المراسلات والمناظرات بين الفقهاء منذ زمن مبكر من تاريخ الغرب الإسلامي، فوجدنا أحكام ابن سهل وفصول ابن الحاج، ومسائل أبي الوليد، ومذاهب عياض، وغيرها تمتلىء بالأسئلة الضاربة في المسافة. واستمر ذلك ونشط مع مملكة غرناطة مع ظهور مشاكل البدع والحوادث

---

(١) قدم لها ودرسها الأستاذ سعد غراب في مقال بعنوان «مسائل أندلسية إفريقية من القرنين ٨و٩هـ/١٥١٤م» مجلة دراسة أندلسية عدد ١/ ١٩٨٨، ص٧.

والارتداد وحملات النصارى وسقوط البلاد الإسلامية، ومايفرضه ذلك من مناقشات وآراء، وجدنا الفقهاء يفردونها بالكتابة والتأليف والتنظير.

وقد قام الأستاذ محمد بن شريفة بدراسة لشرح تحفة ابن عاصم لابن عاصم الابن واستخراج نوازل قيّمة منها عن مجتمع غرناطة قبيل السقوط، منبهاً إلى ما تختزنه من مراجعات فقهية بين علماء الأندلس فيما بينهم وبين فقهاء فاس وتلمسان والقيروان وغيرها.

يقول: «ويقدم لنا شرح أبي يحيى أمثلة متعددة من المراجعات بين قضاة غرناطة ومالقة وألمرية، فمن ذلك مراجعة طويلة بين قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن بكر وأبي البركات ابن الحاج قاضي مالقة في شأن خصومة وقعت بمالقة يومئذٍ، وتدخل فيها الوزير الحاجب رضوان النصري، ويتجلى في هذه المرافعات علو كعب القاضيين المذكورين في الفقه والأدب.

والواقع أن المراجعات الفقهية لم تكن بين فقهاء مملكة غرناطة فحسب وإنما كانت بينهم وبين فقهاء فاس وتونس وتلمسان أيضاً، وهذا شيء يدل على التواصل الكبير بين فقهاء الغرب الإسلامي يومئذٍ، وهو يبدو بوضوح في كتاب «المعيار».

ومما نجده في شرح ابن عاصم من هذه المناظرات والمراجعات: الأسئلة التي وجهها أبو الحسن علي بن سمعة شيخ أبي يحيى إلى تونس وقد أجابه عنها الأمير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن السلطان أبي العباس الحفصي تلميذ ابن عرفة، والمراجعات التي جرت بين فقهاء تونس وابن سراج عندما كان في صحبة ملكه المخلوع محمد التاسع، ومنها كذلك المراجعات المتعددة بين الإمام الشاطبي وأبي العباس أحمد القباب الفاسي.

ومن مظاهر التواصل بين بلاد المغرب والأندلس يومئذٍ أيضاً ما نجده في الشرح من أن أهل تلمسان يطلبون الفتوى من غرناطة، وأهل هذه الحضرة يطلبون الفتوى من فاس. وفي ذلك ما يدل على وحدة الإفتاء بين البلدان المذكورة»[(١)]

وغالباً ما كانت مواضيع هذه المراجعات لها علاقة بتجدد الحياة الدينية في المجتمع الأندلسي، فظهرت ممارسات دينية اعتبرها بعض الفقهاء من البدع الضالة والسلوكات المنتحلة، فاشتد حولها الخلاف، بل وخصت بتآليف خاصة.

ففي مسألة الدعاء عقب الصلاة والتي وقع حولها خلاف بين طلبة غرناطة، وبلغ هذا الخلاف الشيخ أبا سعيد بن لب الغرناطي، فألف رسالة يقر فيها هذا الدعاء سماها «لسان الأذكار والدعوات فيما شرع في أدبار الصلوات»[(٢)].

---

(١) محمد بن شريفة: نوازل غرناطة لابن عاصم الابن، التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب. غرناطة ٢١ـ ٢٣ أبريل ١٩٩٢، مطبوعات أكاديمية المملكة.

(٢) راجع المعيار (٦/ ٢٥٨).

وعارضه أبو إسحاق الشاطبي مناقشاً المسألة في كتابه الاعتصام[١].

وذكر صاحب نيل الابتهاج أن لأبي يحيى محمد بن عاصم جزءاً في الانتصار لشيخه الإمام الشاطبي، والرد على شيخه الإمام أبي سعيد بن لب في الدعاء بعد الصلاة في غاية النبل والجودة[٢].

وهكذا تمتلى كتب النوازل بأمور طرحت بحدة فكانت مدخلاً للتأليف التناظري جمعته تقاييد أو رسائل قد تقصر أو تطول مذيلة بالأدلة والتوجيهات الفقهية اللازمة.

ونذكر من القضايا الأخرى المشهورة والتي اشتد النـزاع بشأنها بين الفقهاء مسألة مراعاة الخلاف في الفتوى، ومسألة القراءة بالشاذ، ومسألة قراءة الحزب بالجامع، وعادات الأندلسيين في الأعياد.. وغيرها. وقد أشار محمد حجي إلى كثير من المساجلات الفقهية بين فقهاء القرن ١٠ و١١ بالمغرب الأقصى، أشهرها مسألة الدخان[٣].

وقد سجل لنا هذا النوع من التأليف ما كان بين العلماء من أدب جم واعتراف متبادل بالمرتبة العلمية والإمامة والأفضلية، ولم يكن ذلك أبداً ليوقعهم في التفاخر والتعالي، مادام المقام مقام نصح وتوجيه وإرشاد لموطن الحق وموضع الصواب.

٨ ـ التأليف المقصود للتوجيه والتنظير:

وغالب هذا الصنف يطلق عليه كتب الأحكام، ذلك أن أصحابها لم يجعلوها أجوبة وفتاوى على أقضية الناس، وإنما ألفوها لأجل أن يرجع إليها من يشتغلون بالقضاء، ويتولون النظر في النـزاعات الحادثة والطارئة، لتعصمهم من الوقوع في الزلل والخطأ، وقد جاءت هذه التآليف ناطقة بتجارب هؤلاء الفقهاء في ميدان القضاء، فقد ألفوها زمن نظرهم وتوليتهم القضاء الشوري، فخبروا مسالكه وألموا بمشكلاته، فجمعوا مادته وسطروها في دواوين جامعة تركوها نبراساً ومناراً للاحقين، فجاءت جامعة بين تنوع نوازلها وأقضيتها وبين النظر الشرعي المناسب لها.

وأشهر مؤلف يندرج تحت هذا الصنف «كتاب الأحكام الكبرى لابن سهل الأسدي» فقد سجل فيه فصولاً متنوعة من القضاء الشرعي في سائر مناحي الحياة بالأندلس، مزكاة بفتاوى العلماء، فاعتبر بحق موسوعة قضائية يستعين بها القضاة والحكام. وقد كان كذلك عند من جاء بعده، حيث كان عمدة الفقهاء والمفتين.

وأذكر من بينها كتاب «تنبيه الحكام» لابن المناصف، و«فصول الأحكام» للباجي، و«اعتماد الحكام» لابن زكون و«المفيد للحكام» لابن هشام الأزدي، و«العقد المنظم للحكام»

---

(١) راجع الاعتصام (٢/ ٢٧٤ و٥٠٩).

(٢) نيل الابتهاج ص٢٨٥.

(٣) محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين (١/ ٢٤٠ـ ٢٦٦).

لابن سلمون، و«تحفة الحكام» لابن عاصم وشروحها، و«معين الحكام» لابن عبد الرفيع التونسي.. وغيرها.

إن الهدف والغرض من هذه المؤلفات هو أن تكون دليلاً للحكام يهتدون بها في أحكامهم، ويسترشدون بها في مجالسهم. وكأن أصحابها استشعروا خطورة المنصب وراعهم هول المسؤولية وخطورتها، وما كان يظهر في المجتمع من حين لآخر، من خروج عن الجادة وزيغ عن أداء الأمانة.

وغالباً ما كان يتم التنبيه في هذه الكتب إلى فقه القضاء، وما يلزم القضاة معرفته من الأحكام والآداب، وطرق الفصل في الخصومات، والشهادات والشهود وأحكامهم وأوصافهم وما شاكل ذلك مما يحتاج إليه الحكام.

وقد تحدث الدكتور عمر الجيدي عن هذا النوع من التأليف في كتابه «مباحث في المذهب المالكي بالمغرب» حيث عقد مبحثاً خاصاً لكتب الأحكام حيث يقول: «... يندر أن تجد فقيهاً نابهاً تولى القضاء، دون أن يترك وراءه كتاباً في الأحكام التي فصل فيها، وأجاب عنها، وغالباً ما كانت تأتي عناوين هذه الكتب متفقة في صياغتها، وكأنها موجهة أساساً إلى من يريد ممارسة مهنة القضاء، فلفظة الحكام لا يكاد يخلو منها عنوان أي كتاب مثل: المفيد للحكام، تنبيه الحكام، ناصر الحكام، معين الحكام، تحفة الحكام، مذاهب الحكام، مجالس الحكام، معتمد الحكام، وهكذا.. فكأنهم كانوا يدونونها للقاضي بالقصد الأول، ويجب أن نفرق بين كتب الأحكام وكتب النوازل، فهذه جمعت بين فقه العبادات والمعاملات بخلاف الأولى، فإنها تمحضت لفقه المعاملات، وإن كان لفظ النوازل يشملها جميعاً، فيقولون: نوازل ابن سهل وأحكام ابن سهل، نوازل أبي المطرف الشعبي، وأحكام أبي المطرف الشعبي، رغم أن هذين الكتابين لا ذكر فيهما لفقه العبادات، وذلك من باب إطلاق العام وإرادة الخاص، فكل نوازل أحكام وليس كل أحكام نوازل»[1]

وقد اقتصرت هذه التآليف على فقه المعاملات دون أن تتعرض لقضايا العبادات، ذلك أنها سجلت فصول الفقه العملي الذي كان يصدر عن مؤسسة القضاء الشوري الذي يتولى الفصل بين الخصوم، وحل النـزاعات بين الناس على ضوء مقررات الشريعة وقواعد المذهب.

(١) عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي في المغرب، ص١٠٦. وقد ساق رحمه الله جملة من مؤلفات كتب الأحكام للأندلسيين والمغاربة.

دراسة تحليلية في

رسائل فضائل أهل الأندلس

الدكتورة هدى شوكت بهنام(*)

حَفِل كتاب نفح الطيب للمقري بنقل نصوص كثيرة من ضمنها: ثماني رسائل في موضوع واحد، هو جمع ما يتصف به أهل الأندلس من صفات ومزايا وفضائل، والتباهي والمفاخرة بها أمام أهل المغرب (بر العدوة) أو أهل المشرق. وقد جمعت هذه الرسائل التي كتبها أهم أدباء الأندلس في عصور ازدهار هذه البلاد، وتعد هذه الرسائل وثيقة عن حضارة الأندلسيين كتبها أدباء عاشوا هذه الحضارة في عصور ازدهارها، فوصفوا ما عاشوه وما رأت أعينهم بروح قومية تعتز بإعلاء شأن من عاش معهم ضمن هذه الرقعة الجغرافية، فكانوا أبناء بارِّين للوطن الذي نشؤوا فيه وتربُّوا بين أحضانه، فقدموا سجلاً حافلاً للروائع التي اتصف بها أهلهم بأسلوب يجمع بين البساطة تارة وبين الصنعة تارة أخرى، وكاشفين نواحي مهمة نبغ بها شعراؤهم وكتابهم وصناعهم وفلاسفتهم وعلماؤهم في نواحي اللغة وعلوم الحياة، وفي نواحي البناء والعمران، فمن يطلع على هذه الرسائل يدرك أنه قد عاش بين أحضان هذه البلاد أناس نقلوا جمال الطبيعة إلى واقع ظهر في أعمالهم الأدبية والعلمية والعمرانية ومناحي الحياة الأخرى.

وتعد هذه الرسائل ضرباً من الكتابة عمد إليه عدد من أدباء الأندلس، ونزعوا فيه منزعين منزع الصناعة وصفة التأنق عندما يجد الكاتب أن طبيعة الموضوع الذي يطرقه يساعده على ذلك، ومنزع البساطة وصفة الاسترسال حين يعمد الكاتب إلى تسجيل قضايا وتحليل مجتمع وذكر مزايا وترديد أخبار، فكانت الرسالة الواحدة تجمع بين الأسلوبين الأدبي المصنع والعلمي المرسل[1].

---

* أستاذة في كلية التربية ـ الجامعة المستنصرية ـ بغداد ـ العراق.

(1) الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه: د. مصطفى الشكعة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ٦٣٥ـ٦٣٦.

وقد سار على هذا النهج من بعد هؤلاء الأدباء المقري في كتابه «نفح الطيب».

وقد تناولت الدراسات الأدبية بعض هذه المفاضلات، ورأت أن قادة الفكر قد ازدادوا قوة إلى قوة ونشاطاً إلى نشاط، وتقدم النقد تقدماً ظهرت ثمرته فيما كان يُعنى به العرب حينذاك، فيما يعنون به من العلوم والفنون[1].

والرسائل الثمانية هي: عن فرحة الأنفس لابن غالب، وعن نص لابن سعيد، وعن نص للحميدي، وعن نص لابن بسام، وعن نص للحجازي، ورسالة ابن حزم في فضل الأندلس، وتذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم، ورسالة الشقندي في الدفاع عن الأندلس[2].

١ ـ فرحة الأنفس لابن غالب:

هو محمد بن أيوب بن غالب الغرناطي من أهل القرن السادس صاحب كتاب «فرحة الأنفس» الذي ينقل عنه المقري في مواضع، وقد بقيت من الكتاب قطعة نشرها الدكتور لطفي عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات [١/ ٢٧٢ـ٣١٠]. وهي تختلف كثيراً عن نص المقري إلا في تشبيه الأندلسيين بالأقوام الأخرى، من هنا يكون لهذا النص أهمية كبرى في عدم وروده في نص الكتاب المنشور.

تضمنت رسالة ابن غالب الموضوعات الآتية:

١ ـ الثناء على الأندلس وأهلها، بناه على أمور فلكية أن بطليموس جعل كوكب الزهرة والياً على البلاد فتفوقت البلاد في: الملبس، المطعم، النظافة، الحب، الطهارة، الحب للهو والغناء، توليد اللحون.

٢ ـ عندما تكون ولاية عطارد تتفوق البلاد في:

حسن التدبير، الحرص على طلب العلم، حب الحكمة والفلسفة والعدل والإنصاف.

٣ ـ ذكر أيضاً ما خصَّ به الأندلسيون من تدبير المشتري ولم يبين هذا التدبير.

٤ ـ وقسم ابن غالب الأندلس إلى أقاليم: الرابع، الخامس، السادس في ساحلها الشمالي، السابع في جزائر المجوس.

وكان للإقليم الرابع: الشمس، وللخامس: الزهرة، وللسادس: عطارد، وللسابع: القمر، وللثاني: المشتري، وللثالث: المريخ.

ثم تحدث عن عروبة أهل الأندلس التي تبينت في:

---

(١) الموازنة بين الشعراء: زكي مبارك، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٣٦، ٢٥٣.

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد بن محمد المقري، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨، ٣/ ١٥٠ـ ٢٢٤٠. (٤) م.ن: ١/ ١٢٥: نص أندلسي جديد قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٢٧٨.

الأنساب، العزة، الأنفة، علو الهمم، فصاحة الألسن، طيب النفوس، إباء الضيم، قلة احتمال الذل والسماحة، النزاهة عن الخضوع، و[عدم] إتيان الدنيّة، وينسب إلى الأندلسيين تسمية بأقوام معينة في عادات يمارسونها:

الهنديون في إفراط العناية بالعلوم وحبهم لها وضبطهم لها وروايتهم.

البغداديون في ظرفهم، ونظافتهم، ورقَّة أخلاقهم، ونباهتهم، وذكائهم، وحسن نظرهم، وجودة قرائحهم، ولطافة أذهانهم، وحدَّة أفكارهم، ونفوذ خواطرهم.

اليونانيون في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات، واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم تركيب الشجر، وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، وجعلهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة والزراعة.

وذكر في هذه المسألة من برز في تصنيف كتاب يتضمن هذه المعرفة وهو ابن بصال صاحب (كتاب الفلاحة) وميَّزه بالفضل في التجربة.

وفضل الأندلسيين أيضاً في جانب الصبر على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة التعب في تحسين الصنائع، كما أنهم أحذق الناس بالفروسية، وأبصرهم بالطعن والضرب.

ولم يفت ابن غالب فضل الأندلسيين في اختراع الخطوط المخصوصة بهم بعد أن كان خطهم مشرقياً.

إلى هنا يتوقف كلام ابن غالب.

بعد ذلك كان لابن سعيد تعليق على خطوط أهل الأندلس:

بأن خط أهل المشرق على حسنه وقبوله إلا أن خط أهل الأندلس في شرق البلاد وغيره يتميز بحسن فائق، ورونق آخذ بالعقل، وترتيب يشهد لكاتبه بالصبر الكثير والتجويد.

ويذكر المقري هنا إضافة لابن حزم على كلام ابن سعيد بأن الأندلسيين صينيون في إتقان الصنائع العلمية وإحكام المهن الصورية، وتركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها والنظر في مهماتها، ثم يستمر كلام ابن غالب، فذكر من فضائلهم أيضاً: اختراع الموشحات التي جاراها أهل المشرق، ونظمهم ونثرهم، فلم يحدد فضلهم لوضوح علو طبقاتهم فيهما.

ويستمر كلام ابن غالب عن تفرق الأندلسيين وقت الفتنة الأخيرة، فيصف ما قدموه من حضارتهم إلى البلاد التي نزلوا فيها.

فقد تفرقوا في بلاد المغرب الأقصى من بر العُدوة مع بلاد إفريقية ومال أهل البادية في البوادي إلى ما اعتادوه، وتداخلوا مع البدو وحياتهم في استنباط المياه وغرس الأشجار واستحداث الرحى الطاحنة، ونقلوا إلى البدو معارفهم، فشرفت البلاد وعمَّ الخير، وهم في هذا، كاليونانيين لأنهم من الأقوام الذين سكنوا الأندلس فورثوا عنهم طباعهم، ومال أهل الحواضر إلى الحواضر واستوطنوها.

ويتحدث عن وظائف أهل الأدب منهم: الوزراء، الكتَّاب، العمَّال، جباة الأموال، المستعملون في أمور المملكة، ولهم الفضل في أنهم متى ما تعلموا صنعة حذقوها وجوّدوها حتى تميل النفوس إليهم، وتعترف لهم بذلك.

إلى هنا ينتهي النص المقتطع من كتاب «فرحة الأنفس» لابن غالب[١].

إن هذا النص على أهميته الكبرى في اقتصار المقري على ذكره، يحاول فيه ابن غالب مقارنة الأندلسيين بأقوام معروفين، لأجل أن يكون أهل هذه البلاد مشهورين أيضاً بسبب صفاتهم المشتركة مع أقوام معروفين، ومن ناحية أخرى أعطاهم التميز بالخط الأندلسي، وهذه صفة محلية خاصة بهم، لكنه أيضاً ذكر اختراعهم الموشحات التي عُرفت وشُهرت الأندلس بها، وما فضلهم عند حدوث الفتنة إلا في نقل معارفهم إلى الأقوام التي سكنوا معهم، وقد صاغ ابن غالب هذه الرسالة بأسلوب بسيط واضح بعيد عن الصنعة إلا في بعض الأحيان عند مقارنتهم بالأقوام الأخرى.

٢ ـ نص ابن سعيد:

هو أبو الحسن علي بن موسى: متمم كتاب «المغرب في حلى المغرب» من أهل قلعة يحصب، غرناطي، قَلْعي، وهو وسطى عقد بيته وعلم أهله ودرة قومه، المصنف الأديب، الرحالة، الإخباري، أخذ عن أعلام إشبيلية، وتواليفه كثيرة منها: المرقصات والمطربات، والمقتطف من أزاهر الطرف، والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد، والمغرب في حلى المغرب، والمشرق في حلى المشرق. تعاطى نظم الشعر، ودوّن الكثير من نظمه، ودخل القاهرة وبغداد، ودمشق وإفريقية سنة ٦٥٢هـ، مولده بغرناطة سنة عشر وستمائة، ووفاته بتونس في حدود خمس وثمانين وستمائة[٢].

يبدأ ابن سعيد كلامه بتجريد النفس عن التعصب، وأن الحق أولى بالاتباع، ويرى أن البعض المطلع على نص ابن غالب ينسب إليه التعصب لأهل بلده، وإن عينه عن عيب أهل البلاد كليلة مستشهداً على ذلك ببيت شعري.

---

(١) النفح ٣: ١٥٠ـ١٥٢.

(٢) المغرب في حلى المغرب: لابن سعيد (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، مصر، دار المعارف. ٢/١٧٢ ـ ١٧٩ ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لابن عبد الملك المراكشي، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥، ٥/١/٤١١ـ٤١٢ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة: لابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤، ٤/١٥٢ـ١٥٨. ـ بغية الوعاة: للسيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٥، ٢/٢٠٩ـ٢١٠ ـ نفح الطيب: للمقري ٢/٢٧٠ـ٢٧٤ ـ وانظر ترجمته أيضاً في: اختصار القدح المعلى، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠، ١ ـ فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، د.ت، ٢/١٧٨. ـ الديباج المذهب. ٢٠٨. مسالك الأبصار: لابن فضل الله العمري ٨/٣٨٢.

وللإنصاف يقارن مراكش في المغرب بغداد في المشرق بأنها أعظم ما في بر العُدوة، وهذه المدينة نمت وترعرعت في عهد بني عبد المؤمن الموحدين الذين كانوا يجلبون صناعهم من جزيرة الأندلس. أما مدينة تونس بإفريقية في عهد أبي زكريا يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص[١] فقد انتعشت وترفهت، ويعزو ذلك إلى المباني والبساتين والكروم وما شابهت به بلاد الأندلس، وجلب هذا السلطان صناع تماثيله من الأندلسيين، لأنهم كانوا (أعرف خلق الله)، وهذه الصفة الغالبة على جميع الناس قد بناها على صيغة مبالغ فيها كثيراً، فهؤلاء أعرف خلق الله في اختراع محاسن هذا الفن وقد كان أكثرهم من الأندلسيين، وإن ما في دولة ابن أبي حفص من خواطر نابهة، وزيادة ظهر حسن موقعها، ووجوه صنائع دولته هم من الأندلسيين.

إذن كانت رسالة ابن سعيد مؤيدة لما ورد في نص ابن غالب ومؤكدة، على الرغم من نسبة التعصب إليه (ابن غالب)، وسبب ذلك هو أن ابن أبي حفص سلطان إفريقية الذي سعدت البلاد بحكمه كان هو سبب هذه السعادة والراحة والاستقرار، وجاء النمو الحضاري في عهده بسبب الصناع والحذاق الأندلسيين.

٣ ـ نص الحميدي:

هو محمد بن فتوح أبو عبد الله الأزدي الحميدي، وأبوه يكنى أبا نصر، ولد بالجزيرة (بليدة بالأندلس) قبل العشرين والأربعمائة، فقيه، عالم، محدث، عارف، حافظ، إمام، متقدم في الحفظ والإتقان، روى بالأندلس عن جماعة، منهم: أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد علي بن أحمد، وأبو العباس العذري، رحل بعد الأربعين والأربعمائة إلى المشرق فروى عن عدد من علمائه، له تواليف تدل على معرفته وحفظه، منها: كتاب «الجمع بين الصحيحين»، وكتاب «جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس» وعليه اعتمد الضبي في كتابه «البغية» ومنه نقل و«تسهيل السبيل إلى علم الترسيل»، توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ببغداد بالمشرق[٢].

يبدأ نص الحميدي برواية عن إنشاد قطعة شعرية من ثلاثة أبيات بحضرة بعض ملوك

---

(١) أحد من بايع أبا يعقوب يوسف بن محمد بن عبد المؤمن سنة ٦٠٠ هـ [المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، لجنة إحياء التراث العربي، ١٩٦٣، ٢٠٤ ـ ٤٠٦].

(٢) انظر ترجمته في: فهرسة ابن خير الأموي الأشبيلي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري اللبناني، ١٩٨٩، ١/ ٢٧٧. ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس: للضبي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٨٩، ٢/ ١٦١ ـ كتاب الصلة: لابن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٨٩، ٣/ ٨١٨ ـ وفيات الأعيان: لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧١، ٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤ ـ نفح الطيب ٢/ ١١٢ ـ شذرات الذهب: لابن العماد الحنبلي، بيروت، المكتب التجاري، ٣/ ٣٩٢.

الأندلس، والقائل من أهل المشرق في الغزل حيث يعاتب أحبته ماذا لو أجابوا سلامه فردوه له، وأنهم قد علموا أنه مشوق إليهم متيم بهم، ويصف جمال أحبته، وهو على الرغم من استخدامه ضمير الجماعة إلا أنه يقصد محبوبته، لكنه لا يسميها خوفاً من افتضاح أمرها، لذلك وصف مسيرها في الليل عند ظهور نجوم الليل الزاهرة، لكن أحبته هم كانوا المشرقين بنورهم وحين أخفوا مسيرهم على تلك المطايا التي تقلّهم، بان التبسم على تلك المطايا في الظلام.

فبالغ وزاد بعض الحاضرين في استحسانها وقال: إن الأندلسي لا يستطيع على الإتيان بمثل جودة هذه الأبيات، ولكن كان في حضرة ذلك المجلس أبو بكر يحيى بن هذيل الشاعر الأندلسي (ت٣٨٦هـ) فقال بديهة مقطعه من ستة أبيات جميلة في المعنى نفسه، فقد وصف مسير الأحبة، وأن عطر الريح جعله يعرف أين كانوا يسكنون، وأين استقل الظاعنون ظعائنهم، وأين خيموا خيامهم، فاستخدم الجناس وكنى عن الحبيبة أيضاً بواو الجماعة، فيحدث صاحبيه (خليلي) ويطلب منهما أن يرداه إلى جانب حمى الحبيبة، لأنه لا يتيم بدون تراب حماها، وأنه يبيت في الصحراء ساهراً يسامر النجوم التي كنّى عنها بالفرقدين، كأنه قد اتخذ وساده من الشوك وبقربه الأرقم، ثم يتحول إلى وصف الحبيبة بأسلوب رقيق، بأن حبيبته ذات عيون حوراء، صاحبة جفون ناعسة نعسانة، قامتها تشبه قضيباً من الريحان اللّدن الذي يسهل عليه التمايل والتحرك وهو أيضاً منعم، وحين نظر الشاعر إلى عينيه التي كنّى عنها (بأجفانه) وإلى محبته تيقن أنه سوف لا يسلم من حبه، مشبهاً أمره بإبراهيم حين نظر أول مرة فرأى في الدراري وعلم أنه سيكون فيها سقامه، عندما وعده الرب أن نسله سيكون بعدد نجوم السماء ورمال الأرض.

وهنا ينتهي النص ولا يتعدى المفاضلة بين نصين والاكتفاء بذكرهما دون شرح أو تعليق أو نقد.

٤ ـ نص ابن بسام:

هو أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني، قضى الكثير من حياته في بلدة شنترين، لم يلاقِ العلماء، ولم يروِ عنه الرواة، ولم يشتهر إلا بكتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» ولعل هذه الأمور من أسباب إغفال الأدباء لترجمته، وهو وجه من وجوه العلم والأدب بين الناس، ولادته في منتصف القرن الخامس الهجري، سلك في علمه مسلك سنن أهل الأندلس ولم يؤثر من شيوخه إلا واحدٌ هو أبو القاسم محمد بن عبد الله ابن الجد، ذكر صلته به في نهاية ترجمته لهذا الشيخ ابن الجد، وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة كما ذكر المقري صاحب نفح الطيب[1].

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٨. =

في نص ابن بسام يتحدث عمن فتح بلاد الأندلس وهم من عرب المشرق من سادات أجناد العراق والشام، وحين نزلوها توزعوا فيها بكل إقليم واتخذوا لهم نساء من ذلك الإقليم لذلك توزع نسلهم في الأندلس كلها، ولما كان هؤلاء المشارقة أصحاب بديهة منذ الفطرة فقد كان لا يخلو بلد من كاتب ماهر، وشاعر قاهر، وينقل نصاً عن أبي علي القالي صاحب الأمالي، قاس فيه فهم أهل القيروان حسب تفاوتهم في مواضعهم المكانية قرباً وبعداً، ولما كان أهل الأندلس أكثر بعداً فإنه سيحتاج إلى ترجمان لفهم كلامهم، لكنه يصل كلامه بعكس ما تصوره عنهم بأنه تعجب من ذكائهم، ويزيدون عليه عند المباحثة والمناقشة، ويقول (الثاني) إن علمه علم رواية لا دراية أي أنه لم تكن لديه دراية كافية عن أهل هذه البلاد، ويطلب أن يؤخذ عنه ما ينقل بعد أن صحح مفهومه، هذا كله مع إقرار الجميع له بسعة العلم وكثر الروايات، والأخذ عن الثقات.

من هنا نجد أن ابن بسام قد نقل نصاً للقالي عن فضل وذكاء أهل الأندلس ليؤكد به صحة فكرته.

٥ ـ نص الحجازي:

هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم الحجازي: صاحب كتاب (المسهب في فضائل المغرب) هو أول من أسمى هذا التصنيف، وفتح بابه لمن بعده من بني سعيد، أثنى عليه والد ابن سعيد من طريق البلاغة نظماً ونثراً ومعرفة التصنيف، وفد على عبد الملك بن سعيد، وهو حينئذٍ صاحب القلعة المنسوبة إلى سلفه، وأنشده قصيدة فاختبره عبد الملك وحمده، فصنف له كتاب (المسهب) وهو أصل كتاب المغرب، وكان شاعراً أورد له ابن سعيد مقطوعات عدة[١].

إن نص الحجازي منقول عن كتابه المسهب، حيث يقرن أهل الأندلس بأهل العراق، فهم عراق المغرب في النواحي التالية:

عزة الأنساب، رقة الآداب، مع الافتتان بهما نظماً ونثراً واشتغالاً بفنون العلوم، وأنهم في كل مصر نجوم وبدور وشموس، لأنهم أشعر الناس في وصف طبيعة بلادهم الجميلة لا ينازعهم في ذلك أحد، وجعل ابن خفاجة أشعر شعراء الأندلس في وصف الطبيعة، وهنا يخص الحجازي نواحي الطبيعة التي يتفوق الأندلسيون في وصفها، إضافة إلى وصف الحبيبة ووعدها وزيارتها في الظلماء ولقائها بالحبيب حتى الصباح، أو وصف كواكب السماء التي يغطيها الصباح، وهم أيضاً لا يقصرون في وصف المعارك ورماحها وسلاحها، ويخصهم

= ٢/١/٣٢٢ ـ المغرب ١/٤١٧ـ٤١٨ ـ مسالك الأبصار ٨/٢٠١ ـ نفح الطيب ٣/٤٥٨ ـ ابن بسام وكتابه الذخيرة: د. حسين يوسف خريوش، عمان، دار الفكر، ١٩٨٤، ١٧ ـ ٢٦.

(١) المغرب ٢/٣٥ ـ ٣٦.

عموماً بالتفوق في كل الأوصاف والتخيلات، والذي يقف على أشعارهم هذه يفضلهم على الجميع.

وهنا يبين الوسائط التي ساعدتهم على تفوقهم هذا، وهي:

أنسابهم العربية، وطبيعتهم الجميلة، وهنا ذكر شطار الأندلس المختصين بالنوادر بالنوادر والتنكيتات والتركيبات وأنواع الضحكات، بأنهم من الكثرة بحيث تملأ الدواوين في هذه بشعرهم هذا الذي يسلي المحزون، حتى إنهم فاقوا الجاحظ بنوادره التي أوردها في كتبه، لكنه يَلْحَى الأندلسيين على عدم التأليف في هذا اللون من الأدب بحيث ضاع، لذلك تدارك هذه المسألة فجمع ما تسنَّى له الحصول عليه في أدب النوادر، بحيث تظهر فيه نواحي النبوغ حتى وصفها (بالشعاع).

٦ - رسالة ابن حزم في فضل الأندلس[١]:

ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي من أهل قرطبة، يُكنَّى أبا محمد، روى عن القاضي يونس بن عبد الله. وأبي بكر حمام بن أحمد القاضي وغيرهما. وكان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسع في علم اللسان والبلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار، له من التآليف نحو أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان حافظاً في علوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنِّناً في علوم جمّة، متواضعاً، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات كثيراً، وكان ذكياً سريع الحفظ، كريم النفس والتدين، له في الآداب والشعر نفس واسع، وشعره كثير جمعه الحميدي على حروف المعجم، ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلثمائة وتوفى ست وخمسين وأربعمائة للهجرة[٢].

---

(١) كلام عن اسم الرسالة نجده في رسائل ابن حزم ٢: ٣٥ وقد ذكر الحميدي فقرات هذه الرسالة في كتابه جذوة المقتبس موزعة على تراجم أسماء الأدباء المذكورين فيها [ينظر جذوة المقتبس للحميدي، تحقيق ابراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٨٩، ٢/ ٤٦٤، ٤٧٣، ٤٨٩، ٥٢٣]. لذا يعد نص الجذوة هاماً لمقارنته مع نص المقري، كما استخرج د. إحسان عباس هذه الرسالة ونشرها ضمن كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة - الصفحات ٢٩٢-٣١٣)، ثم نشرها د. صلاح الدين المنجد مع رسالة الشقندي الواردة أيضاً في النفح تحت عنوان (فضائل الأندلس وأهلها، بيروت، ١٩٦٨، وللأستاذ جعفر ماجد بحث حولها نشره في حوليات الجامعة التونسية عدد ١٣، ١٩٧٦، بعنوان: [العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة].

(٢) الصلة: لابن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٨٩، ٢/ ٦٠٥ - ٦٠٦. [وانظر ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي. تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٨٩، ٢/ ٤٨٩-٤٩٣، الذخيرة ١/ ١/ ١٦٧-١٧٥. - بغية الملتمس للضبي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، مصر، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٨٩، ٢/ ٥٤٣ - ٥٤٥ - المعجب: لعبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد =

تبدأ رسالة ابن حزم برسالة أبي علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب التميمي القيرواني، أصله من تاهرت، كان عارفاً بالأدب وعلم النسب، قوي الكلام، يتكلفه بعض التكلف، وكان عبد الكريم النهشلي أستاذ ابن رشيق القيرواني (صاحب كتاب العمدة) يعدُّه شاعراً مقدماً[(١)].

بعث رسالة ابن الربيب إلى أبي المغيرة بن حزم، ويذكر تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم[(٢)].

فيورد في البداية ما تتمتع به بلاد الأندلس من فضل وخير وطرفة، ونيل آمال الراغبين، وفيها تنجح التجارة، ويكثر العلماء والأدباء، وملوكها يحبون العلم وأهله ويرفعون المتميز بأدبه، وكذلك سيرتهم في الحرب، يقربون الشجاع والمتمرس في فنون القتال، مما أيقظ الجبان للإقدام في الحرب، وكل من فيه عيب تنبه لنفسه وحاول التعلم والتقدم، فتنافس الناس في العلوم والفنون، وهنا يكمن تقصيرهم في أن علماء الأمصار خلدوا أهل بلادهم في الكتب وأخبار ملوكهم وأمرائهم وكتابهم ووزرائهم وقضاتهم وعلماءهم، فخلدوا ذكرهم على مرِّ الأيام.

أما أهل الأندلس فلم يفعلوا كذلك مع أن علماءهم متفوقون في كل علم، وقد بيَّن سبب عدم شهرة الآداب والمصنفات الأندلسية:

١ ـ لأن أهل البلاد لا يتحركون إزاء هذا العمل، ولا يتعبون أنفسهم في جمع فضائلهم، ولا يكدون خاطرهم في البحث عن مفاخر الملوك والكتاب والوزراء.

٢ ـ لأنهم يخشون نقد الآخرين لهم على تصنيفهم.

٣ ـ كان همُّ العلماء والأدباء التسابق في حياتهم لأخذ المكانة العليا في علمهم وأدبهم، فإذا ما وصلوا إلى بغيتهم، ثم بعد ذلك ماتوا ودفن معهم علمهم وأدبهم ومات ذكرهم وانقطع خبرهم، ولو ألفوا الدواوين لخلد ذكرهم.

٤ ـ وإن ادَّعى أحدهم أن مثل هذه الكتب قد أُلِّفت لكنها لم تصل إلينا، فيرد ابن الرَّبيب ـ وهو مغربي ـ على ادّعاء هذا الإنسان أن المغرب قريبة من الأندلس، وما يؤلف فيها يصل

= العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٩، ٣٢ـ٣٥. ـ المطرب: لابن دحية، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤، ٩٢ ـ المغرب ١/ ٣٥٤ـ٣٥٧ ـ رايات المبرزين: لابن سعيد، تحقيق عبد المتعال القاضي، القاهرة، مطابع الأهرام، ١٩٧٣، ٦٩ـ٧٠ ـ وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٥ ـ ٣٣٠ ـ الإحاطة ٤/ ١١١ ـ ١١٦، الشذرات ٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠].

(١) المسالك ١١/ ٣١٩ نقلاً عن أنموذج ابن رشيق.

(٢) يذكر د. إحسان عباس أن سبب كتابة هذه الرسالة يمثل موقفاً عاماً للأندلسيين من الحياة الأدبية وهل فيها من يمكن أن يوضع إزاء شعراء المشرق. [تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ـ بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩، ١٤١].

إليهم، فكما ألَّف ابن عبد ربه كتابه العقد ووصل إليهم الكتاب، وهو ينحى عليه أنه لم يجعل واسطة عقده لمآثر أهل بلده، فكان بهذا كالآخرين الذين أهملوا فضل بلادهم.

وهنا يبدأ أبو محمد بن حزم بالرد على رسالة ابن الربيب، ويوجه خطابه إلى أبي بكر محمد بن إسحاق المهلبي الإسحاقي الوزير من أهل الأدب والفضل، كان صديقاً لابن حزم يتنقلان معاً في أرجاء الأندلس واعتقلهما خيران معاً[١].

قسّم ابن حزم رسالته إلى ثلاثة أقسام، الأول: اتبع فيه أسلوباً سهلاً مرسلاً خالياً من التعقيد اللفظي الذي يثبت فيه السجعة المواتية ويتركها إذا لم تكن طوع الخاطر، ويعمد إلى أسلوب المحاججة وبسط المقدمات حتى يصل إلى نتائج يرضاها، وقد أحب ابن حزم وطنه ودافع عنه، وخص مدينته قرطبة بمزايا جعلها تفخر بها على غيرها من المدن، ويرى الدكتور مصطفى الشكعة أن هذه الرسالة تندرج تحت باب الكتابة العلمية الأدبية؛ أي التي يناقش الكاتب من خلالها قضية تحتاج إلى سند من المنطق والتاريخ في إطار من ريق القول أو عذوبة الأسلوب، وهذا الأسلوب من الكتابة لا يجوّد منه إلا قلة من الكتّاب.

والقسم الثاني من رسالة ابن حزم، يحصي فيها علماء الأندلس من معاصريه وسابقيه مع أسماء كتبهم، وعرض الموضوعات التي كتبوا فيها وأوفوها حقها دراسة وبحثاً، كالتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ والخطط والأنساب والأخبار واللغة والشعر والفلسفة والطب والهندسة والحساب، وعرض ذلك بتفصيل وأسلوب مصطنع فيه التأنق وتنميق الكلمات.

والقسم الثالث: يُجري فيه ابن حزم مقارنة بين أعلام علماء الأندلس ونظرائهم من أعلام علماء المشرق كل في ميدانه، مع ميل مقنع إلى تفضيل علماء الأندلس على غيرهم، في أسلوب علمي لم تدخله الصنعة[٢].

والآن لنشرح أقسام الرسالة بالتفصيل بعد أن بيّنا أسلوبها في كل قسم، فابن حزم يبدأ رسالته بالحمد لله والصلاة على رسول الله، ثم توجيه السلام إلى مخاطبة أبي بكر، وبعث أشواقه إليه، وأنه لم يطل مقامه عنده بحيث يقضي من محاورته ما يبغيه، وأنه قد بحث في مكتبة صديقه أبي بكر فوجد فيها خطاباً لبعض الكتاب من أهل إفريقية من القيروان موجهة إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه ولا نسبه (وهنا يقصد ابن الربيب ورسالته التي وجهها إلى أبي المغيرة بن حزم، ويعلق محقق كتاب نفح الطيب الدكتور إحسان عباس بقوله: إن ابن بسام والمقري قد صرّحا باسم المخاطب (أبي المغيرة بن حزم) وأن أبا المغيرة ردّ عليه برسالة أطال فيها القول، وختمها بذكر جملة من تواليف أهل الأندلس[٣].

---

(١) بغية الملتمس: ٢/ ٨٦.

(٢) الأدب الأندلسي: مصطفى الشكعة: ٦١٤، ٦١٨ـ ٦١٩.

(٣) الذخيرة ١/ ١/ ١١١ـ١١٦، النفح ٣/ ١٥٦ـ١٥٩.

ويذكر ابن حزم أن همم أهل الأندلس قد قصّرت في تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم. وهكذا يستعيد ما ورد في الرسالة من أن عدم تخليد هؤلاء الأعلام أدّى إلى أن يدفن علمهم معهم، وأنه لو كان شيئاً من هذه التآليف موجوداً لُنقل إلينا، ثم لما ضمّه المجلس مع صاحبه مرة أخرى تذاكر مختلف العلوم والآداب فوصف المجلس بأوصاف كثيرة، وهنا أعاد عبارته بأسلوب بلاغي مرات عديدة بأشكال مختلفة، كل عبارة فيها ناحية من نواحي الفنون التي امتلأ بها المجلس، وأثنى على صاحب المجلس بالطريقة نفسها، وأعطاه كل صفة كريمة متميزة عالية، وقمة ما أثنى به على ممدوحه أنه اكتفى من مدحه باسمه المشهور، بمعنى أن اسمه يغني عن كل مدح، واسمه (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت، يلقب بيمن الدولة، والبونت من أعمال بلنسية بقي حاكمها فيها حتى سنة ٤٣٤هـ[1]، فوجد ابن حزم أن صاحب البونت حريص على أن يجاوب هذا المخاطب (ابن الربيب)، وقد بلغه أن الأخير قد توفي فلا فائدة من الرد عليه، فرأى أن يكون ردّه على صديقه أبي بكر، لأن منه قد حصل على الرسالة، فهو الأجدر بالجواب من غيره بعد أن توفي صاحب الرسالة (ابن الربيب)، وهو في ردّه على أبي بكر كأنه يخاطب كل من يطلب معرفة مآثر أهل الأندلس. فبدأ بالناحية التاريخية بأحمد بن محمد الرازي التاريخي، وذكر كتبه في مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها، وروى حديثاً شريفاً فيه نبوءة عن غزاة في البحر ثم تحققت، وسرد بتسلسل تاريخي الغزوات التي حصلت عن طريق البحر، وقائد هذه الفتوحات حتى سنة ٣٥٠هـ، وأن اكثر المفتتحين للبلاد هم أهل الأندلس.

وبدأ بقرطبة أول أقاليم الأندلس لأن فيها مسقط رأسه، وفيها قضى سني طفولته حتى تجاوزها فيها. وذكر تمكن أهل قرطبة في علوم القراءات والروايات وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم، وناقش حقيقة رأي ابن الربيب من تأخر ذكر مآثر أهل البلاد، وبيّن قلة المؤلفات عن القيروان وإفريقية إلا كتب ابن يوسف الوراق وهو قيرواني الولادة، أندلسي المنشأ والحياة وألّف أحد كتبه للمستنصر، وهنا يتوصل إلى إجماع المؤرخين [على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها، ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات] هذه الحقيقة أكدها بالأمثلة على شخصيات كثيرة في بلاد المشرق قضت أكثر أعمارها في بلادها، ثم هاجرت إلى بلاد أخرى وتوفيت فيها، فإنها تنسب إلى البلاد التي توفيت فيها، وهذه المسألة أكدها مرة ثالثة حين خص القالي

---

(١) أعمال الأعلام لابن الخطيب تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٦٥، ٢٠٨، يرجح د. إحسان عباس أن زمن تأليف الرسالة يقع بين سنتي ٤٢١ـ٤٣٤ هـ وهو زمن حكم يمن الدولة الذي ذكر الرسالة بمجلسه [رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١، ٢/ ٣٧].

(البغدادي) وابن هانىء (الإفريقي) اللذين هاجرا إلى الأندلس، بأنهما يجب نسبتهما إلى الأندلس وبهذا فأهل هذه البلاد المهاجر إليها أحق بهما من بلدهما الأولى، ومن هنا أعطى إلى الثقافة الأندلسية صفة العراقة والقدم، ويعود إلى مدح بغداد والبصرة والكتب التي أُلِّفت في أخبارها، فيرى أنها قليلة وشاملة لغيرهما من الأمصار، وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكِرمان وسجستان والريّ والسند وأرمينية وأذربيجان فلم يعلم لها تأليفاً يخص ملوك وعلماء وشعراء وأطباء تلك النواحي، وتاقت النفوس إلى تآليف عن فقهاء بغداد فلم يُؤلَّف، ولو أُلِّف لوصل إلينا كما وصلت تآليف غيرهم من الأمصار، ويذكر بعض مؤلفات الأندلسيين الفقهية في الرد على الفقهاء المشارقة.

ثم يلتفت إلى الأندلسيين فيراهم ينطبق عليهم المثل (أزهد الناس في عالم أهله) وأنه قرأ مثل ذلك في الإنجيل والسيرة، والأندلس خُصّت من حسد أهلها للعالم الظاهر الماهر واستهجانها لحسناته، وتتبعها سقطته وعثراته، فإن أجاد قالوا: سارق مغير ومنتحل مدع، وإن توسَّط قالوا: غث بارد وضعيف ساقط، وإن باكر السبق، قالوا: متى كان ذلك، وإن استمر في تفوقه صار هدفاً للأقوال وعرضة للتعرّض إلى عَرضه، وربما نُحل ما لم يقله،وهنا يصل إلى ما يحمي مثل هذه الموهبة بأن هذا المتميز إذا لم يتعلق بسلطان ويسلم، فإن تعرض لتأليف غُمز وشُنِّع وذهبت محاسنه، وهكذا من ابتدأ يحوك شعراً أو يعمل رسالة، فانه لا يُفلت من هذه الحبائل، ومع ذلك فقد جمعت المؤلفات الحسنة في معارف شتى يذكر أسماءها ومؤلفيها، ويعلق برأيه على بعضها، وهي في الفقه وتفسير القرآن والحديث وأحكام القرآن وفي الحديث أيضاً وفي القراءات، وشرح الحديث، وفي المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال، وفي الفقه واللغة، وفيها يُعد القالي المشرقي من مؤلفات الأندلسيين إلحاقاً بكلامه أن من يهاجر إلى بلد ويقيم فيه ينسب إلى ذلك البلد ، ويذكر كتاباً جمعه أبو غالب تمّام بن غالب المعروف بابن التيّاني[1] في اللغة، ويذكر قصة عن نزاهته العلمية، في التأليف، ويذكر كتاب النوادر لصاعد البغدادي ويعده من كتب الأندلسيين أيضاً،، ويجعله مبارياً لكتاب (الكامل) للمبرد، ومثلهما كتاب (الفصوص) لصاعد البغدادي.

وهناك مؤلفات أخرى في الأنحاء والشعر وتراجم الشعراء والتشبيهات في شعرهم، وفي الأخبار، كتاريخ الرازي، وكتاب آخر له في صفة قرطبة على نحو كتاب ابن أبي طاهر في أخبار بغداد، وهناك تواريخ متفرقة أخرى، وكتب في التراجم وأخبار المدن وأهلها، وقضاة قرطبة وأخبار الفقهاء، وأنساب مشاهير أهل الأندلس، وفضائل بني أمية، وأصحاب المعاقل

---

(١) تمام بن غالب اللغوي القرطبي المرسي المعروف بابن التيّاني، إمام في اللغة، ثقة في إيرادها، ديِّن ورع، له (تلقيح العين في اللغة) لم يؤلف مثله اختصاراً أو إكثاراً، مات بالمريّة في أحد الجمادين سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة. انظر ترجمته في: الجذوة ١، ٢٨٣، الصلة ١: ٢٠٠-٢٠١، بغية الوعاة ١: ٤٧٨-٤٧٩].

والأجناد الستة[1] بالأندلس، كما جُمعت كتب كثيرة في أخبار شعراء الأندلس للمستنصر، منها: في أخبار شعراء البيرة، وأهل الأندلس، وسير ابن أبي عامر، وطبقات الكتاب بالأندلس.

وهناك كتب في الطب والفلسفة والعدد والهندسة.

ثم يذكر مراتب التأليف وتقع في سبع مراتب لا يؤلف عاقل إلا في أحدها وهي:

١ ـ شيء لم يُسبق إليه يخترعه.

٢ ـ شيء ناقص يُتمه.

٣ ـ شيء مستغلق يشرحه.

٤ ـ شيء طويل يختصره دون الإخلال بمعناه.

٥ ـ شيء متفرق يجمعه.

٦ ـ شيء مختلط يرتبه.

٧ ـ شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه.

أما التواليف المقصرة عن مراتب هذ التآليف فلم يذكرها، وهي في أهل بلده كثير لم يذكرها، بمعنى أن ما ذكره من مؤلفات تنحصر ضمن هذه الأقسام السبعة، وحصره للمؤلفات بهذه الأقسام وهو الكاتب المنوّع الفنون تبيّن أن ما اختاره مبني على معرفة ودراية ونقد، خاصة وأنه كان يعلق على أكثر ما ذكره من المؤلفات.

وكان التأليف في علم الكلام قليلاً لعدم اختلاف النحل في الأندلس، ولكن مع ذلك لم ينعدم التصنيف في هذا العلم، ويذكر هنا كتباً في الاعتزال، ويذكر هنا كتابه (المجلى) وهو متن شرحه بالمحلى، وهو في المذهب الظاهري، فيصف كتابه ومنهجه ويبيّن فوائده، وهنا يوضح بأن له تآليف جمة في هذا المذهب لم يسمها تواضعاً منه، بعضها أتم تأليفه، وبعضها طلب عون الله في إتمامها.

وهنا بعد أن ذكر ما يريده من مؤلفات بيّن أن فضل الأندلس في التأليف كبير جداً، بأن هذه البلاد على بعدها عن مركز حضارة العرب (العراق) لكن ما فيها لو طُلب في بلاد آخرى لما وجد، حتى لو كانت البلاد قريبة جداً من العراق، ويوازن بين أعلام الأندلس والمشرق، فأبو الأجرب الكلابي الشاعر يباهي به الفرزدق وجريراً، لأنه عاش في عصرهما، وأنه جار على مذهب الأوائل، والبخاري والنيسابوري والسجستاني والنسائي يسابق بهم بقيّ بن مخلد،

---

(١) هم الطالعة الثانية من الجنود العرب الفاتحين للأندلس دخلوها مع أبي الخطار حسام الكلبي. فأنزل أهل دمشق بالبيرة، وأهل الأردن برية، وأهل فلسطين بشذونة، وأهل حمص باشبيلية، وأهل قنسرين بجيان، وأهل مصر بباجة، وقسماً منه بتدمير، وهؤلاء هم الذين أسماهم ابن حزم (الأجناد الستة) [الإحاطة ١/١٠٣، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: د. منجد مصطفى بهجت، الموصل. دار الكتب، ١٩٨٨، ٢١].

ويستمر بهذه الطريقة في المقارنة مستخدماً الأفعال: (نباهي، نسابق، نناطح، لم يقصِّر) وهي أفعال أُريد بها المفاضلة لا المقارنة.

أما عن الشعراء فإنه يقارن القسطلي ببشار وحبيب والمتنبي، وأيضاً جعفر المصحفي وأحمد بن عبد الملك وغيرهم ويلقبهم بالفحل والحصان.

ومن البلغاء يتحدث عن ابن شهيد ويبين مكانته بين البلغاء، وهو معاصر له، لكنه لا يرضى عن مسلكه لأنه فقيه وهذا غير ملتزم.

وهنا ينهي رسالته ببيان ما زاده في الردِّ إذا دعت الحاجة، وهذه الرسالة مبنية على منهج واضح؛ بيّن فيه أنواع الكتب المؤلفة في الأندلس حسب الأقسام التي بيّنها لا حسب الفنون، وإن كان قد وضّحها كلها، ثم يقارن بين أنواع هذه الفنون بين الأندلس والعراق وغير ذلك من أعلام المشرق.

٧ ـ تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم:

ورأى ابن سعيد أن يظهر الوجه الفكري والعلمي للأندلس فذيّل على رسالة ابن حزم[(١)] وأورد في مستحدثات العلوم التي لم تكن قد نشأت في عهد (ابن حزم) مجموعة من التآليف وأسماء مؤلفيها مما استجد في عصره، وهي في علوم القرآن حيث كان لمكي بن أبي طالب (٧٧) تأليفٌ، وكانت وفاته سنة ٤٣٧ هـ، وكذلك كان لابن عطية في تفسير القرآن الكتاب الكبير.

ويورد المؤلفات الأخرى في القراءات والحديث والفقه وأصول الدين وأصول الفقه والتواريخ، ككتاب المتين والمقتبس والمظفري، وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة اللمتونية وغيرها كثير، وبيّن عدد أسفارها مع مذيلاتها وبعض المعلومات السريعة عنها، وضمنها كانت كتب الأدب كالحدائق للجيّاني والموسوعية منها كالذخيرة لابن بسام، وكتابي القلائد والمطمح لابن خاقان وذكر كتابي (المشرق والمغرب) وقصة مؤلفيه الستة الذين توارثوا على تصنيفه في مدة ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ هـ، وأعطى فكرة واضحة عن محتوى الكتاب خاصة وإن (ابن سعيد) كان آخر من توارث على تأليف (المُغرب).

ثم ذكر كتب النثر ككتاب (سراج الأدب) لابن أبي الخصال، صنفه على طريقة النوادر للقالي، وزهر الآداب للحصري وهو من القيروان، مما يعني أنه لا يفرق بين أندلسي ومغربي.

---

(١) هذا ما يوحي بأن ابن حزم لم يلمّ بكل مؤلفات معاصريه، ويرد د. إحسان عباس ذلك إلى سببين: ١ ـ إنها لم تكن في نظر ابن حزم قيمة بدليل تمييز غيرها. ٢ ـ إنها كتبت بعد تاريخ الرسالة باعتباره قد ألّف رسالته في وقت مبكر من حياته، والدليل على ذلك رسالة ابن سعيد المذيلة للمصادر التي أغفل ذكرها ابن حزم [رسائل ابن حزم ٢/٣٨].

ويستمر في تعداد المصنفات في علوم النحو والجغرافية والموسيقى والفلسفة والطب وأخيراً في التنجيم، وهو يذكر معلومات كافية عن المؤلف وظروف التأليف.

٨ ـ رسالة الشَّقُنْدي في الدفاع عن الأندلس:

الشَّقُنْدي: هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد المولود في شَقُنْدة الأندلسية، وهي قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب. قال ابن سعيد: وهو ممن كان بينه وبين والدي صحبة أكيدة، ومجالسات أنس عديدة، ومزاورات تتصل، ومحاضرات لا تكاد تنفصل، وانتفعتُ بمجالسته، وله رسالة في تفضيل الأندلس، يعارض بها أبا يحيى في تفضيل برّ العُدْوة، أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزَع وعذوبة المشرَع، وكان جامعاً لفنون من العلوم الحديثة والقديمة، وعُني بمجلس المنصور، فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة، وولي قضاء بيّاسة وقضاء لورقة، ولم يزل محفوظ الجانب، محمود المذاهب، له قصيدة في مدح المنصور، وقد نهض للقاء العدو، وأخرى في النسيب، وفي عُوَّده لما مرض، توفى في إشبيلية سنة ٦٢٩هـ[١].

كتب الشَّقُنْدي هذه الرسالة انتصافاً لأهل الأندلس ودفاعاً عنهم حين قصرت هممهم في الدفاع عن بلدهم، وأصبحوا معتمدين على البَرّ الإفريقي، فقال ابن سعيد نقلاً عن والده (أحد المشاركين في تأليف كتاب المغرب)، أنه كان في مجلس صاحب سبتة بالمغرب فجرى بين الشَّقُنْدي وأبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرّين فقال الشَّقُنْدي: لولا الأندلس لم يُذكر برّ العُدْوة، ولولا توقيري للمجلس لقلت ما تعلم، فردّ عليه الأمير أبو يحيى: أتريد أن تقول كون أهل بَرّنا عربا وأهل بَرّكم بربراً؟ فقال: حاشا لله، فقال الأمير: والله ما أردت غير هذا، فقال ابن المعلم: إن الفضل من برّ العدوة، فاقترح الأمير أن يعمل كل واحد منهما رسالة في تفضيل بَرّه.

لذلك اتسمت رسالة الشَّقُنْدي من أولها إلى آخرها بالحماس الشديد، وأما التأنق في صياغتها والاهتمام بأسلوبها فقد جعل منها قطعة أدبية من النثر الفني، فضلاً عن كونها سجلاً أدبياً واجتماعياً وتاريخياً وعلمياً لبلاد الأندلس[٢].

فكانت رسالة الشَّقُنْدي التي بدأها بحمد الله الذي يجعل كل من يفخر بجزيرة الأندلس يتكلم ويزيد ويطنب، ويثني على طباعه التي ستساعده في بيان الفضل للبلاد، ويروح فيباهي ببَرّ الأندلس، مستشهداً بالأمثال والأشعار على فخر أهله، وبالمقابل يزري ببرّ العدوة، ويبيّن مفاضلته في نقاط:

---

(١) اختصار القدح المعلى لابن سعيد، تحقيق: إبراهيم الإبياري/ ط٣، بيروت، دار الكتاب اللبناني/ ١٩٨٠، ١٣٨. نفح الطيب ٣/ ٢٢٢ـ٢٢٤.

(٢) الأدب الأندلسي: مصطفى الشكعة ٦٢٠.

١ ـ **كرسي الخلافة**: فإنها إذا كانت في جميع بلاد المغرب بخلافة بني عبد المؤمن الموحدين، فإنها كانت في الأندلس بخلافة القريشيين، ويستشهد على ذلك ببيتي من شعر محمد بن عبد الملك حفيد عبد الرحمن الناصر، وبيّن ما كان في مدة هذه الخلافة من حضارة وفضل وشهرة في الآفاق حتى ذهب ملكهم، ثم تحدث عن الخلافة العامرية خلافة المنصور ابن أبي عامر) والأمداح التي قيلت في الحاجب، ثم بيّن حالة الأدب في وقت الفتنة ثم الطوائف، وأن الأدباء كانوا يتزلفون عند الملك، لذلك سادت الأمداح وعرف [من] ملوك الطوائف: بنو عباد وبنو صمادح وبنو الأفطس وبنو ذي النون وبنو هود، وكل منهم قد خلّد فيه من الأمداح الكثيرة المجيدة، ونال الشعراء عطايا كثيرة حتى أنه بلغ ببعضهم أن لا يمدحون أحداً بقصيدة إلا بمائة دينار، ويكرر قصة أبي غالب اللغوي الذي ألّف كتاباً، ورفض جعله باسم مجاهد العامري ملك دانية لينتفع به الناس، فوافق العامري على فكرته وأجزل له العطاء، وفضل الشَّقُنْدي ملوك إشبيلية بني عباد على كل ملوك الطوائف، ووضح ما كان في مملكتهم من حضارة زاخرة، كان فيها بنو عباد وبنوهم ووزراؤهم صدوراً في بلاغتي النظم والنثر، ومشاركين في فنون العلم، وآثارهم مذكورة، وأخبارهم مشهورة، وهنا يقارنهم بملوك برّ العدوة، ومنهم يوسف بن تاشفين الذي لا يفهم العربية جيداً ولا يفهم المقصود بالشعر.

٢ ـ **المفاضلة بالعلماء**: ويبدأ باستعراض أسماء علماء يباهي بهم برّ العدوة في اختصاصات مختلفة: الفقه والفلسفة والشريعة والحفظ واللغة والنحو وعلوم اللحون والفلسفة والنجوم والهندسة، وبعض هؤلاء العلماء كانوا من الملوك المتقنين لعدد من العلوم كالمقتدر ابن هود صاحب سرقسطة، وفي الطب وعلم التاريخ وعلم الأدب (كتاب العقود)، والاعتناء بتخليد فضائل الأقاليم (وهو كتاب الذخيرة) وبلاغة النثر (القلائد) والترسيل والخطب، وهنا يخص المعتمد بعلم الشعر وابنه الراضي مع نماذج من شعرهم، وكذلك تحدث عن ملك ألّف في فنون الآداب وهو المظفر بن الأفطس، الذي لم تشغله الحروب ولا المملكة عن همّة الأدب.

٣ ـ **الشعراء ونماذج من شعرهم**: حيث ذكر مقطعات منتخبة في معانيها وأسلوبها ولفظها لأعلام الشعر الأندلسي؛ كابن عمار وابن زيدون وابن وهبون والقسطلي الذي قرنه الثعالبي في الأندلس بالمتنبي في المشرق خاصة في قصيدته الرائية المشهورة في المديح، وهنا يورد ثلاثة عشر بيتاً من هذه القصيدة مع تفضيلها ونقدها، ويذكر أبياتاً أخرى له في معاني الغربة عن الأوطان والتشبيه، ويتحول إلى أبي فرج الجيائي وأبياته المشهورة في العفة، ثم يختار مجاميع أبيات في تشبيهات مختلفة: العارض والليل والخمرة.

٤ ـ **أخذ المعاني**: لم يكتف الشَّقُنْدي بمفاضلة الأندلسيين على غيرهم من الأقوام، لكنه هنا دخل مدخلاً غريباً حيث أباح للأندلسيين أخذ المعنى من شعراء آخرين مشهورين، أو بالأحرى أخذ معاني أبيات مشهورة في الأدب العربي، وهو هنا يبيّن كيف أبدع هؤلاء

الأندلسيون في الأبيات التي أخذوها من شعراء العرب المعروفين، وقدموها بمقطوعات جميلة، ويبدأ بمعنى السعي إلى المحبوبة ويستخدم لذلك المصطلحات التالية:

أ ـ الاختلاس: اختلاس النسيم لنفحة الأزهار.

ب ـ الاستلاب: الاستلاب اللطيف.

جـ ـ التناول.

د ـ النقل.

وبذلك يستعرض مَن أخذ هذا المعنى في المشرق والأندلس، وينقده نقداً أدبياً في مستوى الإحسان أو الإساءة، خاصة المشارقة من الشعراء.

٥ ـ بيان براعة الأندلسيين في تشبيهات مألوفة: يختار الشَّقُنْدي تشبيهات معروفة قدّ ملتها الأسماع، كتشبيه الثغر بالأقاح، والزهر بالنجوم، والخدود بالشقائق، فجاء الأندلسيون وتلطفوا في هذه التشبيهات، فجعلوها جديدة، مستخدماً المصطلحات: التلطف، المنزع، الجدة، الإغراب، المزاحمة، السبق، حيث أورد ثلاثة نماذج من شعر ابن الزقاق.

٦ ـ براعة الأندلسيين في أوصاف الرياض والمياه: وذكر سبق ابن خفاجة وفضح الآخرين أن لحقوا به، ويورد نماذج شعرية عديدة في أوصاف الطبيعة، والنهر، والروض، والغمام، والساقي، والغرس، ويورد شعراً لابن بسام في المنادمة، وللرصافي البلنسي في صفة تغلب الظلام على الأصيل، ولغيره في وصف الخال، وفي أوصاف أخرى يرى أن الشاعر الأندلسي اهتدى إليها دون غيره.

٧ ـ براعة الأندلسيين في أغرض منوعة: وهو الإتيان بمعانٍ في الهجاء دون إقذاع، كقول المخزومي، ويراه أيضاً قد أبدع في الإقذاع وفي المديح حين يبلغ النهاية فيه، ثم ينقله إلى الهجاء فيبلغ فيه الغاية من الذم، ومن صفات الهجاء المختارة: هجاء أشتر العين، والجاحد، والفاضل، ووصف [في] الأعمى ذهاب بصره وسواد شعره، ونماذج أخرى للتطيلي وابن هانىء أبدعا فيها.

٨ ـ براعة النساء الأندلسيات في شعرهم: كولاّدة وزينب بنت المؤدب.

٩ ـ أنهى قطعه المتميزة بأقوال أخرى: بحيث أن كل من ينكر الأصالة في الأندلس يقرأ رسالة الشَّقُنْدي في فضائل أهلها بالعلوم والفنون كافة، تجده يغير فكره ورأيه ويقرّ بأصالة الأندلسيين، هنا يقول: إنه أطال رسالته ورده، ويكفيه أنه استدل على النهار بالصباح، وهنا يسأل أصحاب برّ العدوة: من شاعركم الذي تقابلون به شاعراً واحداً ممن ذكر؟ ويرد على نفسه: لا أعرف لكم أشهر ذكراً وأضخم شعراً من أبي العباس الجراوي، ويقول: إنه أولى لكم نسيان فضله، ويستشهد ببيت ينقده له ويرده عليه، ويظهر أخطاءه في استخدام الألفاظ مع التجريح بالشاعر.

١٠ ـ حكايات عن تفوق الأندلسيين: أولها الافتخار بالفرسان والشجعان، فيذكر في مدة

المنصور بن أبي عامر الأمير ابن مردنيش الذي يروي عنه قصة شجاعته وانتصاره في الحرب.

والناحية الأخرى التي يفاخر فيها هي كرم النفس وشمائل الرياسة، ويروي حكاية يُتعجب منها لذلك حدثت في عصره مما يدل على أنه شهد ما يحكي عنه.

ويتحدث أيضاً عن البلاد وتفسير محاسنها وما خصها الله تعالى به مما حرمها غيرها، فيتناول ذكر إشبيلية وما تتمتع به من أنهار وهواء معتدل وحسن مبان، ويذكر رواية عن تفضيلها على مصر والشام، ويستمر في تعداد ما فيها من أثمار نادرة، وآلات طرب منوعة ومراكب وسفن ومطابخ ومياه وأشجار متكاثفة، وعلماء وشعراء ووشاحين وزجالين، وجعل إشبيلية أكبر مدن الأندلس وأعظم أمصارها.

ومن بلاد الأندلس الأخرى «قرطبة» كرسي المملكة في الدولة المروانية، مركز العلم ومنار التقى، بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه، ثم الملوك المروانية. بها كان علماء الشريعة والملوك يتواضعون لعلمائها، ويروي قصصاً عن ذلك، والمُقدم للفتوى يطول اختباره، وفيه مواصفات معينة، وهم أشد الناس محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية ووضح ظروف بناء قرطبة والزاهرة والزهراء.

والمدينة الأخرى جيّان ويعدها للأندلس قلعة، إذ أنها [أخصبها] زرعاً، وأصرمها أبطالاً، مشهورة بالزعفران والكروم.

وتعد غرناطة دمشق بلاد الأندلس، لها القصبة المنيعة ذات الأسوار الشامخة، واختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وحمّاماتها وأسواقها وأرحاها الداخلة والخارجة وبساتينها، وشهرت بنسيمها الرائق، وبأشرافها وعلمائها وشعرائها وشواعرها (نزهون القلاعية، وزينب بنت زياد، وحفصة بنت الحاج)، وقد شهرت بظرفها في الجواب، ومالقة التي جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة والبروج وتحلل الوادي الزائر لها، وتميزت بتينها الربي لأن اسمها في القديم ريّة.

والمرية هي البلد المشهور الذكر، خصّ أهله باعتدال المزاج، ورونق الديباج، ساحلها أنظف السواحل وأشرحها وأملحها منظراً، وهي متوسطة ومتسعة، قائمة بالوارد والصادر، وهي مصنع للحلل الموشية النفيسة، وفيها الحصى الملوّن العجيب الذي يستخدمه رؤساء مراكش.

ومرسية حاضرة شرق الأندلس، ولأهلها صرامة وإباء معروف ومشهور، وواديها قسيم وادي إشبيلية، كلهما ينبع من شقورة وعليه البساتين المتهدبة الأغصان، والنواعير والأطيار والأزهار، واختصت بصناعة البُسُط والحُصُر التي تغلّف بها الحيطان.

وبلنسية مختصة ببساتينها وتعرف بمطيب الأندلس، فيها البحيرة المشهورة، ورصافتها من أحسن متفرجات الأرض، فيها البحيرة المشهورة، ويقال: إنها لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية، واختصت بالنسيج البلنسي.

واختصت جزيرة ميورقة بخصوبة الأرض، وكثرة الزرع والرزق والماشية، وفيها الحضارة الوارفة والفضلاء والأبطال.

وينهي الشَّقُنْدي رسالته هذه، ويوضح أنه ذكر الممالك المستقلة منها فقط، أما علماؤها وشعراؤها فإنه اقتصر على المشهورين منهم، وختم كلامه بحكاية جرت له عن قيمة شعراء الأندلس وكتابها وعلمائها.

اهتمام الأدباء المعاصرين برسائل فضائل أهل الأندلس:

أورد الأستاذ زكي مبارك نصوصاً من رسالة الشَّقُنْدي تخص ما جاء عن الشعر والشعراء في كتابه الموازنة بين الشعراء، ورأى فيها ثمرة لما كان من التنافس بين قرطبة وبغداد، ولينشر «صفحة من صحف النقد والمفاضلة تتمثل فيها عبقرية العرب في الأندلس»[١] وعندما أنهى نصوصه المختارة بيّن أنه ذكر ليمهد لدرس قصيدة ابن دراج الرائية في معارضة قصيدة أبي نواس في مدح الخصيب[٢].

كما قسّم الدكتور مصطفى الشكعة رسالة الشَّقُنْدي إلى قسمين:

الأول: عدّه «قطعة أدبية بارعة النسج، مشرقة الأسلوب، موصولة القضايا، مترابطة الأحكام»[٣]، ويشمل هذا القسم الاختيارات الشعرية الجميلة التي شملت العديد من الأغراض: من مديح ووصف وغزل وخمر ولعب وجد وعبث وزهد، خرج منها بالكثير من المقطوعات الشعرية التي نظمها الأندلسيون.

القسم الثاني: سار فيه الشَّقُنْدي نهج الجغرافيين والرحالة، ووصف ثماني مدن أندلسية وجزيرة، كانت إشبيلية مدينة الشَّقُنْدي ودار إقامته أبرزها، وكان أسلوبه ـ كما رأينا من عرض الرسالة ـ معتمداً على سرد الحقائق من حياة اجتماعية وميزات اقتصادية وأنماط وسلوك وسبل حياة، وفضائل تميز به الناس عن غيرهم، ومزايا توفرت في مدينة دون أخرى[٤].

لذلك لا نستغرب كثيراً ذلك الأسلوب المصنوع المسجوع الذي وشى به الكاتب رسالته لأنه يتماشى مع طبيعة عصره الذي سادت فيه مدرسة القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) الموغلة في صناعة النثر.

وإذا ما قارنا بين رسالتي الشَّقُنْدي، وابن حزم نرى الأولى أكثر طولاً، وأغنى أدباً، وأوفر ثروة بالروح الأدبية من رسالة ابن حزم، حين يعدد عظماء الأندلس: ملوكهم، حكامهم، أدباءهم، ويهتم بالموهوبين منهم، ويجعل أعمالهم أسباباً وجيهة للفخر، ويستشهد

(١) الموازنة بين الشعراء: زكي مبارك، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٣٦. ٢٥٣.
(٢) م. ن ٢٦٧.
(٣) الأدب الأندلسي: ٦٣٥.
(٤) م.ن ٦٣٥.

بالمتميز من أشعارهم في كل مجال، صادراً عن روح أدبية أصيلة، وسياق عذب التسلسل دفاق المعاني، مع تعليقات لطيفة لا تخلو من نقدات تجمل روح التحدي[1].

وأكد الأستاذ جعفر ماجد اهتمام كتّاب الرسائل بقوميتهم، فقد كتب دراسة عن العلاقات بين قرطبة والقيروان تعرّض فيها لرسائل فضائل أهل الأندلس، ورأى أن القيروان كانت مرحلة ضرورية في رحلة الأندلسيين إليها لطلب العلم بعد المشرق (مهد الحضارة)[2].

كما عزا عقدة التفاضل بين الأندلسيين وغيرهم إلى وصول أبي علي القالي إلى الأندلس حيث كانت بوابة ظهور النزعة الاستقلالية ـ في مجال الأدب ـ ثم قويت في القرن الخامس والقرن السادس، ولأن هذه العقدة كانت مهيئة للمفاضلة التي ستقع بين الأندلسيين والقيروانيين[3]. وما تحرّك الخصومة بين أهل الأندلس وأهل القيروان إلا بسبب رسالة ابن الربيب القيرواني التي وجهها إلى أبي المغيرة بن حزم يذكر فيها تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم، حيث تؤكد الرسالة متانة العلاقات الثقافية بين قرطبة والقيروان، من خلال قطع ابن الربيب سبيل الاعتذار ببعد المسافة وعدم وصول الكتب الأندلسية إلى القيروانيين، ولكن إلى جانب ذلك نجد اعتزاز ابن الربيب بما ألفه علماء القيروان وأدباؤهم، واستغراب سكوت الأندلسيين عن فضائل بلادهم ومآثر أهلها، وهو هنا يعترف بقيمة مواطنيهم، وما سماه هنري بيرس (القومية الأدبية) التي وجدت في القيروان قبل الأندلس، خاصة وأنه يعيب على ابن عبد ربه أنه (لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده).

فكانت رسالة ابن الربيب مثار ردود عنيفة وحادّة، أكدت المنافسة الثقافية بين قرطبة والقيروان، فاستمرت هذه الردود وانتقلت إلى كتّاب رسائل المفاضلة الآخرين: أبي محمد بن حزم، وابن سعيد والشَّقُنْدي، فقد بدأ ابن حزم بمهاجمة القيروانيين حين أنكر أن تكون لهم تآليف ونسب ابن هانىء الإفريقي إلى الأندلس وغيرها، أما تذييل ابن سعيد فلم يبلغ حماس رسالة ابن حزم، لكنه أكّد فيه تأثر بعض الأندلسيين بمدرسة القيروان الأدبية.

أما الشَّقُنْدي فكان أكثر تعصباً من سابقيه، وردّه يبرز حدة الصراع بين أهل الأندلس وبرّ العدوة حين أعماه التعصب وأخرجه عن سجيته[4].

نلاحظ مما سبق حب الأندلسيين لبلادهم وشدة تعلقهم بها، وحرصهم على المباهاة بها وبأهلها، وتميزها على غيرها من البلاد.

---

(١) الأدب الأندلسي ٦٢٠ـ٦٢١.

(٢) العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة. الأستاذ جعفر ماجد، حوليات الجامعة التونسية، ع ١٣، ١٩٧٦، ص١٠٧.

(٣) م.ن ١٠٨.

(٤) م.ن ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٥.

المصادر والمراجع

- ابن بسام وكتابه الذخيرة: د. حسين يوسف خريوش، عمان، دار الفكر، ١٩٨٤.

- الإحاطة في أخبار غرناطة: لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى، ٤ مجلدات، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م - ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- اختصار القدح المعلى: لابن سعيد، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط ٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠.

- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: د. مصطفى الشكعة، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧ هـ، د. منجد مصطفى بهجت، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- أعمال الأعلام (تاريخ إسبانيا المسلمة)، للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ)، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٦٥ م.

- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي (ت٥٩٩هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، المكتبة الأندلسية ١٤، ١٥، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥ م.

- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: د. إحسان عباس، ط٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩ م.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ٨ مجلدات، بيروت، دار الثقافة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لابن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣هـ)، السفر الخامس، قسمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥ م.

- رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد (ت٦٨٥هـ)، تحقيق عبد المتعال القاضي، القاهرة، مطابع الأهرام، ١٩٧٣ م.

- رسالة ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١ م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)، بيروت، المكتب التجاري، د. ت.

- الصلة: لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، المكتبة الأندلسية ١١، ١٢، ١٣، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ م.
- العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة: جعفر ماجد، حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٣، ١٩٧٦م.
- فضائل الأندلس وأهلها، د. صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٦٨م.
- فهرسة ابن خير الأموي الأشبيلي (ت٥٧٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، المكتبة الأندلسية، ٩، ١٠، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ م.
- فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، د.ت.
- مسالك الأبصار: لابن فضل الله العمري.
- المطرب من أشعار أهل المغرب: لأبي الخطاب عمر بن حسن بن دحية (ت٦٣٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤ م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي (ت: ٦٤٧ هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٢٨٣هـ/ ١٩٦٣ م.
- المغرب في حلى المغرب: لابن سعيد (ت: ٦٨٥ هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤ م.
- الموازنة بين الشعراء: زكي مبارك، ط٢، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٣٦ م.
- نص أندلسي جديد (قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب)، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ١٩٥٥م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، ثمانية مجلدات، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧١ م.

ابن ملكون النحوي

من خلال مخطوط

«إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج»

الأستاذ محمد الجيري(*)

من هو ابن ملكون؟

لا تكاد كتب التراجم تخرج عما قاله ابن الأبار في تحديد هوية صاحبنا. فهو إبراهيم بن محمد بن منذر بن أحمد بن سعيد بن مُلكون ـ بضم الميم ـ الحضرمي الإشبيلي، يكنى أبا إسحاق، ويعرف بابن ملكون[1].

غير أن صاحب «الذيل والتكملة» قد زاد في شجرة نسب ابن ملكون جداً خامساً، حيث قال في ترجمة عبد الملك بن هارون بن يحيى الجمحي: «روى عن أبي إسحاق بن محمد بن محمد بن ملكون»[2].

إن هذه الزيادة في سلسلة نسب ابن ملكون تجعلنا نقف موقف الحيرة والتردد في إثبات هذه الزيادة أو حذفها، خصوصاً إذا علمنا أنَّ ابن عبد الملك ثقة ثبت في نقل الروايات والأسانيد، فما بالك بسلسلة الأنساب التي أبان عن علو كعبه في تحققه منها في أسفار «الذيل والتكملة».

أما صاحب «المعجب» فقد سمى أباه بعبد الملك عند حديثه عن صفات أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، إذ ذكر أنه لقي بإشبيلية «رجالاً من أهل علم اللغة والنحو والقرآن منهم الأستاذ اللغوي المتقن أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك المعروف عندهم بابن ملكون»[3].

لكن «محمداً» الذي جعله ابن عبد الملك جداً أولاً لابن ملكون، و«عبد الملك» الذي جعله عبد الواحد المراكشي أباً له، لم نجدهما عند ابن الأبار ـ وهو قريب العهد بعصر صاحبنا ـ ولا عند المتأخرين ممن نظن أنهم استقوا مادة ترجمتهم به منه.

---

* باحث بالدراسات المعمقة ـ المغرب.

(1) التكملة ١/ ١٣٥ رقم ٤٠٦، وإنباه الرواة ٤/ ١٩٦ رقم ٩٧٦، وبغية الوعاة ١/ ٤٣١ رقم ٨٧٢، وإشارة التعيين ١٨، ومعجم المؤلفين ١/ ١٠٨، والأعلام ١/ ٦٢.

(2) الذيل ٥/ ١/ ٥١.

(3) المعجب ص ٣٤٦.

أما عن كنيته، فقد نص ابن عبد الملك عند ترجمته بيدر بن إبراهيم بن يوسف أنه قد «أخذ عنه بإشبيلية [أبوا بكر]: ابن ملكون وابن مروان بن القانة»[١]. فالكنية التي وضعها المحقق بين معقوفتين إما أن يكون قد أضافها من نص آخر، أو وضعها باجتهاد منه، وفي كلا الحالين نعتبر هذه الإضافة خلطاً ووهماً من المحقق، لأن جميع المصادر التي ترجمت لابن ملكون، وكذا المصادر القديمة التي وردت فيها كنيته عرضاً ـ بما في ذلك الذيل والتكملة ـ لم تشر إلى هذه الكنية، بل اتفقت جميعها على أنه أبو إسحاق.

وتبقى ملاحظة تتعلق بما اشتهر به صاحبنا. فقد اختلفت المصادر بين ضم ميم ابن ملكون أو فتحها[٢]. وباستقصاء هذه المصادر نرى أن «التكملة» و«الذيل والتكملة» وهما أوْفَيَا مصدرين ورد فيهما ذكر ابن ملكون قد جاء فيهما بضم الميم فحسب. هذا، علاوة على أن الرعيني نفسه نجده مرة يورده بضم الميم، وتارة بفتحها. وبالضم ضبط أيضاً في «المعجب»، وعلى الصفحة الأولى من نسخة الأسكوريال، وفي كتاب «الإعلام» لابن قاضي شهبة كما يقول الزركلي[٣]. ولعل في هذا الاتفاق بين هذه المصادر ما نستند إليه كحجة قوية في ترجيح اشتهار صاحبنا بضم ميم ملكون أكثر من فتحها.

وإذا كانت المصادر التي ترجمت لابن ملكون قد حددت سنة لوفاته، فإنها بالمقابل قد سكتت عن تحديد سنة مولده، لكن هذا لا يمنعنا من الاعتماد على ما يمكن أن يهدينا إلى تحديد تاريخ تقريبي لسنة ميلاده.

قال السيوطي في ترجمة محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد الإشبيلي: «قال ابن الزبير: من علية أعيانها، أخذ كتاب سيبويه عن ابن الأخضر وأحكمه، ومهر في فهم أغراضه وغوامضه، فكان من أجل أصحاب ابن الأخضر، حتى قال فيه ابن ملكون، وهو من أقرانه: من قرأ كتاب سيبويه على ابن الجد فما عليه ألا يقرأه على سيبويه»[٤].

فالذي يهمنا مما أورده السيوطي في ترجمة ابن الجد هو عبارة: «وهو من أقرانه» فقد جاء في أساس البلاغة: «القَرن بالفتح: مثلك في السن»[٥]. وفي «اللسان»: «تقول: على قَرني أي على سنِّي»[٦]. ونفس المعنى نجده في «القاموس المحيط»: «وهو على قرني على سني وعمري كالقرين»[٧].

---

(١) الذيل ٨/ ٢/ ٤٢١.

(٢) انظر في فتح ميم ابن ملكون: برنامج شيوخ الرعيني ص٧٩ ـ ٨١ ـ ٨٣، وبغية الوعاة ٢/ ٢٥ ـ ٨٤ ـ ٣٦٢. وانظر في ضم الميم: الصفحة الأولى من نسخة الأسكوريال، والمعجب ٣٤٦، والتكملة ٢/ ٥٨، و٣/ ٤٦ ـ ١٥٩، وبرنامج شيوخ الرعيني ص ٩٢ ـ ٩٨ ـ ٩٩ والذيل ١/٥/ ١٨١ ـ ٣١٩، و٦/ ٢٣٥ ـ ٥١٠.

(٣) الأعلام ١/ ٦٢.

(٤) بغية الوعاة ٢/ ٢٥ رقم ١٣٤.

(٥) أساس البلاغة ص ٥٠٤.

(٦) اللسان (قرن).

(٧) القاموس المحيط ٤/ ٢٥٩ (قرن).

إن في هذا الاتفاق بين المعاجم حول مفهوم القِرن ما يكفي لاعتبار ابن ملكون مثل ابن الجد في السن والعمر. وإذا علمنا أن ابن الجد قد ولد سنة ٤٩٦هـ كما نص على ذلك ابن عبد الملك[١]، فإن ابن ملكون سيكون من مواليد النصف الثاني من العقد التاسع من القرن الخامس الهجري، بل يمكن أن نذهب إلى أنه ولد في السنة التي ولد فيها ابن الجد.

اختلفت روايات المترجمين لابن ملكون في تحديد سنة وفاته على ثلاثة أوجه:

أ ـ حكى ابن الأبار[٢] روايتين اثنتين في تاريخ وفاة ابن ملكون، نقل الأولى عن أبي سليمان بن حوط الله الذي قال: «توفي بإشبيلية سنة إحدى وثمانين وخمس مئة (٥٨١هـ)». ونقل الثانية عن أبي علي بن الشلوبين الذي قال: «إنه توفي في شوال سنة ثمانين ودفن بداره».

ب ـ وروى السيوطي أنه «مات سنة أربع وثمانين وخمس مئة»[٣]. وهي السنة نفسها التي أشار إليها رضا كحالة في معجمه[٤].

ج ـ وحدد الزركلي[٥] وفاته في سنة ٥٨١هـ، وأظنه نقلها عن ابن قاضي شهبة كما أثبت ذلك في الحاشية.

وأمام الاختلاف في هذه الروايات الثلاث ينتاب الدارس التردد والحيرة في تحديد سنة معينة لوفاته. فإذا ذهبنا إلى القول بسنة ٥٨١هـ تاريخاً لوفاة صاحبنا كما ذكر ذلك أبو سليمان بن حوط الله ـ وهو المعروف بالنزاهة والعدل والاعتدال[٦] ـ، وهي السنة نفسها التي أثبتها ابن قاضي شهبة خلال ترجمته لوفيات ٥٨١هـ كما ذكر ذلك الزركلي، تستوقفنا مرة أخرى عبارة السيوطي التي اعتمدنا عليها في تحديد سنة ميلاد ابن ملكون، وهي كونه قريناً لابن الجد، وهذا الأخير كما ذكر صاحب «الذيل والتكملة»[٧] توفي سنة ٥٨٤هـ. وأظن هذه العبارة هي التي بنى عليها السيوطي نفسه تاريخ وفاة ابن ملكون في ترجمته له. أما رضا كحالة فلا أستبعد أن يكون نقل السنة التي حددها لوفاة ابن ملكون عن السيوطي. أما ما قاله أبو علي بن الشلوبين، فهو مردود لعدم وجود ما يعضده.

ومرة أخرى نجد أنفسنا في موقف لا نستطيع أن نرجح فيه رأياً على آخر. فإذا دحضنا ما أثبته السيوطي، فإننا سنقوض ما بنيناه تاريخاً افتراضياً لميلاد ابن ملكون. وإذا رددنا ما ذهب إليه أبو سليمان بن حوط الله، فإننا سنطعن في نزاهته وعدله واعتداله، وذلك ما أبرىء نفسي منه.

لذا، وتجنباً للزلل الذي يمكن أن نقع فيه، نقول: إن ابن ملكون قد توفي في النصف الأول من العقد الثامن من القرن السادس الهجري.

(١) الذيل ٦/ ٣٢٦.
(٢) التكملة ١/ ١٣٥.
(٣) بغية الوعاة ١/ ٤٣١.
(٤) معجم المؤلفين ١/ ١٠٨.
(٥) الأعلام ١/ ٦٢.
(٦) التكملة ١/ ٢٥٧.
(٧) الذيل ٦/ ٣٢٦.

مؤلفاته:

قال أبو علي الشلوبين معقباً على كلام أستاذه فيما ذهب إليه من تنازع العاملين في قول امرىء القيس:

كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

«إني لأستطرف أن يكون هذا من كلام الأستاذ رحمه الله، لأني لم أسمعه قط ذكره ولا كتبه في التواليف التي أخرجها ورويت عنه»[١].

ومن التآليف التي رواها المنتوري عن شيوخه في فهرسته «تآليف الأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمي الإشبيلي»، قال: «حدثني بها القاضي أبو بكر بن جزي عن الوزير أبي عبد الله بن ربيع»[٢].

فلا شك أن ابن ملكون قد ترك جملة من المؤلفات التي رويت عنه واستفاد منها لاحقوه من العلماء. غير أنه إذا كان الآخذون عنه قد أغفلوا الإشارة إلى مصنفاته التي نقلوا عنها، فإن كتب التراجم قد احتفظت لنا بعناوين بعضها، وهي عناوين تبرز اهتمام ابن ملكون بالنحو واللغة. ولما لم نستطع الوقوف على آثاره ـ عدا الكتاب الذي بين أيدينا ـ حتى نهتدي إلى ترتيبها زمنياً، فقد آثرنا أن نرتبها بحسب الحروف الأبجدية:

١ ـ «إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج»[٣]، وهو الكتاب الذي عليه مدار القول في بحثنا هذا.

٢ ـ «شرح الجمل للزجاجي»[٤].

٣ ـ «شرح الحماسة لأبي تمام»[٥].

٤ ـ «النكت على تبصرة الصيمري»[٦].

كتاب «إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج»

عنوانه:

إن أقدم مصدر ورد فيه كتاب ابن ملكون هو كتاب «التكملة لكتاب الصلة»، حيث قال ابن الأبار وهو بصدد الترجمة بصاحبه: «ومن تآليفه إيضاح المنهج، جمع فيه بين كتابي ابن جني على الحماسة: التنبيه والمبهج»[٧].

وبنفس العبارة ـ مع اختلاف بسيط في ترتيب الألفاظ ـ ذكره صاحب «الأعلام»، فقال:

---

(١) إيضاح المنهج ص ٥٩.
(٢) فهرسة المنتوري ١٩٢ ظ.
(٣) التكملة ١/ ١٣٥، ومعجم المؤلفين ١/ ١٠٨، وإشارة التعيين ١٨، والأعلام ١/ ٦٢.
(٤) التكملة ١/ ١٣٥، وإشارة التعيين ١٨، والأعلام ٦٢.
(٥) بغية الوعاة ١/ ٤٣١، ومعجم المؤلفين ١/ ١٠٨.
(٦) حاشية الإنباه ٢/ ١٢٣، والتكملة ١/ ١٣٥، وبغية الوعاة ١/ ٤٣١، وإشارة التعيين ١٨، ومعجم المؤلفين ١/ ١٠٨.
(٧) التكملة ١/ ١٣٥.

«من كتبه إيضاح المنهج في دار الكتب مصوراً عن الأسكوريال (٣١٢) جمع فيه بين كتابي ابن جني - التنبيه والمبهج - على الحماسة»[١].

وأورده رضا كحالة بصيغة لا تختلف كثيراً عن الصيغتين السابقتين إلا من حيث كونها توحي بالعنوان الكامل للكتاب، قال: «من مؤلفاته: إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج لابن جني»[٢].

وبنفس التسمية وُسم على اللوحة الأولى من نسخة الأسكوريال، حيث جاء فيها: «كتاب إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج لأبي الفتح بن جني، مما عني بجمعه الشيخ الفقيه الأستاذ النحوي اللغوي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن ملكون الحضرمي رضي الله عنه، بتتبع عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي وإصلاحه رحمهم الله أجمعين بفضله ومنه»[٣].

أما في النسخة الحمزاوية فقد ورد العنوان كاملاً منسوباً لعبد المهيمن الحضرمي[٤]، حيث جاء في اللوحة الأولى منها: «كتاب إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج من تأليف العلامة عبد المهيمن الحضرمي»[٥]. والحقيقة أن عبد المهيمن هذا ليس هو مؤلف الكتاب، وإنما هو الذي أضاف إليه استلحاقات واستدراكات وتعقيبات أبي علي الشلوبين على أستاذه ابن ملكون، «فصيَّر ذلك ديواناً واحداً لتكمل به الفائدة»[٦].

من هنا نخلص إلى القول: إن اسم الكتاب الكامل هو «إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج»، ولعل ما يؤكد هذه التسمية ما أشار إليه ابن ملكون نفسه في المقدمة حيث قال: «هذا كتاب جمعت فيه بين كتابي أبي الفتح عثمان بن جني اللذين كان وضعهما على حماسة أبي تمام حبيب بن أوس»[٧]، وهو يقصد بذلك كتاب «المبهج» الذي ضمنه ابن جني تفسير وشرح أسماء شعراء الحماسة، وكتاب «التنبيه» الذي كشف فيه عما في الحماسة من إعراب، وما يلحق به من اشتقاق أو تصريف أو عروض أو قواف، متحامياً شرح أخبارها، أو تفسير شيء من معانيها إلا ما ينعقد عليه الإعراب[٨].

---

(١) الأعلام ١/ ٦٢.
(٢) معجم المؤلفين ١/ ١٠٨.
(٣) اللوحة الأولى من نسخة الأسكوريال.
(٤) عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي، أبو محمد السبتي، قال فيه صاحب «الإحاطة»: «له القدح المعلى في علم العربية، والمشاركة الحسنة في الأصلين، والإمامة في الحديث، والتبريز في الأدب والتاريخ واللغات والعروض». روى عن أبي جعفر بن الزبير وأبي بكر بن عبيدة وابن رشيد وابن أبي الربيع. وروى عنه ابن زرقون. ولد سنة ٦٧٦ هـ، وتوفي سنة ٧٤٩ هـ. انظر بغية الوعاة ٢/ ١١٦ رقم ١٥٨٣، والنفح ٥/ ٢٤٠ - ٤٦٤ رقم ٢٠.
(٥) اللوحة الأولى من نسخة الزاوية الحمزاوية.
(٦) اللوحة الأولى من نسخة الأسكوريال.
(٧) إيضاح المنهج ص٢.
(٨) شرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري ١/ ٢٠.

موضوعه:

إن المقدمة التي استهل بما ابن ملكون حديثه تفصح عن مصدرين اثنين جعلهما موضوع كتابه «إيضاح المنهج»، قال: «هذا كتاب جمعت فيه بين كتابي أبي الفتح عثمان بن جني اللذين كان وضعهما عل حماسة أبي تمام حبيب أوس، التي كان أبو إسحاق الزجاج يستكثر أبا تميم، زعم بها. وسمى أبو الفتح أحد هذين الكتابين «المبهج»، ضمنه تفسير ما أمكنه من أسماء شعراء الحماسة، وهو كتاب صغير الحجم، عظيم القدر، كثير النفع. وسمى الكتاب الثاني «التنبيه»، معظمه الكلام في مشكل إعراب أبيات بأعيانها، وإثارة ما غمض من قوانين المعربين فيها، وربما شاب ذلك بالتكلم في اشتقاق وتصريف وعروض وقواف»[(١)].

فالموضوع الرئيسي للكتاب منصب على اللغة والنحو بمعناه العام. لكن هذا لم يمنعه من التعرض لبعض قضايا العروض والقوافي والبلاغة. هذا، علاوة على اهتمامه ببعض الأخبار والأنساب[(٢)].

ابن ملكون النحوي:

لعل أهم علم عالجه ابن ملكون في كتابه «إيضاح المنهج» هو علم النحو والصرف، وذلك من خلال تعقيبه على ابن جني في ما أورده من كلام على أبيات «التنبيه»، تارة بالشرح والبيان، وأخرى بالسكوت والاستحسان، وثالثة بالتخطئة والاستهجان. وقد كان في كل ذلك مزوداً بزاد معرفي كثير، وعلم جم غزير.

ورغم أنّ أبا علي الشلوبين قد حاول الانتصار لابن جني في أكثر الأحيان، إلا أننا نجده في أحايين أخرى يعترف بعلو قدر أستاذه في هذه الصناعة، ولا أدل على ذلك من تحليته بالأستاذ، «ولا يلقب أحد ببلاد الأندلس بالأستاذ إلا النحوي الأديب»[(٣)] كما قال القفطي.

١ ـ فقد تعقب على ابن جني بالشرح والبيان فيما ذهب إليه في بيت الحماسي من أن المنايا بمعنى القدر، «فكأنه قال: أومضت إليه أقدار الموت، وبهذه الإضافة يعلم أن الموت غير المنية من حيث كان الشيء لا يضاف إلى نفسه»، قال ابن ملكون: «قلت: إنما لم يضف الشيء إلى نفسه لأن الإضافة حكم موضوع للتخصيص، والشيء لا يخصص نفه، إنما يخصصه غيره، فلذلك أضيف إلى غيره، ولم يضف إلى نفسه»[(٤)].

ومما بينه ابن ملكون من كلام ابن جني ما قاله بعد تقدير بيت الحماسي:

وأنَّا نرى أقدامَنَا في نِعَالهم آنُفَنَا بينَ اللِّحَى والحَواجِبِ

قال ابن جني: «أي بين اللحى منهم، وهو قريب من قول الله سبحانه: ﴿جنات عدن مُفَتَّحة لهم الأبواب﴾ [ص: ٥٠]، أي الأبواب منها في كلا التأويلين»، فقال ابن ملكون:

---

(١) «إيضاح المنهج» ص٢.
(٢) إيضاح المنهج ص ٢٠٩ ـ ٤٠٧ ـ ٤٣٦ ـ ٦٢١ ـ ٦٨٥.
(٣) إنباه الرواة ٤/ ١١٣.
(٤) إيضاح المنهج ص ٤٢.

«قلت: قول أبي الفتح: في كلا التأويلين، يعني تأويلي رفع الأبواب، وذلك أنه يجوز فيها وجهان: أحدهما، أن تكون الصفة مسندة إليها. والثاني، أن تكون بدلاً من ضمير الجنات، بدل بعض، أو بدل اشتمال، وعلى أي الوجهين كان ارتفاعها، فلابد من تقدير ضمير راجع إلى الموصوف أو المبدل منه»(١).

وقد وضح ابن ملكون ما أراده ابن جني حين قال: «عقيل: اسم مرتجل، ويمكن أن يكون فعيلاً في معنى مفعول»، قال: يريد: يجوز أن يكون منقولاً من الصفة»(٢).

كما شرح ابن ملكون ما عناه ابن جني بقوله: «ولغات الذي والتي كثيراً جداً»، قال: «قلت في الذي أربع لغات: الذي بإثبات الياء، واللَّذِ بحذفها مع الكسر، واللَّذْ بإسكان الذال، وأنشدوا:

كَاللَّذْ تَرَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

والذيّ بتشديد الياء.. وفي التي ثلاث لغات: التي بإثبات الياء، والَّتِ بإسقاط الياء، والَّتْ بإسكان التاء»(٣). وقد زاد ابن الشجري لغتين أخريين في الذي فقال: «والخامسة: استعمالهم «ذا» بمعنى «الذي»، وذلك إذا أوقعوه بعد «ما» الاستفهامية، كقولك: ماذا صنعت؟ وماذا معك؟ تريد: ما الذي صنعت؟ وما الذي معك؟ هذا مذهب سيبويه وفاقاً للكوفيين.

والسادسة: أن منهم من يقيم مقام الذي «ذو»، ومقام التي «ذات»، وهي لغة طيء، يقولون: زيد ذو قام، وهند ذات قامت»(٤). وذات هذه هي اللغة الرابعة التي زادها ابن الشجري في «التي».

والمستقصي لكتاب «إيضاح المنهج» يرى كثيراً من شروح ابن ملكون على كلام ابن جني لا يسعنا المقام لذكرها، لذا اكتفينا بالوقوف على أمثلة منها.

٢ ـ ونرى ابن ملكون في كثير من مواضع كتابه لا يتعقب كلام ابن جني بتبيين أو اعتراض، بل يذهب إلى حد استحسان ما جاء به من ظواهر نحوية أو صرفية، يقول مثلاً بعد ذكر كما ذهب إليه ابن جني في عين «عياهم» من أنها بدل من همزة «أياهم»: «هذا الذي ذهب إليه أبو الفتح في عياهم من بدل العين من الهمزة، وأنه كأنه أفاعل من تركيب (ي هـ م) حسن»، في فصل طويل قال عنه الشلوبين: «هذا كله تتميم حسن لمذهب أبي الفتح في عياهم»(٥).

ونجد ابن ملكون يقر بصنعة ابن جني فيما ذهب إليه في «خواتمه» من بيت أبان بن عبدة:

بِبَيْضٍ خِفَافٍ مُرْهَفَاتٍ قَوَاطِعٍ ... لِدَاوُدَ فِيهَا أثْرُه وخواتمه

قال: «قلت: في هذا صنعتان: إحداهما تسمية العين باسم المعنى، والثانية جمعه جمع

(١) المصدر نفسه ص ٧٠.
(٢) المصدر نفسه ص ١١١.
(٣) إيضاح المنهج ص ٦٥٠ ـ ٦٥١.
(٤) الأمالي ٣/ ٥٤.
(٥) إيضاح المنهج ص ٣١.

الصفة كما قال مراعاة لأصله»(١).

٣ ـ ولا يقف ابن ملكون في تعقيباته عند شرح واستحسان كلام ابن جني، وإنما يذهب إلى حد تضعيفه وتخطئته. وفي هذا الصدد نرى أبا علي الشلوبين مرة يسكت على كلام أستاذه، وأخرى يستحسنه ويعضده، وثالثة يعترضه ويرده متحيزاً لآراء ابن جني ومدافعاً عنها.

فمما أغفله أبو الفتح، ونبه إليه ابن ملكون ما زعمه من أنه لا يعلم تركيب (هـ ب ي) قال: «وأما ما زعم أنه لا يعلمه من تركيب (هـ ب ي) فقد مثل به سيبويه في باب الزيادة من غير مواضع حروف الزوائد، فقال: ويكون على فَعَلٍّ، وهو قليل، قالوا: هَبَيٌّ، وهو صفة».

وقد استحسن الشلولبين هذا التنبيه فقال: «هذه الزيادة التي زادها الأستاذ على أبي الفتح زيادة حسنة صحيحة، غفل أبو الفتح عنها ولابد، ولم تخطر بخاطره»(٢).

وقد خطأ ابن ملكون ما نقله ابن جني عن أبي علي الفارسي في «كُبِينا» من بيت الكميت:

وبالغَدَواتِ مَنْبِتُنا نُظَارٌ ونَبْعٌ لا فَصَافِصَ في كُبِينا

قال: «وأما قوله عن أبي علي: حذف لام الكُبَا ثم جمعه بالواو والنون، فظاهره أنه أراد حذف لام الكبا هذا الذي هو جمع كُبَةٍ، وهي البَعَر، وقيل: المزبلة والكناسة، وهذا لا يحتاج إليه، إنما هو جمع كُبَةٍ جمعه الكميت بالياء والنون كما جمع ذو الرمة «البُرَة» كذلك في قوله:

بَيْنَ البُرين وأعنَاقِ العَوَاهِيج

وقد عضد الشلوبين ما ذهب إليه أستاذه فقال: «ما قاله في الكبين: إنه جمع كبة لا جمع كُبَا على ما ذهب إليه أبو علي صحيح جداً. ولعل أبا علي لم يحفظ كبة، فلذلك قال فيه ما قال، وإلا فقد أخطأ ولابد»(٣).

وقد أبرز ابن ملكون ضعف ما ذهب إليه ابن جني وشيخه الفارسي في أن خبر كان الناقصة لازم غير مفارق، لأنه عوض من الحدث الذي يدل عليه الفعل مع الزمان، قال: «وهذا القول وإن كان قد توافق عليه هذان الإمامان غير قوي عندي، لأنه لو كان التزام خبر كان كما زعما لكثُر، وحسن حذف خبر ظن، إذ ليس عوضاً من مثل ما عوض منه في باب كان بزعمهما»(٤).

ومن اعتراضات ابن ملكون على ابن جني تبيانه للخلط الذي وقع فيه حينما منع انتصاب «إذا» بما قبلها، قال: «منع أبو الفتح من عمل ما قبل «إذا» فيها، وقد كرر ذلك في غير موضع. وقد أجاز عمل ما قبلها فيها في غير هذا الكتاب. ورأيت الفارسي قد أجاز ذلك في مسألة: ﴿يُنَبِّئُكم إذا مُزِّقْتُم كلَّ مُمَزَّق﴾ [سبأ: ص]، فقال: لا تكون «إذا» منتصبة الموضع بمزقتم، لاستحالة عمل المضاف إليه في المضاف، وإنما ينتصب بجوانبها، أو بما قبلها، وفي ما قاله نظر». وقد وقف الشلوبين عند نظر أستاذه فقال: «النظر الذي فيه قوله: إنها منتصبة بما قبلها، وليس قبله إلا ينبئكم، والإخبار بذلك لهم، ليس في وقت موتهم، وهذا حق، أعني هذا

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٢١.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٤.
(٣) إيضاح المنهج ص ٢٦٨.
(٤) المصدر نفسه ص ٣٥٧.

النظر»[١].

والأمثلة على اعتراضات ابن ملكون كثيرة جداً لا يكاد يخلو منها باب من أبواب الكتاب، لذا اكتفينا بالوقوف على نماذج منها.

وبما أن معظم الكلام في كتاب «إيضاح المنهج» مداره حول مشكل إعراب أبيات «التنبيه» «وإثارة ما غمض من قوانين المعربين فيها»[٢]، فلا بأس من الوقوف على مثل من الوجوه الإعرابية التي خالف فيها ابن ملكون ابن جني، أو استدرك عليه ما أغفله فيهما.

أ ـ أشار ابن ملكون إلى جواز رأي آخر في «جالبا» الثاني من قول سعد بن ناشب:

سَأَغْسِلُ عَنِّي العَارَ بِالسَّيْفِ جَالِباً عَلَيَّ قَضَاءَ اللهِ مَا كَانَ جَالِبَا

قال: «يجوز أن يكون «جالبا» الثاني توكيداً للأول، وتكون كان تامة، فيتضمن ضمير «ما» ولا يدخل تحت عهدة حذفه». وكان ابن جني قد ذهب إلى أنه «أراد: جالبه، أي جالباً إياه، فحذف الضمير مع اسم الفاعل كما يحذفه مع الفعل نفسه»[٣].

ب ـ ذكر ابن ملكون ما ذهب إليه ابن جني في «ما» من رواية: «ما لففت» في بيت جحدر:

قَدْ عَلِمَتْ والدتي مَا ضَمَّتِ ولَفَّفَتْ في خرقٍ وشَمَّتِ

قال: «ومن رواه: ما لففت، أبدل ما الثانية من الأولى كقولك: قد عرفت مَا عندك مَا في ضميرك»، وقال ابن ملكون: «ويجوز أن تكون «مَا» الثانية معطوفة على الأولى، وحذف الحرف كما حذفه الآخر في قوله:

كيف أمسيتَ كيف أصبحت ممَّا

ويكون العطف هنا مثله في قول الهذلي:

أَمَا والذي أبكى وأضحك والذي أماتَ وأحيَى والذي أمره الأمرُ»[٤]

ج ـ حكى ابن ملكون ما جوزه ابن جني في «الباء» من قول الحماسي:

إذا ما قُلوبُ القوم طارت مخافةً مِنَ الموت أرسوا بالنفوس المَواجد

قال ابن جني: «يَجوز أن تكون الباء حالاً من الضمير في أرسوا، أي أرسوا ونفوسهم معهم.. ويجوز أن تكون الباء زائدة، أي أرسوا نفوسهم، معناه أقروها». قال ابن ملكون: «ويجوز أن تكون الباء للتعدية، وتكون الهمزة لا للتعدية، لأنه يقال: رسَا وأرسَى بمعنى، كسَرَى وأسرى، فيكون «أرسوا بالنفوس» كقوله: ﴿أسرى بعبده﴾»[٥].

د ـ ونرى ابن ملكون يحرص على الربط بين الإعراب والمعنى في تجويزه ما منعه ابن جني في «الإغارة»، وما اعتبره في «شددت» غير متعدية من بين الحماسي:

فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوماً إذَا ركِبُوا شَدُّوا الإغارةَ فُرْسَاناً ورُكْبَانا

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٢٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٢.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٦.
(٤) إيضاح المنهج ص ٨٢.
(٥) المصدر نفسه ص ١١٤.

قال ابن جني: «ليست «الإغارة» هنا مفعولاً بها، ولا انتصابها على ذلك، ولكن انتصابها انتصاب المفعول له، أي شدوا للإغارة، كقولك: حملوا للإغارة فرسانا وركبانا.. وشددت هذه غير متعدية، فإذا أرد تعديتها وصلت بعلى كما قال:

أشُدُّ على الكتِيبَةِ لا أُبَالِي»

قال ابن ملكون: «ما منعه أبو الفتح من أن تكون «الإغارة» منتصبة انتصاب المفعول غير ممتنع، بل هو جائز على تقديرين: أحدهما على الحقيقة، والثاني على تقدير حذف المضاف، أي جعلوا إغارتهم شديدة لا ضعيفة، أي بالغوا في ما أتوه فيها من قتل وغيره... وإذا بولغ في أسبابها جاز أن توصف هي بتلك المبالغة على الحقيقة لاشتدادها باشتداد أسبابها، فكأنه قال: جعلوا إغارتهم شديدة لشدة أسبابها، وأن يوصف بالشدة على تجوُّز حذف المضاف، أي شدوا أسباب الإغارة، وما يمكن أن يوصف بالشدة مما يتشبث بها، ثم حذف ذلك المفعول حقيقة المضاف إليها لتشبثه بها، فاكتست إعرابه، وعلقت عبارته. وإنما منع أبو الفتح انتصابها على المفعول، لأنه حمل شددت على أحد معنييه الذي هو حملت وعدوت، كقولك: شددنا شدة الليث، دون الثاني الذي هو خلاف أرخيت»(١). وقد أشاد الشلوبين بما أتى به أستاذه فقال: «وقد تتالى الناس بعد أبي الفتح على مثل هذا الذي فعله الأستاذ هنا.. إلا أن الأستاذ تفنَّن في إجازة ذلك أكثر من غيره»(٢).

هـ - ذهب ابن ملكون إلى جواز رأي آخر ما حكاه ابن جني في «أن يمارسا» من بيت سُحيل بن سُجيح:

ولا يَحْمَدُ القومُ الكِرامُ أخاهم الـ ... ـعَتِيدَ السِّلاحِ عنهم أنْ يُمَارِسَا

قال ابن جني: «أراد: في ترك أن يمارسا، فحذف حرف الجر، فصار تقديره: ترك أن يمارسا، ثم حذف المضاف، فصار: أن يمارسا، كقوله:

فَعَجَّلْنَا القِرَى أن تشتُمُونَا

أي مخافة أن تشتمونا». وقال ابن ملكون: «يجوز في «أن يمارسا» غير ما قال، وهو أن يكون محذوفاً منه لا، والتقدير: أن لا يمارسا، ويكون «أن يمارسا» بتقدير البدل من الأخ، أي ولا يحمد القوم الكرام ترك ممارسة أخيهم»، ثم أضاف: «ويجوز أن تكون لا في أول البيت زائدة، فإذا قدرتها زائدة لم تحتج إلى تقدير حذفها من يمارس. وأحب أنا أبا علي قد خرج البيت ووجَّهه على ما ذكرت»(٣)، وكأني بابن ملكون من خلال هذا الكلام يريد أن يقول لابن جني: رغم ملازمتك لشيخك أربعين سنة، فإنك لم تطلع على هذا الوجه الذي وجه به بيت الحماسة.

فهذه نماذج ومثل من آراء ابن ملكون الإعرابية مثلت بها للدلالة على ما يزخر به كتاب

---

(١) إيضاح المنهج ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٣.

«إيضاح المنهج» من أوجه إعرابية كثيرة، تدل على أنه بارع في علم النحو، مرتق ذروته.

إن شخصية ابن ملكون النحوية تبرز من خلال ما ساقه من آراء في تعقيباته واستدراكاته على ابن جني، وهي آراء يمكن رصدها من خلال ما قاله هو نفسه: «وهو الذي يقتضيه القياس عندي»، أو «والوجه عندي»، أو «وأنا أرى فيه»، أو «والقول عندي»، أو «والظاهر فيه عندي»، أو «والأحسن عندي»، ونحو ذلك. غير أني لا أجزم بانفراد ابن ملكون بتلك الآراء لاعتبارين:

- الاعتبار الأول: هو أن الشلوبين قد رد معظم تلك الآراء مخطئاً أستاذه، أو متهماً إياه بالغفلة.

- الاعتبار الثاني: هو احتمال وجود تلك الآراء في مصنفات من سبقه من النحاة.

وتتجلى شخصيته النحوية أيضاً فيما ذكره النحاة المتأخرون من آراء نسبوها إليه، كأبي علي الشلوبين[(١)]، وابن أبي الربيع[(٢)]، والحسن بن قاسم المرادي[(٣)]، وابن هشام الأنصاري[(٤)]، وخالد بن عبد الله الأزهري[(٥)]، وجلال الدين السيوطي[(٦)].

مصادر الدراسة:

١ ـ المخطوطات:

- «إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج» ـ نسخة الزاوية الحمزاوية، مصورة على شريط ميكرو فيلم محفوظ بالخزانة العامة بالرباط المغرب، يحمل رقم ٢٣.
- «إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج» نسخة مكتبة الأسكوريال، وهي تحمل رقم ٣١٢.
- «فهرست المنتوري» مخطوط بالخزانة الملكية، المغرب، مسجل تحت رقم ١٥٧٨ ك.

٢ ـ المصادر:

- «أساس البلاغة»، الزمخشري، دار الفكر، بيروت.
- «إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين» عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق عبد المجيد دياب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م، شركة الطباعة العربية، السعودية.
- «الأشباه والنظائر في النحو «للسيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤ م، دار الكتب العلمية بيروت.
- «الأعلام» لخير الدين الزركلي، الطبعة العاشرة ١٩٩٦ م، دار العلم للملايين، بيروت.
- «أمالي ابن الشجري»، تحقيق محمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى

---

(١) «شرح المقدمة الجزولية» ١/ ١٩٦ ـ ١٩٨؛ و٢/ ٦٩٠ ـ٦٩١.
(٢) «البسيط في شرح جمل الزجاجي» ١/ ٣٩٢ ـ ٤٨٢.
(٣) «الجنى الداني في حروف المعاني» ص ٣٠٥.
(٤) «المغني» ١/ ٣٦٨.
(٥) «شرح التصريح على التوضيح» ١/ ٢٠٤ ـ ٢٦٠ ـ ٣٧٨ ـ ٣٧٩ و٢/ ٢١ ـ ٩٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨.
(٦) «الأشباه والنظائر» ٢/ ٩٤ و٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مطبعة المدني، مصر.

- «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الفكر العربي القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

- «برنامج شيوخ الرعيني»، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

- «التبسيط في شرح جمل الزجاجي «لابن أبي الربيع، تحقيق عياد بن عيد الثبيتي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر، القاهرة.

- «التكملة لكتاب الصلة «لابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء.

- «الجنى الداني في حروف المعاني» لابن القاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك المراكشي، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

- «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك المراكشي، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

- «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك المراكشي، السفر الثامن، تحقيق محمد بن الشريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

- «شرح التصريح على التوضيح» للأزهري، دار الفكر، بيروت.

- «شرح الحماسة» المنسوب لأبي العلاء المعري، تحقيق حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- «شرح المقدمة الجزولية» لأبي علي الشلوبين، تحقيق تركي بن سهو بن نزال العتيبي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- «القاموس المحيط» للفيروز أبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

- «لسان العرب» لابن منظور، دار صادر، بيروت.

- «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» عبد الواحد المراكشي، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الطبعة السابعة ١٩٧٨م، دار الكتاب، الدار البيضاء.

- «معجم المؤلفين» رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

من شعراء الغزل في الأندلس

الدكتورة قدام سعيدة(*)

مقدمة:

إن الدارس لشعر الغزل في الأندلس، يجده يصور حياة البلاطات وجانباً من حياة العامة، فقد انشغل الكثير من الأمراء بالحب، وشغفوا بعشق الحرائر والجواري، كعبد الرحمن بن معاوية وشغفه بالدعجاء، وعبد الرحمن بن الحكم وشغفه بطروب، ومحمد بن عبد الرحمن وأمره مع غزلان. وقد عرف الغزل متصلاً بالمرأة التي أسهمت فيه بشكل كبير كمصدر إلهام، أو شاعرة منافسة في الأندية والمجالس الفنية.

وقد كثرت النساء الشاعرات، وأصبحت سيول الغزل تتدفق في كل عصر، نذكر منهم أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح أمير المرية نظمت الشعر والموشحات، وقالت شعر الحب والغزل في الفتى المسمى بالسمار(1). وكانت اعتماد الرميكية زوجة المعتمد بن عباد شاعرة أديبة. وهناك أم العلاء بنت يوسف الحجازية كانت أديبة شاعرة(2). ومهجة بنت التيجاني شاعرة مرموقة(3). وولادة بنت الخليفة المستكفي كانت نهاية في الأدب والظرف وخفة الروح، وقصتها مع ابن زيدون معروفة.

ولعبت الإماء دوراً كبيراً في السيطرة على شعر الغزل، نظراً لكثرتهن واختلاطهن بالرجال في مجالس اللهو والغناء والطرب، نذكر منهن الغسانية البجانية، وهي أديبة شاعرة في بلاط المعتصم، وهناك الشاعرة غاية المنى.

وامتاز شعر الغزل الأندلسي بعذوبة اللفظ وطرافة الصور، ويمكن أن نشير إلى أنّ ما ظهر منه في المنتديات والمجالس الفنية لم يكن صادق العاطفة، فقد كان ضرباً من القنوع الذي

---

* أستاذة في قسم اللغة العربية بجامعة الجزائر.

(1) المغرب ج٢، ص٢٠٢/٢٠٣.

(2) النفح ج٥/٣٠١.

(3) المغرب ج١/١٤٣.

تحدث عنه ابن حزم، فهو براعة ورغبة في التفوق وكد للذهن ولون من الرياضة العقلية، فكان الشعراء يعرضون أغراضهم وكلٌ قال على قدر قوة طبعه.

ومن هنا يمكن أن نرصد جملة من أشعار الغزل البعيدة عن هذا القنوع، بل هي أشعار عشق وغرام وكان موجوداً في الواقع. كان الشاعر فيها يصور عاطفته المشبوبة وما يلاقيه من تباريح الهوى، ويصور اللقاء والزيارة، ريتألم عند الصد أو الهجر، ويفرح ويسعد عند اللقاء. وتختلف صور كل شاعر في حرارتها وخيالها وعمقها وقوتها، وهذا ما يمكن أن نعرض إليه من خلال هذا البحث؛ متناولاً ثلاثة شعراء هاموا بفتيات كان لهن أثر في حياتهم، مبتدئاً بابن زيدون وولادة، ثم ابن الحداد ونويرة، وأخيراً بأبي جعفر بن سعيد وحفصة.

ابن زيدون وولادة

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون[١] المخزومي الأندلسي، ولد بقرطبة سنة ٣٩٤هـ، في بيت علم وفقه، فهو من بيت حسب ونسب، تلقى تعليمه في قرطبة، ولما تولى أبو الحزم بن جهْوَر الحكم انتظم في حاشيته. وقد دُسَّ عليه أنه اشترك في مؤامرة ضد أبي الحزم فزجّ به في السجن، وهناك أمور أخرى كانت من ضمن أسباب سجنه. وقد تقلب في بلاط أبي الحزم وبلاط بني عباد. وهام بولّادة وأغرم بها وقال فيها أكثر شعره، وهو من أعلام الشعر والنثر، له مدائح في أبي الحزم بن جهْوَر وابنه أبي الوليد، والمعتضد بن عباد.

ومن نثره نذكر رسالته الهزلية ورسالته الجدية، وقد تقلد منصب وزير في بلاط بني عباد وهم الذين سموه بذي الوزارتين، وقد لقب بالبحتري.

ولّادة:

أما ولادة التي ذكرها أبو الوليد بن زيدون في شعره فإنها بنت الخليفة الأموي محمد بن عبد الرحمن الناصري، كانت من أجمل نساء أهل زمانها واحدة أقرانها، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها[٢]. ويقول ابن بسام بأنها جاهرت بلذاتها، وأطلقت الحرية لحياتها بعد موت أبيها، وكتبت على أحد عاتقي ثوبها: [من الوافر]

أنـــا والله أصلـــح للمعـــالـــي ... وأمشـــي مشيتـــي وأتيـــه تيهـــا[٣]

وكتبت على الآخر:

وأمكـــن عـــاشقـــي مـــن صحـــن خـــدّي ... وأعطـــي قبلتـــي مـــن يشتهيهـــا

---

(١) عصر الدول والإمارات ص٢٨١/ ٢٨٢. وانظر ترجمته في الذخيرة ج١ ص٣٣٦، والمغرب ج١، ص٦٣، وديوانه من تحقيق أكرم البستاني.

(٢) الذخيرة، ج١ م١، ص٤٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٢٩/ ٤٣٠.

وربما كان ابن زيدون واحداً من الذين نالوا قبلتها، فغرق في أجواء سحرها وهام بها.
فقال: كنت في أيام الشباب وغمرة التصاب هائماً بغادة تدعى ولاّدة فلما قدِّر اللقاء وساعد القضاء كتبت إليّ: [من الطويل]

ترقب إذا جن الظلام زيارتي ... فإني رأيت الليل أكتم للسر[1]
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا ... وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر

نلاحظ بأنها مقبلة على هذه الزيارة حتى لا يضيع سرها ويقع اللقاء، فيقول ابن زيدون: وبتنا بليلة نجني أقحوان الثغور ونقطف رمان الصدور، فلما انفصلتُ عنها صباحاً أنشدتها ارتياحاً: [من الرمل]

ودع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما استودعك[2]
يقرع السن على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطى إذ شيعك

ولعله أذاع سرها بهذه الأبيات فكانت بداية التحول فكتب يقول: [من البسيط]

لو كان أمرِيَ في كتم الهوى بيدي ... ما كان يعلم ما في قلبي البدنُ[3]

وأخذ ابن زيدون يدبج القصيدة تلو الأخرى، فذاعت أشعاره الغزلية على ألسنة الناس وأصبحت كل مناه: [من الكامل]

أما مني قلبي فأنتِ جميعها ... يا ليتني أصبحتُ بعض مناك

وكان في بداية أمره معها ـ عندما تعرف عليها في منتداها الذي تقيمه في قرطبة ـ قانعاً بالقليل: [من المتقارب]

سأقنع منك بلحظ البصرْ ... وأرضى بتسليمك المختصرْ
ولا أتخطى التماس المنى ... ولا أتعدى اختلاس النظرْ
أصونك من لحظات الظنون ... وأعليك عن خطرات الفكر
وأحذَرُ من لحظات الرقيب ... وقد يستدام الهوى بالحذر

وسرعان ما تخطى مبدأ القناعة الذي رسمه لنفسه.

ومما زاد في تجهمها أنه ذات يوم في مجلسها غنّتْ جاريتها عُتبة لحناً فأُعجِب به ابن زيدون فسألها الإعادة دون أذن سيدتها، فتجهمت ولادة وزجرت جاريتها وكتبت إليه قائلة: [من الكامل]

لو كنت تنصفُ في الهوى ما بيننا ... لم تهْوَ جاريتي ولم تتخير[4]
وتركتَ غصناً مثمراً بجماله ... وجنحت للغصن الذي لم يثمر

---

(١) الذخيرة، ص٤٢٩/ ٤٣٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٣١.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٧٣.
(٤) الذخيرة، ق ١م، ص٤٣١/ ٤٣٢.

ولقد علمت بأنني بدرُ السما لكن دُهِيتَ لشقْوتي بالمشتري

وردّ عليها قائلاً: [من الطويل]

وما ضربتْ عتبي لذنب أتتْ به ولكنما ولاّدة تشتهي ضربي[1]

فقامت تجر الذيلَ عاثرة به وتمسحُ طلَّ الدمع بالعنم الرَّطب

ولما حصلت هذه الجفوة بينهما سمحت لعاشق جديد أن يتقرب منها، وقد كان يغشى منتداها وهو الوزير ابن عبدوس، ويعلم ابن زيدون بأن منافسه يستخدم في مراسلته إلى ولاّدة امرأة تستميلها إليه وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد به، فكتب إلى ابن عبدوس يهدده ويتوعده بالانتقام، يقول: [من المتقارب]

وشمَّرْتَ للخوض في لجة هي الموت ساحلها لم يُخضْ

وغرَّكَ من عهد ولاّدة سراب تراءة وبرْقٌ ومضْ

هي الماء يأبى على قابضٍ ويمنع زبدته من مَخَضْ

كما كتب فيه أيضاً رسالته الهزلية ساخطاً متهكماً ساخراً وأرسلها على لسان ولاّدة. ومما جاء فيها قوله: (أما بعد أيها المصاب بعقله المورَّط بجهله، البيّنُ سَقَطُه الفاحش غلطه، العاثر في ليل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، والساقط سقوط الذباب على الشراب..) مما أدى بولاّدة إلى هجائه وتلقيبه بالمسدس: [من الوافر]

ولُقِّبتَ المسدَّسَ وهو نعتٌ تفارقك الحياة ولا يفارقْ[2]

فلوطيٌّ ومأبونٌ وزانٍ وديُّوثٌ وقرنانٌ وسارقْ

وقالت فيه كلاماً فاحشاً في قصائد أخرى[3].

وهذه الرسالة كانت من الأسباب التي أدخلته السجن سنة ونصفاً، وهو يستعطف أبا الحزم بن جهْوَر ويتودَّدُ إليه بأن يطلق سراحه. ويدبج رسالته الجدية ولم تُجْدِ شيئاً، ويكتب لولاّدة قصائد تحكي تباريح الجوى وهو يحاول إثبات حبه لها. ويشاء القدر أن يفرّ من سجنه بمساعدة أبي الوليد بن أبي الحزم، فيقصد بلاط بني عباد الذين أدنوه وأكرموه وغمروه بعطفهم. ومن إشبيلية كتب إلى ولادة قصيدته النونية (أضحى التنائي بديلاً) يتذلل ويستعطف، ولكن ولاّدة قد صمَّت أذنيها إلى الأبد، وأغلقت قلبها تجاهه لأنها بدأت حياتها مع شخص آخر، ويذهب ابن زيدون متخفياً إلى قرطبة قاصداً الزهراء ومنها كتب إليها قصيدته:

إني ذكرتُكِ بالزَّهراءِ مشتاقاً والأفق طَلْقٌ ووجه الأرض قد راقا[4]

وعندما ولي الحكم أبو الوليد، قصده فقربه منه واعتمده في السفارة بينه وبين الملوك،

---

(١) الذخيرة ق ١م، ص٤٣١.
(٢) النفح ٤/ ص٢٠٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٦.
(٤) الديوان، ص٤٦.

ولما أرسله إلى مالقة مكث هناك ثم انتقل إلى بلنسية، ثم عاد إلى بلاط بني عباد بإشبيلية، فولاه المعتضد ابن عباد الوزارة ولقبه بذي الوزارتين، ومكث في بلاطه إلى أن توفي سنة ٤٦٢هـ.

وكان في تجواله قد نزل ببطليموس، ومنها كتب قصائد في نزوحه عن بلاده، وصور غربته وتقلبه في الهموم، وقد دامت هجرته عشرين سنة.

ونلاحظ بأنه كان في شعره الغزلي يمجد حبه أكثر من تغزله بولّادة ووصف مشاعرها والمحافظة على حبها وأسرارها. مما أثار ضغينتها وراحت تصدُّ عنه وتهجوه.

ابن الحداد ونويرة

من هو ابن الحداد؟

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم المعروف بالحداد[1] القيسي، ويلقب بمازن، وقيل اسمه مازن، ولد في وادي آش، إلا أنه استوطن المرية منذ طفولته، وقضى فيها أكثر عمره. وقد لازم بني صمادح واشتهر بمدح رؤسائهم، ويقال بأنه استقى معظم ثقافته من مطالعته الخاصة للكتب حتى صار أديباً مشهوراً، وله تلاميذ كتبوا على منواله، منهم ابن الصفار من بيت القضاء بقرطبة كان ذا عناية بالأدب، وعبد الله بن عوف.

وقد حظي بمكانة مرموقة عند المعتصم بن صمادح، أثارت غضب وضغينة حساده فأرادوا الإيقاع به عند ملكه، وقد قال في ذلك: (ولم امتدحْ المعتصم طالب جدًى، ولا راغب ندًى على أن جمعينا رائد في رياض إنعامه، ووارد في حياض إكرامه، ولكني مُنِيْتُ بقردة حَسَدَة أعجزتهم محاكاتي، فوخزوا فضلي بمثل الأشافي)[2].

ويقال بأنه كان ناظر الديوان الكبير في بلاط بني صمادح، أي أنه كان يكتب فيما يكتب فيه الوزير، فيشاركه في التصرف، والديوان الكبير هو ديوان الإنشاء.

وهناك من يقول بأنه كان وزيراً في المرية، والمرجح أنه كان ناظر الديوان الكبير.

وقد رحل إلى مدينة مرسية ثم إلىٰ سرقسطة متخفياً، بسبب مطالبة نالته، لأن أخاه قتل رجلاً وهرب فطالبوه بسببه، فأخفى نفسه مدة إلى أن قبض على أخيه فاستراح وأطمأن على حياته. ثم انتقل إلى المقتدر بن هود فأكرم وفادته، وأقام في كنفه مدة امتدحه كما امتدح ابنه الحاجب المؤتمن[3]. وقد عاد إلى أميره الأول في المرية مرة أخرى، فأكرمه المعتصم وأجزل قراه فقصر أمداحه عليه إلى أن توفي سنة ٤٨٠هـ، وقد كان معاصراً لابن اللبانة والسميسر، وله معهم قصص لا تنم عن حسن معاملة.

---

(١) الذخيرة ق١ م٢، ص٦٩١.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٧٢٨.

حبه لنويرة:

احتل ابن الحداد مكان الصدارة في المرية حتى عُدَّ شاعرها في الحب دون منازع، وقد بلغ شعره في الغزل ٢٤ قصيدة مستقلة بذاتها عدا قصائد المديح التي استفتحها بأبيات غزلية. وكل المصادر التي ترجمت له تذكر بأنه أحب فتاة واحدة، استفرغ فيها كل غزله، فتاة نصرانية من مستعربي المرية واسمها (جميلة) فغيّره ابن الحداد وسماها باسم (نويرة)، ويقول في ذلك ابن بسام: (وكان أبو عبد الله قد مني في صباه بصبية نصرانية ذهبت بلبه كل مذهب، ورَكِب إليها أصعب مركب فصرف نحوها وجه رضاه، وحكَّمها في رأيه وهواه، وكان يسميها نويرة كما فعله الشعراء الظرفاء قديماً في الكناية عمن أحبوه، وتغيير اسم من علقوه)[1]، وقد أكثر من ذكر اسمها في شعره كقوله: [من الكامل]

وارتْ جفوني من نويرة كاسمها ... ناراً تُضِلُّ وكل نار ترْشِدُ[2]

والماء أنتِ وما يصحُّ لقابض ... والنار أنتِ وفي الحشا تتوقَّدُ

وقال أيضاً: [من الوافر]

نويرة بي نويرة لا سواها ... ولا شكٌّ فقد وضح اليقينُ[3]

ورمز إليها بأسماء أخرى مثل لُبنى ولُبينى وسُليمى ومَهدد، لأنه لم يكن يريد التصريح باسمها الحقيقي كقوله في مدح المعتصم: [من الطويل]

إذا شئت تنكيلاً وتنكيد عيشة ... فحسبك أن تهوى سُليمى ومهْدد[4]

وسُليمى تصغير لسلمى وهي اسم امرأة رمز بها لمحبوبته، والشاعر يخاطب نفسه قائلاً: إذا أردت أن يستذِلّكَ الحبُّ عليك أن تهوى سُليمى أو مَهْدد، فكلتاهما ظالمة مولعة بالصدّ تستلذ تعذيبك، وهو يشير إلى ما كان يعانيه من نويرة.

وقال يكني عنها أيضاً: [من الطويل]

رويدكَ ذا وادي لُبَيْنَى وإنه ... لَوِرْدُ لُبَيْناني وإني لظامي

يقول عندما اقترب من أحد المتنزهات التي كان يرتادها طلب من راحلته أن تبرك حتى يتذكر ماضيه مع نويرة.

وما رمزه لمعشوقته بهذه الأسماء إلا دليلاً على أن التصريح باسم النساء المعشوقات لم يكن ظاهرة منتشرة في شعر الغزل الأندلسي آنذاك. ويذهب الشاعر أبعد من الرمز فينطق اسمها بالإسبانية ويقلب الجيم خاء ويناديها يا خميلة كقوله: [من الوافر]

---

(١) الذخيرة ق١ م٢، ص٦٩٣، والمغرب ج٢ ص١٤٤.

(٢) الديوان، ص١٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص١٩١.

أتعلـــم أن لـــي نفســـاً عليلـــة   وأشـــواقـــاً مبـــرّحـــة دخليـــة(١)
وفـــي طـــيّ الخميلـــة ريـــم إنـــس   رمـــزتُ بهـــا فللـــه الخميلـــة

ومع كون معشوقته نصرانية جاء في شعره ذكر ما له علاقة بالجو المسيحي، التثليث، الإنجيل، عيسى المسيح القس، الصلبان، الكنائس، كقوله: [من السريع]

قلبـــي فـــي ذات الأثيـــلات   رهيـــن لـــوعـــات وروعـــات(٢)
فـــإن بـــي للـــزوم روميـــة   تكنـــسُ مـــا بيـــن الكنيســـات
أهيـــم فيهـــا والهـــوى ضلّـــة   بيـــن صـــواميـــع وبيعـــات
وفـــي ظبـــاء البـــدو مـــن يـــزدري   بـــالظبيـــات الحضـــريـــات

وقال أيضاً: [من الطويل]

حـديثـك مـا أحلـى فـزيـدي وحـدّثـي   عـن الـرشـأ الفـرْد الجمـال المثلّـثِ(٣)
ولا تسـأمـي ذكـراه فـالـذكـر مـؤنسـي   وإن بعـث الأشـواق مـن كـل مبعـث
ولا بـدّ مـن قـصّ علـى القـسّ قصتـي   عسـاه مُغيـثُ المـدنـف المتغـوّث
فلـم يـأتِهـم عيسـى بـديـن قسـاوة   فيقسـو علـى مضنـي ويلهـو بْمكـرث
وقلبـيَ مـن حَلْـي التجلّـد عـاطـل   هـوى فـي غـزال ذي نفـار مـرغـث
سيصبـح سـري كـالصبـاح مشهـراً   ويمسـي حـديثـي عـرضـة المتحـدّث

وقد دار أغلب غزله حول الحرمان والصد والمكابدة المستمرة، لأنه جرب في الحب وفي الواقع حباً صادقاً وحاداً، نتيجة ابتعاد نويرة عنه وما أحدثه ذلك وما خلفه فيه من شقاء وعذاب فهو لا يرتاح، ما دام حبل الوصل مقطوعاً، فرؤيته لها تُسرّي همومه وتطرد صبابته وتنعشه بالأمل، يقول: [من مجزوء الوافر]

فهـــل تـــدريـــن مـــا تقضـــي   علـــى عينَـــيَّ عينـــاك؟(٤)
ومـــا يـــذكيـــه مـــن نـــار   بقلبـــي نـــورُك الـــذاكـــي؟
حجبـــتِ سنـــاك عـــن بصـــري   وفـــوق الشمـــس سيمـــاك
وفـــي الغصـــن الـــرطيـــب وفـــي النـ   ـقـــا المـــرتـــجّ عطفـــاك
ـنـــويـــرة إن قلَيـــتِ فـــإنـ   ـنـــي أهـــواك أهـــواك

وابن الحداد لم تخطئه أعين الرقباء والحساد التي كثيراً ما ذكرها في شعره كقوله: [من الوافر]

---

(١) الديوان، ص٢٤٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٦٩/ ١٧٠.
(٤) الديوان، ص٢٤١/ ٢٤٢.

رويــــدكَ أيهـــا الـــدمـــع الهتـــون ... فـــدونَ عيـــانِ مـــن أهـــوى عيـــونْ[١]

يظـــن بظـــاهـــري حِلـــم وفَهـــمٌ ... ودِخلـــة بـــاطنـــي فيـــه جنـــون

إلـــى كـــم ذا أستـــر مـــا ألاقـــي ... ومـــا أخفيـــه مـــن شـــوقـــي يبيـــن

نـــويـــرة بـــي نـــويـــرة لا ســـواهـــا ... ولا شـــك فقـــد وضـــح اليقيـــن

وكثيراً ما مزج غزله بالطبيعة الأندلسية فزادت شعره سحراً وجمالاً إذ كان مع نويرة يتساقيان كؤوس الهوى في أحضانهما.

ورغم ما لاقاه منها فإنه لا يستطيع التنصل عن حبها رغم الداء والأعداء يقول:

أهـــواهـــم وان استمـــر قِـــلاهـــم ... ومـــن العجـــائـــب أن يُحَـــبَّ المبغَـــضُ[٢]

تنْهـــىَ النهـــى عنهـــم ويـــأمـــرنـــي الهـــوى ... والنفـــس تعـــرِضُ والمنـــى تتعـــرَّض

أبو جعفر بن سعيد وحفصة

هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد، قيل أنه ليس هناك في أسرة بني سعيد أعلم منه في الشعر، وقد عشق حفصة شاعرة الأندلس، وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام. ولما حكم أبوه القلعة اتخذه وزيراً، فلم يقبل بذلك واستعفى أباه في قصيدة كتبها إليها، فلما قرأها ردّ عليه: (لا ينفع الله بما لا يكون مركباً في الطبع مائلة له النفس). ووقع على ظهر ورقته: (قد تركنا سراح أنسك، وألحقنا يومك بأمسك[٣])، ولما ولي السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتباً من أهلها، فوُصِفَ له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه فاستوزره.

وحفصة بنت الحاج الركونية، أديبة شاعرة مشهورة بالجمال والحسب والمال، وقد قال عنها صاحب الإحاطة: (من أهل غرناطة فريدة الزمان في الحسن والظرف والأدب واللوذعية)[٤].

وحفصة هذه هي البادئة بالحب، وهي العاشقة والراغبة والمتلهفة، تتقن الإشارة والإغراء. وهذه طريقة متقدمة عند الأندلسيين وخاصة في عهد الموحدين، حيث نجد حفصة تطارد معشوقها وتغريه، وتدعوه لينهل من مورد ثغرها، ويهنأ في ظلال حبها، فتصف مفاتنها بجرأة، وتطرق باب معشوقها وتدعوه لزيارتها دون حرج؛ وهو المتيّم بحبها، المعروف بلهوه ومرحه وأدبه.

ولا يقدم المؤرخون ترجمة وافية عن حفصة سوى ذكرهم أنها كانت تعيش في غرناطة، وكان أبوها غنياً من أعيان المدينة. وتكون قد ولدت قبل سنة ٥٣٠هـ، في غرناطة التي كانت

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٤.

(٢) الديوان، ص٢٣١.

(٣) النفح ٤/ ص١٦٩/ ١٨٠ - والمغرب ج٢/ ١٣٨.

(٤) الإحاطة، ص٤٩٩.

تحت حكم المرابطين، وقد عاصرت سقوط انمرابطين وقيام دولة الموحدين في الأندلس وما صاحب ذلك من أحداث.

ولما بلغ عمرها العشرين سنة التقت بأبي جعفر بن سعيد، في مجتمع يجل الشعراء ويطرب لهم، وقد كان أديباً صاحب لهو وجاه. وكانت حفصة شاعرة عذبة وفتاة جريئة، شدَّتْ إليها انتباه الرجل فسعى الهوى بينهما، وعرضت عليه أن يزورها وإن لم يفعل ذهبت إليه قالت:

[من الوافر]

أزورك أم تزور فإن قلبي ... إلى ما تشتهي أبداً يميل[1]

فثغري مورد عذب زلال ... وفرع ذؤابتي ظل ظليل

وقد أمَّلتُ أن تظما وتَضْحَى ... إذا وافى إليك بيَ المقيلْ

فعجّل بالجواب فما جميلٌ ... إباؤك عن بثينة يا جميل

ونعرف من خلال أشعارها أنها باتت مع أبي جعفر في بستان بحور مُؤمِّل على مقربة من غرناطة، وقد كتب إليها أبو جعفر يذكّرها وينتظر ردّها ولكن حفصة لا تشاركه تفاؤله بالسعادة خشية المنغصين فتردُّ على رسالته، فقال أبو جعفر:

[من الطويل]

رعى الله دهراً لم يرخ بمذمَّمٍ ... عشية وارانا بحورِ مؤمَّل[2]

وقد خفقت من نحو نجد أريجة ... إذا نفحت هبّتْ بريا القرنفل

وغرد قمريٌّ على الدوح وانثنى ... قضيب من الريحان من فوق جدول

يُرَى الروض مسروراً بما قد بَدَا له ... عناق وضمّ وارتشافُ مُقَبَّلِ

وردّت عليه قائلة:

[من الطويل]

لعمرك ما سرَّ الرياض بوصلنا ... ولكنه أبدى لنا الغلَّ والحسد[3]

ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا ... ولا غرد القمري إلا لما وجدْ

فلا تحسن الظن الذي أنت أهله ... فما هو في كل المواطن بالرّشدْ

فما خلتُ هذا الأفقَ أبدى نجومه ... لأمر سوى كيما تكون لنا رصدْ

وتصف قبلة رشفتها من حبيبها:

[من الطويل]

ثنائي على تلك الثنايا لأنني ... أقول على علم وأنطق عن خُبْرِ[4]

وأنصفها لا أكذبُ الله إنني ... رشفتُ بها ريقاً أرقّ من الخمر

وتغار على حبيبها فتصف هذه الغيرة في أجمل ما يكون شعراً:

[من الوافر]

---

(١) نفح الطيب ٤/ ١٧٨.
(٢) نفح الطيب، ص١٧٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٧٧.
(٤) المصدر نفسه، ص١٧٣.

أغار عليك من عيني رقيبي ومنك ومن زمانك والمكان[(١)]
ولو أني خبأتُك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

ومهما تكن مشاعرها وعواطفها تجاه أبي جعفر فإنها قد اكتست حياتها طابعاً مأساوياً، فقد توزَّع قلبها رجلان كلاهما هام بحبها، أحدهما شاعر ـ كما عرفناه ـ والثاني أمير صغير، وهو السيد أبو سعيد الذي أرسله أبوه الخليفة الموحدي أميراً على غرناطة. فطلب وزيراً من أهلها حتى يرضيهم فوقع اختياره على أبي جعفر، فضاق بالمنصب لملاحقة الأمير لحفصة، وهو لم يكن شاعراً قديراً يستطيع ملاطفتها، وقد عانت حفصة الكثير من ملاحقته لها، وهي تعرف حقده على أبي جعفر، وتعرف ما تنطوي عليه نفس أبي جعفر من احتقار لهذا الأمير، ففضلت الابتعاد عن عاشقها مدة شهرين، فاستبدّ به الشوق فكتب إليها دون أن يذكر اسمها، يترجاها أن تراسله في قصيدة نذكر منها قوله: [من المجتث]

أنوح وجداً وشوقاً إذ تستريح الحمامة[(٢)]
صبٌّ أطالَ هواه على الحبيب غرامه

وأجابته بقصيدة على نفس الوزن والقافية منها قولها:

لو كنت تعرف عذري كففت عذب الملامه[(٣)]

وقد عاتبته ذات يوم لما علمت بعلاقته مع جارية سوداء فكتبت إليه تلومه:

[من مخلع البسيط]

عشقت سوداء مثل ليل بدائع الحسن قد ستر[(٤)]
لا يظهر البشر في دجاها كلاَّ ولا يبصر الخَفرْ
بالله قل لي وأنت أدرى بكل من هام في الصورْ
من الذي هام في جنان لا نور فيه ولا زهرْ

فرد عليها بأطرف اعتذار:

عدمتُ صبحيَ فاسودَّ عِشْقي وانعكس الفكر والنظرْ
إن لم تلخ يا نعيم رو حي فكيف لا تفسُدُ الفِكرْ

ورغم هذا العتاب اللطيف، الذي لا يصدر عن حقد بل عن غيرة، ورغم ما يحمل من أمل فإن أبا جعفر قد أشهر سلاحه في وجه الأمير الذي نغَّص وشرد محبوبه فكتب محقراً شأن الأمير قائلاً: (ما تحبين في هذا الأسود وأنا أقدر أن اشترى لك من سوق العبيد عشرة خيراً منه[(٥)]).

---

(١) المصدر نفسه، ص١٧٦.
(٢) النفح ٤/ ١٧٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١٧٤.
(٤) دراسات أندلسية للمكي، ص٩٣.
(٥) نفح الطيب ج٤، ص١٨١.

ويبلغ قوله الأمير، فاستشعر النهاية ولاحقه الخوف، فقال: [من الكامل]

مـــن يشتـــري منـــي الحيـــاة وطيبهـــا ووزارتـــي وتـــأدبـــي وتهـــذبـــي

وينتهز الأمير فرصة تمرد محمد بن مردنيش في شرق الأندلس، وانضمام أحد أفراد أسرة بني سعيد إليه وهو عبد الرحمن بن عبد الملك فيلقي عليهم القبض جميعاً، ومن بينهم أبو جعفر، ويقتل في سنة ٥٥٩هـ، وحزنت حفصة عليه ولبست السواد ورثته في أبيات قائلة: [من الخفيف]

هـــددونـــي مـــن أجـــل لبـــس الحـــداد لحبيـــب لـــي أردوه بـــالحـــداد[1]

رحـــم الله مـــن يجـــود بـــدمـــع أو ينـــوح علـــى قتيـــل الأعـــادي

وسقتـــه بمثـــل جـــود يـــديـــه حيـــث أضحـــى مـــن البـــلاد الغـــوادي

هذه بعض قصة أبي جعفر مع حفصة ومع الأمير أبي سعيد، وهي مبثوثة في الإحاطة وفي النفح والمغرب وغيره، ودراستها جديرة بأن تنافس قصة ولآدة وابن زيدون، وتقارن بها في المواقف وصدق الحب، فحفصة لم تجْنِ على صاحبها مثلما فعلت ولآدة التي دفعت به إلى السجن، وفتحت قلبها لعاشق جديد هو ابن عبدوس. أضف إلى ذلك أن الحب بين أبي جعفر وحفصة كان متبادلاً، لم تغيره عواصف التفرقة ولا تصرفات الأعداء، بينما يبدو حب ابن زيدون من جانب واحد، كان يبحث عن الذرائع والحجج لحبه، بينما ولادة المستهلكة لا تبالي به وقد غمرتها السعادة في منتداها. أما حب ابن الحداد لنويرة، فإنه لم يثنِ جماحه كونها مسيحية، وراح يرعى ودها بخياله وينعش آماله بطيفها، وكثيراً ما لاحقها في كل مكان حتى في الكنائس، وهو في ذلك يعرب عن عواطفه ومشاعره.

فهذه بعض قصص الشعراء الغزليين في الأندلس في فترات مختلفة، تدل على وجود مادة عالية في مستواها الفني، لا تقل إجادة عن بعض النماذج المشرقية، فهي جديرة بأن يلمّ بها الدارسون والباحثون.

المصادر والمراجع

- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ج٢.
- الأدب الأندلسي، دار العلم، ط٢، ١٩٨٢، مصطفى الشكعة.
- البيئة وأثرها في الشعر الأندلسي، القاهرة ١٩٧٨، سعد إسماعيل شلبي.
- الحب في الأندلس، ط١، ١٩٨٥، جودت مدلج.
- دراسات أندلسية، ط٣، ١٩٨٧، الطاهر المكي.
- دراسات في الأدب الأندلسي، ط١٩٧٨، إحسان عباس.
- ديوان ابن الحداد، ط١٩٩٠، تحقيق يوسف علي طويل.
- ديوان ابن زيدون، ١٩٨٢، تحقيق أكرم البستاني.
- الذخيرة لابن بسام، ج١، م١.
- عصر الدولة والإمارات في الأندلس، ط١٩٨٩، شوقي ضيف.
- مجلة الكتاب المغربية، ١٩٧٥.
- نفح الطيب للمقري، تحقيق إحسان عباس.

(١) دراسات، ص٩٥.

فضائل أهل الأندلس

- نصّان جديدان -

إضاءة وتحقيق: الدكتور محمود خياري(*)

في تاريخ الفكر الأندلسي نصّان جديدان عن فضائل أهل الأندلس أغفلهما أبو العباس أحمد بن محمّد المقّري التلمساني المتوفى عام ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ، من كتابه الموسوم " نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب " ، و قد اعتمدت في تحقيق و تخريج النصين الجديدين من مخطوطة يتيمة ، مبتورة البداية و النهاية ، مجهولة النّاسخ و الجامع محفوظة في مكتبة الأسكوريال El Escorial ، دون عنوان ، تعرف بمخطوطة الأسكوريال ، و برقمها الذي عنونت به ، و هو (٥٣٨) ، و تضم هذه المجموعة خمسًا و أربعين [٤٥] رسالة أندلسية متنوعة بين مُرابطية ومُوحدية ، و رسالة لعلي ابن أبي طالب [ت : ٤٠ هـ / ٦٦١ م] ، و مقامتين ، و بقيت هذه النصوص مغمورة باستثناء رسالة أحمد ابن غارسية [Garcia ، ت : ٤٧٧ هـ /١٠٨٤ م] (١) في الشّعوبية والردّ عليها (٢) .

و قد كتبت المقامة الأولى عن محارب بن محمّد الوادي آشي [شوهد حيًّا عام ٥٣٣هـ/١١٥٨م] (٣)

---

* أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة الجزائر.

(١) ينظر ترجمته عند ، ابن سعيد الأندلسي [ت : ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م] المُغرب في حلى المَغرب ، ط ٣ ، حققه وعلّق عليه ،د : شوقي ضيف ، دار المعارف ـ مصر ـ ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، رقم الترجمة ٦٠٦ .

(٢) ينظر مخطوطة الأسكوريال : رقم ٥٣٨ من الورقة رقم[٢٦ /أ] إلى الورقة رقم[٥٢ / ب] ، و ابن بسّام الشنتريني [ت : ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق ، د : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ص ٧٠٥ ـ ٧٥٥ ، و عبد السّلام هارون : نوادر المخطوطات ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، ص ص ٢٦٩ ـ ٣٣٨ .

(٣) ينظر ترجمته عند ، ابن الأبّار [ت : ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م] تحفة القادم ، ط ١ ، أعاد بناءه و علق عليه ، د : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٤٤ ، رقم الترجمة ١٧ ، و ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق ، عبد السّلام الهرّاس ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، رقم الترجمة ٥٥٦ .

بدأها بقوله : " أخبر فتح بن ميسور(١) ، قال : تعرفتُ بمدينة صور(٢) ، بفتى يعرف بابن منصور ذي جدّ بعيد الحيف ، و قد لا يزيد على السيف ... يسعى في ميدان الفصاحة فتحمد مساعيه ، و يدعو أباسم البلاغة [فتجاب](٣) دعوة داعيه ... حتى حكم الدّهر ببعده و فراقه ، فنجّدت و عرّق و غرّبت و شرّق ... و صرت أكلّف البرّية بحضرة المرية ...(٤) "(٥) .

أمّا المقامة الثانية ، فهي من صنع الفتح بن خاقان [ت : ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م] صاحب مطمح الأنفس ، و قلائد العقيان ، في ذمّ شيخه أبي محمّد البطليوسي [ت : ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م](٦) ،

(١) شخصية من صنع الخيال حاكى فيها شخصية عيسى بن هشام ، عند : بديع الزمام الهمداني [ت : ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م] .

(٢) صور : مدينة لبنانية حصينة ، مصّرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب [ت : ٢٣ هـ / ٦٤٤ م] ، ينظر عنها ، ابن جبير [ت : ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م] رحلة ابن جبير ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ـ الجزائر ـ ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٧٨ ، ص ٢٧٩ ، و الحميري [ت : ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م] الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط ٢ ، تحقيق ، د : إحسان عبّاس ، مكتبة لبنان ، بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٦٩ ، مادة (صور) ، و ياقوت الحموي [ت : ٦٢٦ هـ / ١١٧٨ م] معجم البلدان ، ط ٢ ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ ، مادة (صور) .

(٣) في الأصل : فتجيب .

(٤) المرية [AL MARIA] مدينة أندلسية أمر ببنائها الخليفة الناصر لدين الله عبد الرّحمن بن محمّد عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، [ت : ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م] تمتاز بحركتها التجارية ، تبلغ مساحتها ٨٧٧٤ كيلومتر مربع ، بلغ عدد سكانها عام ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م (١٩٣٢٨٨) نسمة ، تبعد عن العاصمة الإسبانية مدريد بـ ٤١٧ كيلومتر، ينظر عنها الرّشاطي [ت : ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م] الأندلس في اقتباس الأنوار و في اختصار اقتباس الأنوار، لابن الخرّاط الإشبيلي [ت: ٥٨١ هـ / ١١٨٦ م] تقديم و تحقيق : إميليو موليـنا [لوباز EMILIO MOLINA LOPEZ] و خاثينتو بوسك بيلا [JACITO BASH VILLA] ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ـ إسبانيا ـ ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٥٩، رقم ١٩ ، والحميري : الروض المعطار ، ص ٥٣٨ ، مادة (المرية) ، و الإدريسي [ت : ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط : OPVS . GEOGRAPHISCVM NEAPOLI , ROMA , S D ج ٥ ، ص ٥٦٢ ، و ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص١١٩ ، مادة (المرية) .

(٥) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [١٨ / أ] .

(٦) ينظر ترجمته عند ، ابن خاقان : قلائد العقيان ، صححه و حققه و علّق عليه ، محمّد الطاهر بن عاشور ، الدّار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٤٧٣ ، رقم الترجمة ٣٩ ، وابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ١ ، ص ٣٨٥ ، رقم الترجمة ٢٧٦ ، و ابن بشكوال [ت : ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م] الصلة ، ط ١ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ـ مصر ـ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ ، رقم الترجمة ٦٤٩ ، والمقـري : النفح ، ط ١ ، حققه ووضع فهارسه : يوسف الشيخ البقاعي ، بإشراف و مراجعة : الناشر ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ، و المقري : أزهار الرّياض في أخبار عياض ، ضبطه و حققه و علّق عليه ، مصطفى السّقا ، و إبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ـ مصر ـ ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م ، أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية و حكومة دولة الإمارات العربية المتّحدة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ج ٣ ، ص ١٠٣ ، وابن خلكان [ت : ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م] وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق ، د : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ـ د ت ، ج ٣ ، ص ٩٦ ، رقم الترجمة ٣٤٧ .

استهلّها بقوله : " قال عليّ بن هشام [٤] : قدمتُ الأندلس من أرض الشّام أجوب البقاع ، و أفري الأصقاع ، و أصاحب أهل الأدب و السُّنن ، و أجانب أهل الأهواء و الظُّنن ، حرصًا على الثلاث [٠٣] التي تُزيّن الغريب و تنفي التأنيب و التثريب ، و [قديما] [١] كنت يشوّقني الأدباء ، و أقول : هم في الأوطان غرباء ، فلي في البلاد من هواهم نصيب ، و الغريب للغريب نسيب [٢] " [٣] .

و كُتب ــ بضم الكاف ــ على جلدة غلاف المخطوطة ، بخط حديث " مجموعة قيّمة من رسائل سياسية ، و إخوانية أندلسية في القرن الخامس [٠٥ هـ / ١١ م] و السّادس [٠٦ هـ / ١٢ م] ، وأوّلها : رسالة لأبي حيان التوحيدي [ت : ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م] عن أبي بكر [الصّدّيق ت : ١٣ هـ / ٦٣٤ م] و عليّ [بن أبي طالب] " ، لكنّ النصوص تستمرّ لحدّ القرن السّابع [٠٧ هـ] ، الثالث عشر [١٣ م] ، بدليل احتواء المخطوطة على رسالة في التعزية كتبها : عبد الرّحمن بن يخلفتن الفازازي [ت : ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م] [٤] [٥] ، عن الخليفة المأمون الموحدي [ت : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م] [٦] الذي تولى الخلافة بين عام ٦٢٤ و ٦٣٠ هـ / ١٢٢٦ و ١٢٣٢ م .

---

(١) في الأصل : قدمًا .

(٢) ينظر ، ديوان امرئ القيس ، ط ٤ ، تحقيق ، محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ــ مصر ــ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٥٧ ، رقم القصيدة ٩٧

[من الطويل] :

أجارتنا إنّا غريبان ها هنا و كلّ غريب للغريب نسيب

(٣) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [٢١ / ب] .

(٤) ينظر ترجمته عند ، ابن الأبار : التحفة ، ص ١٩١ ، رقم الترجمة ٨٥ ، و ابن الأبّار: التكملة ، ج ٣ ، ص ٤٧ ، رقم الترجمة ١١٧ ، و لسان الدين بن الخطيب [ت : ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م] الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط ٢ ، حقق نصّه ووضع مقدمته وحواشيه : محمّد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ــ مصر ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ج ١ ، ص ٤١٧ ، و المقري : النفح ، ج ٦ ، ص ٢٥٨ .

(٥) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [٧٠ / أ] .

(٦) ينظر ترجمته عند ، ابن عذاري : [شوهد حيّا عام : ٧١٢ هـ/ ١٣١٢م] البيان المغرب (قسم الموحدين) ، تحقيق : محمّد بن تاويت ، و محمّد إبراهيم الكتاني ، و محمّد زنيبر ، و عبد القادر زمامة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ــ لبنان ــ دار الثقافة ، الدار البيضاء ــ المغرب ــ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٢٧٤ ، و ابن أبي زرع [ت : ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م] الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ــ المغرب ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ٢٤٩ ، ومؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، اعتنى بنشره و تصحيحه ، ي ، س ، علوش ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ــ المغرب ــ ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، ص ١٣٦ ، و عبد الرحمن ابن خلدون [ت : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م] تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ــ لبنان ــ ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ج ٦ ، ق ٣ ، ص٥٢٨ ، و ابن أبي دينار [ت نحو : ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م] المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، ط ٣ ، دار المسيرة ــ لبنان ــ دار سعيدان ــ تونس ــ ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ١٤٨ .

يقول جامع الرّسائل ، أو ناسخها : " الحمد لله مجموع فيه مبايعة عليّ بن أبي طالب ، أبا بكر الصديق — رضي الله [عنهما] (١) — و تفسير ألفاظها لغة و مكاتبات الأمير عليّ بن يوسف بن تاشفين [ت : ٥٣٧ هـ / ١١٤٣ م] (٢) ، و مخاطبة الرّاهب الفرنسي (٣) ، و جوابه للإمام أبي الوليد الباجي [ت : ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م] (٤) ، ومكاتبات أهل سبتة ، أهل الجزيرة الخضراء [ALGECIRAS]، و مضحكات وغرائب ، و الله يثق ، و عليه يتوكّل و يعتمد ، مالكه محمّد بن يوسف بن محمّد (٥) ، وفيه رسالة [لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني] (٦) [ت : ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م] (٧) فيه أيضًا ،

---

(١) في الأصل : عنه .

(٢) ينظر ترجمته عند ، عبد الواحد المراكشي : [ت : ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م] المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ط ١ ، ضبطه و صححه و علّق حواشيه و أنشأ مقدمته ، محمّد سعيد العريان ، و محمّد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة — مصر — ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م ، ص ١٧١ ، و ابن عذاري : البيان المغرب ، ط ٣ ، تحقيق ، د : إحسان عبّاس ، دار الثقافة ، بيروت — لبنان — ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، ج ٤ ، ص ٤٨ ، و ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ١٥٧ ، و يحيى ابن خلدون [ت : ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م] بغيـة الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق ، د : عبد الحميد حاجيات ، إصدار ، المكتبة الوطنية — الجزائر — ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، وابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٣٢ .

(٣) ينظر ، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين و جواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها ، دراسة و تحقيق ، محمّد عبد الله الشرقاوي ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، بيروت — لبنان — ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

(٤) ينظر ترجمته عند ، ابن خاقان : القلائد ، ص ٤٥٩ ، رقم الترجمة ٣٥ ، و ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٩٧ ، رقم الترجمة ٤٥٤ ، وابن عميرة الضبي [ت : ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م] بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ط ١ ، تحقيق ، د : روحـية عبد الرّحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان — ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٦١ ، رقم الترجمة ٧٧٧ ، و ابـن سـعيد الأندلسي : المغرب ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، رقم الترجمة ٢٨٧ ، و المقري : النفح ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ ، و ياقوت الحموي : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، المعروف بـ (معجم الأدباء) ، ط ١ ، تحقيق ، د : إحسان عبّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت — لبنان — ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ج ٣ ، ص ١٣٨٧ ، رقم الترجمة ٥٦٤ ، و ابن خلكان : وفـيات الأعـيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ ، رقم الترجمة ٢٧٥ ، والنباهي [ت : ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م] المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا ، المعروف بـ (تاريخ قضاة الأندلس) منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت — لبنان — ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٩٥ ، و ابن فرحون [ت : ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م] الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ط ١ ، دراسـة و تحقيق ، مأمون بن محيي الدين الجنّان ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان — ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ١٩٧ .

(٥) هو أحد طلبة السّهيلي ، و لم أجد له ترجمة .

(٦) في الأصـل : أمية بن أبي الصلت ، و لا أظنه يقصد الشاعر الجاهلي : أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف [ت : ٥ هـ / ٦٢٦ م] ، جمع شعره : بشير يموت ، طبع ببيروت — لبنان — عام ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م .

(٧) يـنظر ترجمـته عند ، ابن الأبار : التحفة ، ص ٩ ، رقم الترجمة ٣ ، و ابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، رقم الترجمة ٥٤٠ ، وابـن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، رقم الترجمة ١٨٦ ، و العماد الأصفهاني [ت : ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م] خريدة القصر و جريدة العصر ، تحقيق : عمر الدسوقي ، و عليّ عبد العظيم ، دار نهضة مصر ، الفجالة — مصر — د ت ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ، والمقـري : النفح ، ج ٢ ، ص ٣١١ ، و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص

وفيه المراسم الجدليّة ، و مسائل من أصول الفقه ، و الحمد لله حقّ حمده " (١) .

و قد سقطت من النُّسخة اليتيمة المعتمدة رسالة الخولجي في المنطق ، و رسالة أمية بن عبد العزيز الداني، و المراسم الجدلية ، و المسائل الفقهية ، و هذا معناه أنّ النسخة المعتمدة التي تمّ ترقيمها حديثا مبتورة النّهاية ، أو أنّ النصوص سقطت بعد ورقة / ٦٨ / ب / لأنّ الأوراق هنا بيضاء ، و ذلك بقدر ورقتين [٠٢] ، لكنّني أستبعد ذلك ، لأنّ النصوص المذكورة يتجاوز عدد سطورها الأوراق البيضاء ، خاصة أنّ صاحب النصّ المذكور فاته ذكر رسالة : تاشفين بن عليّ بن تاشفين [ت : ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م] (٢) في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و العودة إلى قصّة حرق كتاب إحياء علوم الدين (٣) لحجة الإسلام محمّد الغزالي [ت : ٥٠٥ هـ / ١١١١] حيث يقول : " ... و متى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة ، [فإياكم و إياه] (٤) ، و خاصة ــ وفقكم الله ــ كتب أبي حامد الغزالي ، فليتبع أثرها ، و ليقطع بالحرق المتتابع خبرها ، و يبحث عليها ، و تغلّظ الإيمان على من يتّهم بكتمانها " (٥) و علّق مجهول ، ربّما المالك الثاني للمخطوطة على النصّ المذكور بالعبارة التالية " يا كاتب هاذه [هكذا] الرّسالة أياك [هكذا] ، ثم إياك أن تكتب مقالة ناسخ هذه الكلمات ، التي أشار بها إلى كتب أبي حامد الغزالي ، نفعنا الله ببركته ، فإنّ ذلك لا يحلّ إياك ، ثمّ إياك ، و السّلام على من اتبع الهدى " (٦)، كما فاته ذكر الرسالة الحرمية ، و الأغراض الحجازية الزمزمية ، و رسالة ابن أبي الخصـال

---

٧٤٠ ، رقم الترجمة ٢٦٠ ، و ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، رقم الترجمة ١٠٤ ، و ابن أبي أصيبعة [ت : ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م] عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ط ٤ ، دار الثقافة ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ج ٣ ، ص ٨٦ ، جمـع ديوانـه [ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الدّاني] حققه و قدّم له : محمّد المرزوقي ، دار الكتب الشرقية ــ تونس ــ ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

(١) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة / ١ / أ / .

(٢) يـنظر ترجمته عند ، مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ٩٩ ، و لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٤٦ ، و ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ١٦٥ ، و ابن عذاري : البيان ، ج ٤ ، ص ٩٧ ، و يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، و ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٣٧.

(٣) ينظر : ابن القطّان [منتصف القرن ٧ هـ / ١٣ م] نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان ، ط ١ ، درسه و قدّم له و حقّقـه ، د : محمـود عليّ مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٧٠ ، و مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ٨٥ .

(٤) ناقصة عند ، د : حسين مؤنس .

(٥) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة / ١٢ / ب / ، و د : حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحّدين ، مكتبة الثـقافة الدينية للنشر والتوزيع ، القاهرة ــ مصر ــ ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، الوثيقة الأولى ، ص ٢٠ .

(٦) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، حاشية ورقة / ١٢ / ب / ، و هي ناقصة في : نصوص سياسية .

[ت : ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م] [١] ، و رسالة السّهيلي [ت : ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م] [٢] صاحب " الروض الأنف في تفسير السّيرة النبوية " و غيرها من النصوص .

أمّا مالك المخطوطة فأعتقد أنّه صاحب الرسالتين [٠٢] [٣] اللتين وُجهتا إلى أبي القاسم السّهيلي ، و هو أحد طلبة الشّيخ، كما ورد في صدر المخطوطة : محمّد بن يوسف بن محمّد .

و تبدأ المخطوطة برسالة أبي حيّان التوحيدي ، ذكر فيها خبر السّقيفة ، التي بايع فيها عليّ بن أبي طالب ، أبا بكر الصديق ، هكذا : " قال أبو حيّان عليّ بن محمّد التوحيدي البغدادي : سمرنا ليلة عند القاضي أبي [حامد] أحمد [بن عامر] بن بشر [بن حامد] المروروذي [٤] العامري [ت : ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م] [٥] ببغداد ... فجرى حديث السقيفة ، و شأن الخلافة ، فركب كلّ متن ، و قال قولاً ، و عرض بشين ، و نزع إلى أن قال : هل فيكم من يحفظ رسالة أبي بكر الصديق إلى عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنهما ــ و جواب عليّ له و مبايعة إيّاه ؟ ... فقالت الجماعة التي بين يديه : لا و الله ، قال : هي من بيّنات الحقائق ، و مخبّئات الخزائن في الصناديق ، و منذ حفظتها ما رويتها إلاّ [لأبي محمّد الحسن بن محمّد بن هارون] المُهلّبي [٦] في وزارته ، فكتبها عنّي في خلوة ، و قال : لا أعرف على

---

(١) ينظر ترجمته عند ، ابن بسّام الشنتريني : الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٧٨٤ ، ص ٧٨٦ ، و ابن خاقان : القلائد ، ص ٤٢١ ، رقم الترجمة ٢٩ ، والضبي : البغية ، ص ١١٣ ، رقم الترجمة ٢٨٢ ، و ابن دحية [ت : ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م] المطرب من أشعار المغرب ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، و حامد عبد المجيد ، و أحمد أحمد بدوي ، راجعه ، د : طه حسين ، دار العلم للجميع ، دمشق ــ سوريا ــ ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٥ م ، ص ١٨٧ ، و ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، رقم الترجمة ٣٨٣ ، و لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ ، جمع رسائله و حققها ، د : محمّد رضوان الدّاية ، دار الفكر ، دمشق ــ سوريا ــ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ .

(٢) ينظر ترجمته عند ، الضبي : البغية ، ص ٣٢٠ ، رقم الترجمة ١٠٢٥ و ابن دحية : المطرب ، ص ٢٣٠ ، و صفوان بن إدريس [ت : ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م] زاد المسافر و غرّة محيا الأدب السّافر ، أعدّه و علّق عليه : عبد القادر محداد ، دار الرّائد العربي ، بيروت ــ لبنان ــ ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٤٨ ، رقم الترجمة ٤٩ ، و ابن حميس [ت : بعد ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م] أدباء مالقة ، مخطوط ، ورقة رقم ٩٦ ، نسخة مصوّرة لدى ، د : صلاح جرّار ، قسم اللغة العربية و آدابه ، الجامعة الأردنية ، عمان ــ الأردن ــ ، و ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ١ ، ص ٤٤٨ ، رقم الترجمة ٣٢٣ ، و المقري : النفح ، ج ٤ ، ص ٣٧٣ ، و ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ١٤٣ ، رقم الترجمة ٣٧١ ، و السيوطي [ت : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م] بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ــ لبنان ــ د ت ، ج ٢ ، ص ٨٠ ، رقم الترجمة ١٤٩١ ، و ابن فرحون الديباج المذهب ، ص ٢٤٦ ، رقم الترجمة ٣١٨ .

(٣) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [٨٢ / ب] ، [٨٣ / أ] ، [٨٣ / ب] ، [٨٤ / أ] .

(٤) في الأصل : المروزي .

(٥) ينظر ترجمته عند ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٦٩ ، رقم الترجمة ٢٣ ، و الذهبي [ت : ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م] العبر في أخبار من غبر ، حققه و ضبطه : أبو هاجر محمّد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، د ت، ج ٢ ، ص ١١٣ ــ ضمن أحداث ٣٦٢ هـ .

(٦) ينظر ترجمته عند ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ٩٧٦ ، رقم الترجمة ٣٤٤ ، و ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، رقم الترجمة ١٧٩ ، (في الأصل : للمهلّبي) .

وجه الأرض رسالة أعقل منها ، و لا أبين " [١] . و ذيّلت الرّسالة بهذه العبارة : " ... نجزتْ رسالة الصّديق إلى عليّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنهما ــ و مجاوبة عليّ له ، و مبايعته إيّاه إثر ذلكَ ، وشرح ما في ذلكَ من الكلمات بحول الله و سلّم تسليما " [٢] ، و هي أطول الرّسائل في المخطوطة ، إذ تبدأ من ورقة [١ / ب] ، و تستمرّ لحدّ ورقة [١١ / أ] ، و مع ذلك وقع خطأ أثناء ترميم المخطوطة ، حيث وقفتُ على بقيّة الرسالة على الأوراق التالية [٨٧ / أ] ، [٨٧ /ب] ، [٨٨ / أ] ، [٨٨ /ب] .

و المخطوطة ــ في العموم ــ جيّدة نُسخت بخطّ أندلسي سهل القراءة ، تتخلّلها بعض الكلمات المطموسة ، و الرّطوبة التي مسّت بعض أوراقها ، جاءت في ٨٩ ورقة فردية ، على وجه واحد فقط ، تحمل الورقة الأولى رقم [١ / أ] و الورقة الثانية [١ / ب] مجموعها ١٧٨ ورقة ، رُقّمت حديثا بعد ترميمها ، مسطرتها ٢٠ × ٣١ سنتيمتر ، و عدد السّطور في الورقة الواحدة ٢١ سطرًا ، و يتراوح عدد كلمات كلّ سطر ما بين ٠٩ و ١٢ كلمة في الحالات العادية ، و تتخلّلها مجموعة من الأبيات الشعرية للكتّاب أنفسهم ، و غيرهم من الشّعراء .

منهجي في تحقيق النصّين :

التزمت في تحقيق النّصين الجديدين المنهج التالي :

- حوّلت رسم الكلمات كما هو معروف في الكتابة الأندلسية إلى الرّسم الإملائي الحديث .
- تقيّدت بنصّ المخطوطة كما نسخها الناسخ ، فلم أدخل عليها شيئًا من عندي إلاّ وضعته بين معقوفتين ، و أشرت إليه في الهامش .
- شرحت بعض الكلمات الواردة في النّصين ليسهل المعنى .
- عملت على توثيق و تخريج الآيات القرآنية و الأبيات الشعرية و الأمثال العربية ، و بيّنت الاختلاف بين العبارة الجديدة ، و النّص الأصلي .
- ضبطت بعض أسماء الأعلام ، و المدن بالحروف ، حتى لا يؤدي تركها دون ضبط إلى الوقوع في اللّبس ، أو احتمال النُطق بها على غير وجهها الصّحيح .
- استخرجت البحور الشعرية ، و أضربت صفحًا عن ذكر الزحافات و العلل .
- رتّبت المصادر في الهامش ترتيبًا زمنيًا حسب وفاة المؤلف ، لكنّني قدّمتُ الرّواية المغربية و الأندلسية عن المشرقية ، لأنّ ربّ البيت أدرى بما فيه .

---

(١) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [١ / أ] .
(٢) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [١١ / أ] .

إضاءة النصّين :

من الموضوعات الجديدة التي أثيرت ضمن النصوص المخطوطة ، موضوع المفاخرات بين المدن ، الذي عُرف في الدّراسات الأندلسية برسالة أبي عليّ الحسن بن محمّد ، المعروف بابن الرّبيب القيرواني [ت:٤٢٠هـ/١٠٢٩م] [(١)(٢)] ، التي بعثها إلى أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرّحمن بن سعيد ابن حزم [ت : ٤٣٨ هـ / ١٤٠٦ م] [(٣)] ، يعيب عليه تقصير أهل العدوة [(٤)] الأندلسية في التعريف و الإشادة بعلمائهم ، و ردّ عليه عبد الوهاب ابن حزم برسالة اختصرها أبو الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني و حذف معظمها [(٥)].

و أمّا الرّسالة المعروفة التي فُصِّلَ ــ بضمّ الفاء و كسر الصّاد المشدّدة ــ فيها القول ، و ذُكِرَ ــ بضم الذال و كسر الكاف المهملة ــ فيها علماء الأندلس ، و افتخر صاحبها بأهل العدوة ، و كوَرِها ، و مدنها ، فهي لأبي محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري [ت : ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م] ، ابن عم عبد الوهاب ابن حزم ، الذي اتخذ الأساس الفكري ــ أبو محمّد ابن حزم ــ غاية لتفضيل العدوة على برّها ، و احتفظ المقّري التلمساني ، بهذه الرّسالة كاملة [(٦)] ، كما أضاف إليها رسالتين ، الأولى : لأبي الحسن عليّ بن موسى ... ابن سعيد الأندلسي [ت : ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م] ذيّل بها رسالة أبي محمّد ابن حزم [(٧)] ، و الثانية : لأبي الوليد إسماعيل بن محمّد الشُّقندي [ت:٦٢٩هـ/١٢٣٢م] [(٨)(٩)] .

---

(١) ينظر ترجمته عند ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ٩٩٨ ، رقم الترجمة ٣٤٩ ، و السيوطي : بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٥٢٥ ، رقم الترجمة ١٠٨٧ .

(٢) ينظر ، ابن بسام الشنتريني : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ص ١٣٣ ــ ١٣٦ ، و المقري : النفح ، ج ٤ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) ينظر ترجمته عند ، ابن بسّام الشنتريني : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٣٢ ، و ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ ، رقم الترجمة ٩٦٦ ، و ابن الفرضي [ت : ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م] تاريخ علماء الأندلس ، ط ١ ، تحقيق ، د : روحية عبد الرّحمن السّويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٢١٣ ، رقم الترجمة ٨٤٥ ، و الحميدي [ت : ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م] جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، ط ١ ، تحقيق ، د : روحية عبد الرّحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٥٩ ، رقم الترجمة ٦٥٨ ، و الضبي : البغية ، ص ٣٤٣ ، رقم الترجمة ١١١٠ ، و ابن خاقان : مطمح الأنفس و مسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس ، ط ١ ، دراسة و تحقيق ، محمّد عليّ الشّوابكة ، دار عمّار ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣ م ، ص ص ٢٠٢ ــ ٢٠٦ ، و ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، رقم الترجمة ٢٥٤ .

(٤) العدوة هي بلاد المغرب بصفة عامة ، و العدوة هي شاطئ الوادي و جانبه ، وقد عرفت الأندلس بالعدوة الأندلسية و المغرب برّ العدوة ، أو العدوة المغربية .

(٥) ابن بسّام الشنتريني : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ص ١٣٦ ــ ١٣٩ .

(٦) المقري : النفح ، ج ٤ ، ص ص ١٥٧ ــ ١٧٤ .

(٧) المقري : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ص ١٧٤ ــ ١٨٠ .

(٨) المقري : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ص ١٨٠ ــ ٢١١ .

(٩) ينظر ترجمة الشقندي عند ، ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٨ ، رقم الترجمة ١٤٨ ، و ابن سعيد الأندلسي : اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى ، ط ٢ ، اختصره ، أبو عبد الله محمّد بن عيسى بن خليل ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، دار

كما تعرّضت الرّسائل الثّلاث [٠٣] لعدد كبير من المؤلفين الأندلسيين كتبوا في أحكام القرآن الكريم ، و الحديث النبوي الشّريف و رجاله ، و علم الكلام ، و الفقه ، و اللغة ، و الأدب ، و النحو ، و التاريخ ، و الجغرافية ، و الفلسفة ، و الطّب ، و العدد ، و الهندسة ، و الموسيقى ، و التنجيم ، و غيرها من الفنون و العلوم ، و أضاف الشقندي عليهما ـــ أبو محمّد ابن حزم و ابن سعيد الأندلسي ـــ فضائل بعض المدن الأندلسية ، كإشبيلية SEVILLA ، و بلنسية VALENCIA ، و جيّان JEAN ، و غرناطة GRANADA ، و قرطبة CORTOVA ، و مالقة MALAGA ، و مُرسية MURCIA ، و المرية AL MARIA، و جزيرة ميورقة MALORGA .

و لقد كانت العصبية للأندلس هي التي دفعت الإمام ابن حزم للردّ على رسالة ابن الرّبيب القيرواني بعد وفاته [١] ، كما كان التعصّب للأندلس هو نفسه الذي رفع من شأن الشقندي لتفضيل العدوة على برّها .

يقول ابن سعيد الأندلسي : " أخبرني والدي قال : كنت يومًا في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن ، فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين ، فقال : الشقندي لولا الأندلس لم يذكر برّ العدوة ولا سارت عنه فضيلة ، ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم ، فقال الأمير أبو يحيى : أتريد أن تقول : كون أهل برّنا عربًا وأهل بركم بربر ؟ فقال : حاش لله ، فقال الأمير : والله ما أردتَ غير هذا ، فظهر في وجهه أنه أراد ذلك ، فقال ابن المعلم : أتقول هذا وما الملك والفضل إلا من بر العدوة فقال الأمير : الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل برّه فالكلام هنا يطول ويمرُّ ضياعًا ، وأرجو إذا أخليتما له فكركما أن يصدر عنكما ما يحسن تخليده ففعلا ذلك ، فكانت رسالة الشقندي " [٢] .

و أقدم رسالة في العربية تناولت موضوع المفاضلات بين المُدن ، كتبها : أبو عبد الرّحمن الهيثم بن عدّي الكوفي [ت:٢٠٧هـ/٨٢٢م] [٣] ، تحت عنوان : " فخر أهل الكوفة على أهل البصرة " [٤] ،

الكتاب المصري ، القاهرة ـــ مصر ـــ دار الكتاب اللبناني ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ١٣٨ ، رقم الترجمة ٢٩ ، و المقري : النفح ، ج ٤ ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(١) المقري : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .

(٢) المقري ، المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٣) ينظر ترجمته عند ، ابن النّديم [ت : ٤٣٨ هـ / ١٠٤٥ م] الفهرست ، اعتنى بها و علّق عليها : الشيخ إبراهيم رمضان ، دار المعـرفة ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ١٢٩ ، و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٧٨٨ ، رقـم الترجمة ١٢١٣ ، و ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٠٦ ، رقم الترجمة ٧٨٦ ، و الذهبي : العبر في أخبار من غبر ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ، ضمن أحداث ٢٠٧ هـ .

(٤) ابن النّديم : الفهرست ، ص ١٢٩ ، و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٧٩٢ ، رقم الترجمة ١٢١٣ .

و تبعتها رسائل مشرقية ، و مغربية ، نكتفي في هذه العُجالة ـــ بضم العين المهملة ـــ بذكر الرسائل المغربية ، و الأندلسية .

- فضائل أهل الأندلس للإمام ابن حزم [ت : ٤٥٦ هـــ / ١٠٨٤ م] [١] .
- المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب لأبي يحيى اليسع بن عيسى ابن حزم الغافقي الجياني البلنسي [ت: ٥٧٥هـــ/١١٧٩م] [٢] ، ألفه للسلطان صلاح الدين الأيوبي [ت : ٥٣٢ هـــ/١١٩٣م] .
- مناظرة بين بعض المدن الأندلسية لصفوان بن إدريس [ت : ٥٨٩ هـــ / ١٢٠٢ م] [٣] .
- الديباجة في مفاخر صنهاجة لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الدّاني [ت : ٥٢٩ هـــ/١٢٣٥م] [٤] .
- فرحة الأنفس في فضائل العصر من الأندلس لابن غالب محمّد بن أيوب الغرناطي (من أعلام القرن ٦هـــ/١٢م) [٥] .
- فضائل أهل الأندلس لإسماعيل بن محمّد الشقندي [ت : ٦٢٩ هـــ / ١٢٣٥ م] [٦] .
- الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة لأحمد التيفاشي القفصي [ت : ٦٥١ هـــ / ١٢٥٣ م] [٧] .
- فضائل أهل الأندلس لابن سعيد الأندلسي [ت : ٦٨٥ هـــ /١٢٨٦م] [٨] ، ذيّل بها رسالة الإمام ابن حزم الظاهري .
- فضائل غرناطة لمحمّد بن إبراهيم الغرناطي ، المعروف بابن السرّاج [ت:٧٣٠هـــ/١٣٣٠م] [٩] .

---

(١) المقري : النفح ، ج ٤ ، ص ص ١٥٨ ـــ ١٧٣ .

(٢) محمّد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث ، منشورات كلّية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة محمّد الخامس ، الرّباط ـــ المغرب ـــ ١٤٠٤ هـــ / ١٩٨٣ م ، ج ١ ، ص ٤٨ ، رقم الكتاب ٨٨ .

(٣) صفوان بن إدريس : زاد المسافر ، ص ص ١٣ ـــ ١٨ ، و المقري : النفح ، ج ١ ، ص ص ١٦٣ ـــ ١٦٨ .

(٤) مؤلف مجهول الاسم : مفاخر البربر ، دراسة و تحقيق : محمّد يعلى ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي ، مدريد ـــ إسبانيا ـــ ١٤١٧ هـــ / ١٩٩٦ م ، ص ١٩١ ، و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ٧٤١ ، رقم الترجمة ٢٦٠ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، رقم الترجمة ١٠٤ ، و ينظر ، ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني ، ص ٣٤ ، رقم ٠٥ .

(٥) قطعة من كتاب : فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس و مدنها ، تحقيق ، لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ـــ مصر ـــ م ١ ، ج ٢ ، ربيع الأول ١٣٧٥ هـــ / نوفمبر ١٩٥٥ م .

(٦) المقري : النفح ، ج ٤ ، ص ص ١٨٠ ـــ ٢١١ .

(٧) عثمان كعّاك : البربر ، ضمن كتاب البعث ، مكتبة الترقي ـــ تونس ـــ د ت ، ص ٥٦ .

(٨) المقّري : النفح ، ج ٤ ، ص ص ١٧٤ ـــ ١٨٠ .

(٩) حاجي خليفة [ت : ١٠٦٧ هـــ / ١٦٥٦ م] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٤٠٣ هـــ / ١٩٨٢ م ، ج ٢ ، ص ١٢٧٧ .

- مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية لأحمد بن عليّ ابن خاتمة [ت:٧٧٠ هـ/١٣٦٨م] (١) اعتمده المقري في النفح و الأزهار ، و قال عنه : " تركته في جملة كتبي بالمغرب " (٢) .
- مفاضلات بين مدينة مالقة و مدينة سلا ، للسان الدّين بن الخطيب [ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤ م] (٣) .
- المُسْهَب في فضائل المغرب لأبي محمّد عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم الحِجاري [ت : ٥٨٤ هـ / ١١٩٧ م] ، و هو أصل كتاب " المُغرب في حلى المَغرب " (٤) تعاقب على تأليفه ستة [٠٦] من المؤلفين ، في مدّة ١٥٠ سنة ، أولهم الحِجاري ، و آخرهم عليّ بن موسى بن محمّد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسي ، انتهى من تأليفه عام ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م .
- أنس النساك المعرب عن فضائل علماء المغرب لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف... بن عوانة (٥) .
- تفضيل مدينة فاس على سائر مُدن المغرب لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن سودة المريّ (٦) .
- إيضاح البرهان و الحُجّة في تفضيل ثغر طنجة ، لأبي عليّ الحاج الحسن بن محمّد الغسّال [ت : بعد ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م] (٧) .

أمّا الرسالة المخطوطة التي بين أيدينا فهي للهَوْزني (٨) ــ بفتح الهاء و تسكين الواو ــ بعثها إلى

---

(١) المقـري : النفح ، ج ٥ ، ص ٢٧٧ ، ج ٧ ، ص ٣٥٥ ، ج ٨ ، ص ٢٣ ، و المقري : أزهار الرّياض . ج ١ ، ص ٢٣ ، و يـنظر ، ديـوان ابن خاتمة ، حققه و شرحه و قدّم له ، د : محمّد رضوان الدّاية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ــ لبنان ــ دار الفكـر ، دمشـق ــ سـوريا ــ ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ١١ ، و السخاوي [ت : ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م] الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٣٠ .

(٢) المقري : النفح ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، و المقري : أزهار الرياض ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الضنون ، ج ٢ ، ص ١٩٤١ ، و ابن سودة عبد السّلام بن عبد القادر : دليل مؤرّخ المغرب الأقصى ، ط ٢ ، دار الكـتاب ، الـدار البيضـاء ــ المغـرب ــ ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٩ م ، ج ١ ، ص ٥٩ ، رقم الكتاب ١٣٨ ، و المفاضلات منشورة في كتاب " ريحانة الكتّاب للسان الدين بن الخطيب " .

(٤) ابـن الأبّـار : المرقصات و المطربات ، دار حمد و محيو ، بيروت ــ لبنان ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ١٧ ، ابن سعيد الأندلسي : المُغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، رقم الترجمة ٣٥٤ ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ، رقم الترجمة ٤٦١ ، و المقري : النفح ، ج ٣ ، ص ٩٤ ، ج ٤ ، ص ١٧٧ ، و ابن سودة : دليل مورخ المغرب الأقصى ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ ، رقم الكتاب ، ١١١٧ .

(٥) الدّبـاغ [ت : ٦٩٦ هـ / ١٢٦٨ م] معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلّق عليه التنّوخي [ت : ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م] تصحيح و تعليق : إبراهيم شبّوح ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ــ مصر ــ ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٦) ابن سودة : دليل مؤرّخ المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ٥٩ ، رقم الكتاب ١٤٠ .

(٧) ابن سودة : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤ ، رقم الكتاب ٢٧ .

(٨) يـنظر ترجمـته عند ، ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، رقم الترجمة ١٥٩ ، و ذكر عبد الواحد المراكشي في المعجب ، ص ٢٤٠ : أنه من كُتّاب جيش الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، و عنده (أبو الحسين الهوزني الإشبيلي) .

صديقه ابن صُقْلاب [ت : ٦٢٦ هـ / ١٢٢٢ م] [١] ـ بضم الصّاد و تسكين القاف ـ صاحب أعمال المرية [٢] ، و قد حاول الهوزني أن ينسج رسالته بنول ابن الرّبيب القيرواني ، فلم يستطع ، و أظنه كان ينتظر ردّ صديقه ابن صقلاب على الطريقة نفسها التي كتب بها الإمام ابن حزم رسالته ، لكنه لم يفلح .

و بقيت هاتان الرسالتان مغمورتين لم تستشهد بهما المصادر ، و لا ذكرهما و أسقطهما المقري من نفحه ، على الرغم من أنهما كتبتا قبل رسالة الشُّقندي و ابن سعيد الأندلسي [٣] .

و لم يغب عن الإمام ابن حزم أن يضيف إلى فضائل علماء الأندلس، فضائل قرطبة، مسقط رأسه [٤] ، لكنّ ابن صقلاب ذهب غير ذلك ، فذكر مناقب حمص ، و هو يقصد ثغر إشبيلية الذي أقام به جند حمص [٥] ، و استقرّ به بعد الإجازة ، و ما ذكر عالمًا واحدًا من علمائها أو تاجرًا من تجارها أو قائدًا من قوادها ... و هو ينتسب إلى المرية المدينة السّاحلية .

---

(١) يـنظر ترجمته عند : ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، رقم الترجمة ٤٩٢ ، و ابن الأبّار : التحفة ، ص ١٧٨ ، رقم الترجمة ٨٠ .

(٢) له رسالة في المخطوطة المعتمدة ، وجّهها إلى عمّاله بأعمال المرية ، ورقة [٦٧ / ب] .

(٣) توفي الشقندي عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ، و ابن سعيد الأندلسي عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ، و قد كانت وفاة ابن صُقلاب عام ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م .

(٤) المقري : النفح ، ج ٤ ، ص ١٦٠ .

(٥) سمّيـت إشبيلية : حمص لأنّ أوّل من استقرّ بها بعد الفتح هم جند حمص ، ينظر قصيدة الرُّندي : أبو البقاء صالح بن يزيد [ت : ٦٤٨ هـ / ١٢٨٥ م] ، و مطلعها

[من البسيط] :

لكل شـيء إذا مـا تـم نقصـان فـلا يغـر بطيب العيـش إنـسان

حيث يقول :

و أيـن حـمص ومـا تحـويه مـن نـزه و نهرهـا الـعـذب فيّـاض و ملآن ...

ومـاشـيا مـرحـا يلهيه موطنـه أبعد حمـص تغـر المـرء أوطـان!؟

المقري : النفح ، ج ٦ ، ص ٢٠٨ ، و المقري : أزهار الرّياض ، ج ١ ، ص ٤٨ ، و ، د : محمّد رضوان الدّاية : أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ، مكتبة سعد الدّين ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٤٦ ، رقم القصيدة ١٣ ، أنزل أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي [ت : ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م] أهل دمشق بألبيرة El virra ، و أهل الأردن برية Rijo ، و أهـل فلسطين بشذونة Sidona ، و أهل حمص بإشبيلية Sevilla ، و أهل قنسرين بجيّان Jaen ، و أهل مصر بباجة Baja ، يـنظر ، ابن القوطية [ت : ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م] تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق و تعليق ، إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٣٢ ، و ابن الأبّار : الحلّة السيّراء ، ط ١ ، حققه ، د : حسين مؤنس ، الشـركة العربية للطباعة و النشر ، القاهرة ـ مصر ـ ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٣ م ، ج ١ ، ص ٦١ ، ٦٢ ، ولسان الدين بن الخطيـب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٧١ ، والحميري : الروض المعطار ، ص ٥٩ ، مادة (إشبيلية) ، وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٥ ، مادة (إشبيلية) .

يقول الإمام ابن حزم : إنّ " ... جميع المؤرخين من أئمتنا السّالفين و الباقين ، دون محاشاة أحد ... متفقون على أن ينسبوا الرّجل إلى مكان هجرته التي استقرّ بها ، و لم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات ... فمن هاجر إلينا من سائر البلاد ، فنحن أحق به ، و هو منّا ... و من هاجر منّا إلى غيرنا ، فلا حظّ لنا فيه ، و المكان الذي اختاره أسعد به " (١) .

فإذا كان ما ذكرته المصادر صحيحًا ، فإنّ ابن صقلاب لم يدخل إشبيلية ، و لا استوطنها ، بل ذكر من ترجم له أنّه : " من أهل المريّة و عاملها مع أبيه أبي عبد الله " (٢) ، و استدركَ ابن سعيد الأندلسي ــ أو أحد أفراد أسرته ــ فصنّفه ضمن كتّاب " النفحة العطرية في حُلى حضرة المريّة " (٣) .

يقول الهوزني مخاطبًا صديقه ابن صقلاب : " ... هذا و بلدكم وافرٌ و زمانكم متوافرٌ ، و وجه الدّهر بالمسرّات إليكم سافرٌ ... [لكنّ] لا زرع من أرضكم تنتظرونه ، و لا قوت من معالجتكم تدّخرونه ، فأنتم على غيركم عيال ، و زمانكم كلّه هومٌ و أوجالٌ " (٤) .

ثمّ شرع في طرح أسئلته على صديقه ابن صقلاب مستفسرًا عن علماء المريّة و قوّادها و مزارعيها و تجّارها ... كما سأله عن استعدادهم للحرب ، و أمّا حديثه عن البحر، فقد كرّره ثلاث [٠٣] مرّات ، و هذا دليلُ قصده المريّة ، و ليس إشبيلية ، و ذلك من خلال قوله : " نعم و بحركم رجراج و اللطائف منه تسريها إليكم الرّياح و الأمواج ... فإن قلتم : نحن طورًا أهل فلاحة ، و حينًا أهل سباحة ، يتعاون عندنا الحاضر و البادي ، و يلتقي ببلدنا الملاّح و الحادي ... [قلنا :] فلا بالبحر لكم سفنٌ مشهورة ، و لا بالبرّ بضائع موفورة " (٥) .

و يغلب على الظن أن الهوزني كان ينتظر من صديقه ابن صقلاب أن يُفَصِّلَ ــ بضم الياء و فتح الفاء و كسر الصّاد المشدّدة ــ القول عن مدينة المرية ، المدينة السّاحلية ، لا عن حمص ــ إشبيلية ــ المدينة الداخلية ، و ما ذكر إشبيلية إلاّ لأنّه ينتسب هو نفسه إليها ــ الهوزني ــ و لكنّه استقرّ برّ العدوة ، حيث استكتبه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي [ت : ٥٨٠ هــ / ١١٨٤ م] (٦) ككاتب للجيش، و ذكر والد علي بن سعيد الأندلسي [ت : ٦٤٠ هــ / ١٢٤٢ م] (٧) " أنّه اجتمع به ،

---

(١) المقري : النفح ، ج ٤ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) ابن الأبار : التحفة ، ص ١٧٨ ، رقم الترجمة ٨٠ .

(٣) ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ، رقم الترجمة ٢٠٦ .

(٤) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [٦٢ / ب] .

(٥) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [٦٢ / ب] .

(٦) يسنظر ترجمته عند : عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٦ ، و ابن عذاري : البيان (قسم الموحدين) ، ص ٨٣ ، و ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ٢٠٥ ، و مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٣١ ، وعبد الرحمن ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ق ٣ ، ص ٤٦٩ ، و ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٤٠ .

(٧) ينظر ترجمته عند : ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧٠ ، رقم الترجمة ٤٦٧ .

و كان يكتب عن[الخليفة يعقوب الـــ] منصور بن عبد المؤمن بن عليّ [ت:٥٩٥هـ/١١٩٨[1] "[2]
أمّا قول الهوزني : " ... متى سلّمته لكم الجزيرة ، أليس كلّ منهم يطلب فيه واجبه ؟ و هل هو إلاّ علم الأندلس قاطبة ؟ دعوا المطامع عنكم فإشبيلية أولى به منكم " [3] . فلا يقصد أنّ ابن صقلاب من إشبيلية ، بل جرّد المرية من عالمها الوحيد ـــ حسب رأيه ـــ و هو ينتظر من صديقه أن يذكر له علماء المرية و شعرائها و فضلائها و قوادها و تجارها ... على طريقة الإمام ابن حزم ، لكنّ ابن صقلاب ذهب غير ذلك ، فأجابه بقوله : " ... و سأرشدكَ على بلدٍ بقيَ بوفرهِ منْ قاطنيهِ و سفرهِ ، له تاجان منَ التّينِ والزيتونِ ، و نَجيانِ من الضبِّ و النّونِ ، تقلّدها رهين في نجاد من البحرَ و الوادي ، و ألتقى على سيفه الملاح و الحادي ، حِمص و ما حِمص ؟ ! أم القرى ... حيث الظلّ الممدود و الهواء المعقود ... والجهابذة الأعلام ، تجد العلم وافرًا و المُلك سافرًا و القوة و الحويل و الصبر على دلج اللّيل الطويل ، وركوب الخيل و إيطاء القتيل ، و الصنائع و البضائع و العطايا الضخمة و الوضائع و العرض المصون والمال الضائع لاكتساب المكارم و اقتناء الأكارم ، ما فيه إلاّ سيّد مطاع ، و شهم شجاع " [4] ، دون أن يذكر شخصية واحدة من مدينة المرية ، كما هو مبيّن فيما يأتي.

---

(١) يـنظر ترجمته عند : عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٢٦١ ، و ابن عذاري : البيان (قسم الموحدين) ، ص ١٧٠ ،و ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ٢١٦ ، و مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٣٢ ، وعبد الرحمن ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ق ٣ ، ص ٥٠٤ ، و ابن أبي دينار : المونس ، ص ١٤١ .

(٢) ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، رقم الترجمة ١٥٩ .

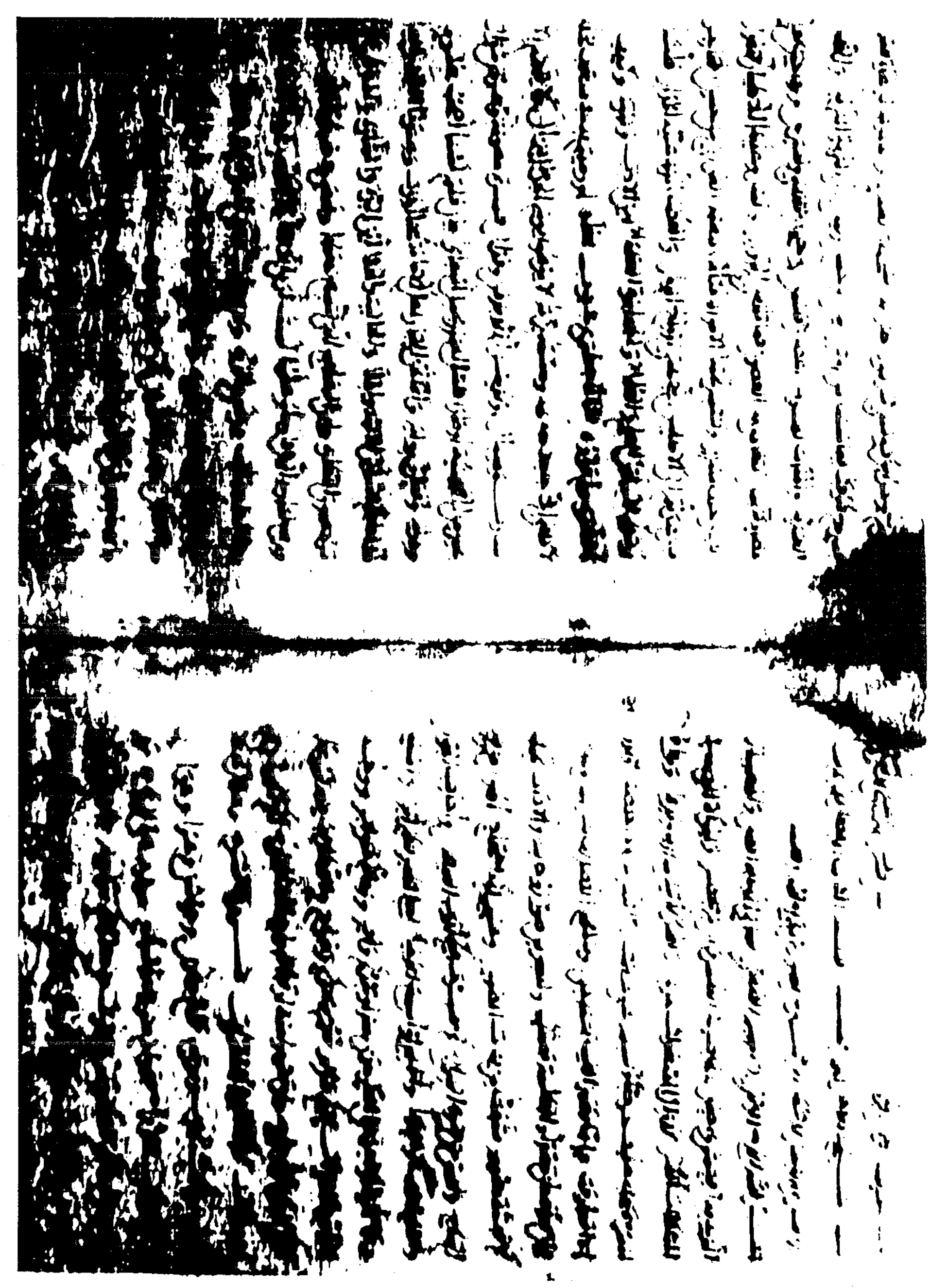
(٣) مخطوطة الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [٦٤ / أ] .

(٤) مخطوط الأسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة [٦٥ / ب] .



مخطوطة الأسكوريال رقم 538

[ورقة 12/ب] [13/أ]



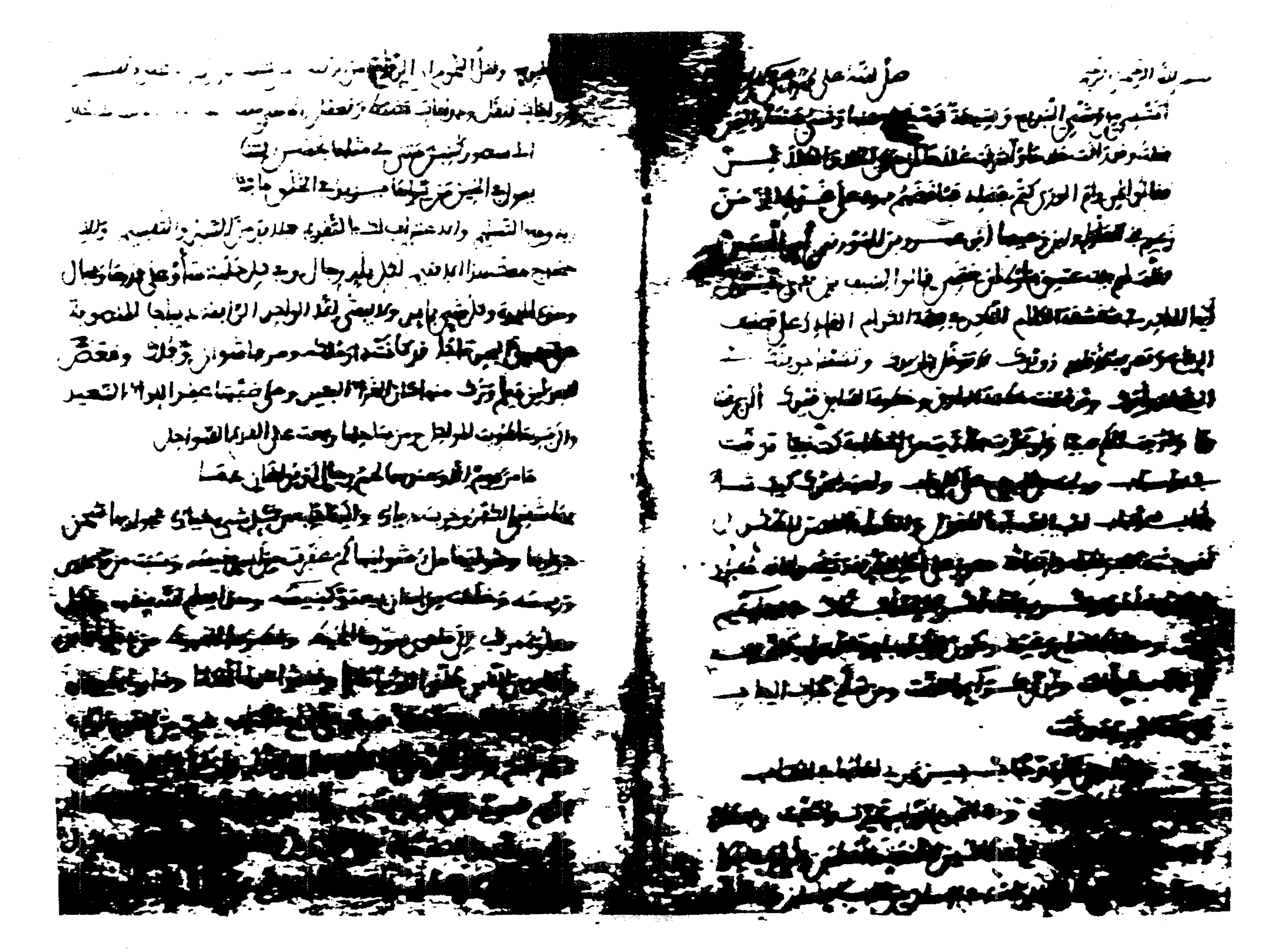
مخطوطة الأسكوريال رقم 538

[ورقة 62/ب] [63/أ]



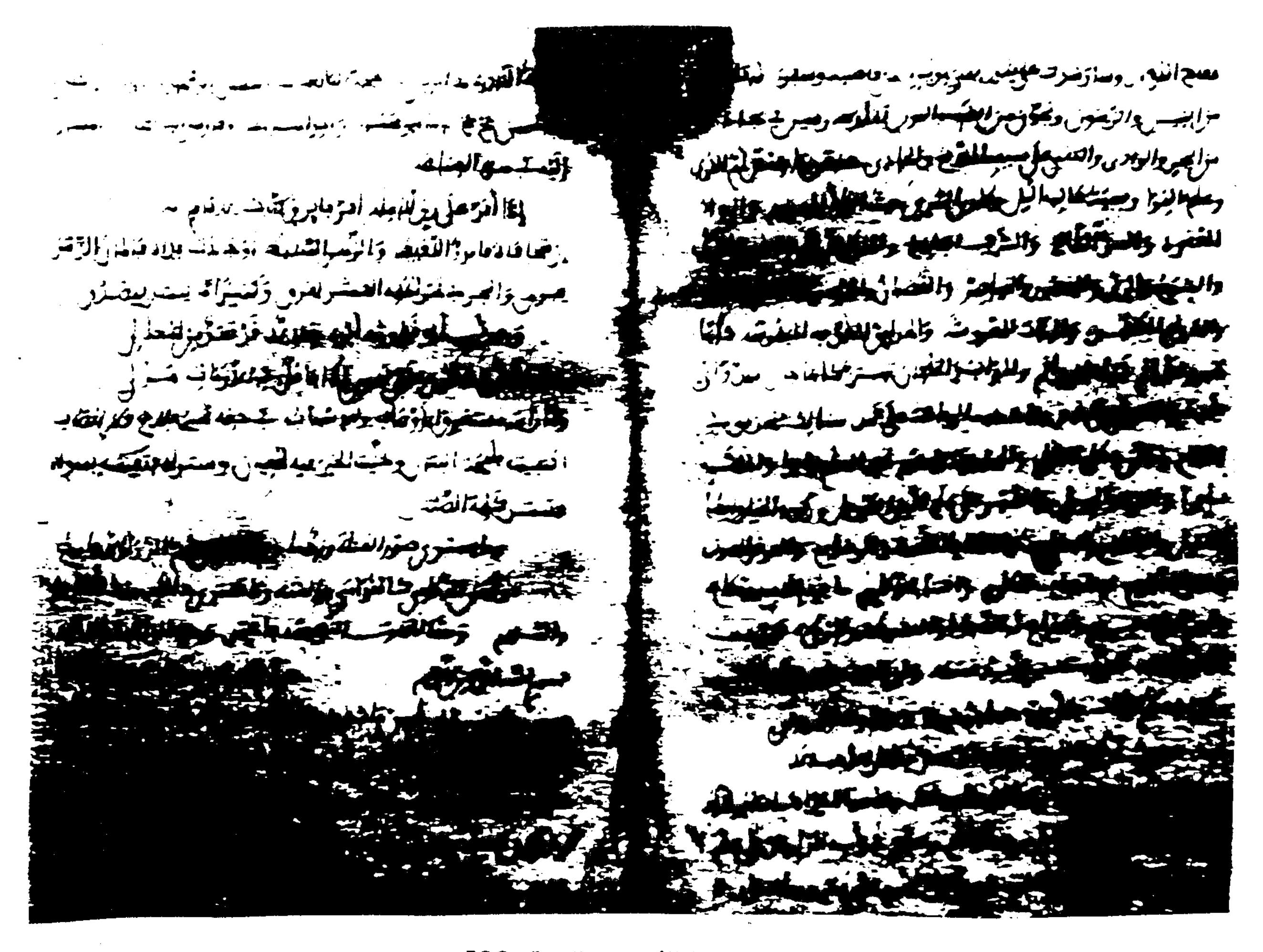
مخطوطة الأسكوريال رقم 538

[ورقة 63/ب] [64/أ]



مخطوطة الأسكوريال رقم 538

[ورقة 64/ب] [65/أ]



مخطوطة الأسكوريال رقم 538

[ورقة 65/ب] [66/أ]

[النص الأول]

[٦٢ / ب]　　　　بسم الله الرّحمن الرّحيم

صلى الله على محمّد و على آله و سلّم تسليما

كتب الشّيخ الأجل الوزير الحسيب الفقيه الكاتب الأحفل الأديب الأسرى الأمجد الأكمل أبو عمرو بن الهوزني ـــ أدام الله رفعته ـــ .

أعزّ الله الأخ [1] الوليّ و الحميم الصفيّ ، لساني الذي به أنطق ، و المعيار الذي به أفتّش و أحقّق ، الحاضر في النّفس و إن لم يحضر ، و المرآة التي بها في المشكلات أنظر ، لا زال السّعد لك خديماً ، و المجد الأثيل موازيًا و نديمًا ، و رياح المسرّة تهبّ عليك حرجفا [2] و نسيمًا ، على علمك أنّ النّفوس إذا خلصت و الأرواح إذا تعارفت ، فإنّها بظهر الغيب تتناجى، و بالمُلح اللّطائف تتراسل و تتهادى ، فإنّ الأذهان تصدأ و الفكاهة تصقلها ، و للنفوس صورٌ روحانية و الآداب تحملها . كم نفثة مصدور ، شفت من بنات الصدور ، و عندي لكم احتجاج أطول من يوم النّباج [3] ، و أبين من ضوء السّراج .

---

(١) يقصد : ابن صُقلاب .

(٢) الحرجف : الريح الباردة الشديدة ، ينظر ابن منظور [ت : ٧١١ هـ / ١٣١١ م] لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ـــ د ت ، ج ٤ ، م ٩ ، ص ٤٥ ، مادة (حرجف) .

و ينظر بيت الفرزدق [ت : ١١٠ هـ / ٧٢٨ م]

[من الكامل] :

نعم الفتى خلف إذا اعصفت　　　ريح الشتاء من الشمال الحرجف

ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٣) النباج : طعام استخدمته العرب في زمن المجاعة ، يُخلط فيه الوبر باللبن ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ١ ، م ١ ، ص ٣٧٢ ، مادة(نبج) ، و ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ مادة (منبج) ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ ، مادة (النباج) .

قال النابغة الجعدي [ت : نحو ٥٠ هـ / ٦٧٠ م]

[من الوافر] :

تركن بطانة وأخذن جدا　　　وألقين المكاحل للنبيج

ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ١ ، م ٢ ، ص ٣٧٢ ، مادة (نبج)

و يوم النباج : من أيام العرب ، مشهور لتميم على بكر بن وائل ، يقول محرز الضبي بن المكعبر

[من الطويل] :

لقد كان في يوم النباج وثيتل　　　وشطف وأيام تداركن مجزع

ينظر ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ ، مادة (النباج) .

كم غبرت فيكم أندب الغيطان [١] ، و أخاطب الجدران ، و ألازم الأفياء و الضياء ، و أنادي لو أسمع الأحياء [٢] لعلّي أظفر بنظر بدا ، و أسمع دعاء نـــدى ، ــ(أو أجد على النّار هـــدى)ــ [٣] ، هذا وبلدكم وافر، و زمانكم متوافر ، و وجه الدّهر بالمسرّات إليكم سافرٌ . نعم و بحركم [٤] رجراج ، واللّطائف منه تسريها إليكم الرّياح و الأمواج ، و لن تعدموا منه ارتفاقا و لو ببلغة المحتاج ، لكم الجواري المنشآت ، كأنّها الجياد المضمرات ، شروع تشـــرع ، و حبال تحطّ و ترفع ، و أكفّ تجذب و تدفع . قلع و قريّ و جواشن [٥] و عرى [٦] و جوار مشمخرات الذرى ، فقوام هذي الأشباح موقوف على الرّياح، لا زرع من أرضكم تنتظرونه ، و لا قوت من معالجتكم تذخرونه ، فأنتم على غيركم عيال ، و زمانكم كلّه هموم و أوجال [٧] ، لكنكم تستريحون إلى بساتينكم السّاسانيّة ، و مغانيكم الكسروانيّة ، فإنها نزهة للنّاظرين ، و بهجة للمتأملين ، أزهار كزهر [٦٣ / أ] النّجوم ، و حدائق كوشي مرقوم ،

---

(١) الغيطان : جمع غائط ، و هو الحائط ذو الشجر ، ينظر ، الجاحظ [ت : ٢٥٥ هـــ / ٨٦٩ م] البيان و التبيين ، تحقيق و شرح ، عبد السّلام محمّد هارون ، دار الجيل ، بيروت ــ لبنان ــ د ت ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .

(٢) ينظر بيت ، دريد بن الصمة [ت : ٨ هـــ / ٦٣٠ م]

[من الوافر] :

لقـــد أسمعـــت لـــو ناديـــت حـــيًّا و لكـــن لا حـــياة لمـــن تـــنادي

يـــنظر ، المـــيداني [ت : ٥١٨ هـــ / ١١٢٤ م] مجمع الأمثال ، قدّم له وعلّق عليه ، نعيم حسن زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ــ د ت ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، رقم المثل ٢٨٩١ ، و الخويّي [ت : ٥٤٩ هـــ / ١١٥٤ م] فرائد الخرائد في الأمثال ، ط ١ ، تحقيق ، د : عبد الرّزاق حسين ، دار النفائس للنشر و التوزيع ، عمان ــ الأردن ــ ١٤٢٠ هـــ / ٢٠٠٠ م ، ص ٤٠٨ ، رقـــم المثل ١١٧٢ ، و ابن عاصم [ت : ٨٢٩ هـــ / ١٤٢٥ م] حدائق الأزهار ، تحقيق ، د : عبد العزيـــز الأهـــواني : مقال ، (أمثال العامّة في الأندلس) ، دراسة مهداة إلى : طه حسين في عيد ميلاده السبعين [٧٠] ، من أصدقائه ، و تلامذته ، أشرف عليها : عبد الرّحمن بدوي ، دار المعارف ، القاهرة ــ مصر ــ ١٣٨٢ هـــ / ١٩٦٢ م ، ص ٣٠٢ ، رقم المثل ٦٥ .

(٣) اقتباس من سورة طه ، رقمها ٢٠ (مكية) آية رقم ١٠ ، و تمامها ــ(إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى)ــ تم قراءة الآية الكريمة على ما يوافق رواية : ورش [ت :١٩٧هـــ/ ٨١٢ م] لقراءة : نافع [ت : ١٦٩ هـــ /٧٨٥ م] .

(٤) إشارة أخرى على أنّه يقصد مدينة المريّة AL MARIA .

(٥) الجواشن : مفردها جوشن ، و هو الصدر ــ الوسط ــ من الإنسان و الليل .

قال ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي [ت : ١٦ هـــ / ٦٣٧ م]

[من الطويل] :

وفتـــيان صـــدق قـــد صـــبحت ســـلافة إذا الديـــك في جـــوش مـــن الليـــل طـــربا

ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٣ ، م ٦ ، ص ٢٧٧ ، مادة (جوش) .

(٦) العرى ــ بضم العين ــ سادات القوم الذين يعتصم بهم الضعفاء ، و يعيشون بعرفهم ، و قد شبهوا بعرى الشجرة العاصمة ، الماشية في الجذب ، ينظر ، ابن منظور : المصدر نفسه ، ج ٢ ، م ٤ ، ص ٥٥٧ ، مادة (عرر) .

(٧) الوجل : الفزع و الخوف ، ينظر ، ابن منظور ، اللسان ، ج ٥ ، م ١١ ، ص ٧٢٢ ، مادة (وجل) .

طرّزها السّحب و الغمائم ، و ادّخرها لكم عدّة للعمائم ، فسرح طرفك فيما شئت من روض أنيق ، وحسن رقيق ، إلى التّربة الثّرية ، و النّفحة العنبريّة ، و المنابت الهندية . أغصان تعتنق ، و خلجان تتلقى و تفترق ، و رياحين على نظام تتسق ، تتعانق بها الغصون كما تتلقى الدّوائر ، و تشدو عليها الأطيار ، فتقول القيان خلف ستائر ، و تنكسر تحتها الأمواه ، فكأنما أنبعتها الغواني من حسن المحاجر .

فإن عدلتم إلى الأهلين التي هي أرواح الدّيار ، و القطب الذي عليه المدار ، قلنا : ـــ أرشدكم الله ـــ أين العلم و العلماء و الجهابذة العظماء ؟ أين الأدب و بنوه و كيف أضعتموه و لم تأووه ؟ [١] كأنما جعلتموه في جوف سخلة [٢] ، أو رميتم به في سعف نخلة ، لا تلقى إلاّ جاهلا همّه كمّه ، و همّتهبزّته ، لا يدعو يوم الجدال بـــنـــزال، و لا يتهمّم إلاّ بشارب و سبال [٣] ، و لا يهزأ إلاّ بذقن

---

(١) في الأصل : تووه .

(٢) الســـخلة : ولـــد الشاة من المعز و الضأن ذكرا كان أو أنثى ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٥ ، م ١١ ، ص ٣٣٢ ، مادة (سخل) .

و ينظر، قول بشار بن برد [ت : ١٦٧ هــ / ٧٨٤ م]

[من البسيط] :

قـــل للأمـــين: جـــزاك الله صـــالحة ... لا يجمـــع الله بـــين السّـــخل و الذيـــب

الســـــخل يعـــلم أنّ الذئـــب آكلـــه ... و الذئـــب يعـــلم مـــا بالســـخل من طيب

ديـــوان شعر بشار بن برد : جمعه وحققه : السيد بدر الدّين العلوي ، دار الثقافة ، بيروت ـــ لبنان ـــ ، د ت ، ص ٢٩ ، رقم القصيدة ٣٣ .

و تروى لأبي نواس [ت : ١٩٨ هــ / ٨١٤ م]

.... لا تجمـــع الدّهـــر بـــين السّـــخل والذيب

.... و الذيـــب يعـــلم مـــا في السّخل من طيب

ديوان أبي نواس ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٤٠٢ هــ / ١٩٨٢ م ، ص ٨٤ .

و رواية الصولي [ت : ٢٤٣ هــ / ٨٥٧ م] للديوان :

.... لا يجمـــع الدّهـــر بـــين السّـــخل والذيب

فالســـــخل يعـــلم أنّ الذئـــب آكلـــه ... و الذيـــب يعـــلم مـــا في السّخل من طيب

ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تحقيق ، د : بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ـــ العراق ـــ ١٤٠٠ هــ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٧١ .

(٣) السبال : ما على الشارب من الشعر ، و قيل : طرفه ، و قيل : هو ما على الذقن إلى طرف اللحية ، ينظر ،ابن منظور : اللسان ، ج ٥ ، م ١١ ، ص ٣٢١ ، مادة (سبل).

و ينظر بيت ، عنترة بن شداد [ت : نحو ٢٢ ق هــ / ٦٠٠ م]

و قذال [١] ، كسرة مصونة ، و عرض مُذال ، يحمل من العنجهيّة [٢] أوقارًا ـ(كمثل الحمار يحمل أسفارًا)ـ [٣] .

فإن قلتم : لسنا أصحاب علوم و دراية ، و نقل و رواية ، و إنّما نحن التّجار أهل الأمانة ، عنّا أخذت ، و عندنا العفّة و الصّيانة ، قلنا : ـ عافاكم الله ـ أين المالية و الملاّ و الحالية و الحلاّ ؟ أين البزّة و الشّارة ، و المناظر التي تردّ عيون النظّارة ؟ و أين البضائع التي تتّسع ذممها ، و يُحفى ضبطها قلمها، ويرفع لساري اللّيل نارها وعلمها ؟ لست أرى إلاّ محتاجا يتكفّف، و بياعا في بجاد [٤] من الكساد

[من الوافر] :

وفـيـهم كـلّ جـبّار عنـيـد ... شـديد البـأس مفـتول السـبال

ديـوان عنترة ومعلقته ، قام بتحقيقه الأستاذ : خليل شرف الدّين ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤٩٨ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٢٢٩ .

(١) القذال : ـ بفتح القاف ـ جماع الرأس من الإنسان و الفرس ، ينظر، ابن منظور : اللسان ، ج ٥ ، م ١١ ، ص ٥٥٣ مادة (قذل) .

و ينظر قول الأعشى الكبير [ت : ٠٧ هـ / ٦٢٩ م]

[من المتقارب] :

أضـافوا إلـيه فـألوى بهـم ... تقـول جـنونًا و لـمـا يجـن

و لم يـلحقوه عـلى شـوطه ... وراجـع مـن ذلّـة فاطمـأن

سمـا بتلـيل كجـذع الخصـا ... ب حـرّ القـذال طويـل الغسـن

ديوان الأعشى الكبير ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٨ .

(٢) العنجهية : الجهل و الحمق ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٦ ، م ١٣ ، ص ٥١٣ ، مادة (عجه) .

و ينظر بيت حسّان بن ثابت [ت : ٥٠ هـ / ٦٧٠ م]

[من الطويل] :

و مـن عـاش مـنّا عـاش في عنجهـيّة ... عـلى شـظف مـن عيشـه المتـنكّد

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ٧٤ .

(٣) اقـتباس مـن سورة الجمعة ، رقمها ٦٢ (مكية) آية رقم ٠٥ و تمامها ـ(مثل الذين حملوا التوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله و الله لا يهدي القوم الظالمين)ـ .

(٤) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٢ ، م ٣ ، ص ٧٧ ، مادة (بجد) .

و ينظر بيت امرئ القيس

[من الطويل] :

كـأنّ أبانـا في أفـانين ودقـه ... كـبير أنـاس في بجـاد مـزمّل

ديوان امرئ القيس ، ص ٢٥ ، (المعلقة) .

يتلفّف، يرضى بالذّرة ، و لا يعرف معنى المسرّة إلاّ في الصّرة ، قد اقتصر على معيشته المجدية ، و انحجز في قرية غير مخصبة .

فإن قلتم : لسنا من أهل هذا الشّان ، في هذا الأوان ، نحن صرعى سيوف ، و بقايا فتن و حتوف ، نعدّ بالآحاد بعد أن كنّا نعد بالألوف ، أنحى بكلكله على ذمنا الأبد ، و أخنى علينا الذي أخنى على لبد[1] فلم يبق فينا اليوم من بقيّة إلا رّسوم هذي الجنديّة ، قلنا : ـــ عافاكم الله ـــ أين ادّراع اللّيل ، وامتطاء الخيل ؟ و أين لجب[2] الجيوش و العساكر ؟ /٦٣/ب/ أم أين الأسرة و المنابر ؟ أين الألوية و البنود ، و المقانب[3] و الوفود ؟ أين جرُّ الذّيول و الذّوائب ؟ و قراعُ الدّساكر و الكتائب ؟ أين الأسلحة الرّائقة و الخيول الفارهة الفائقة ؟ أين الغارة على الأعداء ؟ أين الإجابة للنّداء ؟ أين إعمال الرّمح

---

(١) ينظر بيت : النابغة الذبياني [ت : نحو ١٨ ق هـ / ٦٠٤ م]

[من الكامل] :

أضحت خلاء و أضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ديوان النابغة الذبياني ، جمعه : محمّد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ـــ تونس ـــ و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ـــ الجزائر ـــ ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٧٨ ، (و في رواية أخرى) :

أمست خلاء و أمسى أهلها احتملوا ... .

ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق و شرح ، كرم بطرس البستاني ، دار بيروت ـــ لبنان ـــ ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، ص٣١ .

(٢) اللجب : ارتفاع صوت العسكر و اختلاطه ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ١ ، م ١ ، ص ٧٣٥ ، مادة (لجب) .

و بيت أبي تمام [ت : ٢١٣ هـ / ٨٤٥ م]

[من البسيط] :

لم يغز قوما و لم ينهض إلى بلد ... إلاّ تقدّمه جيش من الرّعب

لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا ... من نفسه وحدها في جحفل لجب

ديوان أبي تمام : ط ١ ، شرح و تعليق ، د : شاهين عطية ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م ، ص ١٦ .

(٣) المقانب : ـــ بكسر الميم ـــ مفردها مقنب ، و المقنب من الخيل ، ما بين الثلاثين [٣٠] إلى الأربعين [٤٠] ، و قيل : زهاء ثلاثمائة [٣٠٠] ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ١ ، م ١ ص ٦٩٠ ، مادة (قنب) .

و ينظر بيت : لبيد بن ربيعة [ت : ٤١ هـ / ٦٦١ م]

[من الطويل] :

بذي بهجة كنّ المقانب صوبه ... و زينه أطراف نبت مشرّب

ديوان لبيد بن ربيعة العاكري ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٢٩ .

ذي الأنابيب ؟ أين الصّراخ وقرع الظنابيب ؟ [1] لستم من ذا الشّان ، و لا تجرون في هذا الميدان، ولاتسابقون فيه يوم رهان .

فإن قلتم : نحن طورًا أهل فلاحة ، و حينًا أهل سباحة ، يتعاون عندنا الحاضر و البادي ، و يلتقي ببلدنا الملاّح و الحادي ، قلنا : ـــ أصلحكم الله ـــ أين مُرْدُ رعاتكم التي تزرعونها ؟ أم أين زكواتكم التي منها ترفعونها ؟ ما رأينا عمّالكم إلاّ يتضوّرون من الجوع ، و يدعون إلى ديارهم بوشك الرّجوع ، أحوالهم ببلدكم أضيق من خرق الإبرة و مساكنهم فيه أخرج من مجال الظفرة ، و لولا المشحذ ما شبعوا عندكم من كسرة ، فلا بالبحر لكم سفنٌ مشهورة ، و لا بالبرّ بضائع موفورة ، و إنما يميركم [2] النّاس ، و تشكون بالفلاس و الإفلاس ، فاقتصروا من هذه الدّوكة [3] على جبر الشّوكة ، و ارضوا من الدّنيا بالإبساس [4] و لا تفخروا ببلد و لا ناس ، فجرحكم لا يوسى ، و بلدكم من الفضائل أفرغ من فؤاد أم

---

(١) ينظر بيت : سلامة بن جندل [ت نحو : ٣٢ ق هـ / ٦٠٠ م]

[من البسيط] :

كـنّا إذا مـا أتانـا صـارخ فـزع ... كـان الصّـراخ لـه قـرع الظنابيـب

الجـاحظ : البيان والتبين ، ج ٣ ، ص ٨٤ ، و الضبي [ت : ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م] المفضليات ، ط ٧ ، تحقيق ، أحمد محمـد شاكر ، و عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ـــ مصر ـــ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٢٤ ، رقم القصيدة ٢٢ ، و المـبرّد [ت : ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م] الكامل في اللغة و الأدب ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بـيروت ـــ لبـنان ـــ ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ج ١ ، ص ٣٣ ، و الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ١١٣ ، رقم المثل ٢٨٤٠ ، و فيه (إنّا إذا ما أتانا صارخ فزع) ، و البكري [ت : ٤٧٨ هـ / ١٠٨٧ م] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حقّقه ، و قدّم له و علّق عليه ، د : إحسان عباس ، و د : عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة و مؤسسة الرّسالة ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ٣٣٣ ، و القـرطبي [ت : ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م] ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـــ لبنان ـــ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج ٩ ، ص ٣٥٧ ، ج ١٣ ، ص ٢٦٤ ، ج ١٤ ، ص ٣٥٢ .

(٢) يـنظر المثل العربي : " ما عنده خير و لا مير " قال الميداني : " إنّ الخير هو كلّ ما رزقه الناس من متاع الدنيا ، و المير ما حلب من الميرة ، و هو ما يتقوّت به الناس ، أي ليس عنده خير عاجل ، و لا يرجى منه أن يأتي بخير آجل " ، مجمع الأمثال، ج ٢ ، ص ٣٣٧ ، رقم المثل ٣٨٩٥ ، و العسكري [ت : ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م] جمهرة الأمثال ، ط ١ ، ضبطه و كتب هوامشه و نسّقه ، د : أحمد عبد السّلام ، و خرّج أحاديثه : أبو هاجر محمّد سعيد البسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبـنان ـــ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ، رقم المثل ١٨٩١ ، و ابن منظور : اللسان ، ج ٣ ، م ١٥ ، ص ١٨٨ ، مادة (مير) .

(٣) الدوكة : دقّ الشيء و سحقه ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٤ ، م ١٠ ، ص ٤٣٠ ، مادة (دوك) .

(٤) البسيسة : نوع من الدقيق أو الشعير يخلط بالزيت أو السّمن ، و يؤكل دون أن يطبخ ، و منه قول الراجز :

لا تخـبزا خـبزا و بسّـا بسّـا ... ولا تطـبخا بـمـناخ حبسـا

ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٣ ، م ٦ ، ص ٢٦ ، مادة (بسس) .

موسى [١] .

قالوا : إذن غلبتنا بالبلاغة الهوزنيّة [٢] ، و قطعتنا بالحجج الأدبية ، فلا نأخذ معك عند المجادلة سهلاً ولا حَزْنًا ، و لا نقيم معك في المحاورة وزنًا ، فنحن نجاريك على تقيّة [٣] ، و إن أنصفت إنّ عندنا لبقية ، و كيف و عندنا ذو الغُرَّة البهيّة و النّفس الأبيّة ، و السّجايا الحلوة الألمعيّة ، إن ذكر العلم فهو حامل علمه الأرفع ، و مهبّ رياحه الأربع

[من الطويل] :

فتى لو رأته الشّمس ألقت قناعها أو القمر السّاري لألقى المقالدا[٤]

جارى الأمجاد فسبقهم متمهّلا ، و ملأ نفوس الأملاك و الرّؤساء إذ قابلهم متهلّلاً ، إن ناظرته وجدت عطارد [٥] في بيته ، أو لحظته رأيت كسرى في دسته ، وقارٌ لو قابلته الجبال لخفّت ، و حسنٌ لو تحلّته اللّيالي لشمخت على البدر و استخفت ، [٦٤ / أ] فالفضائل كلّها تؤخذ عنّا ، إذ و هذا الشّريف الماجد منّا . نعم و لقد فخر به الفلك المدار ، فكيف بلدنا على سائر الأمصار ؟ قلت لهم : مَنْ هذا الماجد؟

[من السريع] :

فليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[٦]

و في قوله تعالى — (و بسّت الأرض بسّا) — أي صارت كالدقيق ، سورة الواقعة ، رقمها ٥٦ (مكية) آية رقم ٠٥ .

(١) اقتباس من قوله تعالى — (و أصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كانت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين)— سورة القصص رقمها ٢٨ (مدنية) آية رقم ١٠ .

(٢) نسبة إلى صاحب النصّ : الهوزني .

(٣) التقيّة و التقاة : معناه أنهم يتقون بعضهم بعضا ، و يظهرون الصلح ، و باطنهم بخلاف ذلك .

(٤) البيت للأعشى الكبير ، و رواية صدر البيت :

فتى لو ينادي الشمس ألقت قناعها ....

ديوان الأعشى الكبير ، ص ٤٤ .

(٥) عطارد : كوكب لا يفارق الشمس ، يعرف بكوكب الكتاب ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٢ ، م ٣ ، ص ٢٩٥ ، مادة (عطرد) .

(٦) البيت لأبي نواس ، و رواية صدر البيت :

و ليس لله بمستنكر ....

ديوان أبي نواس ، ص ٢١٨ .

فقالوا : ما لك تزوي معرفتك عنّا ، و تسأل عنه و أنت أعرف به منّا ؟ ألست القائل بفضائله ، والمتوسّل إلى المعالي بوسائله ؟ ألم تكن القريب منه و إن كان بعيدًا ؟ ألم يُربّك قدْمًا و ليدًا ؟ [1] ألم يفضح عندك عبدة [2] و عبيدًا [3] ؟ هو ثمر الألباب ، و لباب اللّباب ، و أحد الأمجاد ، و واسطة عقد الكتّاب [4] ، الوزير الأجلّ أبو بكر ابن الوزير أبي عبد الله ابن الوزير أبي الحسن بن صقلاب .

فقلت : أنصف القارة من راماها [5] ، و أساميًا لم تزده معرفة ، و إنّما لذّة ذكرناها ثمّ انصرفت إليهم

---

(١) اقتباس من قوله تعالى ــ(قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)ــ سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ ، (مكية) آية رقم ١٨ .

(٢) هــو عــبدة بن الطبيب بن عمرو بن ولعة بن أنس ... شاعر مجيد أدرك الإسلام فأسلم ، ينظر ، الضبيّ : المفضليات ، ص ١٣٤ .

(٣) هو عدي بن الأبرص بن عوف بن حذم ... شاعر جاهلي من المعمرين ، شهد مقتل حجر أبي امرئ القيس ، ينظر ، ابن سلام الجمحي [ت : ٢٣١ هــ / ٨٤٥ م] طبقات فحول الشعراء ، شرحه : محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ــ مصر ــ ١٢٧٢ هـــ / ١٩٥٢ م ، ص ١١٦ ، رقــم الترجمة ١٢٥ ، و ابن قتيبة [ت : ٢٧٦ هــ / ٨٨٩ م] الشعر و الشعراء ، نشر و توزيع دار الثقافة ، بيروت ــ لبنان ــ ١٣٨٤ هــ / ١٩٦٤ م ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(٤) يغلب على الظن أنه يقصد الجوهرة رقم ١٣ من فرش كتاب الخطب ، و هي واسطة كتاب : ابن عبد ربه [ت : ٣٢٨ هــ / ٩٤٠ م] ، يــنظر ، العقد الفريد ، شرحه و ضبطه و عنون موضوعاته و رتّب فهارسه : أحمد أمين ، و أحمد الزين ، و إبراهيم الأبــياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٢ هــ / ١٩٨٢ م ، ج ٤ ، ص ٥٤ ، و ينظر : جبرائيل جبّور : ابن عبد ربه و عقده ، ط ٧ ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٠ هــ / ١٩٧٩ م ، ص ٥١ .

(٥) القارة ، قبيلة ، و هي أرمى العرب ، يقال : التقى رجلان أحدهما قاري ، فقال : إن شئت صارعتك ، و إن شئت سابقتك ، و إن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت المراماة ، فقال القاري : قد أنصفتني ، و أنشأ يقول [من الرمل] :

قــد أنصــف القــارة مــن راماهــا ... إنّــا إذا مــا فــئــة نلقاهــا

نــرد أولاهــا عــلــى أخــراهــا

و قيل : هي حرب دارت بين قيس و بكر ، ينظر ، الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، رقم المثل ٢٧٦٧ ، و الخوبي : فرائد الخــرائد ، ص ٤٠٥ ، رقــم المــثل ١١٦٦ ، و ابن حجر العسقلاني [ت : ٨٥٢ هــ / ١٤٤٨ م] فتح الباري شرح صحيح البــخاري ، رقــم كتبه و أبوابه و أحاديثه : محمّد فؤاد عبد الباقي ، و قرأ أصله ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، د ت ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ، رقم الحديث ٣٩٠٥ ، ج ٧ ص ٣٧٩ ، رقم الحديث ٤٠٨٧ .

و في رواية أخرى :

إنّــا إذا مــا فــئــة نلقاهــا ... نــردّ أولاهــا علــى أخــراها

نــــردّها دامــــيــة كلامــا ... قــد أنصــف القــارّة مــن راماهــا

ابن بسام الشنتريني : الذخيرة : ق ٣ ، م ٢ ، ص ٧٢٣ ، و ينظر رواية أخرى عند : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٣١١ ، و الضــبي : أمثال العرب ، ط ١ ، قدّم له و علّق عليه ، د : إحســان عباس ، دار الرّائد العربي ، بيروت ــ لبنان ــ

برأي غير مأفون [١] و قلت : اخسأوا فيها و لا تكلّمون [٢] ، لا نامت لكم عين قريرة ، و لا عدمتم مني مداجاة أو غفيرة ، متى سلّمته لكم أهل الجزيرة ، أليس كلّ منهم يطلب فيه واجبه ؟ و هل هو إلاّ علم الأندلس قاطبة ؟ دعوا المطامع عنكم ، فإشبيلية أولى بــه منكم . إن سلمته لها سائر الأمصار ، فحُقَّ لها به يوم الفخار ، فقالوا : لا تحرمنا حقّنا ، و وفّنا قسطنا ، لنا فضل الجوار ، و قرب الدّار ، فقد جمع الله الفضائل عندنا به جملة و عند النّاس أفذاذًا ، فحسبنا من جميع المعالي كلّها هذا ، رضينا به عن جميع الحقوق ، فلا تخرجنا إلى العقوق ، فقلت لهم : هذه الوسيلة و إنها لفضيلة ، و الحقّ خيرُ ما قال القائل ، و الرّجوع إليه خيرٌ من التّمادي في الباطل ، فسلّمته إليهم ، و انصرفت عنهم ، بعد السّلام عليهم .

١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٠٦ ، رقم المثل ٧٦ ، و العسكري : جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ٤٩ ، رقم المثل ٣٢ ، و البكري : فصل المقال ، ص ٢٠٤ ، ، وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٤ ، مادة (قارة) ، و ابن منظور : اللسان ، ج ٣ ، م ٥ ، ص ١٢٣ ، مادة (قور) .

(١) المــأفون : ضــعيف العقل و الرأي ، و في المثل : " البطنة تأفن الفطنة " ينظر ، الجاحظ : البيان و التبيين ، ج ٢ ، ص ٨١ ، والميداني : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ١٥٠ ، رقم المثل ٦٣٤ ، و الخوئي : فرائد الخرائد ، ص ٨٧ ، رقم المثل ٢٠١ ، و فيه " البطنة تذهب الفطنة " ، وابن منظور : اللسان ، ج ٦ ، م ١٣ ، ص ١٩ ، مادة (أفن) .

و ينظر ، بيت البحتري [ت : ٢٨٤ هـ / ٨٩٨ م]

[من الكامل] :

والــرّزق للــيقــظ المشــيّع رأيــه — بالعــــزم لا للعاجــــز المــــأفــون

ديوان البحتري ، ط ٣ ، عني بتحقيقه وشرحه و التعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة — مصر — د ت ، ج ٤ ، ص ٢٢٣٣ .

(٢) اقتباس من قوله تعالى ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ سورة المؤمنون ، رقمها٢٣ (مكية) آية رقم ١٠٨ .

[النص الثاني]

فجاوبه الشّيخ الأجلّ الفذّ الأوحد ، و السريّ الأمجد ، الأديب الأحفل الكاتب الأبرع الأخصل الأكمل أبو بكر بن صُقلاب ــ أدام الله رفعته ــ :

[٦٤ / ب] بسم الله الرّحمن الرّحيم

صلى الله على محمّد و على آله و سلّم

[من الطويل] :

أتتــــنــي مــن وشي البديــع وشيجــة ... تــبهرج عــنها وشــي صــنعاء و اليمن

فقلــت وقد راقت حُلاهَا وأشرقت علاها ... لمــن هــذي الحــلى و العــلى لمــن ؟

فقــالوا : لمــــن رام الورى كتم فضلــه ... فناقضــهم فــيه عــلى غــدره الــزمن

زعــيــم بــنــي العليــاء وابــن زعيمها ... أبــو عمــرو بــن الهــوزني أبي الحســن

فقلــت لهــم : بيــت عتــيق بناؤه ... لمــن ينتمي ؟ قالوا : لسيف بن ذي يزن[١]

أيها الهادر في شقشقة الكلام ، النّادر في صفة الكرام ، القادر على تصنيف الرّقاع و تصريف الأقلام، رويدك ، لا تتوقّل [٢] بنا رويدك ، و تسقنا حويلك في البلاغة و أيدك ، و قد ضمنت خطفة البارق ، و خطوة السّابق قيدك . أإن برعت ربيًا ، و أوتيت الحكم صبيًا [٣] ، و لو تحدّيت بما أدّيت من الخطابة

(١) ســيف بن ذي يزن : هو أبو مرّة سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن يزيد بن سهل بن عمرو الحميري ، من ملوك العرب اليمنيين ، قيل : اسمه سعد يكرب ، ولد و نشأ في صنعاء [ت : ٥٠ ق هــ] ينظر عنه ، اليعقوبي [ت : بعد ٢٩٢ هــ / ٩٠٥ م] تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، دار بيروت ، بيروت ــ لبنان ــ ١٣٧٩ هــ / ١٩٦٠ م ، ج ١ ، ص ١٦٥ ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، والطــبري [ت : ٣١٠ و قيل ٣١١ هــ / ٩٢٢ ، ٩٢٣ م] تاريخ الأمم والملوك ، ط ١ ، دار الكتب العلمــية ، بــيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٦ م ، ج ١ ، ص ٤٤٤ ، ج ١ ، ٤٥٢ ، وابن الأثير [ت : ٦٣٠ / ١٢٣٣ م] الكــامل في الــتاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٥ هــ / ١٩٨٥ م ج ١ ، ص ٣٤٦ ، وابن الوردي [ت : ٧٤٩ هــ / ١٣٤٨ م] تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤١٧ هــ / ١٩٩٦ م ، ج ١ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) التوقّل : الإسراع في الصعود ، ينظر ابن منظور : اللسان ، ج ٥ ، م ١٢ ، ص ٧٣٣ ، مادة (وقل) .
و ينظر بيت صفي الدين الحلّي [ت : ٧٥٠ هــ / ١٣٤٩ م]

[من الطويل] :

أمــيــل بــه بالــهــل مــرتفقا بــه ... فــيحزنه إلاّ الــتوقّل في الحــزن

صفي الدين الحلي : الديوان ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ــ ١٣٨٢ هــ / ١٩٦٢ م ، ص ٢٨ .

(٣) اقتباس من قوله تعالى ــ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ــ سورة مريم ، رقمها ١٩ (مكية) آية رقم ١٢ .

كنت نبيًا ، ترقيت في الأسباب [١] ، و ولجت من البديع كلّ باب ، و لعب سحرك كيف شاء بلباب الألباب ، لعب الصّهباء بالعقول ، و النّكباء [٢] بالغصن المطلول [٣] .

لقد جئت بمعجز نظمه و اتساقه معوز ، على أهل الطريقة نيله و لحاقه مبرّز فلا يجحد فضله و لاينكر سباقه ، أتُراك لله أبٌ نمّاك ؟ في فيفاء تميم ربيت ، و مساقط الغمام رعيت ، و مُكون الظّباء ببادية الأعراب تغذيت ؟ أم في بني سعد أقمت ، و ثدي كرائمها تلقّمت ، و من سَلْخِ حباب اليباب فوّفت الصحيفة و رقّمت ؟ [٤] .

[من الخفيف] :

ريقـهـا ريـق نحـلـة وحـباب　　　حـين يجـري لعابـها فـي الكتـاب

أم إلى الفلك الدّائر ارتقيت ، و في النّجوم الزّواهر تخيرت و انتقيت ، و بعطارد اجتمعت هنالك والتقيت ، فأعطاك من الصّنعة ما أعطى ، و أراح خاطره و توسد الأرطى [٥] ما هذه الرياسة في

---

(١) اقتباس من قوله تعالى ـ(أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ)ـ سورة ص ، رقمها ٣٨ ، (مكية) آية رقم ١٠ .

(٢) النكباء : الريح الشديدة التي تهلك المال و تحبس المطر ، ينظر ، ابن منظور: اللسان ، ج ١ ، م ١ ، ص ٧٧١ ، مادة (نكب) .

و ينظر بيت أبي تمام

[من البسيط] :

مـا للشتـاء و مـا للصـيف من مثل　　　يـرضـى بـه السـمع إلاّ الجود والبخـل

أمـا تـرى الأرض غضـبى و الحصى قلقًا　　　والأفـق بالحـرجـف النكـباء يقتتـل

ديوان أبي تمام ، ص ٣٧٧ .

(٣) المطلول الندى ، ينظر : ابن منظور : اللسان ، ج ٥ ، م ١١ ، ص ٤٠٥ مادة (طلل) ، و قول الشريف الرضي [ت : ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م]

[من الكامل] :

تلـك الغمامـة كـان بـارق خالهـا　　　لـو أنسـت الأيـام غـير مخـيل

كـنا نؤمّـل أن نجلّـي صـوبها　　　عـن أخضـر عـضّ الجـنى مطلـول

الشريف الرضي ، الديوان ، ط ١ ، شرح ، د : يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

(٤) إشارة إلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلّم ببادية الأعراب .

(٥) الأرطى : شجر ينبت بالرّمل ، له رائحة طيّبة ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٣ ، م ٧ ، ص ٢٥٤ ، مادة (أرط) .

اللسان، من مكاسب الإنسان ! و لا التألق [٦٥ / أ] في البديع ، و نقل النّجوم إلى الرّقاع من الرّقيع ، من كتب تدرس ، و علوم تقبس و روايات تنقل ، و درايات تضبط و تعقل ، إنّما هي هبة الحقّ ، و زيادة لله في الخلق .

[من البسيط] :

أي سطور كتبن مثنى | في مثلها يحسن الثناء
يقول في الحسن من يراها | (يزيد في الخلق ما يشاء) ـ[1]

إيه و مع التّسليم و الاعتراف لك بالتقديم ، فلا بُدّ من السّبر و التقسيم ، و الاحتجاج معك لهذا الإقليم ، لكل بلد رجال ، و في كلّ حلبة شأوٌ على قدرها و مجال ، و هذه المدرّة ، و كلّ شيء باد ، و لا يبقى إلا الواحد [2] الرّائقة ديباجا ، المنصوبة على مفرق البحر تاجًا ، قد كانت دار ملك ، و مرفأ شوان [3] ، و فلك و مغصّ للعدا من ديلم و ترك ، منها كان الغزاء البعيد ، و على ضفتها عقد اللواء السّعيد ، و إلى برّها طويت المراحل ، و من ساحلها ريعت على القديم السّواحل .

و ينظر بيت ، سويد بن كراع العُكلي [ت : نحو ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م]

[من الطويل] :

وما زال حتى قلت لابدّ أنّه | مسامي الوحيد وازدهته الجرائم
وحتى ترى الأرطى بخشب كأنّه | من الطّلع إنتاج اللقاح الرّوائم

شعر : سويد بن كراع العكلي ، صنعه ، د : حاتم صالح الضان ، مجلّة المورد ، بغداد ـ العراق ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، م ٨ ، العدد١، ص ١٥٨ ، رقم القصيدة ١٢ .

(١) اقتباس من قوله تعالى ـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)ـ سورة فاطر، رقمها ٣٥ (مكيّة) ، آية رقم ٠١ .

(٢) اقتباس من قوله تعالى ـ(كلّ من عليها فان (٢٦) و يبقى وجه ربّك ذو الجلال و الإكرام (٢٧))ـ سورة الرّحمن رقمها ٥٥ (مدنية) آية رقم ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) الشواني : هي السفن الحربية الكبيرة ، كانت من أهم القطع الكبيرة التي يتكون منها الأسطول في الدول الإسلامية ، ينظر ، درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ـ ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩م ، ص ٨٣

و ينظر بيت ابن حمديس الصقلي [ت : ٥٢٧هـ / ١١٣٣ م].

[من الوافر] :

فردّ الله بأسهم عليهم | فرجّهم بصفقتهم خسار
و خافوا من مناياهم وفرّوا | فدافع عن نفوسهم الفرار

[من السّريع] :

مــــا مــــرّ يـــــومٌ إلاّ وعـــــندهما لـحـــمُ رجـــال أو يـــولـــغان دمـــا

بها شقي الكفر و خرّبت دياره و إليها جلب من كلّ شيء خياره ، فجواريها شحن جواريها ، وشوانيها ملء شوانيها. كم عقدت من [أُسد خيسه، و سبت من رقش و ريسه ، و خلعت من لسان بيعة و كنيسة] (١) ، و هذا ــ يعلم الله ــ مَنقبٌ، و لكلّ معلوّة مرقبٌ ، إلى ما حوى سورها المحيط ، و قطرها الغبيط ، من ذخائر أنفاس ، و أكابر من النّاس ، طلقوا الدنيا ثلاثا (٢) ، و نقضوا غزلها انكاثا (٣)، و ساروا يطيرون إلى الجنة حثاثا ، عقلة ، نقلة ، صبرٌ على قراع الكتائب ، غبرٌ من الصّوم الدائب ، شهمٌ سهمٌ ، و سَلْ تخبر ، من تلك المآثر الغابرة و الأثر، فإن قيل : الفخر بالعظم الرّميم ضعيف و إن كان من الصّميم ، و أمّا الآن و قد ذهب أطيباه (٤) ، و خشت رباه ، و حلّت يد الفتنة حباه ، فحلّ لك و بلّ ، التطوّر فيه بالأطوار ، و النّزول عن الأكوار، هازئا تطلب في عمــه الظلمة وضح الأنوار ، و في سباخ

و قــــد جعلـــوا لهـــم شــــرع الشّـــواني مــــع الأرواح أجــــنحة و طــــاروا

ديوان ابن حمديس ، صحّحه و قدّم له ، د : إحسان عبّاس ، دار صادر للطباعة و النشر ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ــ لبنان ــ ١٣٧٩ هــ / ١٩٦٠ م ، ص ٢٣٩ .

(١) كذا في الأصل ، و العبارة قلقة .

(٢) " كان لرجل من الأغنياء البصرة ابنة نفيسة فائقة الجمال فقال لها والدها : قد خطبك بنو هاشم والعرب والموالي فأبيت ، أراك تــريدين مـــالك بن دينار[ت : ١٢٧ هــ / ٧٤٤ م] وأصحابه ، فقالت :هو والله غايتي ، فقال : الأب لأخ له انت مالك بن ديـــنار فأخبره بمكان ابنتي وهواها له ، قال : فأتاه فقال : فلان يقرئك السّلام ويقول لك : إنك تعلم أني أكثر أهل هذه المدينة مالا ، وأفشاهم ضيعة ولي ابنة نفيسة وقد هويتك فشأنك وهي ، فقال مالك للرجل : عجبا لك يا فلان أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثا " ينظر ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني [ت : ٤٣٠ هــ / ١٠٣٨ م] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٥ هــ / ١٩٨٤ م ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .

(٣) اقتـــباس من قوله تعالى ــ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَـــى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ــ سورة النحل ، رقمها ١٦ (مكية) آية رقم ٩٢ .

(٤) ينظر المثل العربي : " ذهب منه الأطيبان " يضرب لمن أسن و ذهبت منه لذة الطعام و النكاح ، ينظر : الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ ، رقم المثل ١٤٨٢ ، و الخويّي : فرائد الخرائد ، ص ٢٣٠ ، رقم المثل ٦٤٨

و بيت أبي نواس

[من الوافر] :

أعـــاذل قـــد كـــبرت عـــن العـــتاب وبـــــان الأطيـــبان مــــع الشّـــباب

ديوان أبي نواس ، ص ٧٥ .

الحمأة [(١)] / ٦٥ / ب / لقاح النوّار[(٢)] ، و سأرشدك على بلد بقي بوفره من قاطنيه و سفره ، له تاجان من التين و الزيتون ، و نجيان من الضّبّ [(٣)] و النّون [(٤)] ، تقلدها رهين في نجاد ، من البحر و الوادي [(٥)] و التقى على سيفه الملاّح و الحادي ، حمص و ما حمص ؟! [(٦)] أمّ القرى ، وعلم القرى [(٧)] ، و بغية طالب اللّيل و طاوي السّرى ، حيث الظّل الممدود و الهواء المعقود ، و العزّ الشّامخ ، والشّرف الباذخ ، و المال الثريّ و القرى و القريّ ، و الشّبع و الريّ ، و القصور و القياصر ، و القضبان و المخاصر ، و العمائم المصفّرة ، و العزائم المظفّرة ، و الجنات المعروشة و الحدائق المفوّفة المنقوشة ، كأنها ظهور الأراقم[(٨)] أو أعلام راقم ، و المذاهب و الخُلجان ، تهتزُّ كأنّها جان ، بلدٌ و أيّ بلد ، قد استولى على

---

(١) الحمــأة : الطين النتن ، ينظر ابن منظور : اللسان ، ج ١ ، م ١ ، ص ٦١ ، مادة (حمأ) . و في قوله تعالى ــ﴿ ولقد خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ــ سورة الحجر رقمها ١٥ (مكية) آية رقم ٢٦ .

(٢) هو المثل الشعبي : " حتى ينور الملح " و منه " اسمن حتى ينور الملح " ، ينظر :

Mohamed Ben cheneb : Proverbes Arabes De L' Algérie Et Du Magreb , Ernest Leroux , Paris ١٩٠٥, T ١ , p ٣٧ , N° ١٢٤ .

و مــنه " لا أفعل كذا حتى يلج الجمل في سم الخياط " الميداني : مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، رقم المثل ٣٥٣٦ ، الخوّيي : فــرائد الخرائد ، ص ٤٧٦ ، رقم المثل ١٣٧٩ ، و المثل مقتبس من قوله تعاى ــ﴿ إنّ الذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها لا تفــتح لهم أبواب السماء و لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط و كذا نجزي المجرمين ﴾ــ سورة الأعراف ، رقمها ٠٧ (مكية) ، آية رقم ٤٠ .

(٣) الضب : حيوان من جنس الزواحف غليظ الجسم له ذنب عريض حرش ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٢ ، م ٢ ، ص ٥٣٩ ، مادة (ضبب) ، و ينظر بيت الفرزدق.

[من الطويل] :

إذا الضـــب أعـــيا أن يجـــيء لحرشــه فمـــا حفـــره في عيـــنه بكـــبير

ديوان الفرزدق ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(٤) الــنون : الحوت و الجمع أنوان و نينان ، و في حديث علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه : " يعلم اختلاف النينان في البحار الغامرات " ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٦ ، م ١٣ ، ص ٤٢٥ ، مادة (نون) .

(٥) هو الوادي الكبير EL GADALQUIVIR ، يقع جنوبي الأندلس و يبلغ طوله ٦٥٧ كيلومتر ، ينظر : (GDEL . Substence . GADALQUIVIR)

(٦) يقصد إشبيلية ، و قد سبق التعريف بها .

(٧) القــرى ــ بكسر القاف ــ : إطعام الضعيف ، و أمّا بفتح القاف و كسر الرّاء و تشديد الياء ، فهو مجرى الماء ، ينظر ، ابن منظور : اللســان ، ج ٦ ، م ١٥ ، ص ١٧٩ ، مادة (قرا) .

(٨) الأراقــم : مفــردها الأرقــم ، و هــو من الحيّات الذي فيه سواد و بياض ، و لا يوصف به إلاّ المذكّر ، ينظر ، ابن منظور : اللسان، ج ٥ ، م ١٢ ، ص ٢٤٩ ، مادة (رقم) ، و ينظر ، بيت عنترة بن شدّاد

[من الطويل] :

وفرّقــت جيشًــا كـــان في جنبـــاته دمـــادم رعـــد تحـــت بـــرق الصـــوارم

الأمد ، و قامت فيه الرياسة على عمد هناك ، فتحذلق في الكلام ، و تأنّق في طلب الكرام ، والجهابذة الأعلام ، تجد العلم وافرًا والملك سافرًا والقرّة والحويل [١] ، و الصّبر على دلج اللّيل الطّويل، وركوب الخيل وايطاء القتيل، والصّنائع و البضائع والعطايا الضخمة والوضائع، و العرض المصون والمال الضّائع ، لاكتساب المكارم ، واقتناء الأكارم ، ما فيه إلاّ سيّد [٢] مُطاع ، وشهمٌ شجاع ، يُريع ولا يُـراع ، له الصّفايا والنّشيطة و المرباع [٣] ، تفرّجت أكمامه وغمّمه ، عن مستنير لا يردّ قسمه ، وإن تقرّيت شرف الأبيات ، و مآثر الأعظم الرّفات ، فكلّ بيت منها جدّ سرّني ، ولا كبيت الهوزني

عـلى مهـرة منسـوبة عربـية تطـير إذا اشـتدّ الوغـى بـالقوائم

وتصـهل خوفًـا و الـرّماح قواصـد إلـيها و تنسـلّ انسـلال الأراقـم

ديوان عنترة ، ص ١٢٨ .

(١) الحويل : الشّاهد و الكفيل ، ينظر ، ابن منظور : اللسان ، ج ٥ ، م ١١ ، ص ١٩٧ ، مادة (حول) ، و ينظر ، بيت جرير [ت : ١١٠ هـ / ٦٤٠ م]

[من الوافر] :

ألا هـل للخلـيفة في نـزار فقـد أمسـوا و أكـثرهم كلـول

وتدعـوك الأرامـل و اليـتامى ومـن أمسـى و لـيس بـه حويـل

ديوان جرير : دار بيروت للطباعة و النشر ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٣٤٧ .

(٢) يقصد أبناء الخليفة عبد المومن بن عليّ ، ينظر : ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٢٠٦ ، ابن عذاري : البيان (قسم الموحدين) ، ص ٥٠ ، يقـول المقري : " ... و لّما استفحل أمر الموحدين بالأندلس استعملوا القرابة على الأندلس ، و كانوا يسمّونهم السّادة ، و اقتسموا ولاياتهم بينهم " ، النفح ، ج ١ ، ص ٤٢٧ .

(٣) (الصـفايا) : ما يصفّيه رئيس القبيلة في الجاهلية لنفسه دون أصحابه ، مثل : السيف و الفرس و الجارية ، (النشيطة) : ما يـأخذه من الغنائم قبل أن يصير إلى مجتمع الحي ، (المرباع) : هو ربع الغنيمة يأخذه رئيس القبيلة لنفسه ، ينظر ، ابن منظور ، اللسان ، ج ٤ ، م ٨ ، ص ١٠١ ، مادة (ربع) ، و ينظر بيت عبد الله بن عنمة [ت : بعد ١٥ هـ / ٦٣٦ م] يخاطب بسطام بن قيس [ت : نحو ١٥ ق هـ / ٦١٢ م]

[من الوافر] :

لـك المـرباع مـنها و الصّـفايا وحكمـك و النشـيطة و الفضـول

يـنظر ، الجاحظ : البيان و التبيين ، ج ١ ، ص ٣٨١ ، و أبو تمام ديوان الحماسة ، تحقيق ، د : عبد المنعم أحمد صالح ، منشـورات وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ــ العراق ــ ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٩٠ ، رقم ٣٥٦ ، و ابن منظور : اللسـان ، ج ٣ ، م ٧ ، ص ٤١٥ ، مادة (نشط) ، ج ٦ ، م ١٤ ، ص ٤٦٢ ، مادة (صفا) ، ج ٥ ، م ١١ ، ص ٥٦٢ ، مادة (فضل) .

[من الخفيف] :

شرف ينطح النجوم بروقيه وعزٌ يقلقل الأجبالا[1]

بلوا الزّمان سؤددًا وعُلا ، ومفاخر جمّة وحُلى ، وسادوا أخرا كما سادوا أولا ، ما منهم إلاّ أخو كرم، وحامل سيف أو قلم ، أو علمٌ في رأسه نارٌ [2] ، أو نارٌ على علم

[من البسيط] :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النّجوم التي يسري بها السّاري [3]

فعليكم بعميدهم [4] ، و حاتم طيّهم [5] ، و ناشر فخرهم ، بعددهم في التُّراب و طيّهم /٦٦/أ/ النكتة النّادرة في الزّمن ، و الحجة البالغة في اللسن ، [أبي] [6] عمرو ابن الوزير الأعلى أبي الحسن ، بخٍ بخٍ ، و ما أبو عمرو واحد البراعة ، و المشار إليه في هذه البضاعة

[من البسيط] :

إذا أقرّ على رق أنامله أقرّ بالرقّ كتاب الزّمان له

---

(١) البيت للمتنبي [ت : ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م] ، ينظر ، ديوان المتنبي ، بشرح العكبري [ت : ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م] ، ضبطه و صحّحه و وضع فهارسه ، مصطفى السقا ، و إبراهيم الأبياري ، و عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت – لبنان – ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .

(٢) ينظر بيت: للخنساء [ت : ٤٢ هـ / ٦٤٥ م]

[من الوافر] :

و إنّ صخرًا لتأتمّ الهداة به كأنّه علم في رأسه نار

ديوان الخنساء ، طبعة جديدة ، دار الأندلس ، بيروت – لبنان – ، د ت ، ص ٤٩ . و في رواية أخرى :

أغرّ أبلج تأتمّ الهداة به ....

ديوان الخنساء : بشرح ثعلب [ت : ١٩٢ هـ / ٩٠٣ م] ، حقّقه : أنور أبو سويلم ، نشر بدعم من جامعة مؤتة – الأردن – ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٣٨٦ .

(٣) البيت لعبيد العرندس الكُلابي ، في مدح بني بدر الغنويين ، ينظر، المبرّد : الكامل في اللغة و الأدب ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٤) هو أبو الفضل محمد بن الحسين العميد بن محمد [ت : ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م] ، وزير من أئمة الكتاب ، يقال : بدأت الكتابة بعبد الحميد [ت : ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م] ، و ختمت بابن العميد .

(٥) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني [ت : ٤٦ ق هـ / ٥٧٨ م] ، فارس و شاعر فترة ما قبل الإسلام ، يضرب المثل بجوده و كرمه ، و في المثل " أسخى من حاتم طيّ " ينظر ، الخوارزمي [ت : ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م] الأمثال ، تحقيق ، د : محمّد حسين الأعرجي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر – ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م ، ص ١٣٥ ، رقم المثل ١١٤٩ ، ص ١٤١ ، رقم المثل ١٢١٠ .

(٦) في الأصل : أبو .

إن شحافاه فالدّر اللّقيط ، و الزّهر السّقيط ، أو جادت يداه فالمال الدثر يفرق ، و البحر في أنمله العشر يغرق ، و كثيرًا ما ينشد فيصدق .

[من الوافر] :

وجــدت أبــي قــد أورثــه أبــوه ... خــلالاً قــد تعــد من المــعالــي

فاكــرم مــا تكــون علــيّ نفســي ... إذا ما قــلّ فــي الأزمات مالــي

و لّما رأيته مستغرق الأوصاف ، والإسهاب في حقّه ، غير [باغ] [1] و لا إنصاف ، اكتفيت بلمحة البيان ، و خلّيت الخير فيه للعيان، و ستراه فتقيسه بسواه ، فتنشد كلمة الصّلتان [2] .

[من الطويل] :

و مــا يســتوي صــدر القــناة وزجّهــا ... و مــا تستوي شمّ الذّرى و [الأجارع] [3]

و لــيس الذّنــابى كــالقدامى وريشــها ... و مــا تســتوي في الكفّ منك الأصابع[4] [5]

و هــنــا انتــهــت النّصيحــة فلا تحــد و السّــلام

(١) في الأصل بلاّغ .

(٢) هــو قثم بن خبيئة الصلتان [ت : نحو ٨٠ هــ / نحو ٧٠٠ م] شاعر مشهور احتمع إليه في الحكم بين جرير و الفرزدق ، ينظر عنه ، المرزباني [ت : ٣٨٤ هــ / ٩٩٤ م] معجم الشعراء ، و معه : المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء و كناهم و ألقابهم و أنسابهم و بعض شعرهم ، للآمدي [ت : ٣٧٠ هــ / ٩٨٠ م] ، تصحيح و تعليق ، ف ، كرنكو ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٣ هــ / ١٩٨٢ م ، ص ١٤٥ .

(٣) في الشعر و الشعراء : الأكارع .

(٤) و في رواية أخرى :

.... ومــا تســتوي في الراحــتين الأصــابع

ينظر ، الثعالبي [ت : ٤٢٩ هــ / ٩٣٧ م] التمثيل و المحاضرة ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ــ مصر ــ ١٣٨١ هــ / ١٩٦١ م ، ص ٧١ ، و الخوارزمي : الأمثال ، ص ٢٠٦ ، رقم المثل ١٥٩١ ، والبكري : فصل المقال ، ص ٤١٦ .

(٥) يــنظر ، ابن قتيبة : الشعر و الشعراء ، ج ١ ، ص ٤٠٩ ، رقم الترجمة ٩٠ ، و القالي [ت : ٣٥٦ هــ / ٩٨٧ م] كتاب الأمالي ، ط٢، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي ، دار الثقافة الجديدة ، بيروت ، دار الجيل ، بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٧ م ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، وعبد الرحيم العباسي [ت : ٩٦٣ هــ / ١٥٥٦ م] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، حققــه و علّق حواشيه و وضع فهارسه ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار عالم الكتب ، بيروت ــ لبنان ــ ١٣٦٧ هــ / ١٩٤٧ م ، ج ١ ، ص ٧٥ ، وعبد القادر البغدادي [ت : ١٠٩٣ هــ / ١٦٨٢ م] خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ــ د ت ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .

شعر أبي علي بن كِسْرَى المَالَقِي

المتوفى (٦٠٣ أو ٦٠٤هـ)

جمع وتقديم: الدكتور سليمان القرشي(*)

تقديم:

تمثل التجربة الشعرية الأندلسية صفحة مهمة في ديوان الشعر العربي، الذي لا تكتمل حلقاته ولا يمكن الحديث عن كل محطاته إلا باستحضار الشعر الأندلسي، الذي يجمع الباحثون والنقاد على تميزه وأهميته وقيمته، هذه القيمة التي تتجاوز حدود المعيار الأدبي والجمالي، لتصب في دائرة التاريخ والأنتروبولوجيا وتاريخ الأفكار وغير هذا من دوائر الفكر وحلقات المعرفة. إلا أن التجربة الشعرية الأندلسية ـ رغم غناها وتميزها ـ لا تزال تعاني من ضياع كثير من بصماتها، وتشتت خيوطها واضطراب خطوطها، كما تعاني من غياب كثير من أصواتها المتميزة والمبدعة التي تركت المضمار لحساب أصوات كان للسياسي والاجتماعي دور في احتلالها مركز الصدارة.

واعتزازاً منا بمعطيات الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ورغبة منا في إنصاف الذاكرة الشعرية الأندلسية والعربية، كان إقدامنا على جمع وتقديم شعر أبي علي بن كِسْرَى المَالَقِي الذي لا تكاد تعرفه غير القلة القليلة من المتخصصين والمهتمين.

أولاً: الدراسة:

١ ـ أولية الشاعر:

هو حسن بن محمد بن علي الأنصاري من أهل مالقة، يكنى أبا علي، ويعرف بابن كسرى[(١)]، كان متقدماً في حفظ الأدب واللغة، ومبرزاً في علم النحو، شاعراً مجيداً، ممتع المؤانسة، كثير المواساة، حسن الخلق، كريم النفس[(٢)]. وقد روى شاعرنا عن أبي بكر بن عبد

(*) باحث ومحقق من الرباط ـ المغرب.

(١) ترجمته وأخباره في: المقتضب: ١٤٤، التكملة: ١/ ٢١٤، برنامج شيوخ الرعيني: ص: ١٠٧، الذيل والتكملة: ٥/ ٢٠٤، فوات الوفيات: ١/ ٣٠٧، الإحاطة: ١/ ٤٦٩، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٣: ١٢٥.

(٢) الإحاطة ١: ٤٦٩.

الله بن ميمون الكتُنْدي[١] بمراكش وصحبه بها مدة، وروى عن أبي الحكم بن هردوس[٢] وأبي عبد الله بن غالب الرصافي[٣] وسمع منه شعره، كما كان من طلبة أبي القاسم السهيلي[٤].

وممن روى عنه: أبو الطاهر بن علي الهواري السبتي[٥]، وأبو عمرو بن سالم[٦]. وقد توفي الشاعر سنة ثلاث أو أربع وستمائة[٧].

عند هذا الحد تقف المصادر في ترجمتها لأبي علي بن كسرى، فلم تشر إلى أحد من أسلافه أو أفراد أسرته باستثناء ترجمة ابنه علي[٨]، كما لم تشر هذه المصادر إلى إنتاجه الفكري والأدبي، واكتفت بالتالي بترديد بعض الأبيات والمقطعات التي تنصف شاعريته، وتعرب عن إجادته في فن النظم.

٢ ـ الخصائص العامة لشعره:

تبدو التجربة الشعرية عند أبي علي بن كسرى المالقي جزءاً من التجربة الشعرية الأندلسية في لونها الموحدي الذي اتسم بسمات خاصة، لعل أهمها السمة الأخلاقية أو النزعة الدينية.

وإذا كان عصر الموحدين أكثر العصور الأدبية في الأندلس احتفاءً بالشعر الديني، فقد ازدهر هذا اللون من الشعر ازدهاراً كبيراً، وغدا من أكثر الموضوعات التي تناولها الشعراء[٩] وبرعوا فيها. فإن ابن كسر ى قد عضد هذا الطرح، إذ كان أحد أبرز ممثلي هذا التيار بالأندلس، وبالتالي فقد حفظت له المصادر مجموعة هامة من الشعر الذي يدخل في المجال الديني، وبخاصة منه ذلك المتعلق بالمناجاة والتوبة المصحوبة بنزعة صوفية، تقوم على التأمل في الكون والمخلوقات للاستدلال على جلال الخالق وقدرته المطلقة. ولا شك أن هذه النزعة في شعر ابن كسرى ليست ذاتية وفردية بقدر ما هي شاملة وعامة، إذ تتعلق بالعصر والجماعة على حد سواء، فقد وجدت في هذا العصر عوامل وأسباب دافعة وفرت شروط الإنتاج لهذا اللون من الشعر الذي كان انعكاساً صادقاً لشعور عارم بالضياع والتقلب الدائم، والإحساس بالخوف من العقاب الإلهي، والخشية من المصير المريع، فكان الأندلسي لا يفتأ يبحث عن راحة نفسية واستقرار

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أبي العافية، المعروف بالكتندي، يكنى أبا بكر، من أهل غرناطة، سكن مالقة مدة، وكان كاتباً لبعض ولاتها. انظر: أعلام مالقة، ص: ١٠٦.

(٢) أبو الحكم إبراهيم بن علي بن هردوس الأنصاري الكاتب، سكن مالقة، وتوفي بمراكش سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (٥٧٢)، ترجمته في المقتضب، ص: ١٠٧.

(٣) أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي، الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٧٢ هـ، ترجمته في المقتضب، ص:١٠٩، أعلام مالقة، ص: ٩٣.

(٤) أبو القاسم السهيلي صاحب كتاب: «الروض الأنف»، توفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، انظر ترجمته وأخباره في: نفح الطيب ٣: ٤٠٠.

(٥) أبو الطاهر أحمد بن علي الهواري المَالَقِي المتوفى عام ٦١٢ هـ، انظر: الذيل والتكملة ١: ٣٠٧.

(٦) انظر أخباره في مواضع متفرقة من كتاب: أعلام مالقة.

(٧) التكملة ٥: ٢٠٤.

(٨) انظر ترجمته في: الذيل والتكملة ٥: ٢٠٤.

(٩) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي العيسى، ص: ٢٦٥.

وجداني ومرفأ أمين، وليس غير الدين سبيلاً يوفر له تلك الراحة الدينية، ويمده بذلك الانشراح الوجداني، ويسربله بعاطفة أخلاقية نبيلة[١]، ولقد تجلى هذا الطابع بشكل متدفق في شعر ابن كسرى الذي كان بمجمله رسالة روحية صادقة، وصدى لنفس تبحث بإلحاح عن الاطمئنان والخلاص.

وإذا كان كثير من الدارسين قد وقفوا عند هذه الازدواجية، وحاولوا تبريرها وشرح أسبابها ودوافعها، فإن كل هذه الأسباب والدوافع لا يمكن أن تغيب عامل الزمن، وتأثيره المباشر في فكر الإنسان وإحساسه، وتلوين عاطفته التي تتأثر بقوة الشباب، كما تخضع لوهن الشيخوخة، وتستجيب لحكمة الأيام.

وإذا تجاوزنا بقليل موضوعات شعر ابن كسرى وتيمماته الكبرى ومحطاته الرئيسة، فإن أهم ما يستوقف الدارس لشعر الرجل هو لغته البسيطة الواضحة التي تقتبس من اليومي والمباشر دونما إسفاف أو ابتذال، وتستعير من اليومي والمعيش دون السقوط في متاهة المباشرة والتقريرية، وقد استطاع الشاعر بفضل هذه اللغة المرنة أن يخلد في شعره صوراً تفيض حيوية وشاعرية، كما لا تخلو من حرارة وصدق عاطفة، حتى غدت أغلب قصائده صوراً كبرى تتشكل منصور جزئية تتآلف بينها، وتتناغم مكوناتها وتنسجم كل ألوانها.

وقد اعترف بشاعرية ابن كسرى معاصروه وأقروا له بالإجادة في فن النظم، ولعل خير ما نورده في هذا الإطار أبياتاً ليوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي التي يقول فيها[٢]:

[من المجتث]

إذا سُئِلتَ مَنْ أسْرى ... ونالَ لِلمَجْدِ أسْرا[٣]

فقلْ ولا تَتَوَقَّف ... أبو علي بن كِسْرَى

فحازها اقْتِدَاراً ... كرْهاً وقهْراً وقسْرا

بأمرِها والذي عنْـ ... ـهُ سَدَّ مذ سد شرا

والشعرَ أودعته الشعـ ... ـريين والنجم نسرَا

تمكناً واقتداراً ... وعزَّ نفساً وجنْرا

ثانياً ـ الديوان:

١ ـ منهج التحقيق:

اعتمدنا في جمع شعر أبي علي بن كِسْرى المَالَقِي الأندلسي على تقصي شعر الرجل المتناثر في كثير من المصادر والأصول المختلفة، ومما لا شك فيه أننا لم نكتف بتتبع واستقصاء الأشعار الواردة في الأصول التي ذكرناها في ذيل هذا البحث، ولكننا عرجنا على مجموعة كبيرة من المصادر والكتب الأمهات، سواء منها المخطوطة أو المطبوعة، فلم يكن بالإمكان ـ على حد

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، محمد مجيد السعيد، ص: ٢٥٧.
(٢) أعلام مقالة، ص ٣٧٧.
(٣) أسرى: شرف. أسرا: كاملاً.

تعبير المتصوفة ـ أبدع مما كان.

وقد أخضعنا ترتيب القصائد والمقطعات والأبيات للتسلسل الهجائي للروي الذي راعينا حركته، كما بينا الأوزان الشعرية، وشرحنا ما غمض من المفردات، وضبطنا بالشكل ما صعب من الكلمات. وقد اعتمدنا هامشاً واحداً، جمعنا فيه بين التخريج والمقابلة من جهة، وبين إضاءة النص من جهة ثانية، تجنباً للتعقيد، وتفادياً للتكرار الممل. كما اقتصرنا في توثيق الهوامش على ذكر عنوان المصدر أو المرجع مع بيان رقم الصفحة، وأرجأنا التوثيق التام إلى قائمة المصادر والمراجع التي ذيلنا بها بحثنا.

وإننا إذ نضع بين يدي القارى العربي الكريم شعر ابن علي بن كسرى المالقي، فإننا نعرب عن ترحيبنا بكل إضافة جديدة لشعر الرجل الذي لاشك أن ما وصلنا من شعره لا يمثل غير نقطة من يم، وتافه من جم.

والله ولي التوفيق.

٢ ـ شعره:

ـ ١ ـ

قال أبو علي بن كسرى:[١] [من البسيط]

لئِنْ لـزِمْـتُ خُمُـولـي يـا أبـا حسنٍ ... فلـمْ يُـزلِنـيَ عـن مَجْـدِي وعلْيَـائِـي

ألسـتَ تَحْكُـمُ بـالعَليـا وتـوجِبُهـا ... للنجْـمِ تبْصـرهُ فـي لجَّـةِ المـاءِ

ـ ٢ ـ

ـ وقال مجيباً:[٢] [من الطويل]

أبـا عمْـرو[٣] الأغلـى لعمْـركَ مـا المُنـى ... بعلْـق متـاح مـا نـزَحـت عـن القـرْبِ

وقـد ملكـتْ عَلْيـاكَ[٤] رِقّـي مَـودة ... وطـابـتْ بـذاكَ النفْـسُ حبّـاً مـن القلْـبِ

وأهـديْـتَ نظْمَـاً غُـرة النظْـمِ تَعْتلـي ... سنـاً وسَنـاءً فـي ذُرَى الأنْجُـمِ الشهْـبِ

فَقبلْـت مـنْ كَـف الـرسُـولِ عِـلاقَـةً[٥] ... مسَـاحَـةَ قِـرطـاسٍ مِـنَ السـوْسَـنِ الـرطْـبِ

ونَـزَّهْـتُ طَـرْفـي فـي محـاسِـنِ وجنَـةٍ ... تُـريـكَ كمـالَ البـدْرِ فـي نـاعِـمِ القُضْـبِ

وأمـا مَتـابِـي عـنْ إبـاحَـةِ شَـرْعِكُـمْ ... فـذاكَ مـعَ الـرحْمَـنِ مـع أعْظَـمِ الـذنْـبِ

فـذاكَ مَتـابٌ تبْـتُ منـهُ ديـانَـةً ... مَـدى الـدهْـرِ أو يُقْضَـى مَـدى شِـرْعَـةِ الحُـبِ

وإن شئْتُـمُ ردَّ الجَـوابِ فَـإنَّ مَـنْ ... أتَـانـي بِـهِ نعْـمَ المُنَفـذ للكُتْـبِ

---

(١) بغية الوعاء ١: ٥٢٥.

(٢) مختارات من الشعر المغربي الأندلسي، ص: ٢٠٨ـ٢٠٩.

(٣) يقصد الشاعر هنا أبو عمرو بن سالم الذي ترجمنا له سابقاً.

(٤) العليا: اليد.

(٥) العِلاقَة: ما علق بالشيء ونيط به.

- ٣ -

- ومن شعره قبله فاحمرت وجنته:[١] [من المنسرح]

وا بِأبي رائِقَ الشبابِ ويا ... بَهجةَ خدَّيهِ ما أُمَيْلِحَها
كأنني عِندما أُقبِّلها ... أنفُخُ في وردةٍ لأفتَحَها

- ٤ -

وقال:[٢] [من المتقارب]

وكُنا إذا ما لزِمنا الوقارَ ... فلا نتجاوزُ ما حَدَّهُ
هَجَرنا لهُ الكأسَ هجراً كَمَنْ ... يرى أن في تركِها رُشدَهُ
إلى أن دَعانا لها شادِنٌ ... مِنَ الأُنسِ لم نستطعْ ردَّهُ
وقدْ زادت الراحُ إقلاقَهُ ... لَنا بعدَما هَصَرتْ قَدَّهُ
فما زالَ يُرشِفُنا ثَغرَهُ ... مِراراً ويُلثِمُنا خَدَّهُ
فكانَ شَفيعاً لها عِندَنا ... وكانتْ شَفيعاً لَنا عِندهُ

- ٥ -

وقال:[٣] [من الكامل]

بادِرْ كُؤوسَكَ إنما هي أنجمٌ ... قد أطلعَتْ في أفقِ يومِكَ سَعْدَها
مِنْ كفِّ هَيفاءِ المعاطِفِ كلما ... أدْمَتْ فمَ الإبْريقِ أدْمى خدَّها

- ٦ -

وله يصف سيفاً[٤]: [من الطويل]

حُسامٌ هو الموتُ الزؤامُ متى يَشِمْ ... لهُ برقَ رعدٍ جاءَه منهُ ترْعِيدُ
غَدا عرَضاً للمَوتِ جوهَرَ مَتْنِهِ ... ولكنْ معدومَ الردى فيهِ موجُودُ
فلوْ (عابدُونَ) الشمسِ والنارِ أبصَروا ... أشعتَهُ أغْرَتْهُمُ منه معبُودُ

- ٧ -

وقال:[٥] [من الوافر]

بإحْدى هذه الخيمات جارهْ ... تَرى هَجري وتعْذيبي تِجَارهْ
وكَمْ نادَيْتُ يا ذي ارْحَمينا ... فلسْنا بالحَديدِ ولا الحِجَارهْ
سِلي في مُلتقى الخيْلَينِ زَحْفاً ... إذا سألَ الردى مني الإجَارهْ
هنالكَ تعْرِفينَ خطيرَ قَدري ... وتَسْتَرضينَ منْ حُرٍّ نِجَارهْ

---

(١) فوات الوفيات ١: ٣٥٨.
(٢) مختارات ابن عزيم، ص: ٧١.
(٣) مختارات ابن عزيم، ص: ٧٢.
(٤) مختارات ابن عزيم، ص: ٦٤.
(٥) الذيل والتكملة ٥: ٨٢.

ـ ٨ ـ

وقال:(١) [من مخلع البسيط]

يـا مُـولِعـاً بـالبَهـارِ زُرْنـا … فَـرَوْضُنَـا زَارَهُ البَهـارُ
وانْشـطْ إلـى قَهـوَةٍ أَرَتْـنَـا … شمْـسَ نهَـارٍ ولا نَهـارُ
فـي روضَـةٍ إنْ حللْـتَ فيهَـا … حَـلَ بهـا الأُنْـسُ والـوَقَـارُ
بـاكِـرْ أبـا بِكْـرٍ(٢) المُفـدّى … كـأسَـاً وزهـراً لـه ابتِكـارُ
راقَ سَنـاهُ العيُـونَ لمـا … واسَـطَ مُبْيَضَّـهُ اصْفِـرارُ
كـأنَّـهُ كـأسُنـا المُـدارُ … فـذا زُجَـاجٌ عقَـارُ
يَبْسِـمُ ثَغْـرُ الـرِيَـاضِ منـه … عـن دُررٍ حَشْـوُهَـا نُضَـارُ

ـ ٩ ـ

وكتب إلى أبي بكر الكَتَنْدي مجيباً:(٣) [من مخلع البسيط]

يـا لائِمَـاً قـدْ ألامَ لمـا … أجْـرَيْـتُ فِعْلِـي علـى اختِيـارهْ
فَـرَّقَ مـا بيْنَنـا اجْتمـاعٌ … أشْفَقْـتُ منـهُ علـى وَقَـارهْ
لمـا اضْطـرَزنـا لـهُ، ولكـنْ … لا عُـذْرَ للمـرْءِ فـي اضْطِـرَارهْ

ـ ١٠ ـ

ـ قال «أبو الحسين(٤): حضرنا بقرية ذَكْوَان(٥)، ومعنا الكاتب أبو علي بن كِسْرى في موضع على أحد الأنهار بها وفيه حيتان تسبح، فقطعنا مادة الماء عنه حتى نضب، وبقيت الحيتان دون ماء، ثم نزلنا في وسط ذلك النهر نشرب فيه، فما رأيت منظراً أبدع منه، وكان معنا فتى جميل»، فقال أبو علي بن كسرى:(٦) [من الطويل]

شَرِبنا معِ الحِيتانِ في يَبسِ النهْرِ

ـ فقال (أبو الحسين) شاكر: وما كان يُرْجى ذاكَ في سالِفِ الدهْرِ

ـ فقال أبو علي بن كسرى:

ومَـا نَقْلُنـا فيـهِ سـوى نبـتِ شَطـهِ … ومـا فَـرْشُنَـا فيـهِ سِـوى الـرمـلِ والصخْـرِ
ولاحَـتْ لـهُ شمْـسُ النـدامـى بُـرَيْهَـةً … فكـانَ هُـو الثـانـي لمنفلـقِ البحْـرِ(٧)

---

(١) أعلام مالقة، ص: ١٠٨.
(٢) يقصد أبا بكر الكتندي الذي سبقت ترجمته.
(٣) أعلام مالقة، ص: ١٠٩.
(٤) شاكر بن محمد بن الحسين الحضرمي، يكنى أبا الحسين، ويعرف بابن الفخار، أديب وشاعر أندلسي توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة، انظر: أعلام مالقة، ص: ٣٥٣.
(٥) ذَكْوَان: قرية تقع غرب مالقة، وصفها لسان الدين بن الخطيب بكثرة مائها وطيب هوائها. انظر: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ص: ١٢٨.
(٦) أعلام مالقة، ص: ٣٥٣.
(٧) قال أبو عمرو: وسألت ابن كسرى عن قوله: «فكان هو الثاني لمنفلق البحر»، فقال: «الموضع الذي انفلق فيه البحر لموسى بن عمران عليه السلام لم تطلع عليه الشمس أكثر من تلك الساعة، وهذا الموضع=

- ١١ -

- وأنشد أبو علي بن كسرى الأمير أبا يعقوب[١] حين حل إشبيلية:[٢] [من الطويل]

أَمَعْشَرَ أَهْلِ الأَرْضِ بِالطُولِ والعَرْضِ ... بِهذا أُنادِي[٣] في القِيامَةِ والعَرْضِ

لَقَدْ قالَ فيكَ اللهُ ما أنتَ أهلهُ[٤] ... فَيُقْضَى بِحُكْمِ اللهِ فيكَ بِلا نَقْضِ

وإيَّاكَ يَعْنِي ذُو الجَلالِ بِقَوْلِهِ ... «كَذلِكَ مَكنا لِيُوسُفَ في الأرْضِ[٥]»

- ١٢ -

- وقال:[٦] [من الطويل]

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ لَوْنِ نَقائِهَا ... على الدهْرِ مِنْ أيامِ قَيْصَرَ لَمْ تَفْضِ

فإنْ جَالَ في الأكْوَاسِ دُرّ حُبَابِها ... عجِبْتُ لهُ مِنْ جوْهَرٍ حَلَّ في عرضِ

- ١٣ -

- وقال:[٧] [من الطويل]

سَقَى الرائِحُ الغادِي زمَاناً قطعتُهُ ... أرُوحُ وأغْدُو للكؤوسِ رَضِيعا

إذا حثها الساقِي مزجْتَ بريقِه ... سُلافَتَها وجداً بِهِ وَوُلُوعا

أتانا بها جنحَ الظلامِ فغادرتْ ... أشعتُها الليلَ البهِيْمَ صَرِيعا

ولما أرادتْ أن تُغيرَ على الأسى ... أفاضَتْ عليه للحبابِ دُروعا

- ١٤ -

- «وكان أبو علي بن كسرة المالقي في مجلس الأستاذ أبي بكر محمد بن عبد الله بن ميمون[٨]، فدخل فتى وسيم قد طر شاربه. قال الأستاذ: ليقل كل واحد فيه ما أمكنه، فقال أبو علي ارتجالاً»:[٩] [من المتقارب]

وقالوا: حُبيبُكَ ذو شاربٍ ... فَظِلْتُ أرُدهمْ بِالحَلَفْ

= لم يظهر فيه ذلك الفتى أكثر من الساعة، وكأنه الشمس في حسنه». أعلام مالقة، ص: ٣٥٤.

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، ولد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، بويع خليفة سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وكانت وفاته سنة ثمانين وخمسمائة، جاز إلى الأندلس في خلافته مرتين، وهو الذي أمر ببناء المسجد الجامع بإشبيلية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. انظر ترجمته في: الحلل الموشية، ص: ١٥٧-١٥٨، المعجب، ص: ٣٤٥.

(٢) الإحاطة، ١: ٤٧٠، مختارات ابن عزيم، : ٣٥.

(٣) في الإحاطة: استنادي.

(٤) في مختارات ابن عزيم: لقد قال فيك الله جل جلاله.

(٥) تضمين للآية الكريمة (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا ولا نضيع أجر المحسنين). سورة يوسف، آية ٥٦.

(٦) مختارات ابن عزيم، ص: ٧٢.

(٧) مختارات ابن عزيم، ص: ٧٢.

(٨) هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس العبدري، خرج من بلدة قرطبة واستقر بمراكش، توفي سنة ٥٦٧. انظر ترجمته في: الذيل والتكملة ٥: ٣١٩، بغية الوعاة ١: ٤٧.

(٩) لمح السحر، ص: ٨٦.

وقلـــتُ لهُـــم: بـــلْ هِـــلالٌ بـــدا ... فُـــوَيْـــقَ الثنـــايـــا فـــزادَ الكَلَـــفْ
فقـــالـــوا: ولِـــمْ لاحَ مُخْلَـــولِكَـــاً ... ومـــا مثـــلُ هـــذا هـــلالٌ عُـــرِفْ
فقلـــتُ: الهـــلالُ مِـــنَ أشْـــرَاطِـــهِ[1] ... إذا جـــاوَرَ الشَّمْـــسَ أنْ يَنْكَسِـــفْ

- ١٥ -

- وقال:[2] [من الطويل]

وخضـرٌ مـنَ الـدوْحَـاتِ لمِّـي ظِـلالُهـا ... وصلـتُ صَبُـوحـاً بهـا بغَبُـوقِ
ومشمُـولَـة رقـت فلـمْ تَـرْضَ صـاحبـاً ... لهـا غيْـرَ مشمُـولِ النطـاقِ رقيـقِ
يَفيـضُ علـى كَـف المُـديـرِ شُعـاعُهـا ... كـأن عَلَيْـهِ مِنْـهُ درعَ خَلُـوقِ[3]
اذا شَجهـا بـالمـاءِ حلـى كـؤوسَهَـا ... بِـدُرٌ فَحَلـتْ خـدَّهُ بِعَقِيـقِ
ومـا هـيَ إلا الشمْسُ تُشْـرِقُ مـنْ فـمٍ ... وقـد أذِنَـتْ فـي وَجْنـةِ بِشُـروقِ
أَدِرْهَـا علـى الـروْضِ الـذي راقَ حُسْنُـهُ ... فَكَـم لـك مـنْ مـرْأى هنـاكَ أنيـقُ
اذا أعيـنُ النـوارِ أَيْقَظَهـا الحَيـا[4] ... تضـاحَكَـتِ الأكْـواسُ فعـلَ عَشِيـقِ

- ١٦ -

وكتب إلى يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي[5] قائلاً:[6] [من المجتث]

مـــرامُكـــم لا يُنَـــالُ ... كعثْـــرَةٍ لا تُقَـــالُ
وَذاكَ شـــيءٌ مُحـــالٌ ... للســـر منـــهُ مَجـــالُ
نـــرى لـــكَ الـــدهْـــرَ مـــالا ... يَشُـــوغُ منْـــهُ نـــوالُ

- ١٧ -

- وأنشد قائلاً:[7] [من السريع]

ومـــا رأتْ عيْنـــايَ فيمـــا مَضـــى ... ولا رأتْ عيْـــنُ امـــرىءٍ قَبلَـــهْ
كشـــارِبٍ أشْـــرَبَ قلبِـــي الـــردَى ... وبـــزْوُهُ - لـــوْ بُـــذِلَـــتْ قُبلَـــهْ
إنْ لـــمْ تُنِلْنِيهـــا - ولـــوْ خلسَـــةً - ... مـــا لِـــيَ فـــي ديـــنِ الهـــوى قِبْلَـــهْ

---

(١) أشراطه: يجب لفظ همزة القطع وصلاً ليستقيم الوزن.
(٢) مختارات ابن عزيم، ص: ٧١-٧٢.
(٣) خلوق: الخلوق طيب معروف يتخذ من الزعفران ومن غيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة. اللسان: خلق.
(٤) الحيا: المطر.
(٥) هو يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي، يكنى أبا حجاج، توفى عام ٦٠٤ هـ، انظر ترجمته وأخباره في: أعلام مالقة، ص: ٣٧٣.
(٦) أعلام مالقة، ص: ٣٧٨.
(٧) برنامج شيوخ الرعيني، ص: ١٠٧.

- ١٨ -

- وقال:[١] [من الطويل]

وخَالِقْ بِنُقْصَانٍ جميعَ الورى تَسُدْ ... فيا سُوءَ ما تلقَاهُ إنْ كنْتَ فاضِلاَ
ألَمْ تَرَ أن البدْرَ يُرْقَبُ ناقِصاً ... ويُتْرَكُ مَنْسِياً إذا كانَ كامِلا

- ١٩ -

- ومن شعره:[٢] [من الكامل]

ونَمَتْ على نَفَسِ الشَّمالِ شمُولُ ... وأرَنَّ في عَقْدِ الأرَاكِ هَدِيلُ
فكأنما عَاطَتْهُ كأساً فانثنى ... فِيها يُرَجِّعُ شَدْوَهُ ويُطِيلُ
يُغْدِي الغُصونَ صَبابَةً فَيُمِيلُها ... ولِذاكَ ما تَهْفو بهِ وتَمِيلُ[٣]
يا صَاحِبِي دعْ عنكَ تلكَ فإنما ... سَبَبُ البُكاءِ ركائبٌ وحمولُ
وانشطْ[٤] لها صفراءَ مثلَ الورْسِ[٥] أو ... كالشمْسِ نازَعَها الغُروبَ أصيلُ
او كالمُحِبِّ جَفاهُ بَعْدُ حبيبُهُ ... فَبدتْ عَلَيْهِ صُفْرَةٌ ونحُولُ[٦]
راقَتْ ورقَّتْ في العِيانِ فلمْ يَنَلْ ... إدراكَهَا وصْفٌ ولا تَمْثِيلُ
فالروْضُ مِسْكِيُّ النسيمِ مُدَبَّجٌ ... والماءُ فِضِّيُّ الأدِيمِ صَقِيلُ
والبرقُ يَبْسِمُ والسحابُ عَوابِسٌ ... والرِيحُ يَجْرِي دَمْعُها فيسيلُ
سَكْرى تَهادَى كالبَهِيرِ[٧] تخامُلاً ... فسَحتْ لها وجْهَ الصعيدِ ذُبولُ
تَنْتَزُّ مِنْ مُقْلِ الغَوادِي دمعَها ... في صحنِ خَدِّ التُّرْبِ فَهْوَ بَلِيلُ
لا تَتْرُكَنَّ اليوْمَ تَسْوِيفاً إلى ... غَدِهِ فَوَعْدُ زَمانِنا مَمْطُولُ[٨]

- ٢٠ -

- وأنشد في طفولته السيد أبا إسحاق[٩] بإشبيلية:[١٠] [من الكامل]

قَسَماً بِحُمْصَ[١١] وإنهُ لعَظِيمُ ... وهْيَ المَقامُ وأنْتَ إبراهِيمُ

---

(١) فوات الوفيات ١: ٣٥٨.
(٢) مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، ص: ٢٠٦-٢٠٧، مختارات ابن عزيم، ص: ٧٠-٧١.
(٣) الأبيات الثلاثة الأولى ساقطة من مختارات ابن عزيم.
(٤) في مختارات ابن عزيم: وابسط لها.
(٥) الورس: نبات أصفر. لسان العرب: ورس.
(٦) البيت ساقط من: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي.
(٧) في مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: كالجرار. والبهير: المرأة الثقيلة الأرداف. لسان العرب: بهر.
(٨) البيت ساقط من: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي.
(٩) هو السيد أبو إسحاق إبراهيم بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحدي، انظر ترجمته وأخباره في: نفح الطيب ٣: ٣٩٩.
(١٠) الإحاطة ١: ٤٧٠، نفح الطيب ٣: ٣٩٩، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٣: ١٣٥.
(١١) حمص: إشبيلية.

- ٢١ -

- وقال في ابن خلدون: [1] [من المجتث]

يا شاعِراً يَتَسامَى ... وَجَدُّهُ خلدونُ[2]

لم يَكْفِ أَنَّك خِلٌّ ... حَتَّى بأَنَّك دُونُ

- ٢٢ -

- ومن شعره: [3] [من الطويل]

إلهيَ أنتَ اللهُ ركني ومَلْجئي ... وما لي إلى خَلْقٍ سِواكَ رُكونُ

رأيتُ بني الأيام عُقْبَى سُكونِهِم ... حَراكٌ ومن بعد الحَراكِ سُكونُ

رضاً بالّذي قدَّرْتَ تسليمَ عالِمٍ ... فإنَّ الذي لا بُدَّ منهُ يَكُونُ

- ٢٣ -

- وأنشد أبو علي بن كسرى لنفسه بمالقة في راقصة تسمى «نزهة»، وتعرف بـ «تخط الشوق»: [4] [من الطويل]

«تخُطُّ» يَخُطُّ الشوقُ في القلْبِ شَخْصَها ... ففي كل ما تأتِيهِ حُسْنٌ وتَحْسِينُ

ولَيْسَتْ تُطيقُ الشينَ في حالِ نُطقِها ... فمِنْ أَجْلِ بُعْدِ الشينِ بَاعَدَها الشيْنُ[5]

اذا رَقَصَتْ أبْصَرْتَ كُلَّ بَديعةٍ ... تَرَى ألِفاً حيناً وحِيناً هي النونُ

فيا نُزهَةَ الأبْصارِ سُمِّيتِ نُزهَةً ... لكي يُوضِحَ المَعْنَى بيانٌ وتَبْيِينُ

- ٢٤ -

- ومن شعر لأبي علي بن كسرى المالقي قوله في قصيدة: [6] [من الطويل]

لـهُ لدعاءِ أميرِ المُسلِمينَ ارتياحَةٌ ... كأن غريضاً[7] أو مُخارِق[8] غناهُ

فكلتا يَدَيهِ رَحمةٌ وكَرامَةٌ ... فيا يُسْرَ يُسْرَاهُ ويا يُمْنَ يُمْنَاهُ

- ٢٥ -

- ومن شعر لأبي علي بن كسرى: [9] [من الطويل]

وكمْ يتَمنى المَرْءُ تخليصَ نَفْسِهِ ... وما لامْرِىءٍ مِنْ دهْرِهِ ما تَمناهُ

---

(١) فوات الوفيات: ١: ٣٥٨.

(٢) لم تقف على ترجمته فيما رجعنا إليه من مصادر.

(٣) المقتضب، ص: ١٤٤.

(٤) المقتضب، ص: ١٤٤.

(٥) الشيْن: العيب. لسان العرب: شين.

(٦) مختارات ابن عزيم، ص: ٣٥.

(٧) الغريض: هو عبد الملك الغريض المغني، انظر: الأغاني ٢: ٣٩٥.

(٨) مخارق: هو مخارق بن يحيى مولى الرشيد المغني الشهير، انظر: الأغاني ١٨: ٣٦. الشطر الأول مكسور الوزن لزيادة كلمة، ولعله هكذا:

لَهُ لِدُعاءِ المُسْلِمينَ ارتياحَةٌ

(٩) مختارات ابن عزيم، ص: ٨٧.

اذا أنـتَ جِئـتَ العقـلَ فـي كـل مُشْكِـلٍ تَبيَّنـتَ فـي مِـرآةِ عَقْبِـكَ مَـرآهُ

ـ ٢٦ ـ

ـ وقال: [١] [من المنسرح]

أشْهَـدُ ألاّ إلَـهَ إلا الله مُحمَّـدُ المُصْطَفـى رَسُـولُ اللـه

لا حَـولَ لِلْخَلْـقِ فـي أُمُـورِهـمُ وإنَّمـا الحَـوْلُ كلُّـهُ لله

قائمة المصادر والمراجع

● القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع).

● الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٢.

● الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: العباس بن إبراهيم، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٥.

● أعلام مالقة: تأليف أبي عبد الله بن عسكر وأبي عبد الله بن خميس، تحقيق: عبد الله المرابط الترغي، دار الأمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.

● الأغاني لأبي فرج الأصفهاني: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

● بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي/ الطبعة الأولى/ ١٩٦٤.

● التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار القضاعي، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار المعرفة، البيضاء، المغرب.

● الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: (ابن سماك العاملي)، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٧٩.

● الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ابن عبد الملك المراكشي، السفر الخامس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

● الشعر الأندلسي في عصر الموحدين: فوزي العيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٧٩.

● الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: محمد عبد المجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

● فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت.

● لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، دت.

● لمْحُ السِّحر من رَوْح الشعر وروح الشِّحر: لأبي عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم التجيبي المري المشهور بابن لَيُون، تحقيق: سعيد بن الأحرش، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب فاس، المغرب.

● مختارات ابن عزيم الأندلسي، تأليف: علي بن عزيم، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣.

● المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، البيضاء، المغرب.

● معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: الدكتور محمد كمال شبانة، نشر: اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب ودولة الإمارات العربية المتحدة. دت.

● المقتضب من كتاب تحفة القادم: ابن الأبار، اختيار وتقييد: إبراهيم البلفيقي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

● نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨.

---

(١) الإحاطة ١: ٤٧٠.

المَقرِّي التلمساني

والتواصل بين المغرب والمشرق

الأستاذة الدكتورة ابتسام مرهون الصفار(*)

الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المَقرّي التلمساني عالم جزائري صاحب الكتاب المشهور بنفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أديب وشاعر ومؤلف كانت له ولعائلته مكانة كبيرة في بلدة تلمسان وفي أي بلدة حلها في فاس ومراكش في المغرب، ثم بلدان المشرق العربي حيث سياحاته العلمية.

كان المَقرّي بحق علماً متنقلاً يلتف حوله طالبو العلم فينتهلون من علمه ولا يبخل عليهم، ويلتقي بالعلماء فيجتني منهم أخذ ما فاته فيضيفه إلى معارفه.

إن دراسة حياة هذا الرجل الفذ تطلعنا على نشاط فكري كبير، وهمة عالية، وغاية سامية ترى أن الأمة العربية والإسلامية واحدة، وأن العلم ليس حكراً على بلد دون آخر، فالحكمة ضالة المؤمن، والعالم الحق هو من يجعل العلم وكده، ولا يتعالى عن طلبه مهما بلغ من المكانة والسن.

من هنا نستطيع القول: إن نتاج المَقرّي التلمساني يحمل سمات رسالة علماء السلف السامية وهي التواصل بين المغرب والمشرق لأخذ العلم ونشره. وقد تابعنا هذا التواصل من خلال ما كتبه عن:

١ ـ رحلاته في المغرب والمشرق العربي.

٢ ـ رحلات الأندلسيين إلى المشرق العربي.

٣ ـ رحلات المشارقة إلى الأندلس.

لقد عرَّف المَقرّي نفسه بأنه أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمَقرّي المغربي المالكي الأشعري التلمساني[1].

---

* أستاذة في كلية الآداب ـ بجامعة مؤتة ـ الأردن.

(١) نفح الطيب ١/١٣، البحث ألقي في جامعة آل البيت في المملكة الأردنية في الملتقى العلمي حول الحركة الثقافية والإبداعية في الجزائر في ٧ / أيار ٢٠٠١/ ١٤ صفر ١٤٢٢.

أما المَقرِّي فنسبه إلى بلدة مقرة وقد اختلف في ضبطها:

١ ـ فتح الميم وإسكان القاف مَقْرة[١].

٢ ـ فتح الميم والقاف مشددة[٢] مَقّرة.

ويبدو ضبط الثاني هو الأرجح وقد ذكره المَقرّي في مطلع أرجوزة له يقول:

أحمـــــــد الفقيـــــــــر المَقـــــــــرّي المغـــربـــي المـــالكـــي الأشعـــري[٣]

وقد ذكر أنها مدينة لها حصون كثيرة، والمدينة العظمى مقرة أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر[٤]. ووصفها ياقوت بأنها مدينة في المغرب قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ، وكانت لها مسلحة للسلطان ضابط للطريق ينسب إليها عبد الله بن محمد المقري[٥].

وأما تلمْسان:

فقد نص المقري على أنها موطنه ولادة، ونشأة بقوله في مقدمة نفح الطيب يقول... أحمد بن محمد الشهير بالمَقرّي. التلمساني المولد والنشأة والقراءة[٦].

ويقول أيضاً عنها (وبها ولدت أنا وأبي وجدي، وجد جدي، وقرأت ونشأت إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس سنة تسع وألف[٧]).

ويقول أيضاً كونها مسرح طفولته، أخذه العلم فيها (وتلمسان هذه هي مدينتنا التي علقت بها التمائم، وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمن بن أبي بكر المقري بن علي صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين.. وهي من أحسن مدائن المغرب ماء وهواء حسبما قال ابن مرزوق:

يكفيك منها ماؤها وهواؤها

وحين ذكر ترجمة الشيخ شعيب قال عنه: إنه شيخ حبره، وأنه يحس بأنه في بركة دعائه نقلاً عن جده الذي قال بان الشيخ دعا له ولذريته بما ظهر قبوله.

تلقى المقري العلم في خراسان، وتلقى القرآن وحفظه، ولازم حلقات العلماء من تلمسان التي كانت في ذلك العصر مركزاً عظيماً للدراسات الدينية.

---

(١) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت مادة مقرة.

(٢) انظر تفصيل الآراء في المقري وكتابه نفح الطيب، المقري، تحقيق إحسان عباس ـ دار مكتبة الحياة، بيروت ـ ص١٠٩ ـ ١١٤.

(٣) مقدمة روضة الآس للمقري تحقيق ح. محمد بني عبد الكريم ـ دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٤) البلدان، اليعقوبي، تحقيق هنري بيبرس. المطبعة الرسمية. الجزائر ١٩٦٠، ١١، وانظر المقري وكتابه نفح الطيب ١٠٦.

(٥) معجم البلدان مادة (مقرة).

(٦) نفح الطيب ١/ ١٣.

(٧) نفسه ٩/ ٣٤٢.

ويبدو أن أباه محمداً كان محباً للعلم، وآخذاً منه بسبيل، بدليل صحبته لأبنه إلى فاس ـ وإن كان من أسباب الرحلة سبب تجاري ـ فقد وصفه ابن القاضي في إجازته للمقري وصف والده بالأجل الأكمل أبي عبد الله سيدي محمد المقري القرشي[١].

وجاء في كتاب الإجازة التي كتبها أحمد بابا التنبكتي لأبي العباس المقري ذكر أبيه ووصفه بالإمام الأكبر والعالم الأشهر (لما يسر الله تعالى لي ملاقاة السيد الفقيه المتفنن اللبيب المحصل الحافظ أحمد بن محمد المقري من ذرية الإمام الأكبر والعالم الأشهر أبي عبد الله المقري التلمساني نفعنا الله ببركاته)[٢].

ومن أهم العلماء الذين أخذ عنهم أبو العباس المقري العلم في تلمسان عمه أبو سعيد المقري الذي كان مفتي تلمسان، وكبير مشيختها. أفتى بتلمسان أكثر من ستين سنة، وكان من جملة ما قرأ عليه صحيح البخاري، ذكر أنه قرأه عليه سبع مرات، وروى عنه الكتب الستة[٣]:

وقد أخذت جامع البخاري عن عمي الإمام ذي الفخار
المقري سعيد الإمام عن محمد يدعى خروفاً حين عن[٤]

وقد حبب عمه إليه الرحلة إلى فاس ليستزيد من العلم أسوة بجده محمد الذي صحب السلطان أبا عنان حين بويع له بتلمسان فصحبه إلى فاس[٥].

ووصف المقري عمه بأنه من أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عن غير كلالة، وعمروا ربوع المجد، وتفيؤوا ظلاله[٦].

وقد حدث المقري نفسه عن عمه هذا، وأنه حدثه أن بعض شيوخه من أهل تلمسان كان يطالع الكراس الكبير بسرعة فيحفظ ما فيه من وقته[٧] ونقل عن عمه أيضاً إضافات وتعليقات في كتابه إتحاف المغرم المغرى شرح الصغرى[٨].

كما نقل عنه خبراً يذكر فيه أن الوادي أشي نسخ من توضيح خليل نحو العشرين نسخة،

---

(١) روضة الآس العاطرة الأنفاس فيمن ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين مراكش وفاس. تصحيح عبد الوهاب بني منصور، الرباط، المطبعة الملكية ١٩٦٠، ص ٢٩٥.

(٢) روضة الآس ٣٠٦، وقد رفض د. محمد بن عبد الكريم وصف والد المقري بالعلم والدراية على ما جاء وصفه عند حسين مؤنس في مجلة العربي ٥٢/٣ لسنة ١٩٦٣ ص٤٥ ـ٥١ لأنه يرى أن الرجل لم تكن له مكانة في العلم.

(٣) نفسه المقدمة ط وقد ذكر أنه أخذها عنه بسنده المتصل بأسانيد القاضي عياض، وانظر المقري صاحب نفح الطيب ٣٤.

(٤) نفح الطيب ٣/ ١٨٥.

(٥) روضة الآس.

(٦) أزهار الرياض ١/ ١٠.

(٧) المقري ـ الحبيب. تونس. مطبعة النهضة ١٩٥٧، الجنحاني ص ٦٠ عن فتح المتعال ٢١٣.

(٨) عن مقدمة الحاشية ضمن مجموع بخزينة جامع الزيتونة رقم ٢١٣٠ وقد ذكرته ألفه في فاس عشرة أيام عام ١٠٢٠ وفي سنة ١٠٢٨هـ أضاف إليه ما أغفله في كتابته الأولى عن المقري للجنحاني ص ٩١.

وأنه كان يحترف بالنسخ[١].

ارتحل المقري عن تلمسان إلى فاس بصحبة أبيه عام ١٠٠٩هـ وعمره ثلاث وعشرون سنة، وقد حمل من العلم ما يؤهله للاستفادة والإفادة. نفهم هذا من جملة أخبار:

ـ ذكر في ترجمة الشيخ ابن القاضي أنه حين حل بفاس أول رحلة له لم يجده، لأنه كان غائباً في (سلا) لكونه حينئذٍ يتولى خطة القضاء بها فلما قدم الشيخ، وعلم به كتب إليه يستدعيه[٢]. ومثل هذا الاستدعاء لا يتم إلا حين يبلغ الوافد من العلم درجة يشيع فيها ذكره فيبعث إليه عالم وقاضٍ يستزيره ويطلبه.

ـ وكانت للمقري في فاس محاورات علمية أثبت فيها رسوخاً في العلم، وسعة فكر أعجبت الفاسيين، فكتب أحدهم وهو المؤرخ أبو العباس ابن القاضي إلى عمه في تلمسان يشكره على إتحاف أهل فاس بهذه الدرة الفريدة وجاء في الرسالة:

أرسلت للمغرب القصي بدرة ... قد أبهرت وغلت له الأسوام
جمع العلوم على حداثة سنه ... قد بارك الله به العلام
أكرم به من عالم علامة ... جمع العلا وزكت به الأفهام
فجزيت خيراً يا سعيد عن الورى ... يابن الأخ العلامة الصمصام

ويصرح في هذه الأبيات بشكره لأبي سعيد لأنه أخذ العلم عنه وأدبه وعلمه بقوله:

أدبته، هذبته علمته ... ما إن يقاس بعلمه بهرام[٣]

وقد ألف المقري كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض تلبية لرسائل بعثها إليه أهل مدينته تلمسان يطلبون منه أن يؤلف في القاضي عياض، مما يدل على استمرار العلاقة الثقافية بينه وبين معارفه وأقربائه في تلمسان[٤].

ولم ينس المقري مدينته ـ وهو يعيش مكرماً في فاس ـ وكان يصور ما تثيره رسائل أحبائه من تلمسان من تأجيج لواعج الشوق إلى مدينته... ثم يشير إلى حزنه لتعذر مواصلة أهله هناك، فرسائلهم تصل إليه، ويحزنه ما حل بهم دون أن يشير إلى ما حدث لأهله وخلانه، فأي فاجعة حلت بهم؟ ولا نفهم سبب تعذر عودته إلى فاس حين يقول:

جرى بعضهم ذات اليمين وبعضهم ... شمالاً وقلبي بينهم متوزع
فوالله ما أدري بليل وقد مضت ... حمولهم أي الفريقين أتبع

ويقول أيضاً:

روعت بالبين حتى ما أراع به ... وبالمصائب في أهلي وجيراني

---

(١) أزهار الرياض ٣٠٨/١.
(٢) روضة الآس ٢٦٢.
(٣) روضة الآس ٢٧٠، والمقدمة صفحة ١.
(٤) المقري ـ الجنحاني ص ٨٠.

مـا يتـرك الـدهـر لـي علقـاً أضـن بـه ... إلا رمـــاه بفقـــد أو بهجـــران

ويتمثل بقول أحدهم (وهو ابن مرزوق):

بـلاد الجـزائـر مـا أمـر نـواهـا ... كلـف الفـؤاد بحبهـا وهـواهـا

يـا عـاذلـي فـي حبهـا عـاذري ... يكفيـك منهـا مـاؤهـا وهـواؤهـا[١]

ولم يترك المقري فرصة تسنح له بذكر تلمسان إلا وجعلها حاضرة أمام القارىء بمكانتها العلمية، فحين تحدث عن لسان الدين ابن الخطيب ذكر أول لقائه بسلطان بني مرين في تلمسان الذي كان من أهل العلم والعدل والإحسان فاهتز لمقدمه، وأكرم مثواه، وحين توفى السلطان رجع لسان الدين إلى فاس[٢].

وإذا كان المقري قد ارتحل من تلمسان إلى فاس ١٠٠٩هـ ومنها إلى مراكش في السنة ثم عاد إلى تلمسان ١٠١٠هـ فإنه بدأ بتأليف كتابه روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس[٣] الذي وجد فيه المحقق ما يؤكد كتابته أول مرة في تلمسان، وأنه حمل مسوداته مع ما حمله من كتب إلى فاس، حيث لم يستطع أن يضيف إليه فصولاً أو مباحث جديدة[٤].

وعاد مرة أخرى إلى فاس ١٠١٣هـ[٥] ولم ينس وهو في فاس مدينته تلمسان، بل كان يروي عن علمائها وشعرائها، فقد حضر أول زيارته لهذه المدينة أحد المجالس العلمية فسمع عن أحد الشيوخ المحاضرين قضية فقهية فأبدى رأيه فيها، وحين سئل عن دليله وحجته أنشده أبياتاً من الشعر لأبي إسحاق التلمساني نظم فيها هذه القضية، وأجابه الشيخ المحاضر بأن رأيه هو الصواب[٦].

وقد كان في مدينة فاس آنذاك قبيلة شراقة ذات الصلة القوية، بالسلطان السعدي، وهي قبيلة من عرب بادية تلمسان كان لها قوة وحضور في السلطان، وكانت علاقة المقري بها قوية، ولعل هذه العلاقة أحد أسباب ارتباطه بالمدينة، كما كانت فيما بعد أحد أسباب هجرته إلى المشرق[٧].

وفي روضة الآس ذكر المقري من أجازه من العلماء فكان في مقدمتهم ابن القاضي المكناسي الذي أجاز رواية موطأ مالك بأسانيده إلى يحيى بن يحيى الليثي كما أجازه صحيح

(١) أزهار الرياض ١/ ١١، وانظر المقري الجنحاني ص ٣٦.
(٢) نفح الطيب ١/ ٧٩.
(٣) المقري محمد بن عبد الكريم ص ١٥٦.
(٤) روضة الآس ـ المقدمة ص ٢.
(٥) المقري محمد بن عبد الكريم ص ١٥٩.
(٦) روضة الآس ٣٣٤.
(٧) انظر المقري ـ الجنحاني ٤٢.

البخاري بإسناد سنده إلى ابن حجر، وأجاز جميع تآليفه وذكر نص الإجازة[١].

هذه الحواضر تلمسان وفاس ومراكش رسخ حبها في نفس المقري وتركت آثارها على ثقافته وتوجهاته، ودلت على قوة التواصل الفكري والحضاري في مدن المغرب العربي عامة وتلمسان وفاس خاصة. ويكاد من يقرأ أشعاره في الحنين إلى الوطن أن تختلط أمامه ملامح هذا الوطن الذي يحن إليه أهو تلمسان أو فاس؟ أم الجزائر خاصة أم المغرب؟

ويستخدم تعبير المغرب الأقصى في حديثة عن الحنين إلى الوطن (إنه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب أو رد.. برحلتي من بلادي ونقلتي عن محل طارفي وتلادي بقطر المغرب الأقصى[٢]).

وأكثر من هذا التوسع في مفهوم الوطن نجده حين يذكر قصور الأندلس وأنهارها ونافوراتها يتحدث عنها وكأنه يتحدث عن موطنه. وينبه بأن الحديث عن هذا الموضوع واسع، وأنه ما ذكر ما ذكره إلا لينبه من ينتقص المغاربة على فضلهم وذوقهم وعلمهم[٣].

وأول الأشعار التي ذكرها في الحنين إلى الوطن قوله:

قطـــــر كـــــأن نسيمـــــه نفحـات كـافـور ومسكـدر هـوى فـي
وكــأن زهـــر ريـــاضـــه نظـــــم سلـــــك

ويذكر أنه يحن إلى موطن شبابه وأحبته وأهله:

بــه كــان الشبــاب اللــدن غضــا ودهـــري كلـــه زمـــن الـــربيـــع
ففـــرق بيننـــا زمـــن خـــؤون لـــه شغـــف بتفـــريـــق الجميـــع

ويتوق إليها وقد اتسع البعد بينه وبينها وهو في مصر:

وأربـــع أحبـــاب إذا مـــا ذكـــرتهـــا بكيـــت وقـــد يبكيـــك مـــا أنـــت ذاكـــر
ومـــا جنـــة الـــدنيـــا ســـوى مـــا وصفتـــه ومـــا ضـــم منـــه الحســـن نجـــد وحـــاجـــر
بـــلادي التـــي أهلـــي بهـــا وأحبتـــي وقلبـــي وروحـــي والمنـــى والخـــواطـــر[٤]

إننا نلمح من خلال أشعاره في الحنين إلى الوطن إحساساً بالوطن الواسع الأرجاء الذي لم يقصره على تلمسان وحدها، وإنما امتد ليشمل المغرب العربي[٥]، فلا عجب أن نجده يضيف لألقابه لقب المغربي. إنها وحدة الأمة قبل أن تقطع أوصالها الحدود المفتعلة.

وإحساس المقري هذا يدل على روح التواصل العالمي والفكري التي عاشها، وحمل نفحاتها أينما حل في المشرق العربي.

---

(١) روضة الآس ٢٩٥.
(٢) نفح الطيب ١/ ١٣.
(٣) نفسه ١/ ٤٩٩.
(٤) نفسه ١/ ١٧.
(٥) نفسه ١/ ١٣.

أما تواصل المقري مع المشرق فيبدأ برحلته التي بدأها عام ١٢٠٧هـ في ثغر تطاوين غرب الجزائر[١] حيث وصف هذه الرحلة البحرية، وما تعرض له من أخطار البحر، وأمواجه الهائجة وخطر العدو الإفرنجي ملخصاً قلقه من المفاجآت بقوله:

ثـــلاثـــة ليـــس لهـــم أمـــان البحـــر والسلطـــان والـــزمـــان

حتى إذا رست السفينة على بر الأمان شعر بالفرحة والراحة، فذكر أشعاراً في وصف مصر، ونهرها النيل وردت في أقوال المشارقة والمغاربة، وهنا يشير إلى أول عمل علمي له في مصر وهو إضافة معلومات لحاشية إفادة المغرم المغرى بتكميل شرح الصغرى في ثغر الإسكندرية عام ١٢٠٨هـ[٢].

وتوجه إلى الأزهر الشريف حيث رواق المغاربة، بمجرد وصوله التف حوله طلبة العلم فأخذ يملي عليهم الحديث ويلقنهم العلوم[٣].

وبعد أن أدى فريضة الحج وزار بيت المقدس والشام عاد مرة أخرى إلى مصر عام ١٢٠٩. وفي هذه الزيارة نراه يشكو من كون أهل المشرق غير محققين فضيلة العصريين من أهل المغرب. ولعل ذلك بسبب ما عاناه في مصر من حسد بعضهم له.

وقد أشار في أبيات إلى خيبة أمله في مصر وأنه صار منسياً فيها، وأنهم لم يعرفوا حق قدره كما كان معروفاً في وطنه أو كما عرف في الشام قائلاً:

تـــركـــت رســـوم عـــزي فـــي بـــلادي وصـــرت بمصـــر منســـي الـــرســـوم
ورضـــت النفـــس فـــي التجـــريـــد زهـــداً وقلـــت لهـــا عـــن العليـــاء صـــومـــي
مخـــافـــة أن أرى بـــالحـــرص ممـــن يكـــون زمـــانـــه أحـــد الخصـــوم[٤]

ومع هذه النفثات الحزينة ـ فإن وضع المقري في مصر لم يكن دائماً على هذه الشاكلة فقد بلغت رحلاته إليها خمس مرات[٥] وطبيعي أن تختلف حياته فيها استقراراً أو قلقاً سروراً أو حزناً، فقد نقل صورة لمجلس له في القاهرة نال به إعجاب المصريين. وإن لم يصل إلى إعجاب الدمشقيين به. وحين تولى التدريس في الأزهر رحب به قاضي القاهرة عبد الكريم الغنيمي جاعلاً تدريسه في الأزهر إحياء لدور الأزهر في نشر الثقافة بين العلماء والطلاب قائلاً: (واستبشرنا من أنفاس معارفه بعد دروس قد درست.. فدعونا الله بان يديم إقامته بهذه الديار نفعاً للطلبة بل وللعلماء الأبرار)[٦] وفي مصر تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء كان منهم مثلاً الغزي عبد القادر

---

(١) المقري ـ الجنحاني ٤٤ عن فتح المتعال (المخطوط) وقد رأيت نسخة مطبوعة طبعة حجرية في المكتبة المركزية ببغداد، ولم أعثر على نسخة منها في عمان.
(٢) نفسه ٥٢.
(٣) المقري محمد بن عبد الكريم ١٩٣ عن عبد الحي الكتاني ـ فهرس الفهارس ٢/ ١٣.
(٤) المقري ـ الجنحاني ٥٤.
(٥) المقري ـ محمد بن عبد الكريم ٢٢٥.
(٦) نفسه ٥٣ عن فتح المتعال، وانظر المقري ـ محمد بن عبد الكريم ٢٢٧.

بن الشيخ الغصين. وقد أفادنا هذا سبب نظم المقري لأرجوزته في العقائد فيذكر أنه كان يقرأ على المقري صغرى الشيخ السنوسي في مصر. فسألوه أن ينظم في العقائد فكان كلما قرأ درساً نظمه فيقرأه في اليوم التالي إلى أن ختمها[١].

وفي مصر أنجز المقري وعده الذي قطعه في دمشق لتأليف كتاب يعرف بالمغاربة والأندلسيين وبلسان الدين ابن الخطيب خاصة وهو كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب.

وكان قد أنجز من قبل إتحاف المغرم المغرى بتكميل شرح الصغرى عام ١٠٢٨هـ، والنفحات العنبرية في وصف نعل خير البرية الذي انتهى من تبيضها في مصر سنة ١٠٣٠هـ، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة ١٠٣٦هـ[٢].

وكان التواصل بينه وبين علماء المغرب مستمراً طوال إقامته في مصر حيث يمر عليه من يتوجه إلى الحج، أو يقوم هو بلقائهم[٣]، وكانت الرسائل تأتيه من المغرب والمشرق. فأما من المغرب فقد ذكر فيها الرسائل التي كانت تستحثه للانتهاء من كتاب فتح المتعال[٤]، وكان قد جمع أكثر من مائة قافية في المغرب، وذكر هذا في أحد مجالسه في القاهرة[٥].

أما رحلته إلى الحجاز فقد توجه إلى الحج عن طريق البحر، ووصل جدة ومنها توجه إلى مكة. وهنا يفيض المقري بوصف مشاعر الفرح والوجد لقربه من بيت الله قائلاً:

(ولما وقع بصري على البيت الشريف فكدت أغيب عن الوجود، واستشعرت قول العارف بالله الشبلي..).

وأكمل العمرة، وحدد تاريخها في عام ثمانية وعشرين وألف وأقام في مكة حتى قرب موعد الحج فأحرم وأدى الفريضة، ولكنه لم يقم في مكة لظروف لم يذكرها، وإنما ذكر أنه توجه بعدها إلى طيبة المدينة المشرفة، حيث أوحت له بتذكر أجمل الأشعار المغربية والمشرقية في ذكر التشوق إلى المدينة المشرفة وساكنها عليه الصلاة والسلام، ويتذكر أنه دخل مكة خمس مرات وحصلت له بالمجاورة منها المسرات، وأملى فيها على قصد التبرك دروساً عديدة. وأما المدينة المشرفة فقد زارها سبع مرات هذا حتى عام ١٠٣٩ [٦].

---

(١) الرحلة العياشية ٢/٣٠٦ ويبدو أن هذا القول إشارة إلى أول نظمه وكتابته للأرجوزة أما تاريخ إتمامه لها فهو ١٠٤٢هـ على ما ذكره الجنحاني اعتماداً على نسخة مخطوطة ضمن مجموعة في الصادقية بخزينة جامع الزيتونة المقري ٩٥.

(٢) المقري، محمد بن عبد الكريم ٢٢٨.

(٣) محاضرات اليوسي ص ٥٨عن المصدر السابق ص ٢٢٣.

(٤) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض/ المقري تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإنباري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ ٣/ ٢٦١.

(٥) أزهار الرياض ٣/ ٢٦١.

(٦) نفح الطيب ١/ ٤.

بيت المقدس:

بعد أداء المقري الحج عاد إلى مصر ١٠٢٩هـ، ولم يقم فيها طويلاً لأن نفسه تاقت لزيارة بيت المقدس، وما أن دخلها حتى تذكر علماً من أعلام فلسطين وهو الحافظ بن حجر القسطلاني الذي قال:

إلـى البيـت المقـدس جئـت أرجـو ... جنـان الخلـد نـزلاً مـن كـريـم
قطعنـا فـي مسـافتـه عقـابـاً ... ومـا بعـد العقـاب سـوى النعيـم[١]

ويزور المسجد الأقصى، فتبهره معالمه، ويدهشه جماله، وتأخذه مشاعر الإيمان والخشوع، ويسأل عن محل المعراج الشريف فيُرشد إليه ويشاهد المحل الذي صلى فيه الرسول ﷺ بالرسل الكرام، وأنشد شعر بعض الموفقين الذي يرى أنه مما ينبغي أن تزمزم به الحداة، يتغنى فيه ببيت المقدس وبإسراء الرسول الكريم:

إن كنـت تسـأل أيـن قـد ... ر محمـد بيـن الأنـام
فـاصـغ إلـى آيـاتـه ... تظفـر بـربـك فـي الأوام
أكـرم بعبـد سلمـت ... تقـديمـه الـرسـل الكـرام
فـي حضـرة للقـدس وا ... فـاهـا بعـز واحتـرام
صفـوا وصلـوا خلفـه ... إن الجمـاعـة بـالإمـام[٢]

ويبدو أن هذه الزيارة ليست الأولى فقد سبقتها زيارة أخرى ذكرها عرضاً في ترجمته لأبي عبد الله القرشي الهاشمي المتوفي سنة ٥٩٩هـ إذ ذكر المقري بأن قبره ظاهر يقصد للزيارة وأنه زاره في أول قدماته على بيت المقدس سنة ١٠٢٨ [٣].

وفي عام ١٠٣٧ زار المقري غزة وهو في طريقه لزيارة أخرى لبيت المقدس. وهنا تبدو أهمية ما سجله المقري في رحلاته إلى المشرق فقد وصف دخوله غزة، ونزوله مكرماً في مدرستها. ووصف هذه المدرسة أنها قبلة المسجد الأعظم ليس بيننا وبين المسجد إلا الطريق، وأن شيخ المدرسة ابن الغصين كان يجلس فيها هو وأصحابه فيقرأون خمسة أحزاب من القرآن كل يوم قبل طلوع الفجر مناوبة، وأن فيها خزانة كتب، وأن فيها كتباً علمية، وأن إلحاق المدرسة بالجامع كانت بفضل تقدير أمير البلد للمقري، إذ إنه في إحدى زياراته السابقة للمدينة توسط للشيخ الغصين المقري عند أميرها عن فضل بناء المدارس والمساجد وأن الشيخ يرغب في أن تكون المدرسة ملحقة بالمسجد فوافق الأمير ودعا في حينه أن يكتب أمره وأحضر الشهود، وحبس على ذلك المحل أوقافاً[٤].

---

(١) نفسه ٥٤.
(٢) نفح الطيب ١/ ٥.
(٣) نفسه ٢/ ٥٤.
(٤) انظر رحلة العياشي، عبد الله، طبعة حجرية ١٣١٦هـ، ٢/ ٣٠٥، المقري محمد بن عبد الكريم ٢٠٤.

دمشــق:

وأما رحلته إلى دمشق فالحديث عنها طويل، وإقامته فيها صورة للتواصل بين العلماء، ووحدة الفكر التي تجمعهم فلا تفرق بينهم الأصول واختلاف المواطن.

أحب المقري دمشق، وتحدث عنها كثيراً فهي عنده قرينة الأندلس التي بكاها، وتغنى بأمجادها، ودمشق عنده حبيبة يمكن أن يلخص أسباب تَعلقه بها بما يأتي:

١ ـ أن الذي دعاه لتأليف كتاب نفح الطيب وشجعه عليه رجل من أهل الشام.

٢ ـ أن فاتحي الأندلس هم أهل الشام.

٣ ـ أن غالب أهل الأندلس من أهل الشام الذين اتخذوها وطناً.

٤ ـ أن غرناطة نزل بها أهل دمشق وسموها باسمها لشبهها في القصر والنهر والدوح والزهد والغوطة والفيحاء[١].

ذكر المقري أنه دخل دمشق في شهر شعبان سنة ١٠٣٧هـ، ويحدثنا عن سبب زيارته أول مرة لها بأنه في إحدى زياراته لمكة المكرمة لقى عيناً من أعيان دمشق هو الشيخ عبد الرحمن بن شيخ الإسلام عماد الدين ورأى من علمه الجم، وتآليفه الجيدة ما جعله يرغب في زيارة دمشق[٢].

وعندما رأى ديار الشام ارتاحت لها نفسه، وتفاءل للشبه الكبير بين طبيعتها وطبيعة بلده.

ويبدو أنه لقي صحبة علمية طيبة في دمشق كانت تنتظم في سلك المحاورات والآداب، وتناشد الأشعار وكان المقري خلالها حلقة الوصل بين المشرق والمغرب حقاً. وحين تذاكر مع علمائها بما يحمله من علم المغاربة والأندلسيين شوقهم إلى المزيد من المعلومات.

وكان المقري معجباً بلسان الدين ابن الخطيب، وكان أديبه المحبب إلى نفسه الفارس الذي حدث المشارقة عنه، فرغب الشاميين به، وشوقهم للمزيد من المعلومات عنه وعن الأندلس.

لقد كان المقري فعلاً صلة الوصل التي أنعشت العلاقة الثقافية بين المغرب والمشرق فشوق الشاميين لمعرفة ابن الخطيب حتى (لهجوا به دون غيره وحتى صار كأنه كلمة إجماعهم، وعلق قلوبهم وأضحى منتهى ومنية آمالهم وأطماعهم)[٣].

وكان من أهم مشجعي المقري رجل أسماه المولى أحمد الشاهيني[٤] فكان كتاب نفح الطيب ثمرة التواصل الفكري في المجالس العلمية في الشام. وأحس المقري أن أهل دمشق قد

(١) نفح الطيب ١/ ١١٧.
(٢) نفسه ١/ ٦٢.
(٣) نفح الطيب ١/ ٧٠.
(٤) ترجمته في خلاصة الأثر ١/ ٢٠.

عرفوا مكانته العلمية، وعرفوا فضل بحره ومعرفته الزاخرة[(١)].

وارتحل المقري إلى مصر، وفي ذهنه تشجيع الشاميين، وتقديرهم له، فشرع في القاهرة بتأليف كتاب نفح الطيب... وتأتيه رسالة ابن شاهين يحثه فيها على استنجاز ما وعد به[(٢)]، وقد أورد قصيدة ابن شاهين التي ذكرها في رسالته ونجد فيها ما يشير إلى التبادل الثقافي الذي شهدته دمشق في أخذ علمائها عن المقري. فابن شاهين نفسه يصرح بأخذه العلم عنه قائلاً:

أقسمت بالبيت العتيق الذي ... حجت إليه الناس والمشعر

ما للعلا والعلم إلا أبو ... العباس شيخي أحمد المقري

ذاك الذي أثرني فيه بال ... علم الذي للغير لم يؤثر

وخصني منه بأشياء لم ... يفز بها غيري ولم يعثر

إلى أن يقول:

واذكر بويتاتي وكل الذي ... كتبته نحوك في دفتري

فهو يصرح بأخذه العلم عن المقري وتسجيله علمه في دفاتره، ويصفه بشيخي قائلاً وكنت سألت شيخي حين ورد دمشق الشام واشتم فيها العرار والبشام، وشرفني فعرفني وشاهدني وعاهدني على أن يجري ما دار بيننا لدى المحاورة... في ديباجة الكتاب[(٣)].

أما المقري فقد صرح بأنه أخذ هو نفسه من ابن شاهين العلم، أخذ عنه رواية مسند الإمام أحمد، ووصف روايته، وحسن أسانيده[(٤)].

لقد شهد المقري في دمشق يوم تكريمه لعلمه ومكانته ما جعله يقول (لو شريت بعمري ساعة ذهبت من عيش معهم ما كان بالغالي) وذلك أنه ألقى درساً بالجامع الأموي حضره الكبار والصغار سنة ١٠٣٧هـ حتى ضاق بهم المكان، وأدهش السامعين بغزارة علمه، وقوة حافظته، وفصاحة لسانه، واعترف الدمشقيون للمقري بالفضل والعلم فتظافر عليه الطلبة للإجازة[(٥)].

وصف المحبي أحد المجالس التي عقدها المقري في دمشق بأنه أملى صحيح البخاري بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح، ولما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع تجاه القبلة المعروفة بالباعونية، وحضره غالب علماء دمشق، وأما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد، وكان يوم ختمه حافلاً جداً اجتمع فيه الألوف من الناس، وعلت الأصوات بالبكاء فنقلت حلقة الدرس من وسط الصحن إلى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في الجمعيات في رجب وشعبان ورمضان وأتي له بكرسي الوعظ فصعد عليه، وتكلم بكلام العقائد والحديث لم يسمع

(١) نفح الطيب ١/ ٦٥.
(٢) نفسه ١/ ٧٥.
(٣) نفسه ١/ ١٠٣.
(٤) نفسه ١/ ١٠١.
(٥) نفسه ٣/ ١٤٠، وانظر المقري ـ الجنحاني ٤٦.

نظيره أبداً، وتكلم عن ترجمة البخاري، وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قريب الظهر وكان ذلك عام ١٠٣٧ [١].

٢ ـ رحلاته المغاربة إلى المشرق:

خص المقري الباب الخامس من كتاب نفح الطيب للتعريف بالرجال الأندلسيين الذين ارتحلوا إلى بلاد المشرق فقدم معلومات مهمة عن تراجم أعلام نقلها من مؤلفات ضاعت معظمها، ووصل بعضها. فكان كتابة موسوعة شاملة لتراجم الأندلسيين مما لم يجمع في كتاب مثله. والمهم في هذه التراجم أنه عني بتسجيل جهود المغاربة في المشرق العربي سواء، في أخذهم العلم وسماعاتهم على العلماء أو نشرهم العلم وإقامتهم حلقات الدرس في المدن الشرقية.

وفي التقاط هذه المعلومات دلالة كبيرة على عناية المقري بما يؤكد التواصل الفكري والعلمي بين المشرق والمغرب، واستخلاص هذه المعلومات يدل على توجهات فكرية رائعة دفعت أعداداً كبيرة من العلماء وطالبي العلم نحو الشرق لهدف المعرفة.. وقد شملت هذه السياحة زمنياً قروناً طويلة حتى عصره، ومكانياً شملت أرضاً واسعة الأرجاء تبدأ من الأندلس، فالمغرب، فمصر ثم بلاد المشرق التي تمتد إلى الحجاز والشام والعراق، وتتوغل شرقاً إلى خراسان وبلاد النهر.

وقد تكوون وجهة المسافر منهم أخذ العلم أولاً مثل ما حدث لأبي بكر بن العربي الذي ارتحل من الجزائر إلى تونس فالإسكندرية فدمشق فبغداد حيث سمع فيها على كبار العلماء كأبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي وبعدها توجه إلى الحج[٢].

وتفاوتت فاعلية هذه الرحلات، وثمرات التواصل بين المشرق والمغرب فكانت تظهر في توسع علم العالم بكثرة من يأخذ عنه حتى إذا عاد إلى بلده حمل ثمرات ما جناه من العلم الذي أخذه من الأمصار الإسلامية في المشرق، فتظهر في مؤلفات مهمة يحملها معه فيشيع ذكره وعلمه ويثق به ذوو السلطان فيولونه مسؤوليات إدارية أو قضائية، نذكر منهم على سبيل المثال القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى الذي ارتحل لأخذ العلم في المشرق فولي القضاء بعد عودنه وجمعه الكثير من الروايات والسماع[٣].

وأدت الرحلات مهمات علمية كبيرة عرفت بالنتاج العلمي في المشرق، فأشاع العائدون فضل بعض المؤلفات التي لم تلقَ من قبل شهرة، ففي ترجمة زياد بن عبد الرحمن بن زياد المعروف بشطبون (ت١٩٣هـ) يذكر أن رحلاته إلى المشرق أثمرت بعد عودته علماً واتجاهاً

---

(١) خلاصة الأثر، المحبي، القاهرة، المطبعة الوهابية، ١٢٨٤هـ، ١/ ٣٠٥، مقدمة إحسان عباس نفح الطيب ١/ ٩.

(٢) نفح الطيب ٢/ ١٥.

(٣) نفسه ٢/ ١٢.

فقهياً رسخ في الأندلس، فقد سمع من مالك الموطأ وعرف سماعه بسماع زياد. وأنه رحل في ذلك العصر جماعة مع شطبون هذا منهم فرغون بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند، وغيرهم ممن رحل إلى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم. فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه، وجلالة قدره ما عظم به صيته بالأندلس، فانتشر يومئذٍ رأيه وعلمه، وكان رائد الجماعة في ذلك شطبون[1]. ثم بين أهمية قراءة شطبون على مالك وأنه أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكملاً متقناً، فأخذه عنه يحيى بن يحيى[2].

ويرى المقري أن أهل المشرق قصرت عليهم العلوم النظرية دون المغاربة الذين انصرفوا إلى الفقه إلا أنه التفت إلى أهمية الرحلات العلمية في ترسيخ التواصل العلمي، وانتقال العلوم من المشرق إلى المغرب خاصة العلوم النظرية قائلاً: ولم يزل الحال كذلك إلى أن رحل الفقيه ابن زيتون إلى المشرق، فلقي تلاميذ الخطيب، ولازمهم زماناً حتى تمكن من ملكة التعليم، وقدم إلى تونس فانتفع به، وانتهت طريقته النظرية إلى تلميذه عبد السلام، واستقل تلميذه ابن عرفة بعد بتلك الطريقة، وكذلك ابو عيسى موسى بن الإمام التلمساني، ولهذا نجد أثر العلوم النظرية بتلمسان[3].

ومن صور التواصل الفكري انصراف العائدين إلى ديارهم للإقراء ورواية العلم ومنهم على سبيل المثال فقط:

- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن هذيل البلنسي: رحل وسمع من السلف وحج... وأخذ بمكة سنة ٥٣٩هـ عن أبي الحسن المقري، وقفل إلى الأندلس سنة ٥٤٦هـ فأخذ عنه العلم[4].

- أبو عبد الله محمد بن عمروس القرطبي: سمع بمصر وحج، ودخل العراق، وسمع من أبي بكر الأبهري، والدارقطني، وجماعة، وعاد إلى الأندلس وشهر بالعلم والمال[5].

- أبو ذر الهروي: ذكرت رحلاته الكثيرة طلباً للعلم، كما ذكر نشاطه في التحديث في بغداد، قيل عنه (وأكثر نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب أما من رواية الباجي عن أبي ذر الهروي وأما من رواية أبي علي الصدفي المشهور بابن سكرة[6].

- أبو الوليد الباجي: كان المشارقة والمغاربة يفتخرون بالرواية عنه، وأنه حين عاد إلى الأندلس عاد بحراً لا تخاض لججه[7].

---

(١) نفسه ٢/ ٤٦.
(٢) نفسه.
(٣) ١/ ٥٦.
(٤) نفسه ١/ ٥٩.
(٥) نفسه ٢/ ٦١، ٦٢.
(٦) نفسه ٢/ ٧١.
(٧) نفسه ٢/ ٧٤.

- ونجد من خلال التراجم التي يوردها المقري ملاحظات علمية مهمة وطرائف وظواهر حضارية سجلها طالبوا العلم. ومن ذلك ما قام به المقري نفسه من مقارنة أهل المشرق والمغرب فرأى أن الكدية المعروفة بالمشرق والتي تعج بها السواق مستقبحة عندهم، وإذ رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة سبوه وأهانوه[١].

وقارن بين المشرق والمغرب من قراءة القرآن الكريم، وسجل ما هو معروف في المغرب من التزام أهلها بمذهب واحد هو مذهب الإمام مالك، وإن خواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يعينهم على الحوار في مجالس العلوم. أما مكانة الفقيه عندهم فجليلة، حتى إن الملثمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم إذا أرادوا تنويهه بالفقيه، يم يأتي بمرادف لفظ الفقيه في المشرق فيرى أنها لفظة القاضي وأن المغاربة قد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه، لأن هذا اللقب من أرفع الألقاب عندهم[٢].

ونقل المقري عن مطمح الأنفس ما وصف به عبد الملك بن حبيب السلمي بأنه لم يكن له علم بالحديث، فناقش هذه الرواية من خلال مقارنته بين مناهج المشارقة والمغاربة بقوله: فأما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلَّم به، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين. نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى إن في شفاء عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها مع اعترافهم بجلالة حفاظ الأندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد وابن حبيب وغيرهما[٣] في كتاب أزهار الرياض يقيم موازنة بين المشارقة والأندلسيين في التأليف، فأغلب تأليف المشارقة الإيجاز، لتمكن ملكتهم من التصرف مثل كتاب ابن الحاجب في فروعه وفي أصوله، والخونجي في المنطق وغيرهما... وأما أهل الأندلس فالغالب عليهم فيهقة البلاغة في حسن رصف الكلام وانتقائه. ويقارن بين المشارقة والمغاربة في العلوم النظرية فيرى أنها قاصر ة على البلاد الشرقية، ولا عناية لحذاق القرويين والإفريقيين إلا بتحقيق الفقه[٤]. ونلتقط من هذه الرحلات أخباراً مهمة تصور جوانب حضارية طريفة مثل الفوائد التي سجلها المقري عن أبي بكر بن العربي كوصفه لبيوت دمشق حين ذكر أنه دخل بعض بيوت الأكابر فرأى نهراً جائياً إلى موضع جلوسهم، ثم يعود من ناحية أخرى فلم يفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام من النهر المقبل إليهم، فأخذها الخدم ووضعوها بين أيديهم، فلما فرغوا ألقى الخدم الأواني وما معها في النهر الراجع، فذهب بها الماء إلى ناحية الحريم من غير أن يقرب الخدم تلك الناحية، فعلم السر[٥].

ووصف لقاءه للإمام الغزالي حين كان نازلاً في رباط أبي سعد بإزاء النظامية وأنه مشى إليه مع جماعة عرفوا أنفسهم وأخبروه برغبته بلقائه والأخذ منه. .وتحقق لهم ما سمعوه عن

(١) نفسه ٢/ ٢٠.
(٢) نفسه ٢/ ٤١.
(٣) مطمح الأنفس ٣٦، نفح الطيب ٢/ ٨.
(٤) أزهار الرياض ١/ ٢٦.
(٥) نفح الطيب ٢/ ٣٣.

الغزالي هو دون ما رأوه منه[١].

وذكر في سيرة القاضي أبي عبد الله محمد بن أبي عيسى ما شاهده من رقة أهل العراق، وأريحية القاضي الذي كتب أبياتاً من الشعر في بستان بغدادي دعاه، فسمع الأبيات وكتبها على كفه، وبقيت وهو يؤدي الصلاة[٢]. وواضح أن في هذا الخبر مبالغة كبيرة القصد منها توكيد حسن قراءة ابن الكازروني للقرآن الكريم، وارتفاع صوته، وتأثيره في النفوس.

ومما نقله من طرائف أخبار الرحلات ومجالس العلم ما وصفه في المسجد الأقصى من حضور ابن الكازروني الذي كان يأوي إلى المسجد الأقصى مدة ثلاث سنوات وأنه كان يقرأ في مهد عيسى عليه السلام، فيسمع في الطور فلا يقدر أحد أن يصنع شيئاً دون قراءته إلا الإصغاء إليه[٣].

ومن الأخبار الغريبة والطريفة ما ذكره في ترجمة أبي الصلت أمية بن أبي الصلت وأنه قضى عشرين عاماً محبوساً في خزانة الكتب في مصر، وكان صاحب المهدية قد وجهه إلى صاحب مصر، فسجن بها تلك المدة في خزانة الكتب فخرج في فنون العلم إماماً[٤].

ومن الفوائد التي قدمها المقري عن التواصل الفكري بين أهل المغرب والمشرق ما ذكره من حرص المؤلفين على إرسال نتاجهم إلى المشرق، وما لقيه هذا النتاج من قبول وشهرة. والطريف أنهم لم يرسلوه لشخص معين على سبيل التبادل أو التهادي، وإنما كان حرصهم أن يطلع عليه أكبر عدد من طلاب العلم، ولذا كانوا يوقفون ما يرسلونه. فلسان الدين ابن الخطيب أرسل في حياته نسخة من الإحاطة إلى مصر ووقفها على أهل العلم، وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء بعد أن فوض قاضي القضاة وكان يومئذ في الإسكندرية، وأنابه ليجعل الكتاب وقفاً شرعياً على جميع المسلمين ينتفعون به قراءة ونسخاً... وجعل النظر في ذلك للشيخ العلامة أحمد بن أبي حجلة ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه. وقد طالع المقري هذا الكتاب، ووصفه بأنه يقع في ثماني مجلدات[٥]. وأنه وجد بظهر أول ورقة منه خطوط جماعة من العلماء انتفعوا منه، ودعوا لمؤلفه وسجلوا سنوات قراءاتهم كالمقريزي (٨٠٨هـ) والسيوطي (٨٦٨هـ) والقوصوني الذي ذكر أنه انتفع منه سنة ٩٥٤هـ.

ورأى بهامش هذه النسخة كتابة جماعة من أهل المشرق والمغرب كابن دقماق، والحافظ ابن حجر وغيرهما من أهل مصر، ومن المغاربة ابن المؤلف أبي الحسن علي بن الخطيب، والخطيب الكبير سيدي أبي عبد الله بن مرزوق، والعلامة أبي فضل التلمساني... وعدد كبير من العلماء المغاربة الذين قدموا المشرق وكان لهم حظ الاطلاع على نسخة لسان

---

(١) نفسه ٣٣.
(٢) نفسه ٢/ ١٤.
(٣) نفسه ٤٢، انظر ما ذكره عن بيت المقدس ٢/ ٨٦.
(٤) نفسه ٢/ ١٠٥.
(٥) نفسه ٩/ ٣٣٠.

الدين ابن الخطيب الموقوفة[١].

وتأتي فوائد المقري في تعليقاته على ما ينقله من نقول فقد أورد عن المطمح رواية وأراد أن يسجل فائدة عما قرأه في نسخة من نسخ الكتاب المحفوظة بخزانة الكتب في الجامع الأعظم بتلمسان، وأخذ يفصل في وصف مكان الكتاب في الخزانة فإذا به يصف الخزانة الوسطى التي فوق محراب الصحن وهي التي يجلس بها الأشراف أحفاد الشيخ الإمام علم الأعلام سيدي أبي عبد الله الشريف التلمساني[٢]. ويذكر في موضع آخر رأى في خزانة تلمسان مائة سفر بخط الوادي أشي[٣]، وأنه رأى بخط الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي أشي نزيل تلمسان ويذكر القصيدة ولا يكتفي بذكرها، وإنما يذكر التعليقات البسيطة المكتوبة في الهامش. فقد ورد في القصيدة (ما منهم إلا حمار) فيقول: وكتب بخطه الرائق تحت (إلا حمار) ما نصه (البادي أظلم).

إن المعلومات التي أوردها المقري في الرحلات إلى المشرق دقيقة تبين طريقة الارتحال والصحبة فقد كان بعضهم يرحل بصحبة أحد أبنائه حين يتوسم فيه خيراً وعلماً. ومن الفوائد التي نقلها عن الشيخ ابن العربي أنه حذق القرآن ابن تسع سنين، ثم ثلاثاً لضبط القرآن والعربية، والحساب، وبلغ ست عشرة وقد قرأ من الأحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من إظهار وإدغام وتمرن في العربية، والشعر واللغة. ثم رحل به أبوه إلى المشرق[٤].

وقد تكون رحلة الأب مع ابنه للحج وأخذ العلم معاً، ويبقيان متصاحبين في رحلتهما العلمية. مثال ذلك قاسم بن ثابت العوفي رحل مع أبيه، فسمع في مصر أحمد بن شعيب النسائي، وأحمد بن عمر البزار، وبمكة من عبد الله بن علي بن الجارود، ومحمد بن علي الجوهري، واعتنى بجمع الحديث هو وأبوه، فأدخلا إلى الأندلس كثيراً، ويقال أنهما أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس، وألف قاسم كتاب الدلائل بلغ فيه الغاية والإتقان ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بعده[٥].

أما المناظرات والمحاورات التي دارت بين علماء المغرب والمشرق نجدها في التراجم التي أوردها المقري في ممتعه وتحمل طرائف جميلة تحدث في أول لقاء للغريب في مجلس من مجالس العلم. مثل ذلك ما روى عنه القاضي المنذر البلوطي مجلس أبي جعفر النحاس في مصر قبل أن يعرفه لم يستسيغ صاحب المجلس أو المحاضر تدخل الغريب أول مرة فإذا تجاوز .... إحراجه بإظهار خطأ أو وهم فإن الأمر قد ينتهي إلى غير ما تنتهي إليه الأخرى، وقد تؤدي إلى نفور أو مقاطعة. من ذلك ما رواه القاضي منذر .... أنه أتى أبا جعفر ابن النحاس في مجلسه في مصر وكان ابن النحاس يملي في الشعراء فأنشد من شعر

---

(١) نفسه ٩/ ٣٢٨.
(٢) أزهار الرياض ١/ ١٩.
(٣) نفسه ١/ ٣٠٢.
(٤) نفسه ٢/ ٤٣.
(٥) نفسه ٢/ ٤٩، وانظر ص ٢٩.

قيس المجنون قوله:

خليلـي هـل بـالشـام عيـن حـزينـة   تبكـي علـى نجـد لعلـي . . . .
فقـد أسلمهـا البـاكـون إلا حمـامـة   مطـوقـة بـاتـت وبـات . . . .

فقلت له يا أبا جعفر ماذا ـ أعزك الله تعالى ـ باتا يصنعان؟ فقال لي . . . . أنت يا أندلسي؟ فقلت: بانت وبان قرينها. فسكت. فما زال يستثقلني حتى . . . . العين، وكنت ذهبت للانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي: أين أنت عن أبي العباس ابن ولاد، فقصدته، فلقيت رجلاً كامل العلم حسن المروءة فسألته الكتاب فأجابني ثم ندم أبو جعفر لما بلغه إباحة أبي العباس الكتاب لي، ورحل ابن العربي حجة ثمان وثلاثين فاجتمع بعده أعلام، وظهرت فضائله في المشرق وسمع عليه بمكة محمد بن المنذر النيسابوري كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى الأشراف. وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبي العباس ابن ولاد[١].

وهناك عدد من علماء المغرب الذين ارتحلوا إلى المشرق ولم يكن دورهم السماع فقط إنما أسهموا في إغناء الحركة الثقافية تدريساً وتأليفاً ومحاورة، فأبو محمد المرسي اللورقي[٢] قدم مصر فقرأ بها على أبي الجود غياث بن فارس، وبدمشق على التاج زيد الكندي وببغداد من أبي محمد بن الأخضر، وأخذ العربية عن أبي البقاء ولقي الجزولي بالمغرب. هذا الرجل لم يكتف بالأخذ من هذه الحواضر إنما درس وألف فقيل عنه أنه أقرأ بدمشق، ودرس وشرح المفصل في النحو في أربع مجلدات فأجاد[٣].

وذكر أبا المقري عبد الله محمد بن سراقة الشاطبي (ولد سنة ٥٩٣هـ وتوفي سنة ٦٦٢هـ) وأنه تولى مشيخة دار الحديث البهائية بحلب. وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة[٤].

وأما أبو عمرو عثمان بن الحسين فهو أخو الحافظ أبي الخطاب ابن دحية كان أسن من أخيه، وكان حافظاً للغة العرب قيماً بها، وعزل الملك الكامل أبا الخطاب عن دار الحديث الكاملية التي أنشأها بين القصرين ورتب مكانه أبو عمرو، ولم يزل بها إلى أن توفي سنة ٦٣٤هـ[٥].

وأبو ذر الهروي قال عنه الخطيب إنه دخل بغداد وحدث بها[٦].

وأبو بكر محمد بن أحمد البكري الشريشي درس بالفاضلية في مصر ثم انتقل إلى القدس فأقام به شيخاً للحرم[٧].

وتقدم لنا هذه المعلومات نماذج شامخة لرجال منهم بلغوا مبلغاً جعل وجهاء المدن

(١) نفسه ٢/ ١٥. ما وضعنا في محله نقاط، بياض في أصل البحث.
(٢) ترجمته في غاية النهاية ٥/ ١٥.
(٣) نفح الطيب ٢/ ٥٠.
(٤) نفسه ٢/ ٦٤.
(٥) نفسه ٢/ ٦٤، ٦٥.
(٦) نفسه ٢/ ٧٠، وانظر ٢/ ١٣٧، ١٤٣، ٧٠.
(٧) نفسه ٢/ ١٣١.

المشرقية يلتفون حولهم ويطارحونهم العلم ويأخذونه عنهم[١].

وقد يرحل المغربي والأندلسي إلى المشرق وقد بلغ من العلم مبلغاً يؤهله للإفتاء والتدريس ويكون أخذه للعلم من باب استكمال ما فاته. وقد سبقت بعضهم شهرته مثل أبي عبد الله محمد بن عمر القرطبي الذي حج وجاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام، وأفتى بها[٢].

وأبو الخطاب ابن دحية نقل عنه أنه حين ارتحل إلى المشرق في دولة بني أيوب رفعوا شأنه وقربوا مكانه وجمعوا مجلساً ضم علماء الحديث، واختبروا علمه الحديث وأسانيده ومتونه[٣].

وذكرت لبعضهم مهارات أخرى غير الإفتاء والتدريس منها سرعة الكتابة مثلما ذكر عن ابن جعفر ضياء الدين محمد بن محمد بن بندار وأنه سمع بدمشق وكتب بخطه كثيراً وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد[٤].

هذا العرض السريع يبين الجهود التي قام بها المقري التلمساني عالم الجزائر خاصة والمغرب عامة في ترسيخ التواصل بين المشرق والمغرب من خلال رحلاته بين تلمسان وفاس ومراكش. ومن خلال تراجم الأعلام الذين ارتحلوا من الأندلس والمغرب إلى بلدان المشرق العربي وهو يظهر روح التواصل العلمي والفكري عبر قرون طويلة قام بها أعلام أفذاذ أسهموا في حركة علمية، ووحدة فكرية جعلت المغربي مرتبطاً بالمشرقي، والمشرقي منشوقاً لعلم المغربي، أحدهما يكمل الآخر... فخلّفوا لنا تراثاً ضخماً لم يقتصر على العلم المنقول أو المدون في المؤلفات بل تجاوزه إلى تسجيل دقائق طريفة تشير إلى تفهم ما كان عليه السلف من خلق علمي يتمثل بصبرهم وتحملهم المشاق للقاء العلماء، وتطوعهم للإقراء والتدريس والعطاء، وقد أعانتهم على ذلك حرية النقل بين الأقطار الإسلامية من أقصى المغرب العربي إلى الشرق وإلى أقصى بلاد فارس وخراسان، فلا حدود ولا حواجز ولا تعصب يحول بين المرء وأخذ العلم. لقد اتسعت قلوب الجميع لاحتضان الغريب إذا ألفوا منه علماً وتوسموا فيه خيراً.

ولا يقدح في هذه المسيرة معاناة هذا أو ذاك من هموم الغربة أو البعد عن الأهل أو الشكوى من الجفوة، فتلك نزعات إنسانية لم تحل دون السيرة العلمية.

أما ما قام به المشارقة من رحلات إلى المغرب العربي فقد أرجئنا الحديث عنه إلى مبحث آخر إن شاء الله.

---

(١) نفسه ٢/ ٢١/ ٢٢، ٩.
(٢) نفسه ٢/ ٦١.
(٣) نفسه ٥/ ٩٩.
(٤) نفسه ٢/ ٦٦.

مالك بن المرحل حياته وشعره

الأستاذ نجيب الجباري(*)

توطئة:

لما قررت اختيار موضوع للبحث في أحد مجالات الأدب، وقع اختياري تلقائياً على الجانب الشعري الذي له في نفسي منذ حداثة سني صلات وقربى، فمنذ طفولتي وأنا أخص الشعر بكل اهتمامي وعنايتي، حتى أصبح بالنسبة لي متعة روحية أحن إليها في أوقات الفراغ لأنهل من معينه العذب، وأستقي من منهله المنعش، وأقرأ ما تيسّر لي من شعر الشعراء العظام. وهكذا وقع اختياري على الشاعر المغربي مالك بن المرحل، لما يتمتع به الشاعر من مكانة مرموقة في دنيا الشعر والأدب جعلته موضع اهتمام كثير من الأدباء والباحثين.

والواقع أن اختياري لهذه الشخصية المغربية كموضوع دراسة، تكمن وراءه أسباب ودواعٍ موضوعية تدخل في إطار البحث عن الذات الضائعة ونفض الغبار عن التراث المشرق المغمور من أدبنا، فضلاً عن أنها فرصة نادرة لمحاولة التمرس بالمصادر القديمة والتعامل معها.

مالك بن المرحل والدارسون السابقون:

إن الأمر الذي لا يدعو للشك هو أن بلاد المغرب قد أنجبت شخصيات عالية المكانة استرعت أنظار الباحثين وأثارت إعجابهم واهتمامهم، بما كان لها من شهرة وظهور، وبما خلفته من بديع الإنتاج ضمن لها الخلود في سجل النابهين من عباقرة الفكر وأقطاب البيان.

إلا أن ذلك السجل الحافل ـ ويا للأسف ـ قد ضاع أكثره، فَفَقَد الأدب العربي باندثاره ذخائر نفيسة وثروة مهمة، كانت قمينة بأن تُبرّأ جانبه المغربي من تلك الاتهامات المتعصبة التي شنها عليها أكثر مؤرخي الآداب العربية.

على أن ما سلم من يد الزمان، من ذلكم التراث، لو تضافرت الجهود على إخراجه وتحقيقه وإيفائه حقه من البحث والاستقصاء لأصبح الأدب المغربي محتلاً مكانته بين آداب الأقطار العربية الأخرى.

(*) باحث من طنجة ـ المغرب.

والحقيقة أن اختيار شاعر عاش في القرن السابع الهجري، وبالضبط إبان الحكم المريني بالمغرب كانت مهمة صعبة وشائكة، وذلك لقلة الدراسات المتخصصة حوله، إذ إن أكثر الذين كتبوا عن الشاعر وشعره، أو بالأحرى ترجموا له كانوا من الذين أرخوا لأخبار وأحداث المدن والدول، وكانت كتبهم هذه أقرب إلى التأريخ منها إلى الأدب، اللهم ما عرضوا فيها، وفي مقالات صغيرة لا تتجاوز الصفحات القليلة لشعر الشاعر وحياته.

ويمكن أن نقسم الدارسين السابقين حول الشاعر إلى دراسات قديمة وأخرى حديثة.

١ ـ فأما الدراسات القديمة فهي التي تتمثل في كتب التاريخ وكتب التراجم، والمعاجم وكتب الطبقات.

١ ـ ١: كتب التاريخ:

فهي تلك الكتب والمصنفات التي أرخت للمدن والدول التي تعاقبت عليها، ككتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» لابن الخطيب[١] الذي من خلال تأريخه لمدينة غرناطة ترجم للكتاب والشعراء الذين نزلوا بها، ومنهم شاعرنا الذي تولى منصب القضاء مدة بجهاتها. ونقل ابن الخطيب في تعريفه بابن المرحل تعريفات أبي جعفر بن الزبير الذي قال عن الشاعر بأنه «شاعر رقيق مطبوع، متقدم، سريع البديهة، رشيق الأغراض، ذاكر للأدب واللغة»[٢] وهي جملة صفات يتفق عليها كل من ترجم لصاحبنا وكتب عنه.

وابن عبد الملك المراكشي الذي ذكره ولكنه لم يستوفِ ما استوفى لغيره كما استنتج ابن الخطيب. ثم كتاب «الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية» لصاحبه علي بن أبي زرع الفاسي[٣]، وهو كتاب جمع بين التاريخ والأدب. وإننا لنجد ذكراً لشاعرنا في غير قليل من الصفحات، فضلاً عن قصيدتين له: إحداهما يحض فيها المسلمين على الجهاد، والأخرى يهنىء فيها أمير المؤمنين بفتح مراكش[٤].

أما كتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» لمؤلفه شهاب الدين أحمد المقري التلمساني الذي تعرض لحياة القاضي عياض في سبتة فقد أورد أبياتاً شعرية لمالك بن المرحل يتغنى فيها بسبتة التي قضى بها جُلّ مراحل حياته[٥].

ونفس الشي نهجه القاسم الأنصاري السبتي صاحب كتاب «اختصار الأخبار» حيث أثبت

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، تح محمد عبد الله عنان ـ المجلد ٣ ص٣٠٤.
(٢) المصدر نفسه. المجلد ٣، ص ٣٠٤.
(٣) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشره محمد بن أبي شنب ـ دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط ١٩٧٢.
(٤) القصيدة الأولى ص٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠، والقصيدة الثانية ص١١٩.
(٥) أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين المقري التلمساني، تح السقا والأبياري، القاهرة ١٣٥٨، ج١ ص٢٩ ـ ٢٦٣.

شعراً للشاعر في وصف سبتة وبليونش[١]، وكذلك علي بن أبي زرع الفاسي صاحب «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» حيث ورد ذكر الشاعر في معرض الحديث عن دولة الأمير أبي بكر بن عبد الحق جالسوه ونادموه، ثم ورد ذكره كذلك ضمن لائحة شعراء أمير المؤمنين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق[٢].

والملاحظ أننا لم نقم بجرد جميع المصادر التاريخية التي تكلمت عن شاعرنا، وإنما أوردنا بعضها كأمثلة فقط. والحقيقة أن هذه المصنفات التاريخية القديمة قد ساعدتنا على الأقل في إلقاء الضوء على حياة الشاعر ومولده ووفاته، ونُتَفٍ من شعره بُثَّتْ هنا وهناك.

١ ـ ٢: كتب التراجم:

على أن الذي عمّق معرفتنا بالشاعر من حيث مولده ومراحل حياته وتكوينه الثقافي وآثاره، وكل شيء له علاقة به كإنسان وكشاعر هي كتب التراجم التي أفاضت في التعريف بشاعرنا والترجمة له، وعلى رأس هذه الكتب «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك المراكشي[٣] الذي عدّه من الغرباء وحشره ضمنهم، فعرّف به وبشاعريته قائلاً: «صحبته في بعض أسفاره على ظهر البحر بسبتة والجزيرة الخضراء وغرناطة، وكان من محسني الشعراء ومتقنهيم»[٤]، فهذه الشهادة ـ وهي من معاصر ـ تبين لنا ما كان يتمتع به مترجمنا من ذيوع الصيت وانتشار الذكر. ووردت ترجمة مالك بن المرحل كذلك في «جذوة الاقتباس»[٥] و«درة الحجال» لابن القاضي[٦] و«سلوة الأنفاس للكتاني»[٧] وبرنامج الواداياشي[٨]... وكلها تتفق على تاريخ مولده ووفاته ومكان دفنه، وتُقر بشاعريته ونبوغه، وأنه «الشاعر المغربي الكبير» وأنه «الإمام

(١) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار: محمد بن القاسم الأنصاري، تح عبد الوهاب منصور، الرباط ١٩٦٩، ص١٠٦.

(٢) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: علي بن أبي زرع الفاسي، طبعة دار المنصور، الرباط ١٩٧٣، ص٣٠٨.

(٣) الذيل والتكملة على كتاب الصلة: ابن عبد الملك المراكشي، تحقيق د. ابن شريفة، دار الثقافة ـ بيروت.

(٤) المصدر السابق ص٥٢٧.

(٥) جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس: أحمد بن القاضي الفاسي ـ دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص٣٢٧.

(٦) درة الحجال في غرة أسماء الرجال: ابن القاضي، تصحيح معين علوش، المطبعة الجديدة، الرباط ١٩٣٦، القسم ٢ ص٨٩٧.

(٧) سلوة الأنفاس في محادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس: ابن إدريس الكتاني، طبعة حجرية، ص٩٩.

(٨) برنامج الواداياشي، تحقيق محمد محفوظ ـ دار الغرب الإسلامي ـ أثينا، بيروت، ط١/ ١٩٨٠، ص١٣٩ ـ ١٤٠.

العالم الهمام، النحوي الأديب، اللغوي الأريب، الشاعر المفلق، أحد فضلاء المغاربة»[١].

١ ـ ٣: المعاجم وكتب الطبقات:

وقد عمل أصحابها على التعريف بأشهر الأعلام والطبقات، ككتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» الذي ترجم لشاعرنا واعتبره «أديب زمانه بالمغرب وإمام وقته»[٢]، فذكر تاريخ مولده ومسقط رأسه وتاريخ وفاته ومكان دفنه، ثم كتاب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي[٣] الذي اكتفى بالتعريف بصاحبنا والإقرار بشاعريته وسرعة بديهته وحسن كتابته، وذكر بعض شيوخه الذي أخذ عنهم وأجازوا له كأبي القاسم بن بقي، وأورد بيتين من شعره في مسألة (كان ماذا) التي وقع بينه وبين ابن أبي الربيع النحوي، في شأنها خصومة أدبية لم تخمد لظاها مدة طويلة[٤].

وقد صنع صنيع هؤلاء الشيخ الجليل الأستاذ محمد مخلوف في كتابه «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» معرّفاً بشاعرنا وبشيوخه، وذكر آثار الشاعر مكتفياً بسرد عناوينها، ثم ختم بتاريخ مولد الشاعر ووفاته[٥].

ويمكننا أن ندخل في هذا الإطار كتاب «الأعلام» للزركلي و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، وقد أخرّنا ذكرهما لأنهما مصنفات حديثة (نسبية) نسبياً. ففي الأعلام ذكر مؤلفه شاعرنا ضمن ما ذكره من الرجال الذين ترجم لهم[٦]، وفي معجم المؤلفين عرّف فيه صاحبه ببعض مصنفي الكتب العربية، فأورد شاعرنا من جملتهم[٧].

٢ ـ وأما الدراسات الحديثة: فهي تلك الدراسات التي أقامها أصحابها من أجل التعريف بالأدب المغربي ورجالاته، بحيث ألقوا على عاتقهم مسؤولية بعث الماضي المغربي وإحياء معالمه، إما من خلال الدراسات التي كانوا ينشرونها ـ وبشكل محتشم جداً ـ في صفحات المجلات والدوريات، أو بواسطة جمع تلك المقالات والدراسات ونشرها في كتب مستقلة، وذلك في غالب الأحيان.

ومن جملة هؤلاء الدارسين المحدثين الذين نذروا أنفسهم للتعريف بمظاهر الحضارة والثقافة المغربيتين، وخاصة في عصر بني مرين الذي يُعد بحق العصر الذهبي للعلوم الأدبية

---

(١) السلوة ـ م م ص٩٩.
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري ـ مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣٥، ج٢ ص٣٦.
(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي. ط١، ١٣٢٦هـ، ص٣٨٤.
(٤) انظر بشأن هذه الخصومة: نفح الطيب، ج٤ ص١٤٥، جذوة الاقتباس ص١٨١.
(٥) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: الشيخ محمد بن مخلوف، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان، ص٢٠٢.
(٦) الأعلام: خير الدين الزركلي ـ المجلد ٦، الطبعة الثانية ص١٣٨.
(٧) معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، المجلد ٤، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ص١٦٩.

في المغرب وأزهى عصور إنتاجها، الأستاذ العلامة محمد المنوني الذي كتب عدة مقالات وأبحاث في عدة مجلات مغربية، معرّفاً بالأدب المريني وبأشهر رجالاته، ويضم كتابه «ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين» أكثر هذه المقالات والأبحاث[(١)].

وكذلك الأستاذ محمد بن شقرون المتخصص في أدب العصر المريني، وله أطروحة جامعية نال بها دكتوراه الدولة باللغة الفرنسية بعنوان «الحياة الفكرية على عهد الدولة المرينية والوطاسية» وفيها جرد عام لأهم المصادر والمراجع التي تعين الدارس الباحث في التيارات الفكرية وعوامل الازدهار الثقافي في العصر المريني، فضلاً عن التعريف بأهم رجالات العصر من شعراء وكتاب مبرزين، كمالك بن المرحل الذي أورد بشأنه قائمة مصادر ومراجع[(٢)]. ونهج نفس النهج في كتابه «مظاهر الثقافة المغربية» من القرن ١٣ إلى القرن ١٥ حيث قسمه إلى بابين، اختص الباب الأول بالبيئة المغربية ومعطياتها في عصر بني مرين، وانفرد الباب الثاني بالتعريف بمشاهير الأدباء المغاربة، فحظِيَ مالك بن المرحل بالقسط الأكبر من الدراسة في هذا الباب.

وتطرق الأستاذ «محمد بن تاويت» في كتابه «الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى» إلى مالك بن المرحل الرجل والشاعر، وأورد كثيراً من أشعاره، وخصوصاً قصيدته التي قالها في مدح النعال النبوية والتوسل بها، ثم تناولها بالدرس والتحليل[(٣)]. ولم يفته وهو يؤرخ لمدينة سبتة على عهد المرينيين من أن يشير إلى مالك بن المرحل كَعَلَم من أعلامها المشهورين ويورد أبياتاً له في مدح هذه المدينة الزاهية[(٤)]، وتعرض كذلك للشاعر في كتابه «الأدب المغربي» عندما كان يتكلم عن فترة المرينيين والوطاسيين[(٥)].

وكانت الدراسة المتخصصة الوحيدة هي للعلامة عبد الله كنون رحمه الله، والذي ألقى فيها نظرة سريعة على بعض الجوانب الحياتية والشعرية لمالك بن المرحل، وهو واحد من سلسلة أسماها «ذكريات مشاهير رجال المغرب»[(٦)] عرّف فيها بأهم مشاهير رجالات المغرب كابن الونان، وأبي جعفر بن عطية، وعبد العزيز الفشتالي وغيرهم.

أما بقية الذين أشاروا إلى ابن المرحل، فقد فعلوا ذلك على صفحات المجلات أو

---

(١) ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين: محمد المنوني ـ منشورات كلية الآداب ـ الرباط ١٩٧٩.

(٢) الحياة الفكرية على عهد الدولة المرينية والوطاسية: د. محمد بن شقرون، الرباط، ١٩٧٤ (بالفرنسية) ص١٤١ ـ ١٤٦.

(٣) مظاهر الثقافة المغربية من القرن ١٣ إلى القرن ١٥: د. محمد بن شقرون ـ مطبعة الرسالة ـ الرباط ١٩٨٢، الجزء ١ ص٣٣٨.

(٤) المرجع نفسه ص٢٢.

(٥) تاريخ سبتة: محمد بن تاويت ـ الطبعة ١ سنة ١٩٨٢، ص١٤٨.

(٦) ذكريات مشاهير رجال المغرب: عبد الله كنون ـ مطبعة كريماص، تطوان، العدد ٨.

الدوريات، ضمن مقالات صغيرة موجزة لم تتجاوز أصابع اليد من الصفحات، كالذي ورد في مجلة الأنيس المغربية بتحرير الأستاذ عبد الرحمان الزياني[١] ومجلة دعوة الحق بقلم الأستاذ محمد العلمي حمدان[٢] وغيرهما، وكلاهما ينتهج نفس الخطة في تناول الشاعر، إذ ينطلق من دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية التي عاشها مالك بن المرحل، والتي كان لها أثرها في إنتاج الشاعر الشعري، ثم ينتقل إلى دراسة شعره من الناحية المعنوية والإنسانية، فيتعرض لدراسة الأغراض والقضايا المعنوية في شعر الشاعر.

تلكم كانت باختصار جملة الدراسات السابقة التي تحدثت عن الشاعر مالك بن المرحل، ضممت ما جاء فيها إلى كثير من المعلومات التي جمعتها، والتي ساعدتني في إتمام هذا البحث.

فمن هو إذن مالك بن المرحل؟ وما هي العوامل الذاتية والموضوعية التي ساهمت في تكوينه الثقافي ونضجه الشعري؟

حياة مالك بن المرحل:

١ ـ مولد الشاعر ونشأته ووفاته: [من الرجز]

يا سائلي عن مولدي كي أذكره ولدتُ يوم سبعة وعشرة
من المحرم افتتاح أربع من بعد ستمائة مفسرة

ولد ابن المرحل في مرحلة زمنية عصيبة، طغت فيها الفتن والمشاكسات، وهي فترة انسحاب الموحدين وتسليمهم مقاليد الحكم لدولة المرينيين، وليس يهمنا هنا الحديث عن عوامل انهيار هذه الدولة وبروز الأخرى بقدر ما يهمنا تبيان الأوضاع والظروف التي ولد فيها ابن المرحل. وتُجمِع المصادر على أن ولادته كانت سنة ٦٠٤هـ بمالقة، إلا أننا نجد الأستاذين ابن تاويت والعفيفي ذهبا إلى أن مسقط رأسه كان بسبتة[٣]، ولقد عثرنا ونحن نبحث بشأن مقر ولادته على نسخة خطية من كتاب «سلوة الأنفاس»[٤] لمؤلفه جعفر بن إدريس الكتاني، ما نصه: «وهو رضي الله عنه سبتي الدار، مالقي النجار، مولده بمالقة في ١٧ محرم فاتح عام ٦٠٤هـ»[٥]، فهذا المخطوط إذن يشكل دليلاً يعتمد عليه الباحث في إصدار هذا الحكم. ونحن بعد الاقتناع بأن ولادته كانت بمالقة لا ندري متى غادر هذه المدينة وكم قضى فيها من عمره، سكتت كل المصادر عن هذا، ولم تذكر السبب الذي جعله يغادر مسقط رأسه، ويتنقل بين سبتة وفاس المغربيتين. وعلى كل حال فابن المرحل هذا، وكما هو معروف عند معاصريه أو عند من

---

(١) العدد من ٤٥ إلى ٥١ سنة ١٣٥٤هـ.
(٢) الأعداد من ١ إلى ٣ ومن ٦ إلى ٧ سنوات ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.
(٣) الأدب المغربي: محمد بن تاويت ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٦٠، ص٢٢.
(٤) م.م ص٩٩.
(٥) م.م ص٩٩.

ترجموا له، هو أبو الحكم مالك بن عبد الرحمان بن علي بن المرحل، ولقبه أبو المجد، نشأ في صميم البيئة المغربية، وهي بيئة دينية خالصة امتازت بروحانية وصدق عقيدة، فشبَّ متشبعاً بروح الإسلام وبتعاليمه السمحة وشاب عليها. ومن يتصفح آثاره جمعيها يقف على روحانية صافية وأحاسيس فياضة وإخلاص عميق لكتاب الله وسنة رسوله. ولقد كان عصر الدولة المرينية التي ولد الشاعر في زمانها وعاش في ربوعها وأكنافها واتصل بكثير من رجالاتها. . من أزهى عصور المغرب الثقافية وأروعها علماً ورقياً، وكانت مدينة سبتة التي قضى الشاعر فيها معظم فترات حياته، من أهم المراكز الثقافية في المغرب، وذلك لموقعها الجغرافي الذي جعل منها صلة وصل بين الأندلس والمغرب، وبما توفر فيها من مكتبات وخزانات، وبما كانت تزخر به من علماء وفقهاء وأدباء وشعراء، ويكفيها شرفاً ورفعة أنها احتضنت بين مراتعها الكثير من الأعلام والشخصيات غاية في العلم والمعرفة والعرفان، كالعالم والأديب أبي الفضل القاضي عياض وغيره من الكتّاب والشعراء الذين تفتق نبوغهم في أنديتها.

فلا عجب إذن أن يتأثر ابن المرحل بهذه البيئة التي ترعرع فيها، ولا غرابة أن ينشأ نشأة إسلامية متينة، خصوصاً إذا علمنا بأن مذهب الإمام مالك والأشعرية كانا المذهبين السائدين في زمنه وبسبتة على الخصوص.

ولقد عمَّر الشاعر خمساً وتسعين سنة لم ينقطع خلالها عن العلم، ونظم الجيّد من الأشعار. ولم تفتر ملكته عن قول الشعر حتى آخر يوم من حياته، حيث أمر أن تكتب على قبره الأبيات الأربعة التالية: [من مجزوء الخفيف]

زُر غـــريبـــاً بمغـــرب ... نـــازحـــاً مـــا لـــه ولـــي
تـــركـــوه مـــوسَّـــداً ... بيـــن صخـــر وجنـــدلِ
ولتقـــل عنـــد قبـــره ... بلســـان التَّـــذلُّـــل
رحـــم الله عبـــده ... مـــالـــك بـــن المـــرحّـــل[1]

وكان ذلك في اليوم السابع عشر من رجب الفرد عام ٦٩٩هـ. جاء في السلوة ما نصه: «فنفذت وصيته وكتبت هذه الأبيات في مربعة وجُعلت على قبره، ثم زالت بعد ذلك، أزالتها يد النوائب، والبقاء لله وحده. ويقال إن ضريحه من جملة ما قطع عن هذا الخارج بالسور الجديد المحديث عن يمين خارج هذا الباب، وصار من جملة داخل المدينة إلى ناحية المحل المعروف الآن بزريبة الخشب، والله أعلم»[2].

٢ ـ ثقافة الشاعر وتكوينه:

لم تسهب المصادر التاريخية كعادتها في الحديث عن ثقافة الشاعر وتكوينه، ولم تفصل

(١) جذوة الاقتباس، م.م ص٣٣٣.
(٢) السلوة. م.م ص٩٩.

القول في المناهج التي اتبعها في دراسته، باستثناء ما جاء في بعضها، وفي إشارات عابرة كنفح الطيب وأزهار الرياض والإحاطة[١].

إلا أننا يمكن أن نستنتج من تكوين ابن المرحل فكرة عن هذه الثقافة والطرق التي اتبعها في تمدرسه وتعلمه، لقد كانت هناك تقاليد ونظم أملتها الظروف الدينية والاجتماعية حتى أصبحت من القيم والمثل العليا التي يجب أن تصان وتحترم. منها أن يبدأ الطالب بحفظ القرآن الكريم واستظهاره. وابن المرحل كما جاء في معظم المصادر التي ترجمت له قد حفظ القرآن وأتقن قراءاته السبع[٢]، ثم انتقل إلى دراسة اللغة العربية وما يتصل بها من علوم، كالفقه والنحو والصرف والبلاغة والعروض يلتهمها التهاماً، معتمداً في ذلك على الحفظ والاستظهار، فتقوت بذلك ملكته اللغوية، واكتسب روح العربية لغةً وبياناً وعروضاً وحفظاً واضطلاعاً.

وإذا علمنا بأن ابن المرحل قد تولى القضاء بالأندلس وخاصة بغرناطة، كما اتفقت عليه جميع المصادر تأكدنا من مدى تضلعه في الفقه وفي الشريعة الإسلامية، مع العلم بأن القاضي في ذلك العصر كان يجب عليه أن يكون مُلمّاً باللغة العربية وقواعدها من جهة، وضليعاً في أصول الفقه وأصول الدين وغيرها من العلوم التي لا مناص للقاضي منها، من ناحية أخرى.

ونتيجة لكل هذا أصبح مالك بن المرحل كاتب وشارع البلاط المريني، وما أدراك ما البلاط المريني في تشجيع العلم والعلماء والشعر والشعراء، حيث كان يعج برجال العلم والأدب وشيوخ الفقه والتصوف. وتجمع كتب التاريخ والتراجم على اختلافها، أنه كان حسن الكتابة، جميل الخط، قد أظهره انتخابه لكتابة دولة ابن الأحمر بالعدوة الأندلسية، والسلطان المريني الذي استكتبه كما جاء في الإحاطة، الشيء الذي جعله في مصاف من زاولوا الكتابة بعده في بلاط المرينيين كابن الخطيب وابن خلدون.

ولم يكن خطه الحسن وأسلوبه الواضح السبب الوحيد الذي بوأه تلك المكانة الراقية، وإنما كذلك لما توفر فيه من خصال فاضلة: «فقد كان نافذ الذهن، شديد الإدراك، قوي العارضة والتبريز في ميدان اللّوذعية وحرارة النادرة وحلاوة الدعابة»[٣]، وقد غلب عليه النظم والشعر، فكان إنتاجه غزيراً، حتى كاد أن لا يتكلم إلا بالشعر، وسوف يأتي الحديث عنه في موضعه إن شاء الله.

٣ ـ شيوخه وتلامذته:

من البديهي أن يكون لصاحبنا شيوخ أو أساتذة بالمفهوم المتداول اليوم، حيث كانت لهؤلاء اليد الطولى في توجيهه الأدبي، بل مارسوا تأثيراً بيناً وجلياً للغاية في تكوينه وثقافته

(١) نفح الطيب: المقري التلمساني، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج٤ ص١٤٥. أزهار الرياض، م.م. ج٢ ص٢٩ ـ ٢٦٣. الإحاطة، م.م مج٣ ص٣٠٣.

(٢) غاية النهاية، م.م ج٢ ص٣٦.

(٣) الإحاطة. م.م مج٣ ص٣٠٤.

العلمية والفنية. وقد اختلف شيوخه باختلاف المدن والأماكن التي نزل بها. فأما في مالقة فقد أخذ شاعرنا عن كثير من الفقهاء والمؤدبين كأبي جعفر بن علي الفحام الأنصاري[(١)] الذي رحل إلى شرق الأندلس، وتلا هناك بالسبع وكان تقياً ورعاً مفضلاً للعزلة[(٢)]. وقرأ عن أبي عبد الله الأستجي الأديب[(٣)]، وأبي عمرو بن سالم، وابن صالح الفهرواني المالقي الأديب المقيد الضابط، أحد نحاة مالقة المشهورين، ثم أبي عبد الله بن عسكر تلميذ أبي علي الرندي النجيب الذي أثنى عليه، وأشار بأن يخلفه في موضعه لتصدر الإقراء[(٤)]، وجالس أبا النعيم رضوان بن خالد وهو أحد شعراء عصره المشهورين ومن أظرف الأدباء زيّاً ومجالسة.

أما في إشبيلية، فقد لقي بها ابن المرحل أبا الحسن بن الدباغ[(٥)] وأبا القاسم بن بقي الفقيه والمحدث، والقاضي النزيه، حيث أجاز له[(٦)] بالإضافة إلى أبي علي الشلوبين الذي أخذ عنه وهو الإمام النحوي المشهور بالأندلس[(٧)].

أما عن شيوخه بالمغرب فهم أبو زيد البرنوصي وعبد الرحيم بن محمد اليزناسي[(٨)] العالم الصالح الفاضل التقي، أحد العلماء الذين لهم الفضل الكبير في تكوين ابن المرحل العلمي والفقهي.. وسواهم كثير.

هذا ولم يكن محيط ابن المرحل الفكري والثقافي يتكون من أشياخه فقط، وإنما كان له تلامذة وتابعون مثله، مثل أي شيخ امتلك ناحية اللغة والأدب وأتقن علوم الدين وخبرها، وقد كان لتلامذته وزنهم الثقيل وشأنهم الكبير في عصره، فقد عُرف من تلامذته أحمد بن إبراهيم بن الزبير العاصمي الغرناطي ويُكنى أبا جعفر[(٩)]، وقد روى عن شاعرنا ورحل إليه فتصدى للإقراء وإسماع الحديث وتعليم العربية وتدريس الفقه، وكان من أهل التجويد والإتقان، عارفاً بالقراءات، انتقل إلى سبتة للاتصال بشيخنا أبي الحكم لما سمع عن علمه الواسع الغزير.

ويضيف المترجمون لتلامذته أبا حيّان النحوي الأندلسي، وقد أجاز له ابن المرحل، يقول المقري: «ومن كتب عنه من مشاهير الأدباء أبو الحكم مالك ابن المرحل المالقي»[(١٠)]. ثم

---

(١) الإحاطة مج٣ ص٣٠٥ ودرة الحجال، م م ص٨٩٧.
(٢) انظر ترجمته في الذيل والتكملة، م.م ج١ ص٣٢٢.
(٣) الإحاطة، م.م مج٣ ص٣٠٥.
(٤) جذوة الاقتباس، م.م ص٣٢٧.
(٥) الإحاطة، م.م مج٣ ص٣٠٥.
(٦) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: لأبي الحسن علي بن سعيد، تح إبراهيم الأبياري - دار المعارف - القاهرة، ط٣، ١٩٧٧، ص٣٢.
(٧) السلوة. م.م ص٩٩، وغاية النهاية، م.م ج٢ ص٣٦.
(٨) جذوة الاقتباس، م.م ص٢٢٣.
(٩) الإحاطة، م.م مج٣ ص٣٠٥ وجذوة الاقتباس، م.م ص٣٢٧.
(١٠) النفح، م.م ج٣ ص٣٠٥.

القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي الذي أخذ عن ابن المرحل بسبتة، وقد برع في الكتابة الأدبية وقرض الشعر، وهو صاحب الكتاب المشهور «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصِّلة» ذكر ابن المرحل في مؤلفه ضمن شيوخه، كما أخذ عليه مآخذ تخص تقنيات عروضية في قصيدتين أوردهما له[١]. ثم أبو جعفر بن مالك المعارفي من أهل غرناطة، تولى القضاء بألمرية ووادياش ومالقة، يقول عنه في درة الحجال «أجاز له مالك بن المرحل»[٢]. وكذلك يعتبر أبو عبد الله بن جعفر الأسلمي من تلامذته النجباء، يقول عنه ابن القاضي: أجاز له جماعة منهم مالك بن المرحل[٣]، ثم القاضي أبو إسحاق إبراهيم الغافقي الإشبيلي، الذي روى عن جماعة من الأدباء منهم الأديب أبو الحكم مالك بن المرحل..

هؤلاء بعض شيوخ ابن المرحل وتلامذته، أسماء لامعة، وجلة من فحول هذا العصر، كانت وستبقى دائماً رمزاً لسعة العلم وغزارة المعرفة وعمق الإحساس بالمسؤولية، مسؤولية القيام بالواجب العلمي والتربوي.

٤ ـ علاقاته الأدبية:

هذا ولم تكن بيئة ابن المرحل الثقافية والفكرية تتمثل في شيوخه وتلامذته فقط، وإنما كانت تتكون من النقّاد والكتّاب والشعراء والنحويين الذين عاصروا الشاعر فتأثر بهم وأثر فيهم، ودليلنا على ذلك هو أنه قد وقعت بين ابن المرحل ومعاصره ابن أبي الربيع النحوي مناقشة حادة بشأن مسألة «كان ماذا» هل تقع حشواً كما استعملها مالك أم لا؟ وكان ابن أبي الربيع هذا قد سمع قول مالك في إحدى قصائده: [من الكامل]

وإذا عشقت يكون ماذا هل له ... دين عليَّ فيعتدي ويروح

فلحنه وقال: لا يقال كان ماذا. فاحتج عليه مالك ببعض أشعار المولدين وغيرها، إلا أن ابن أبي الربيع أنكر عليه ذلك وقال: [من المديد]

كان ماذا ليتها عدم ... جنبوها قربهم ندم

ليتني يا مال لم أرها ... إنها كالنار تضطرم

(مال: ترخيم مالك).

وردّ عليه مالك بن المرحل بقوله: [من مجزوء الخفيف]

عاب قوم كان ماذا ... ليت شعري لم هذا؟

وإن[٤] عابوه جهلا ... دون علم كان ماذا؟

وألّف كل منهما في المسألة. وكان الذي ألّف ابن المرحل كتابه «الرمي بالحصى والغرب

---

(١) الذيل والتكملة، م.م ١/ ٣٣١ ـ ٣٣٥.

(٢) درة الحجال، م.م رقم ١٦٦ ص٦٩ ـ ٧٠.

(٣) المصدر نفسه رقم ٥٤ ص١٨٨.

(٤) وإن: تخلّ بالوزن، والصواب: وإذا.

بالعصا» في ثلاثة أجزاء[١].

ونظير هذه الخصومة ما جرى بين شاعرنا وبين أبي علي بن رشيق، هذا الأخير نظم قصيدة مطلعها: [من الكامل]

لكلاب سبتة في النباح مدارك وأشدها عند التهارش مالك

وقد اشتملت القصيدة كلها على التعريض والتحريض والتهم لشاعرنا..

ولم يقف ابن المرحل مكتوف اليدين أمام هذا الهجاء اللاذع، وإنما أجابه بقوله:

[من المتقارب]

كلاب المزابل آذينني بأبوالهن على باب داري
وقد كنت أوجعها بالعصا ولكن عوت من وراء الجدار[٢]

ولم تكن علاقات ابن المرحل بمعاصريه علاقات خصام وعداء فحسب، وإنما كانت له صداقات متينة وعلاقات حسنة مع مواطنيه من الأدباء والشعراء، مثل تلك العلاقة الوطيدة التي جمعته مع الأديبة الشاعرة سارة الحلبية التي نزلت بسبتة ومدحت رؤساءها وكتّابها وشعراءها..

ومما خاطبت به ابن المرحل قولها: [من مجزوء الكامل]

يا ذا العلا يا مالكي أنعم عليّ بمالك
العالم المتفنِّن البحر المحيط السالك
يا نفس إن جاء الزما نُ بهِ بلغت منالك
ولطالما قد نلت ما أملت من آمالك

فراجعها ابن المرحل بقوله:

يا ندرة الدنيا لقد حزتِ العلا بكمالك
جُمِعَتْ لكِ الآداب حتى أنهن كمالك
إن قايسوك بمالك ألفوك أملك مالك

فردت عليه برسالة نثرية بليغة وأجابها هو أيضاً بأبيات شعرية[٣].

وهكذا كان محيط ابن المرحل محيطاً ثقافياً زاهراً غنياً بالأحداث والتظاهرات الثقافية والفكرية، مما كان له أثره الفعال في صقل موهبة ابن المرحل الشعرية، إذ إننا نجد شاعرنا لم ينطق لسانه بالشعر في سن مبكرة، بل كان ذلك بعد أن نمت ملكته الشعرية واكتملت بفضل ثقافاته الواسعة ودراساته المتعمقة لأصول اللغة والنحو وعلم العروض..

٥ ـ آثاره وتواليفه:

إذا كانت حسنات الرجال والأعلام تتفاوت بمقدار ما تركوا من آثار، وبما خلفوه من

(١) انظر الهامش رقم ٤٣.
(٢) انظر بشأن هذه الخصومة نفح الطيب، م.م ج٤ ص١٤٥.
(٣) المصدر نفسه ص٤٥.

أعمال خالدة جليلة، فإن رجال الفكر الذين نذروا أنفسهم للكلمة، يكونون من العظماء الذين خلفوا للتاريخ تراثاً فكرياً ضخماً صوّروا فيه تجاربهم وأبحاثهم، وسجلوا فيه خلجات نفوسهم ونبضات قلوبهم وجديد أفكارهم، فنالوا بذلك المكانة المرموقة والذكر الطيب.

وابن المرحل كان من هؤلاء الذين اعتكفوا على التدوين والتحبير، فقد كانت مساهمته الفعالة ومشاركته الفعلية في ميدان الثقافة وحلبة المعرفة، عاملاً على إنهاض حركتها بمؤلفاته المتنوعة التي كادت تصل إلى العشرين مؤلفاً، ما بين آثار علمية وفنية وأدبية، ولكن ويا للأسف فقد لعبت بها الأيدي العابثة، وضاع معظمها ولم يبق منها إلا النزر القليل.

فأما آثار الرجل العلمية فقد حددتها المصادر فيما يأتي:

- أرجوزة سماها «سلك المنخل لمالك بن المرحل» نظم فيها منخل أبي القاسم بن المغربي.
- نظم غريب القرآن لابن عزيز، ذكره ابن القاضي في «درة الحجال».
- نظم اختصار إصلاح المنطق لابن عربي، ذكره ابن القاضي كذلك.
- كتاب الفصيح وشرحه، وللأستاذ محمد الفاسي نسخة منه فيها بتر في أولها ووسطها.
- كتاب الحلي وترتيب كتاب الأمثال لأبي عبيد على حروف المعجم، ذكره صاحب الجذوة.
- كتاب الرمي بالحصى والضرب بالعصا في مسألة كان ماذا، جاء في نفح الطيب وغيره.
- شرح أرجوزة في العروض، ذكره ابن القاضي في «درة الحجال».
- قصيدة في الفرائض المسماة «الواضحة»، وقصيدة مسماة «اللؤلؤ والمرجان»، ذكرهما صاحب الجذوة.
- أرجوزة في النحو، توجد منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط في ٨٨ صفحة.
- التبيين والتيسير في نظم كتاب التبصير، عارض بها الشاطبية وزناً وقافية، ذكرها أيضاً ابن القاضي في درة الحجال.

لكن أكثر هذه الكتب والمصنفات في عداد الضائع.

أما شعره «فالموجود منه بين الناس فكثير»[(١)]، والذي دوّن منه أنواع:

- ديوانه الجامع المسمى بالجوالات أي المختارات، ومنه: أرجوزة في مدح النبي «صلعم» وسماها «الوسيلة الكبرى» رتبها على حروف المعجم، والتزم افتتاح أبياتها بحروف الروي، على أن يحمل لكل منها عشرين بيتاً، وهي مخطوطة وموجودة بالخزانة العامة بالرباط ٨٩ ص٤٧.
- المعشرات النبوية على حروف المعجم، يضم كل حرف منها بعده حرفين زيادة على النمط السابق، وتوجد منها حسبما ذكر الأستاذ العلامة عبد الله كنون نسختان بالإسكوريال

(١) برنامج الواديباشي، م.م ص١٤٠.

إ ـ ثان: ٣٩٨.

ـ العشريات الزهدية وهي على نمط ما تقدم. ثم ديوان «دوبيت» صغير، والذوبيت كلمة مركبة من «ذي» الفارسية بمعنى اثنان وبيت بالعربية، وهذا الديوان يوجد بالإسكوريال أيضاً ثان ٢٨٨ رقم ٥٠٤.

ـ «الصدور والمطالع» وقد ضاع أيضاً.

ذلك ما وقفنا عليه من تواليف الرجل ومؤلفاته العلمية والفنية ذات «الأغراض النبيلة والمقاصد الأدبية»[1]، وقد خلّف لنا بذلك ثروة أدبية نفسية جديرة بالبحث والتهييء للنشر، فنحيي بذلك ذكر رجل من رجالاتنا ومشاهير شعرائنا، عاش حياته وأفنى عمره في خدمة لغة القرآن.

تلكم كانت إلمامة عجلى ونظرة خاطفة على حياة ابن المرحل الرجل، الفقيه والأديب الشاعر كما صورتها لنا وثائق التاريخ، وكما كشف لنا عن بعض خفاياها شيوخه وتلامذته وآثاره. أما ابن المرحل الشاعر فهو مما أتمنى أن يكون موضوعاً للحلقة الثانية من هذا البحث.

ـ يتبع ـ

---

(١) الإحاطة، م.م مج٣ ص٣٠٧.

المؤلفات الأندلسية والمغربية في الرد على ابن حزم الظاهري

- دراسة تاريخية وببليوغرافية -

الأستاذ سمير القدوري(*)

مقدمة:

نريد في هذا البحث رصد المنازلات الفكرية بين ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت٤٥٦هـ) وبين خصومه في حياته وبعد مماته، لأنه بعدما اختار ابن حزم باجتهاده رأي الإمام الشافعي أولاً وناضل عنه، استهدف بذلك لكثير من فقهاء وقته وعيب بالشذوذ. لكنه لم يلبث أن عدل عن مذهب الشافعي إلى القول بالظاهر وإبطال القياس على مذهب داود بن علي الأصفهاني. فنقح هذا المذهب وجادل عنه ووضع الكتب في بسطه، فكان اختياره هذا فتيلاً أزند نار الحرب بينه وبين المالكية في الأندلس، الذين سلكوا جميع السبل للنيل من ابن حزم: كالمغالبة بإثارة العامة والمطالبة عند السلطان، ومكاتبة القضاة والفقهاء في الأندلس وخارجها. فما زاد كيدهم ابن حزم إلا صموداً وتصميماً على رأيه واجتهاداً في نشره بين الطلبة بالتدريس والتصنيف، وخوض المناظرات مع المالكية في المحافل العظام بمحضر السلاطين والحكام سالكاً مسلك الإفحام والإلزام.

فاستطاع بذلك اكتساب أنصار كثر ساعدوه على نشر مذهبه وذيوع سيطه، وتعدد نسخ مؤلفاته حتى سارت بها الركبان. ثم استمرت المجادلات والمنازعات بين أنصار ابن حزم وبين خصومه، قروناً عديدة ظهرت بسببها تآليف كثيرة في الأندلس والمغرب تحمل عنواناً واحداً هو «الرد على ابن حزم» وكانت تلك الصراعات المذهبية أشد ضراوة في عصر الدولة الموحدية، لأن حكامها التزموا القول بالظاهر مذهباً رسمياً، وأصدروا أوامرهم الصارمة بمراعاة ذلك في الإفتاء والتدريس والتأليف، وامتحنوا علماء الفروع من المالكية، وأحرقوا دواوينهم المعتمدة مثل الواضحة والعتبية والمستخرجة والمدونة[1] إلخ..

---

* أستاذ في جامعة الرباط - المغرب.

(١) قال عبد الواحد المراكشي: «وفي أيامه (أي يعقوب المنصور الموحدي) انقطع علم الفروع، =

فكان من ردود الفعل على هذا أن تصدى كبار علماء المالكية للرد على ابن حزم، وتتبع تناقضاته التي في كتبه وإخراجها في تصنيف مستقل، للاستدلال على أنه لا يستحق أن يسمى «حجة الأيام وقدوة الأنام».

فقام السلطان بامتحان جملة من أولئك العلماء بالسجن والنكال، جزاء على تجرؤهم على الإمام ابن حزم وطعنهم عليه.

ولم تهدأ هذه الزوبعة بل ظلت ثائرة حتى القرن الثامن، ثم خمدت خلال القرن التاسع تقريباً لتحيى مجدداً بمراكش في أيام السعديين على يد أبي عبد الله الأندلسي، الذي كان ينحو منحى ابن حزم في نفي القياس ورفض التقليد المذهبي، فصار له أتباع عديدون، وكانوا يسمون أنفسهم بالمحمدية ويدعون خصومهم بالمالكية. وقد ألف بعض الفقهاء في الرد على هذه الطائفة كما سنشرح ذلك فيما بعد.

ولم أقف في الدراسات التي كتبت عن ابن حزم على مقال في هذه القضية المهمة في تاريخ الفكر الأندلسي، اللهم تلك الإشارات العابرة ببعض الأطروحات الجامعية حول ابن حزم، وكنت قد قمت مؤخراً بنشر مقال[1] عن كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي (ت٤٨٦هـ) وبينت فيه أهمية هذا الكتاب، وأنه ضم في طياته معلومات تاريخية فريدة بشأن ابن حزم وكتبه ومذهبه وأنصاره وخصومه، فمهد ذلك لي كثيراً من الصعاب فيما يخص جدل ابن حزم مع الفقهاء المعاصرين له، وألقى مزيداً من النور على حياته بالأندلس، فأصبح من الميسور فك رموز تلك النصوص المختصرة التي وردت عند ابن حيان بخصوص اضطهاد ابن حزم وتشريده إلى بلدة آبائه: لبلة.

فعزمت بحول الله، على تحرير دراسة شاملة عن «المؤلفات الأندلسية والمغربية في الرد على ابن حزم»، والاستفادة من المخطوطات التي سلمت من الضياع، واستخراج النقول المتناثرة عن بعض الردود المفقودة: ككتاب «الرد على ابن حزم» لأبي بكر بن مفوز الشاطبي (ت٥٠٥هـ)، وكتاب «الرد على ابن حزم» لأبي بكر عبد الله بن طلحة اليابري (ت٥١٨هـ). وتحديد هوية «الهاتف من بعد» الذي تعرض بالسباب لأبي محمد ابن حزم في رسالة وجهها

= وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد (..) لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة (..) وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك (..) وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا..) كتاب المعجب، لعبد الواحد المراكشي صفحة ٤٠٠ـ ٤٠١.

(١) انظر: سمير القدوري «مخطوطة أندلسية فريدة في الرد على ابن حزم الظاهري» مجلة الذخائر «لبنان» عدد ٥ السنة ٢/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. صفحات ٢٣٩ـ٢٥٦.

إليه دون أن يفصح عن نفسه، وبينت خطأ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري. الذي نسب تلك الرسالة ـ بدون حجة ـ إلى أبي الوليد بن البارية أحد فقهاء ميورقة الذين هزمهم ابن حزم في محفل المناظرة.

وقد استقصيت بحمد الله معلومات وفيرة عن ٢٣ تصنيفاً في الرد على ابن حزم، ألفت ما بين القرن ٥هـ إلى القرن ١٠هـ، ومعلومات كذلك عن رسائل المالكية، الموجهة إلى السلاطين والفقهاء والقضاة ضد ابن حزم نفسه.

متى كانت دراسة ابن حزم للفقه؟

لقد اغتر بعض من أرخ للفقه الإسلامي برواية مدخولة أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء[١] ونقلها عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء[٢]، وملخصها «أن ابن حزم لم يبدأ دراسة الفقه إلا وهو ابن ٢٦ عاماً، على يد الفقيه القرطبي أبي عبد الله ابن دحون، وتتابعت قراءته للموطأ عليه لمدة ثلاث سنوات أي حتى بلغ سن ٢٩».

والذي يبين أوجه الوضع في هذه الرواية: أمور كثيرة نذكر منها:

شهادة أبي عبد الله الحميدي لشيخه ابن حزم بأنه «سمع سماعاً جماً، وأول سماعه عن أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور، قبل الأربعمائة»[٣]. أي أن ابن حزم أخذ عن هذا الشيخ قبل بلوغه ١٦ عاماً.

أما مرويات ابن حزم عن ابن الجسور فنذكر منها:

موطأ مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي.

مدونة سحنون (في الفقه المالكي).

مسند أبي بكر ابن أبي شيبة.

فقه أبي عبيد القاسم بن سلام.

بل إن ابن حزم قد أخذ كذلك كتاب صحيح البخاري عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الهمذاني (ت٤١١هـ). وذلك بأحد مساجد قرطبة سنة ٤٠١هـ، وأخذ عن ابن الفرضي (ت٤٠٣هـ) ودرس الحديث والجدل عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد المصري الأزدي الوافد على الأندلس سنة ٣٩٤هـ ثم غادرها بعيد ٤٠٠ [٤].

فما ظنكم برجل درس كل هذه المؤلفات على مثل هؤلاء الأعلام قبل بلوغه ٢٠ سنة، هل يجهل أبسط أمور الصلاة كما تزعم تلك الرواية؟ وهل حقاً عرف الموطأ أولاً عندما بلغ ٢٦ عاماً؟

---

(١) ج٤/١٦٥٢ ـ ١٦٥٣ رقم ـ٧٢٠، تحقيق د. إحسان عباس، ط بيروت ١٩٩٣م.

(٢) راجع الجزء ١٨ صفحة ١٩٩.

(٣) جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٧٠٨ (ابن حزم)

(٤) راجع بشأن هذا كله: محمد المنوني «شيوخ ابن حزم في مروياته ومقروءاته» مجلة المناهل عدد ٧ سنة ١٩٧٦م صفحات: ٢٤١ـ٢٦٠.

وقد كنت أحصيت لابن حزم ٥٢ شيخاً روى عنهم كتب الحديث والفقه واللغة والأدب والعلوم الإسلامية، وليس هما موضع تفصيل الكلام عنهم.

وتزعم تلك الرواية أن ابن حزم بدأ المناظرة في سن ٢٩ من عمره، كما يستنبط من نصها، وهذا باطل لأن ابن حزم ذكر في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل[١] أنه ناظر سنة ٤٠٤هـ، الحبر اليهودي شمويل ابن النغريلة، أي عندما كان في سن العشرين، لأن ابن حزم ولد في سنة ٣٨٤هـ.

تمذهب ابن حزم بغير المذهب المالكي ومحنته بقرطبة:

يخبرنا المؤرخ القرطبي ابن حيان، أن ابن حزم مال أمره إلى مذهب الشافعي واشتهر به وعيب من أجل ذلك بالشذوذ[٢]. لكنه لم يحدد لنا متى كان ذلك. وشهد بتمذهبه للشافعي كذلك أبو سليمان المصعب بن الفقيه أبي محمد بن حزم عندما قرره على ذلك الفقيه عيسى ابن سهل[٣].

وقد وفقنا للعثور على نص مهم يشير إلى تاريخ هذا التحول، بالتقريب، قال ابن حيان[٤]: «كان أبو الخيار مسعود بن سليمان ابن مفلت (ت٤٢٦هـ) الشنتريني فقيهاً ناسكاً نحوياً أديباً متكملاً متديناً جامعاً لصنوف من العلم، يتمذهب بمذهب داود علي القياسي، فكان (يذمه) الفقهاء.. ويغضون في (كل الأوقات) منه، حتى أقيم من المسجد الجامع من مجلسه، وصاحبه أبو محمد بن حزم، وكان لهما جميعاً في الجامع كل واحد مجلس يجلس فيه لتفقيه من تحلق إليهما من العامة، من غير رأي مالك بن أنس، فتقدم إلى صاحب المدينة بالأمر إلى هذين الرجلين بالقيام وترك التحلق، ومنع العامة عن الاجتماع إليهما ونهيهما عن الفتوى لأحد منهم، ففعل ما أمر به، وعجل على قوم منهم بالسجن والامتهان فتفرقوا واضمحل أمرهما. وكان المتجرد للنكير عليهما أبو بكر المعروف بابن أبي القراميد، وكان صليب القناة في الحكومة خاطب بشأنهما الخليفة هشام بن محمد، وهو يومئذ بالثغر، فأجابه يستصوب رأيه في ذلك، فتمادى الرجلان على انقباضهما». أ. هـ.

هذا الحدث كان يقيناً بقرطبة لأن ابن أبي القراميد المذكور هو: أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي، من أهل قرطبة، ولي أحكام الشرطة والسوق بقرطبة (ت٤٣٢هـ)[٥]. ومن المعلوم أن الخليفة هشام بن محمد المعتد بالله بايعه أهل قرطبة وغيرها

---

(١) الجزء الأول صفحة ٢٢٥ـ ٢٤٥.

(٢) كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم١. المجلد ١. صفحة ١٦٧. ابن بسام.

(٣) مقالي المذكور سابقاً صفحة ٢٤٣.

(٤) النص نقله اسين بلاثيوس في المجلد الأول من كتابه عن ابن حزم القرطبي (بالإسبانية). صفحة ١٣٦ـ ١٣٧ تعليق رقم: ١٧٠. (راجع المراجع الأجنبية في آخر المقال).

(٥) ابن بشكوال: كتاب الصلة ترجمة رقم ١١٤٢. (القسم الثاني، ص٥٢٢ـ ٥٢٣)

في ربيع الآخر سنة ٤١٨هـ وكان حينها بحصن البونت بالثغر (شمال بلنسية) وقضى هناك عامين، ثم دخل قرطبة في سنة (٤٢٠هـ). وقول ابن حيان أن ابن «أبي القراميد راسل الخليفة هشام بن محمد ـ بشأن ابن حزم وشيخه أبي الخيار ـ وهو لا يزال بالثغر» فيه دليل على أن ذلك الأمر حدث يقيناً بين ٤١٨ و٤٢٠هـ[١].

وفي النص دلالة واضحة على أن ابن حزم كان يفقه العامة على غير مذهب مالك بن أنس، فربما كان يدرس الفقه على مذهب الشافعي.

وكذلك وقعت مناظرة بقرطبة بين ابن حزم وبين الفقيه: الليث بن حريش العبدري[٢] (ت٤٢٨هـ).

قال ابن حزم:[٣] «..وقد عارضت بنحو من هذا الكلام الليث بن (أحمد بن) حريش العبدري في مجلس القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشر رحمه الله. وفي حفل عظيم من فقهاء المالكيين، فما أحد منهم أجاب بكلمة معارضة، بل صمتوا كلهم، إلا قليلاً منهم أجابوني بالتصديق لقولي. وذلك أني قلت له: «لقد نسبت إلى مالك رضي الله عنه، ما لو صح عنه لكان أفسق الناس، وذلك أنك تصفه بأنه أبدى إلى الناس المعلوم والمتروك والمنسوخ من روايته، وكتمهم المستعمل والسالم والناسخ حتى مات ولم يبده إلى أحد. وهذه صفة من يقصد إلى إفساد الإسلام، والتلبيس على أهله، وقد أعاذه الله من ذلك، بل كان عندنا أحد الأئمة الناصحين لهذه الملة، ولكنه أصاب وأخطأ، واجتهد فوفق وحرم، كسائر العلماء ولا فرق..».

وهذه المناظرة جرت يقيناً بين ٤٠٩هـ و٤١٦هـ. لأن القاضي عبد الرحمن بن بشر ولاه علي بن حمود القضاء سنة ٤٠٧ فبقي فيه إلى آخر سنة ٤١٩هـ[٤] وابن حزم خرج عن قرطبة سنة ٤٠٤هـ ولم يدخلها إلا في سنة ٤٠٩هـ وكان بشاطبة سنة ٤١٧هـ[٥]. وقد بينت سابقاً أن ابن حزم كان بقرطبة بين ٤١٨ـ٤٢٠هـ فلعل تلك المناظرة جرت قبل ٤١٩ بيسير. وخلاصة القول: إن ابن حزم انتحل مذهب الشافعي قبل ٤١٩هـ.

---

(١) عبد الواحد المراكشي كتاب المعجب، ص ٨٧ـ٨٨. وهو ينقل نصاً عن جذوة المقتبس للحميدي.

(٢) أبو الوليد: الليث بن أحمد بن حريش العبدري من أهل قرطبة، كان في عداد المشاورين بها وكان عالماً بالرأي وذا نصيب وافر من علم الحديث (..) واستقضي بالمرية وبها توفي في عقب صفر سنة ٤٢٨، عن ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ١٠٢٨ (قسم ٢/ ٤٧٦)

(٣) ابن حزم: كتاب الإحكام في أصول الأحكام الجزء الثاني صفحة ١٢٢، وقد تحرف فيها اسم الليث بن حريش العبدري إلى «الليث بن حرفش العبدي فتأمله».

(٤) ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ٦٩٨ (قسم ٢/ ٣٢٦ـ٣٢٧)

(٥) إحسان عباس. مقدمته لكتاب طوق الحمامة لابن حزم (رسائل ابن حزم الجزء الأول)

حماة ابن حزم بقرطبة:

احتفظ لنا ابن حزم بلائحة أسمائهم[(١)] كالتالي:

أ ـ القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشر: وكان قاضي الجماعة بقرطبة حتى عزله هشام المعتمد بالله بعد سعاية من بعض الخصوم، توفي رحمه الله سنة ٤٢٢هـ.

ب ـ محمد بن علي بن هشام بن عبد الرؤوف الأنصاري صاحب أحكام المظالم بقرطبة وكان واسع العلم حاذقاً بالفتوى، صليباً في الحكم شديداً على أهل الاستطالة، مؤيداً للحق، نزه النفس، طيب الطعمة، توفي في رمضان سنة ٤٢٤هـ[(٢)] ولعله ممن خلصوا ابن حزم من دسائس ابن أبي القراميد صاحب أحكام الشرطة المذكور سابقاً.

ج ـ أبو العاصي حكم بن سعيد الحائك وزير هشام بن محمد المُعتد بالله وقد ورد في ترجمة ابن أبي القراميد أن حكم بن سعيد امتحنه، فلعل ذلك كان انتقاماً لابن حزم. قُتِلَ هذا الوزير بقرطبة سنة ٤٢٢هـ وخُلِعَ على إثره هشام المعتد بالله[(٣)].

وقد وهم الأستاذ إحسان عباس في أمر حكم هذا، فظن أنه حكم بن منذر بن سعيد (ت٤٢٠هـ)[(٤)].

د ـ يونس بن عبد الله بن مغيث[(٥)] شيخ ابن حزم. ولعل هذا الشيخ استمر في الدفاع عن ابن حزم بقرطبة بعدما فجعه الموت بجميع من ذكرنا قبل، فابن مغيث آخر هؤلاء وفاة (سنة ٤٢٩هـ).

انتقال ابن حزم إلى المرية وصراعه مع فقهائها:

لا نعلم متى كان خروج ابن حزم من قرطبة، لكنني أرجح أنه كان حوالي ٤٢٦هـ سنة وفاة شيخه الفقيه الظاهري أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت[(٦)]، لكننا على يقين أنه دخل المرية قبل سنة ٤٢٩هـ لأنه يقول في إحدى رسائله: «ولقد بلغ أبو جعفر أحمد بن عباس من ذلك (أي حماية ابن حزم) الغاية القصوى، واستنثار الأجر الجزيل والذكر الجميل»[(٧)].

---

(١) ابن حزم: «رسالة البيان عن حقيقة الإيمان»(ضمن رسائل ابن حزم الجزء الثالث ص١٨٩)

(٢) ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ١١٢٦ (القسم ٢/٥١٦)، وترتيب المدارك لعياض ٨/١١ ـ ١٢.

(٣) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب الجزء ٣ صفحات ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٥٠.

(٤) راجع تقديم إحسان عباس لرسالة البيان عن حقيقة الإيمان وتعليقه على نصها (مرجع سابق) ص٣٤ـ ١٨٩.

(٥) قال ابن بشكوال في الصلة: «قلده المعتد بالله هشام بن محمد المرواني قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطبة بأهلها في ذي الحجة سنة ٤١٩ وبقي قاضياً إلى أن مات رحمه الله (٤٢٩هـ) ترجمة ١٥١٢ (القسم ٢/ ٦٨٤ـ ٦٨٥).

(٦) المصدر نفسه ترجمة ١٣٥٢ (قسم ٢/ ٦١٧ ـ ٦١٨).

(٧) ابن حزم: رسالة البيان عن حقيقة الإيمان، صفحة ١٨٩.

وأحمد ابن عباس المذكور هنا كان وزيراً بالمرية لصاحبها زهير العامري، وقتله باديس بن حَبُّوس صاحب غرناطة بعدما أسره في المعركة التي دارت بينه وبين زهير العامري سنة ٤٢٩هـ(١).

فماذا جرى لابن حزم بالمرية مع فقهائها؟ يخبرنا القاضي عيسى بن سهل في مقدمة كتابه «التنبيه على شذوذ ابن حزم» أن ابن حزم كان: «(ينحرف) عن القبلة في صلاته إلى ناحية المشرق، قبلة اليهود والنصارى بالشام، فربما صلى أحياناً إلى جنب القاضي ابن سهر كذلك. فقلق شيوخ المرية وفقهائها من ذلك وقالوا للقاضي: إما أن يصلي إلى قبلتنا وإلا فاطرده عن نفسك، لئلا يحتج بك يوماً ما علينا، فأعلمه القاضي بذلك. وخرج (ابن حزم) عن المرية إلى دانية..».

هذه الواقعة يمكن تأريخها بدقة، لأننا نعلم من كتب التراجم الأندلسية أن أبا الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن سهر الرعيني القرطبي استدعاه أهل ألمرية للقضاء بها فوليه سنة ٤٢٨هـ(٢) آخر دولة زهير العامري، وظل قاضياً بها إلى أن وافاه أجله بقرطبة (عندما زاراه) سنة ٤٣٥هـ.

ومن هذا علمنا يقيناً أن «تاريخ خلاف ابن حزم مع الفقهاء بشأن القبلة ومطالبتهم القاضي بتخيير ابن حزم بين الانقياد لهم أو الخروج عن بلدهم» كان فيما بين سنتي ٤٢٨ هو ٤٣٥هـ.

وفي النص دلالة واضحة على أن ابن سهر القرطبي قد ستر على ابن حزم على قدر طاقته، ولكنه رضخ أخيراً لإلحاح الفقهاء، ولم يستطع أن يمنعهم من إخراجه من المرية. فماذا كان من أمر ابن حزم بعد ذلك؟

ابن حزم في دانية وتعلقه بأبي العباس بن رشيق:

قال عيسى بن سهل في كتابه المذكور(٣): «وخرج (أي ابن حزم) عن المرية إلى دانية وانتقل عن مذهب الشافعي، ورآه ضلالاً [كذا]، إلى مذهب أهل الزاهر ـ المبتدع بعد انقراض القرون الممدوحة ـ الذي مخترعه ومبتدعه داود بن علي الأصبهاني، المعروف بالقياسي، وانتحله ودان به ورأى أنه الحق الذي لا يجوز تعديه، ولا مراعاة مخالفيه، وأكثر فيه من

---

(١) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب الجزء ٣، صفحات ١٦٩ـ ١٧٠.

(٢) في تلك السنة توفي قاضي المرية الليث بن أحمد بن حريش العبدري المذكور سابقاً. وابن سهر جاء من قرطبة خلفاً له. راجع ترجمته وبعض أخباره في المصادر التالية: صاعد الأندلسي: (طبقات الأمم صفحة ٩٦) القاضي عياض (ترتيب المدارك الجزء ٨ ص ٨٩) ابن بشكوال (الصلة: ترجمة ١٣٧٤ قسم ٢/ ٦٢٤) ابن سعيد المغربي (المغرب في حلي المغرب الجزء ٢ صفحة ٢٠٧ـ ٢٠٨) المقري (نفح الطيب. الجزء ٣/ ٣٨١ رقم ١٦٦).

(٣) مخطوطة «التنبيه على شذوذ ابن حزم»نص المقدمة، شريط رقم ٥ بالخزانة العامة بالرباط.

التأليف والجمع والتصنيف. وتعلق بدانية بالكاتب أبي العباس بن رشيق ـ في أخريات أيام الموفق مجاهد العامري ـ».

هذا النص يدل على أن ابن حازم دخل دانية قبل سنة ٤٣٦هـ بسنوات. لأن أبا الجيش الموفق: مجاهد بن عبد الله العامري الذي كانت دانية تحت طاعته ومعها جزيرة ميورقة وجزيرتا منورقة ويابسة، توفي في تلك السنة[١].

وكان هذا الرجل من الكرماء على العلماء، ومن أعظم فضائله تقديمه للوزير الكاتب أبي العباس أحمد بن رشيق على جميع من في دولته، وبسطه يده في العدل وحسن السياسة وكانت بين الرجلين صداقة وصحبة في الصغر واتفاقٌ لكونهما جميعاً من أهل قرطبة.

وكان الكاتب أبو العباس المذكور صديقاً لابن حزم القرطبي لذلك آواه وحماه، فوجد الاستقرار بدانية، وبها نشط في تصنيف مؤلفاته في المذهب الظاهري كما شهد بذلك ابن سهل، بل زادنا معلومة تفيد بأن ابن حزم انتقل إلى القول بالظاهر علناً عندما صار إلى دانية في كنف ابن رشيق.

ولدي يقين بأن ابن حزم كانت له منازعات مع فقهاء دانية كذلك، لأنه ذكر بأن المالكية كتبوا الكتب السخيفة (في السعاية ضده) إلى ابن أبي ريال بدانية[٢].

ويذكر لنا ابن الأبار في التكملة أن «أحمد بن الحسن بن عثمان الغساني كان من أهل بجانة المرية وسكن دانية، وكان يعرف بابن أبي ريال، وأنه ولي قضاء دانية لمجاهد العامري وتوفي في حدود ٤٤٠»[٣].

بل إن في نشاط ابن حزم في التأليف لنصره المذهب الظاهري، دليلاً قوياً على وجود تلك المنازعات. والشاهد على ما ذهبت إليه موجود في كلام ابن حزم في رسالته في «الأخلاق والسير»[٤] حيث نقرأ: «لكل شيء فائدة، ولقد انتفعت بِمَحْكِ أهل الجهل منفعة عظيمة، وهي أنه توقد طبعي واحتدم خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي، فكان ذلك سبباً إلى تواليف لي عظيمة المنفعة، ولولا استثارتهم ساكني، واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف»أ.هـ

فكتابه «الأحكام لأصول الأحكام» قد شرع في تأليفه سنة ٤٣٠هـ. ففي بابه الثالث: يجادل الإمامية من الشيعة، فيذكر أن آخر إمام لهم قد خفي عنهم موضعه منذ مائة وسبعين عاماً[٥]. وفي كتابه «الفصل» أخبرنا بأن تاريخ هذا الاختفاء هو سنة

---

(١) جذوة المقتبس، جزء ١١/ ٥٦٤ ـ ٥٦٦. (انظر الخريطة المرفقة مع المقال).

(٢) رسائل ابن حزم الجزء ٣ صفحة ١١٦.

(٣) التكملة ١/ ٢٤ـ ٢٥.

(٤) (ضمن رسائل ابن حزم الجزء ١) صفحة ٣٦٨.

(٥) ابن حزم: الإحكام ١/ ١٧.

٢٦٠هـ[١]. وعلى ذلك يكون تاريخ تدوين ابن حزم لذلك الباب سنة ٤٣٠هـ.

دخول ابن حزم إلى جزيرة ميورقة:

هذه المرحلة التي سنتحدث عنها تعد حاسمة، لأن فيها سيتمكن ابن حزم من فرض نفسه بلا منازع في حلبة الجدل والمناظرة لمدة سنوات متصلة إلى حين قدوم أبي الوليد الباجي. ولأنه في هذه الجزيرة سيكتسب تلاميذ كان لهم دور بارز في حفظ تراثه الفكري، وعلى رأسهم الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي الميورقي. فمتى كان دخول ابن حزم لتلك الجزيرة؟ للجواب على هذا السؤال سنقدم عدة شهادات لعلماء أندلسيين كالتالي:

أ ـ شهادة عيسى ابن سهل:

قال ابن سهل في نفس الكتاب المذكور: «فنقله أبو العباس ـ معتنياً به ومرفعاً لحاله ـ إلى جزيرة ميورقة، وشرط عليه ألا يفتي أهلها إلا بمذهب مالك ـ رحمه الله ـ لا بما يعتقده وذلك في أول عشر الأربعين وأربع المائة..».

فقوله عشر الأربعين يرادفه «السنوات العشر المحصورة بين سنة ٤٣١ وسنة ٤٤٠هـ».

وعلى هذا فابن حزم دخل ميورقة بعد ٤٣١ بسنوات يسيرة، يؤكد ذلك ما سنذكره الآن.

ب ـ شهادة ابن الأبار في كتابه التكملة:

قال ابن الأبار[٢]: أبو عبد الله بن عوف من أهل ميورقة، كان فقيهاً على مذهب مالك، تدور عليه الفتيا، وبعده دخل أبو محمد بن حزم ميورقة، بسعي أبي العباس بن رشيق في ذلك، ففشا فيها مذهبه. وكان دخول ابن حزم ميورقة بعد الثلاثين وأربعمائة».

فابن حزم حسب هذه الشهادة، دخل ميورقة بعد ٤٣٠هـ (وهذا متفق مع ما ذكره ابن سهل) وقوله: «دخلها ابن حزم بعد أبي عبد الله بن عوف ». يقصد ابن الأبار والله أعلم: «بعد وفاة ابن عوف أو اعتزاله التدريس».

فمتى توفي ابن عوف؟

يخبرنا عن ذلك أبو عبد الله الحميدي في «جذوة المقتبس» فيقول: «محمد بن عبد الرحمن بن عوف، أبو عبد الله: الفقيه. تفقه بقرطبة وسمع بها وبغيرها (من) جماعة (..) ودخل الجزائر (يقصد ميورقة). وقد قرأنا عليه، وكان في الفقه إماماً، وكُفَّ بصره فاشتغل بالفقه ورأس فيه (..) توفي أبو عبد الله بن عوف الفقيه في سنة ٤٣٤هـ[٣].

وقد ظن عبد المجيد التركي أن ابن عوف هذا كان ثاني مناظر مالكي ينهزم أمام ابن

---

(١) كتاب الفصل: الجزء ٤ صفحة ١٥٨.

(٢) التكملة: الجزء الثاني صفحة ٣٠١.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس الجزء الأول صفحة ١١٦ ترجمة رقم ٩٧.

حزم بميورقة[١].

وهذا أمر لم يقدم عليه دليلاً تاريخياً حتى نقبله منه، وإلا فشهادة ابن الأبار صريحة في عدم اللقاء بين الرجلين. والأمر الأكثر احتمالاً هو أن «ابن رشيق انتهز فرصة وفاة أبي عبد الله ابن عوف كبير فقهاء ميورقة، فأشار على مجاهد العامري بإرسال ابن حزم إلى ميورقة ليفقه أهلها. واشترط ابن رشيق على ابن حزم أن لا يفتي هناك بغير مذهب مالك، كما قال ابن سهل. فهذا التوجيه تتآلف الروايات فيما بينها، ويكون ابن حزم قد دخل ميورقة حوالي ٤٣٤هـ. فماذا أحدث فيها؟

مناظرة ابن حزم لأبي الوليدابن البارية:

أخبار هذه المناظرة ذكرت في كتاب «فِرَقُ الفقهاء» للباجي، وعنه نقل القاضي عياض، كما صرح بذلك، ووردت كذلك بألفاظ متقاربة عند ابن الأبار لذلك سأجمع بين رواية عياض ورواية ابن الأبار في نسق، مع بيان نص عياض بين هلالين.

قال ابن الأبار: «أبو الوليد بن البارية: من فقهاء جزيرة ميورقة على مذهب مالك ـ من أحفظ قرنائه للمسائل وأفهمهم لها ـ ولما دخل أبو محمد ابن حزم جزيرة ميورقة، بعد ٤٣٠، ونشر فيها علمه، ودارت فيها بينه وبين أبي الوليد مناظرة (في اتباع مالك) زل فيها أبو الوليد وعظم ابن حزم عليه القول (حتى حمل الوالي على سجنه) وكان ذلك بمحضر أبي العباس ابن رشيق. فدعت الحال إلى أن سُجِنَ أبو الوليد، وعرضت عليه التوبة فأقام أياماً في السجن، وشهد عليه بالتوبة ثم سرح، فخرج من الجزيرة برسم الحج، فتوفي في وجهته تلك رحمه الله[٢]. ا.هـ.

قال عياض في آخر روايته «..وقد ذكر خبره معه، القاضي أبو الوليد الباجي في كتاب فِرَق الفقهاء». وقد وجدت ابن حزم يذكر أن ابن البارية كان يشنع عليه وينقل الأكذوبات المفتراة إلى الفقهاء ليثيرهم ضده.

قال ابن حزم في رده على الهاتف من بُعد: «وقد استبنا اللعين المريد المتوجه إليكم بهذه الأكذوبات المفتراة، والفضائح المفتعلة، وهو ابن البارية..[٣]» فلعل ابن البارية لم يغادر الأندلس برسم الحج كما قال ابن الأبار، بل سارع إلى الانتقام من خصمه، وذلك بالتشنيع عليه في البلاد وتأجيج نار الحقد عليه.

وقد اعتقد الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري أن أبا الوليد ابن البارية هو نفسه

(١) عبد المجيد التركي «مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين أبي الوليد الباجي وابن حزم» صفحة ٥٤.

(٢) ابن الأبار: التكملة الجزء الرابع صفحة ١٥٤، القاضي عياض: ترتيب المدارك ٨/ ١٥٨.

(٣) ابن حزم: رسالة الرد على الهاتف من بعد: صفحة ١٢٦.

مؤلف «رسالة الهاتف من بعد.[١]» وهذا قول لا حجة عليه، بل قول ابن حزم السابق يفنده، لأنه خاطب مؤلف تلك الرسالة قائلاً «وقد استبنا (..) المتوجه إليكم بهذه الأكذوبات (..) وهو ابن البارية..» فابن حزم يصرح بأن ابن البارية هو الذي نقل إلى «الهاتف من بُعد» وأصحابه تلك الأكذوبات. ولو كان ابن البارية هو المؤلف لقال له: «ألم تتب بعد من نقلك الأكاذيب وافترائك علينا؟ يا ابن البارية». أما مؤلف تلك الرسالة فسنبينه في المكان المناسب من هذا المقال.

كيف انتشر مذهب ابن حزم بميورقة ـ حسب خصومه ـ:

لدينا بهذا الخصوص شهادة ذكرها عيسى بن سهل، وأظن أنه قد شنع فيها على ابن حزم وبالغ في ذلك. فيجب قراءتها بتحفظ شديد. قال في المقدمة: «فكان يُنتَقَد عليه (أي ابن حزم) الخطأ كثيراً، وبدا لمن فيها جهله به (أي بمذهب مالك). وهو مع ذلك لا يدع الحض على مذهبه والندب إلى طريقته، على ما سيأتي أبين إن شاء الله..».

يشير إلى ما سيذكره في طيات كتابه وهذا نص كلامه قال: «ومن استخفاف ابن حزم ومروقه وقلة دينه وفسوقه، ما كان أحدثه بميورقة ـ إذ كان استجلبه إليها وأدخله فيها الكاتب أبو العباس بن رشيق في عشر الثلاثين ـ أيام إقبال الدولة علي بن مجاهد، أنه كان إذا لقي بها شاباً استماله وأمر أصحابه بمخادعته حتى يدخل عليه، فإذا صار إليه، أكرمه وبسطه ورغبه في كونه في جملة أصحابه وقال له: أنت بحمد الله ذو فهم تنال به البغية دون دراسة ولا تعب وإنما يتعب هؤلاء الذين يدرسون درس الحمر، ويشقون شقاء الأبد ومع ذلك لا يفهمون. ومسألة تفهمها وتعرف أصلها قد (تغنيك عن مائة مسألة وتصل) إلى ما وصل إليه مالك وغيره (..) ثم يقول لأصحابه: هاتوا مسألة نجربه فيها.

فيذكرون مسألة و(يقولون له) ما حكمها عندك؟ فيخجل ذلك الشاب وينقطع عن الكلام، إذ لم يرها ولا تقدمت له مقدمة. فيقول له: ما عليك قل ما ظهر لك. ويلح عليه هو وأصحابه حتى يقول ذلك الشاب: يظهر إلي فيها كذا. فيقول: الله أكبر، صدقت فراستي فيك، أنت أفقه في هذه المسألة من مالك، لأنه: قال فيها كذا، وقلت أنت كذا، ثم يستشهد على صحة مقاله بحضرة أصحابه، ويعمر بقية مجلسه بالتعجب من نبل ذلك (الشاب) وتصحيح قوله، وتضعيف قول مالك، الذي نسبه هو إليه، ويندرج إلى الدعابة والمزاحة وحكايات لهو وبطالة، يوردها من كتاب ألفه في ذلك ترجمه بالمُرَطار ـ والنفوس مائلة إلى اللهو ـ فيخرج ذلك الشاب وقد فتن به ويصير إلى أبيه وأمه وأخوته فيقول لهم: أنا أعلم من مالك، وما قصة مالك؟ وهل هو إلا من البشر. ويحصل لابن حزم بهذا استئلاف الأغمار والجهال على مذهبه القبيح، وإلحاده الصريح، بمخالفة جميع السلف والاستخفاف بهم

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: كتاب «ابن حزم خلال ألف عام»١/ ١٥٨.

والتنقص لهم. .[١]» ا.هـ وقد حكى الباجي مثل هذا الكلام[٢]. ولكن باختصار عما هنا. فلعلهما أخذا ذلك عن ابن البارية أو بعض المشنعين على ابن حزم، كابن سعيد الميورقي الذي راسل الباجي في شأن مناظرة ابن حزم بميورقة كما سنذكر الآن:

مناظرات ابن حزم والباجي بميورقة:

يخبر ابن الأبار في كتابه التكملة: أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن سعيد كان قد تصدر بميورقة لتدريس الفقه وأصوله، وأنه لما علم بمقدم أبي الوليد الباجي من رحلته المشرقية (حوالي ٤٣٩هـ) كتب إليه، فسار الباجي إلى ميورقة من بعض سواحل الأندلس فناظر ابن حزم، وتظافرا عليه (هو وابن سعيد) حتى أفحماه وأخرجاه عن ميورقة. فكان ابن سعيد سبب القطيعة بين الباجي وابن حزم[٣].

ويزيدنا القاضي عياض توضيحات أخرى فيقول: ووجد (الباجي) عند وروده بالأندلس لابن حزم الداودي صيتاً عالياً وظاهرات منكرة، وكان لكلامه طلاوة، وقد أخذت قلوب الناس، وله تصرف في فنون تقصر عنها ألسنة فقهاء الأندلس في ذلك الوقت، لقلة استعمالهم النظر، وعدم تحققهم به. فلم يكن يقوم منهم أحد بمناظرته، فعلا بذلك شأنه وسلموا الكلام له، على اعترافهم بتخليطه، فحادوا عن مكالمته، فلما ورد أبو الوليد الأندلس وعنده، من التحقيق والإتقان والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة، ما حصله في رحلته، أَمَّهُ الناس لذلك، فجرت له معه مجالس، كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه عن ميورقة. وقد كان رأس أهلها. ثم لم يزل أمره في سفال فيما بعد، وقد ذكر أبو الوليد في كتاب الفرق من تأليفه، في مجالسه تلك ما يكتفي به من يقف عليه[٤].

والسؤال الذي نحب البحث عن جوابه هو: ما هي المسائل التي دارت حولها تلك المناظرات؟

وهل حقاً انتصر الباجي على ابن حزم في جميع تلك المسائل؟ أم أنهما تكافأا، فبرز

---

(١) «التنبيه على شذوذ ابن حزم «لعيسى بن سهل، شريط رقم ٥، الخزانة العامة بالرباط.

(٢) نقله عنه البرزلي في نوازله، وعن البرزلي نقله محمد بن أحمد عليش في «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك»فقال: «قال الباجي (عن ابن حزم (. .) فإذا سئل عن مسألة يقول لمن حضره أو السائل: ما قلت أنت فيها وما ظهر لك؟ ولا يزال يستميله حتى ينطق فيها بشيء من رأيه فيجود فعله ويستحسن رأيه ويقول: قولك فيها خير من قول مالك وغيره من العلماء «ويزين له ذلك ويشككه في نفسه حتى يصير يرى رأي نفسه ويتعاظم، ويقع في مالك وغيره من العلماء» ا.هـ الجزء الأول صفحة ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٣) ابن الأبار: التكملة ١/٣١٦. ونقلها عنه المراكشي في الذيل والتكملة ٦/٢١٦ والحكاية فيها اضطراب في الزمن فهي تجعل المناظرة بعد عودة محمد بن سعيد من الحج (أي بعد ٤٥٢هـ) والصواب أن ذلك كان قبل رحلته إلى الحج، أو أنه حج مرتين إحداهما قبل سنة ٤٣٩هـ.

(٤) ترتيب المدارك ٨/١٢٢.

كل واحد منهما في ناحية من نواحي الخلاف بينهما؟

للجواب عن الشق الأول من السؤال أقول:

لقد أشار ابن حزم في كتابه الفصل إلى جداله مع أبي الوليد الباجي كواحد من مُقَدَّمي الأشعرية بالأندلس، وذكره باسمه في ثلاثة مواضع من الكتاب المذكور، وأحياناً يقول: «وقد ناظرت على هذا بعض مقدميهم» دون أن يفصح عن اسم الباجي. قال ابن حزم قالت الكَرَّامية: إن الأنبياء يجوز منهم الكبائر والمعاصي كلها حاشا الكذب في البلاغ فقط فإنهم معصومون منه. وذكر لي «سليمان بن خلف الباجي» ـ وهو من رؤوس الأشعرية ـ أن منهم من يقول أيضاً: إن الكذب في البلاغ أيضاً جائز من الأنبياء والرسل عليهم السلام..[١].

فلعل ابن حزم قرر الباجي على هذه المسألة أثناء مناظرتهما. وقال ابن حزم أيضاً: ومن حماقات الأشعرية قولهم: إن للناس أحوالاً ومعاني لا معدومة ولا موجودة، ولا معلومة ولا مجهولة، ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة، ولا أزلية ولا محدثة، ولا حق ولا باطل، وهي علم العالم بأن له علماً، ووجود الواجد لوجوده كل ما يجد. هذا الذي سمعناه منهم نصاً ورأيناه في كتبهم (..) ولقد حاورني «سليمان بن خلف الباجي » كبيرهم، في هذه المسألة، في مجلس حافل. فقلت له: هذا كما تقول العامة عندنا «عنب لا من كرم ولا من دالية[٢]».

وقال ابن حزم معرضاً بالباجي «..وأنا سمعت بعض مقدميهم ينكر أن يكون في الذنوب صغائر، وناظرته بقول الله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١]، وقلت: بالضرورة يدري كل ذي فهم أنه لا كبائر إلا بالإضافة إلى ما هو أصغر منها، وهي السيئات المغفورة باجتناب الكبائر، بنص كلام الله تعالى، فقولك: هذا خلاف للقرآن مجرد. فخلط ولجأ إلى الحرد[٣].

وقال ابن حزم أيضاً «وقالوا كلهم[٤] (أي الأشعرية): من قال إن النار تحرق أو تلفح، وأن الأرض تهتز وتنبت شيئاً، أو أن الخمر تسكر، أو أن الخبز يشبع، أو أن الماء يروي (..) فقد ألحد وافترى (..).

قال أبو محمد: وهذا تكذيب منهم لله عزّ وجلّ إذ يقول: ﴿تلفح وجوههم النار﴾ [المؤمنون: ١٠٤] (..) وقوله تعالى: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ [الحج: ٥]، وقد صككت بهذا وجه بعض مقدميهم في المناظرة فدهش وبلد.

---

(١) كتاب الفصل ٥/ ٧٤.
(٢) المصدر نفسه: ٥/ ٧٧.
(٣) المصدر نفسه: ٥/ ٨٨ ـ ٨٩.
(٤) المصدر نفسه: ٥/ ٨٧ ـ ٨٨.

ومما يؤكد أن أغلب مناظرات الباجي وابن حزم دارت حول نظريات الأشاعرة: ما ذكره الفقيه الشافعي (الأشعري العقيدة) التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية، حيث قال: . . وقد أفرط (ابن حزم) في كتابه هذا (يعني الفصل) في الغض من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري (. .) وقد قام أبو الوليد الباجي وغيره على ابن حزم بهذا السبب وغيره وأخرج من بلده، وجرى له ما هو مشهور في الكتب، من غسل كتبه وغيره. .[١].

وجواباً على الشق الثاني من السؤال:

أسوق نصاً للباجي نفسه أورده الإمام البُرزُلي في نوازله، ونقله عنه الفقيه محمد بن أحمد عليش (ت١٢٩٩هـ) في كتابه المسمى بـ «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك»[٢] وهذا نصه: وذكر الباجي أنه اجتمع مع ابن حزم بميورقة، وكانت بينهما مطالبات واحتجاجات آل أمرها ـ على ما قال ـ إلى إبطال مذهبه«ثم أورد البرزلي نص مناظرة جرت بين أخي الباجي وهو إبراهيم بن خلف الباجي وبين ابن حزم رجع إلى قول الباجي فقال: «قال الباجي: وبالجملة فإن الرجل ليس معه قوة علم ولا تضلع في الاحتجاج، ولكن إلمامه بالأمور الفارغة ومبتدأ الطلبة (. .) قد سلطت عليه في شيء كثير فخمل أمره، واستجهله أهل الفروع بالأندلس».

فالباجي يعترف ضمنياً أن هناك بعض المسائل التي تفوق عليه فيها ابن حزم، ولكنها قليلة ـ حسب روايته ـ ويخبرنا المقري في نفح الطيب أن ابن حزم أفحم الباجي في المحاورة التالية:

قال المقري: ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي: أنا أعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق.

فقال ابن حزم: هذا كلام عليك لا لك، لأنك طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة)[٣].

قال المقري: «فأفحمه» يعني أن ابن حزم أفحم الباجي في هذه النقطة.

بقي لنا أن نعين تاريخ وقوع تلك المناظرات، فحسب الشهادات السابقة، لابن الأبار وللقاضي عياض، جرت هذه المناظرات بعد قدوم الباجي من المشرق وذلك سنة ٤٣٩هـ، ثم وقفت في كتاب «الحلة السيراء» لابن الأبار على نص مهم بين فيه أن تلك المناظرات جرت في مجلس أبي العباس ابن رشيق بميورقة، وها هو نص كلامه: وهو (أي ابن رشيق) آوى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٤٣.

(٢) في الجزء الأول منه، صفحة ١٠١ـ ١٠٣.

(٣) نفح الطيب ٢/ ٧٧.

الفقيه أبا محمد ابن حزم، حين نعي عليه بقرطبة وغيرها خلافه مذهب مالك، وبين يديه تناظر هو والقاضي أبو الوليد الباجي[١]..

فإذا علمنا أن ابن رشيق توفي بُعَيدَ ٤٤٠هـ عن سن عالية[٢] جزمنا بأن تلك المناظرات وقعت حوالي (٤٣٩-٤٤٠هـ)[٣].

خروج ابن حزم من ميورقة وذهابه إلى دانية ثم إلى المرية:

من الأمور الغريبة جداً أن القاضي عيسى بن سهل حينما ذكر ما أحدثه ابن حزم في ميورقة، وذكر خروجه منها، لم ينطق بكلمة واحدة عن مناظرات الباجي وابن حزم. وهذا الأمر جعلني أعتقد أن ابن سهل كانت له عداوة شخصية مع الباجي، بسبب رسالته المعروفة بعنوان «تحقيق المذهب في أن النبي قد كتب».

وسنذكر الآن رواية ابن سهل حول خروج ابن حزم من ميورقة.

قال ابن سهل في مقدمة «التنبيه على شذوذ ابن حزم»: «فغص أهلها (أي ميورقة) ذرعاً به، وبأن للمعتني به جهله وقبيح معتقده. فخرج عنها إلى دانية..».

وهذه المعلومة انفرد بها ابن سهل وهي ذات قيمة تاريخية كبرى، لأننا كنا نجهل تماماً المكان الذي قصده ابن حزم بعد خروجه من ميورقة. وأحبِ أن أنبه على أمر مهم ألا وهو أن الحميدي قد خرج مع شيخه من ميورقة وصاحبه أينما حل وارتحل، إلى أن هاجر إلى المشرق سنة ٤٤٨هـ. وهاهو في كتابه الجذوة يذكر أنه رأى الشاعر النحوي محمد بن خلصة الشَّذُويني بمدينة دانية بعد ٤٤٠هـ ولم يسمع منه شيئاً[٤]. ثم قال الحميدي في الجذوة أيضاً بأنه شاهد أحمد بن محمد بن بُرد (الأصغر) زائراً لابن حزم مرات عديدة بالمرية بعد سنة ٤٤٠هـ[٥]. وابن الأبار يقول بأن ابن برد هذا توفي بالمرية سنة ٤٤٥هـ[٦]. لذلك نقول: إن دخول ابن حزم للمرية كان بعد سنة ٤٤٠ بزمن (قضاه في دانية) وقبل سنة ٤٤٥هـ. بل أستطيع الجزم بأن ابن حزم دخل المرية قبيل سنة ٤٤٣هـ، لأنه ألف رسالة لصاحب المرية معن بن صُمَادح التجيبي[٧]، الذي حكم فيما بين ٤٣٣هـ و٤٤٣هـ (تاريخ وفاته).

---

(١) الحلة السيراء ٢/١٢٨.

(٢) جذوة المقتبس ١/١٩٥.

(٣) قال في الديباج المذهب: «وله معه مجالس كثيرة قيدت بأيدي الناس»صفحة ١٩٨ ترجمة أبي الوليد الباجي.

(٤) جذوة المقتبس ١/٩٧.

(٥) المصدر نفسه: ١/١٨٣ - ١٨٤ والحميدي «لقي محمد بن محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي بالمرية بعد ٤٤٠هـ: الصلة رقم ١١٨١.

(٦) التكملة ١/٣١٤.

(٧) إحسان عباس تقديمه للجزء الأول من رسائل ابن حزم صفحة ٨.

وبما أن ابن حزم قضى السنوات «٤٣٤هـ حتى ٤٤٠هـ» بميورقة، وكان قبل ذلك بسنوات مستقراً بدانية، فهو لا محالة قد ألف تلك الرسالة حوالي (٤٤١هـ - ٤٤٣هـ) بالمرية وأهداها لأميرها ابن صُمَادح.

وفي المرية ظهر لابن حزم عدو لدود اسمه: أبو عمر أحمد بن رشيق التغلبي[١] كبير الفقهاء المفتين بتلك المدينة، وقد غاظه وجود ابن حزم هناك، فبعث رسالة يصف فيها شناعة أقوال ابن حزم، إلى مفتي قرطبة أبي عبد الله محمد بن عَتَّاب[٢]. وعندما وصلت تلك الرسالة إلى ابن عتاب اتفق أن عيسى بن سهل كان حاضراً عنده.

وألف ابن سهل كتابه «التنبيه على شذوذ ابن حزم» - بعد أزيد من ثلاثين سنة على وصول تلك الرسالة - فذكر فيه خبرها فقال «.. وقد شاهدت عند شيخنا أبي عبد الله بن عتاب - رحمه الله - ورود كتاب فقيه المرية أبي عمر بن رشيق عليه، في أمر ابن حزم هذا، منذ أزيد من ثلاثين سنة، فحكى عنه أنه متى ذكر له ابن القاسم - رحمه الله - يقول: «عليه بنقل حطبه». وإذا ذكر له سحنون قال: «عليه بحرثه، وقال (أي ابن رشيق) عنه: يقول كذا وهو قول المعتزلة، وكذا وهو قول الجهمية. وذكر كثيراً من مما لا أقف عليه الآن.».

فمتى أرسلت هذه الرسالة إلى ابن عتاب؟

أولاً: يجب أن نعلم أن ابن سهل كانت له علاقة جيدة مع أبي عمر ابن رشيق هذا. كان ابن سهل يستفتيه في النوازل عندما كان (ابن سهل) مستقراً بمدينة بياسة (بالأندلس) قبل سنة ٤٤٤هـ[٣]. وفي هذه السنة سيذهب ابن سهل إلى قرطبة[٤] لملازمة شيخه أبي عبد الله ابن عتاب.

ثانياً: لقد توفي أبو عمر ابن رشيق بالمرية سنة ٤٤٦هـ وبذلك فرسالته تلك كتبت حوالي (٤٤٤ - ٤٤٦هـ) وبالتالي فابن حزم في ذلك التاريخ قد انتشرت أخباره في المرية، فأزعج ذلك ابن رشيق، فسولت له نفسه الاستنجاد بالفقيه القرطبي ابن عتاب. وهذه هي عادة فقهاء الأندلس مع ابن حزم، عندما عجزوا عن كسره بالحجة والبرهان لجأوا إلى السلطان والفقهاء والقضاة وألبوا عليه العامة.

دخول ابن حزم إلى إشبيلية ومنحته في أيام المعتضد بن عباد:

لقد لخص ابن حيان ما جرى لابن حزم فقال: «فتمالأوا (أي الفقهاء) على بغضه، وردوا قوله، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا

---

(١) له ترجمة في ترتيب المدارك ٨/ ١٥٤- ١٥٥ وفي الصلة ١/ ٥٣ ترجمة رقم ١١٤.
(٢) توفي بقرطبة سنة ٤٦٢هـ. ترتيب المدارك ٨/ ١٣١. الصلة ١١٩٤.
(٣) الإعلام بنوازل الأحكام لعيسى بن سهل: نشر جزء منه بمجلة هسبريس تامودا (بالرباط) المجلد ١٤ سنة ١٩٧٣م.
(٤) المصدر نفسه، صفحة ٧١.

عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه. فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به إلى منقطع أثره بتربة بلده، من بادية لبلة، وبها توفي - رحمه الله - سنة ٤٥٦. وهو في ذلك كله غير مرتدع ولا راجع إلى ما أرادوا به، يبث علمه في من ينتابه ببادیته تلك، من عامة المقتبسين منه، من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم ويفقهم ويدارسهم، ولا يدع المثابرة على العلم (..) حتى كمل من مصنفاته في فنون العلم وقربعير، لم يعد أكثرها عتبة بابه لتزهيد الفقهاء طلاب العلم فيها، حتى أحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانية[1]». وبعد هذا بكلام ذكر ابن حيان أيضاً أبياتاً من الشعر قالها ابن حزم عندما أمر المعتضد ابن عباد بإحراق كتبه فقال: ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد قوله: [من الطويل]

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزلْ ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رقّ وكاغدٍ ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بَدْأة ... فكم دون ما تبغون لله من ستر
كذاكَ النصارى يحرقون إذا علت ... أكفهم القرآن في مدن الثغر[2]

وبالرجوع إلى كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» لعيسى بن سهل أمكن الإحاطة بتفاصيل أخرى أكثر دقة.

وهذا نص كلام ابن سهل: «فخرج عنها إلى دانية ثم إلى إشبيليا ثم إلى قريته بجهة لبلة. ومات بها سنة ٤٥٦، في أيام المعتضد - رحمه الله - وقد حجر عليه أن يفتي بين اثنين، بمذهب مالك أو غيره، ومنعه أن يجلس إليه أحد في علم، وتوعد من دخل إليه بالعقوبة والأدب، وعجل له الخزي في الأولى، لإزرائه بمن سلف من العلماء..[3]».

إذا جمعنا بين نص كلام ابن حيان ونص كلام ابن سهل علمنا بأن الفقهاء هم من كان وراء محنة ابن حزم بإشبيلية: من طرده إلى قرية آبائه بلبلة وإحراق كتبه. فمن هم هؤلاء الفقهاء؟ بل من هو ذلك الهاتف من بُعد؟

نقرأ في رسالة الهاتف من بُعد تهديداً كتبه مؤلفها إلى ابن حزم وهذا نصه: «.. لئن لم تنته من رقدتك، وتستيقظ من غفلتك، وتبادر إلى التوبة من عظيم ما افتريت، فسيردّ فيك. وفيمن يقصدك ويترك فيك حق الله، من أجوبة أهل العلم في أقطار الأرض ما ستعلمه. وأرجو أن يريح الله منك العباد والبلاد دون ذلك، أو يصلحك إن كان قد سبق في علمه ذلك. ولتعلمن أيها

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: (القسم الأول - المجلد الأول - صفحة ١٦٨).
(٢) المصدر نفسه: صفحة ١٧١. والبيت الخامس زدته من سير أعلام النبلاء (الذهبي) ١٨/ ٢٠٥.
(٣) «التنبيه على شذوذ ابن حزم»نص المقدمة.

الإنسان، نبأه بعد حين»[1].

إن تهديد «الهاتف من بعد» قد صار حقيقة، شهد بوقوعها ابن سهل الذي ترحَّم على المعتضد ابن عباد بعد ذكر اسمه، وكأنه يشكره على انتقامه للفقهاء من ابن حزم. ولم يترحَّم ابن سهل على شيخه أبي عمر ابن عبد البر، لأنه كان صديقاً لابن حزم.

والأمر العجيب الذي اكتشفته بعد المقارنة بين أسلوب رسالة «الهاتف من بُعد» وأسلوب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» أن عيسى بن سهل هو «الهاتف من بُعد» نفسه، وإليكم جدولاً يظهر التشابه الكبير بين أسلوب وحجج التأليفين المذكورين:

رسالة «الهاتف من بعد»:	كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم»:
ـ وما أرى هذه الأمور إلا من تعويلك على كتب الأوائل والدهرية وأصحاب المنطق وكتاب أوقليدس والمجسطي وغيرهم من الملحدين، (ص١٢٢).	ـ أجاز لنفسه تقليد أرسطاطاليس وأفلاطون وبطليموس: عبدة الأفلاك أتباع إبليس». ـ وعدل إلى تقليد أصحاب الفترة الدهرية المعطلة في حدود المنطق وغيرها من زخارفهم.
ـ أما قلة دينك فلما أظهرته من الطعن على الصحابة وتخطئتك لهم وتسخيفك لآرائهم، (ص١٢٣).	ـ وزاد عليهم سب الأسلاف والأخلاف (. . .) وبَدَّع الصحابة.
ـ وأنت إنما نبغت في آخر الزمان (. . .) في وقت قلة العلم وكثرة الجهل، (ص١٢٣).	ـ حتى انتهى في آخر الزمن عند استيلاء الفتن إلى هذا المخذول المرذول.
ـ أما ضعف عقلك، فلما ظننته بنفسك (. . .) أنه قد صح لك ما لم يصح لصحابة نبيك صلى الله عليه وسلم، (ص١٢٣).	ـ إلى إن قال: إن له مزية على الصحابة توجب قوله لا أقوالهم (. . .) وإن عقلا لا يتوقى في كلامه مثل هذا، لفي غاية من الظلمة.

المؤلفات الأندلسية في الرد على ابن حزم خلال القرن الخامس الهجري:

لم يكن جميع الفقهاء الأندلس يسلكون مسلك التحريض والاحتماء بالسلاطين والقضاة، بل كان منهم من أداه اجتهاده إلى مخالفة ابن حزم، فسلك طريق أهل العلم في حسن المعارضة

---

(١) النص مستخرج من رسالة ابن حزم في الرد على الهاتف من بعد، صفحة ١٢٥ـ ١٢٦ (ضمن الجزء ٣ من رسائل ابن حزم).

والمخاطبة بالحجة، وكان منهم أيضاً الممسك الساكت عن التقحم في المعارضة[١].

ونرغب الآن في تقصي أخبار الردود على ابن حزم خلال القرن الخامس الهجري الذي عاش فيه ابن حزم. وقد وقفت في هذا الباب على أمر ستة مؤلفات في المباحث التالية:

١ ـ كتاب لعبد الله بن أحمد الجذامي البناهي:

من المعلوم أن ابن حزم كان مشاركاً في الأدب والشعر وكان له ذوق رفيع في نقد الشعر وشراح الدواوين، وقد انتقد أشياء على أبي القاسم بن الإفليلي شارح ديوان المتنبي. ولم يصل إلينا نقد أبي محمد بن حزم لكن قد علمنا خبره من ترجمة عبد الله بن أحمد بن الحسن الجذامي البناهي المذكور في كتاب الصلة لابن بشكوال وفي كتاب المرقبة العليا للبناهي المالقي.

قال عنه في الصلة «.. من أهل مالقة يكنى أبا محمد أخذ عن أبي القاسم بن الإفليلي كثيراً، وكان عالماً بالآداب واللغات والأشعار. وله رد على أبي محمد بن حزم فيما انتقده على ابن الإفليلي في شرحه لشعر المتنبي»[٢].

وقال صاحب المرقبة العليا عنه: «قدم للقضاء بالجزيرة الخضراء وما يرجع إليها (..) وذلك بإشارة شيخه [ومحمد بن الحسن بن يحيى بن الحسن الجذامي البناهي، تولى القضاء والوزارة بمالقة لبني حمود الأدارسة ثم لبلقين ووالده باديس الصنهاجيين، ثم توفي البناهي بقرطبة سنة ٤٦٣هـ[٣].

٢ ـ كتاب فِرَقُ الفقهاء لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي:

لقد شهد القاضي عياض بأن الباجي قد ذكر في كتابه فرق الفقهاء شيئاً من مجالس المناظرة بينه وبين ابن حزم. لكن هذا الكتاب لم يعثر عليه حتى الآن، ولكن منه نقول متفرقة في كتب التراجم، مثل ترتيب المدارك للقاضي عياض، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي، وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي[٤]، وكتاب روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام لابن الأزرق الغرناطي[٥]. وهذه النقول تفيدنا بأن كتاب الفرق للباجي عبارة عن كتاب في أخبار الفقهاء، ذكر فيه كثيراً من أخبار من لقيهم بالمشرق والأندلس، وما نقله كذلك عن شيوخه من أخبار المشاهير مثل خبر الباقلاني وأبي ذر الهروي وغيرهم. وقد نقل كذلك الإمام البُرزُلي في

---

(١) هذا ما شهد به ابن حزم نفسه في رده على الهاتف من بعد فقال: «العلماء ـ والله ـ قسمان لا ثالث لهما: إما عالم موافق «وإما عالم أداه اجتهاده إلى مخالفتي، فهو إما سالك طريق أهل العلم في حسن المعارضة والمخاطبة بالحجة (..) وإما ممسك ساكت لا كالطريق الذي سلكت من التقحم في الفتيا قبل أن تستفتى..» ١٢٦.

(٢) الصلة ١/ ٢٨٣، رقم ٦٢٢.

(٣) راجع تاريخ قضاة الأندلس ص٩٠ ـ ٩٤، والإحاطة لابن الخطيب ١/ ٤٣٣.

(٤) يشهد ابن فرحون في الديباج المذهب (بأن «ابن هلال قال «رأيته (أي كتاب الفرق للباجي) في الإسكندرية» صفحة ٢٠٠. (ترجمة الباجي).

(٥) ابن الأزرق الغرناطي: روضة الإعلام، الجزء الثاني، صفحات ٥٥٠ـ ٥٥٥. و٥٦٧ـ ٥٧٠.

نوازله طرفاً من أخبار تلك المناظرات كما ذكرت سابقاً وسأذكر الآن ما نقله عن الباجي الذي حكى نص مناظرة أخيه إبراهيم بن خلف الباجي مع ابن حزم.

مناظرة إبراهيم بن خلف الباجي لابن حزم:

قال البرزلي: وذكر (الباجي) أن أخاه إبراهيم بن خلف الباجي لقي ابن حزم يوماً فقال له (ابن حزم): ما قرأت على أخيك؟ فقال له: كثيراً أقرأ عليه. فقال: ألا أختصر لك العلم فيقرئك ما تنتفع به في الزمن القريب في سنة أو أقل؟

فقال له: لو صح هذا لفعل. فقال له: أو في شهر، فقال ذلك أشهى. فقال أو في جمعة أو دفعة. فقال: هذا أشهى إلي من كل شيء. فقال له: إذا وردت عليك مسألة فاعرضها على كتاب الله فإن وجدتها فيه وإلا فاعرضها على السنة، فإن وجدت تلك فيها وإلا فاعرضها على مسائل الإجماع، فإن وجدتها وإلا فالأصل الإباحة فافعلها. قلت له: ما أرشدتني إليه يفتقر إلى عمر طويل وعلم جليل، لأنه يفتقر لمعرفة الكتاب ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ومؤوله وظاهره ومنصوصه ومطلقه، وعموماً إلى غير ذلك من أحكامه، ويفتقر أيضاً إلى حفظ الأحاديث ومعرفة صحيحها من سقيمها، ومسندها ومرسلها ومعضلها وتأويلها، وتاريخ المتقدم والمتأخر منها إلى غير ذلك، ويفتقر إلى معرفة مسائل الإجماع وتتبعها في جميع أقطار الإسلام، وقل من يحيط بهذا[١].

وكتاب فِرَق الفقهاء ألفه الباجي قبل سنة ٤٦٠هـ لأنه ذكر فيه مناقشة جرت له مع عمر بن الحسين الهوزني (ت٤٦٠هـ) بمرسية[٢].

٣ ـ الاعتراض على كتاب الفصل لأحد الأندلسيين:

لقد قام أحد المعاصرين لابن حزم بالاعتراض على كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد ابن حزم، فلما بلغ ذلك ابن حزم ألف كتاباً في «الرد على من اعترض على الفصل» وقد ذكر هذا الرد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء[٣].

وبما أن الفصل قد تم في صورته شبه النهائية قبل سنة ٤٤٨هـ[٤] فإننا نعتقد أن الاعتراض عليه كان قريباً من هذا التاريخ.

٤ ـ كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» لعيسى بن سهل:

الإشارة إلى هذا الكتاب جاءت في برنامج أبي الحسن الإشبيلي الرعيني (ت٦٦٦هـ)،

---

(١) محمد بن أحمد عليش: «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام المالك» الجزء الأول صفحات ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) روضة الإعلام ٢/ ٥٦٧ ـ ٥٧٠.

(٣) الجزء ١٨ صفحة ١٩٥.

(٤) «الفصل ذكره» الحميدي تلميذ ابن حزم ووصفه، مما يعني أنه رأى الكتاب عند شيخه قبل رحلته إلى المشرق سنة ٤٤٨هـ.

حين ذكره لمقابلة تمت بين أبي الحجاج الأعلم الشنتمري والإمام ابن حزم ملخصها: أن ابن حزم قد لقي الأعلم فقال له: يا أستاذ هل تجمع العرب «فاعلاً» على فُعلان؟ قال الأعلم: فقلت له نعم، وأخذت أشرح له بالأمثلة. فقال لي: فما يمنع أن يكون سُبحان جمع «سابح». قال الأعلم، فعجبت من جهله ا.هـ. روى الرعيني هذه الحكاية فقال «.. وقد ذكر عنه نحو هذا القاضي أبو الأصبغ ابن سهل في كتابه الذي سماه بالتنبيه على شذوذ ابن حزم[1]»

وقد نشرت مقالاً حول مخطوطة فريدة من هذا الكتاب، عُثِرَ عليها منذ أزيد من ثلاثين سنة بخزانة القرويين بفاس، ولا نعلم ما حل بها بعد ذلك، لكن والحمد لله، فقد حُفِظَ أثرها على شريط مصور بالخزانة العامة للمخطوطات بالرباط، وقد وقفت عليه وقدمت تعريفاً بمحتوياته وفوائده. وسأذكر الآن فقط أن المخطوطة قطعة ناقصة من الكتاب تتكون من ٢٦٩ صفحة أغلبها أتت عليها الأرضة. ومكتوبة بخط أندلسي عتيق يعود للقرن السادس أو السابع (تخميناً) وتشتمل الصفحة الكاملة على ١٩ سطراً في الغالب.

وأقدر أن الكتاب كان يتألف من أكثر من ٣٠٠ صفحة. وقد نقل عيسى بن سهل من بعض الكتب الأندلسية والمالكية المعدودة في المفقودات اليوم نذكر منها:

كتاب الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله. للقاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت٣٥٥هـ).

كتاب القواعد لابن حزم الظاهري.

كتاب الإعراب عن كشف الالتباس الواقع بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس. لابن حزم.

كتاب النكت الموجزة في نفي الأمور المحدثة لابن حزم.

كتاب الأمر بالاقتداء والنهي عن الشذوذ عن العلماء لابن أبي زيد القيرواني[2].

رسالة أبي عمر أحمد بن رشيق إلى ابن عتاب في شأن ابن حزم.

أما كتاب التنبيه لعيسى بن سهل فقد بينت في مقالي المذكور أنه أُلِّفَ حوالي (٤٧٦-٤٨٠هـ) بمدينة طنجة.

وقد أطال عيسى بن سهل النفس في الرد على كتاب الإحكام لأصول الأحكام لابن حزم، لكنه رد كذلك على بعض المباحث في كتب ابن حزم الأخرى، مثل كتاب الفَصْلُ في المِلَلْ والنِّحَل[3] وكتاب مراتب الإجماع، وكتاب التقريب لحد المنطق، ورسالة مراتب العلوم، ورسالة

---

(١) علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي: كتاب «الإيراد، لنبذة المستفاد من الرواية والإسناد، بلقاء حملة العلم في البلاد، على طريق الاقتصار والاقتصاد»(طبع بعنوان «برنامج شيوخ الرعيني»صفحة ٣٣-٣٤).

(٢) ذكر ابن خير الإشبيلي هذا الكتاب في فهرسته ص٢١١ و٢١٣.

(٣) هكذا جاء ضبطه بالمخطوطة من كتاب التنبيه على شذوذ ابن حزم. [قلت: وكأن ابن حزم يقصد تأليف كتاب فيه: (القَوْلُ الفَصْلُ في مسألة «أي المِلل والنِّحِل على الحق وأيها على الباطل؟»).

=

التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق المؤدية إليه. ومما اعترض به ابن سهل على ابن حزم في رسالته هذه أنه استنكر عليه قوله بتحريف كتب اليهود والنصارى المقدسة عندهم فقال: «..وسلك مثل هذه السبيل (..) فحاد عن الطريق وألحد في كلماته (...) وكان يكفيه أن يقول: إن الملل نسخها خاتم الرسل بما أوحي إليه من الكتاب المحكم، صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥]».

ولليهود والنصارى أن يقولوا لابن حزم: «نحن على ملل أتتنا بها أنبياؤنا المرسلون إلينا إن أنت أنكرت ذلك، كفرت ووجب قتلك في شرعك، لأنك تكذب بما أتى به نبيكم في قرآنكم: من أن الله أرسل إلينا الرسل وأنزل عليهم التوراة والإنجيل. وقد نقل ذلك إليكم من لا يجوز الغلط عليه ولا الريب في نقله، من كافة إلى كافة، وليس تحريف من حرف منّا، وشذوذ من شذّ عنّا بمبطل لشرعنا (كما لم) يبطل الخوارج وأهل البدع شريعتكم، ولا نقضوا بظهورهم وخلافهم ديانتكم. وهذا كسر صحيح سالم من كل شائبة، قاطع لبهتان ابن حزم.

قول ابن سهل في مسألة التحريف قريب جداً مما نجده عند بعض الأشاعرة، كالإمام فخر الدين الرازي المفسر. (ت٦٠٦هـ) ولعل رأي عيسى بن سهل كان متداولاً بصورة واسعة في الأندلس، لأن ابن حزم في كتابه الفصل عقد فصلاً (شغل ورقة ونصفاً) للرد على أصحاب هذا الرأي حيث قال: «..وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بأن التوراة والإنجيل اللذين بأيدي اليهود والنصارى محرفان. وإنما حملهم عل هذا قلة اهتبالهم (أي اعتنائهم) بنصوص القرآن والسنن إلخ..»

وبعد ما حاجهم ابن حزم بالقرآن والحديث والعقل قال لهم: «.. فلابد لهؤلاء الجهال من تصديق ربهم جلّ وعز أن اليهود والنصارى بدلوا التوراة والإنجيل، وألا يرجعوا إلى الحمق، ويكذّبوا ربهم، جلّ وعز، ويصدّقوا اليهود والنصارى فيلحقوا بهم، ويكون السؤال عليهم كلهم حينئذٍ واحداً، فيما أوضحناه من تبديل الكتابين، وما أوردناه، مما فيهما من الكذب المشاهد عياناً (..) وقد اجتمعت المشاهدة والنص (..)[1]».

٥ ـ جزء في الرد على ابن حزم لأبي بكر ابن مفوز الشاطبي:

قال ابن الأبار في كتابه «معجم أصحاب أبي علي الصدفي[2]»:

«محمد بن حيدرة بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري، أبو بكر من أهل شاطبة وسكن قرطبة: أحد الحفاظ بل خاتمتهم بالأندلس، للحديث وعلله، المبرزين في صناعته: معرفة

= وقد جاءت نفس القراءة بالفتح لفاء «الفصل» في كتاب عقيل بن عطية الموسوم بكتاب «تحرير المقال في موازنة الأعمال» وسنذكره في ما بعد].

(١) الفصل ٣١٧ـ ٣١٩.

(٢) صفحة ٩٤ـ ٩٥ ترجمة رقم ٨١.

بمعانيه، وحفظاً لأسماء رجاله، مع الضبط والتحرز والإتقان، وحسن الخط والتحري في النقل، يجمع إلى ذلك التفنن في الآداب واللغة والعربية والشعر، وله رد على أبي محمد بن حزم قد قرأته على بعض شيوخنا (. .) توفي بقرطبة سنة ٥٠٥هـ»، وقد ورد ذكر هذا الكتاب في سير أعلام النبلاء للذهبي[١]. وفي نفح الطيب للمقري، ولم يذكره ابن بشكوال في ترجمة أبي بكر ابن مفوز، وقد وقفت على بعض النقول من هذا الكتاب وهي:

النقل الأول: في كتاب «شرح الإمام بأحاديث الأحكام» للحافظ أبي الفتح محمد بن علي القشيري الشهير بابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ) حيث ذكر قول ابن حزم في مسألة البائل في الماء الراكد ثم قال: «وممن شنع على ابن حزم في ذلك، الحافظ أبو بكر ابن مفوز فقال: ـ بعد حكاية كلامه ـ فانظر رحمك الله تعالى، ما جمع هذا القول من السخف، وحوى من الشناعة، ثم يزعم أنه الدين الذي شرعه الله، وبعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]».

وقد اعتقد بعضهم[٣] ممن اطلع على هذا النص أن كتاب الرد على ابن حزم لابن مُفوّز انتقاد للمسائل الفقهية الشاذة عند ابن حزم. وهذا قول غير صحيح بل إن الحافظ ابن مفوز انتقد أوهام ابن حزم في نقد الأسانيد والدليل على ذلك هو:

النقل الثاني: الذي وقفت عليه في كتاب الإصابة لابن حجر[٤]، وملخص ما جاء هناك أن ابن حزم قال في حق: جون ابن قتادة بن الأعور التميمي «وجون قد صحت صحبته» فتعقبه أبو بكر بن مفوز فقال «هذا خطاء، وجون رجل تابعي مجهول لا يعرف. ما روى عنه إلا الحسن. .».

٦ ـ كتاب في الرد على ابن حزم لابن النغريلة اليهودي:

لقد كان لابن حزم مع علماء اليهود بالأندلس مناظرات كثيرة، كما يشهد هو بذلك في كتابه الفصل في الملل والنحل، فقد سمى لنا: إسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالي[٥]، وإسماعيل بن يونس الطبيب الأعور[٦] ويوسف ابن عبد الله قاضي اليهود بقرطبة[٧]، وكلهم ناظروه. قال ابن حيان القرطبي «. .ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود ـ لعنهم

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٤٢١ وذكر في تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٢٥٥، أنه وقف على كتاب ابن مفوز في الرد على ابن حزم وهذا دليل على وصول الكتاب إلى المشرق، ووقف على هذا الكتاب أيضاً ابن عبد الهادي كما جاء في تعليق المحقق.

(٢) ابن دقيق العيد: شرح الإلمام ١/٤١٥.

(٣) هو الدكتور توفيق الغلبزوري في رسالته للدكتوراه «المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس»(تطوان ٢٠٠١) الجزء ٢ الصفحة ٦٩٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة ١/٢٤٥.

(٥) الفصل ١/٢٤٧.

(٦) الفصل ٥/٢٥٣ـ ٢٥٤.

(٧) قال ابن حزم «. .ولقد ناظرت بهذا كبيراً منهم وهو يوسف بن عبد الله قاضي يهود قرطبة. .»مخطوطة =

الله ـ ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام»: مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة وله مصنفات في ذلك معروفة[١] وقد ذكر الحميدي أن لابن حزم كتاباً عنوانه «إظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك، مما لا يحتمل التأويل:

فلا عجب إذاً أن يتصدى من اليهود من يرد على ابن حزم، الذي كان أكثر وأقوى أهل الأندلس حجة في جدالهم، فالرد عليه كاف لإسكات من دونه، لكن الفرصة الوحيدة التي أتيحت لهم اقتنصها يوسف بن إسماعيل ابن النغريلة وزير بني زيري الصنهاجيين حكام غرناطة وكان هذا اليهودي حسب ابن بسام «يزري على كل ذي دين، ولم يسلم من شره حتى بنو قومه الذين كانوا يتشاءمون باسمه، ويتظلمون من جور حكمه، ولما قلد أزمة الأعمال وخلي بينه وبين أثباج الأموال نأى بجانبه عن ذكر عواقبه، وألف كتاباً «في الرد على الفقيه أبي محمد بن حزم(..) وجاهر بالكلام في الطعن على ملة الإسلام»[٢]. ولابن حزم رسالة مشهورة في الرد على ابن النغريلة، وقد زعمت الباحثة سارّة ستروسمة (Stroumsa . Sarah) أن ابن حزم ادعى كذباً أن ابن النغريلة ألف كتاباً في تناقض القرآن. لكن زعمها هذا لم يحظ بتأييد إلا من طرف دافيد واسرشتاين (Wasscrstein . David) [٣] ولبسط هذه القضية موضع آخر.

المؤلفات الأندلسية والمغربية في الرد على ابن حزم خلال القرن السادس الهجري:

٧ ـ كتاب الرد على ابن حزم لأبي بكر عبد الله بن طلحة اليابُري:

كان أبو بكر عبد الله بن طلحة من أهل يابُرة ونزل إشبيلية. روى عن أبي الوليد الباجي وعن جماعة بغرب الأندلس، وكان عارفاً بالنحو والأصول (الكلام) والفقه والتفسير والقيام عليه وكانت له حلقة للتفسير مدة بإشبيلية وغيرها، ورحل إلى المشرق، وألف كتاباً في شرح صدر رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وبين ما فيها من العقائد، وله مجموعات في الفقه والأصول، منها رد على ابن حزم، وكتاب سماه المدخل إلى كتاب آخر سماه سيف الإسلام على مذهب مالك

= الفصل المحفوظة بمكتبة فيانا، ورقة ١٠١ وجه (نقلاً عن: عبد الإله إلجامعي «ابن حزم والجدل الإسلامي ـ المسيحي في تاريخ الإسلام «أطروحة دكتوراه من كلية تيلبورغ بهولندا سنة ٢٠٠١ (راجع صفحة ١٧٠ الملحق ١/١١). والأطروحة باللغة الفرنسية.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (قسم ١/ مجلد ١: صفحة ١٧٠).

(٢) المصدر نفسه، القسم الثاني المجلد الأول صفحة ٧٦٦.

(٣) مجلة القنطرة المجلد ١٤ الجزء الأول سنة ١٩٩٣ صفحة ١١٠ (مدريد). «وقد ردّت الأستاذة ماريا إيزابل فيثرو على سارة ستروسمة في بحث مستقل عنوانه: (Ibn Hazm et le Zindique Juif) انظر لائحة المراجع الأجنبية، وانظر كذلك تقديم إحسان عباس لرسالة الرد على ابن النغريلة، لابن حزم. حيث بين أن المقصود في نص ابن بسام ليس (إسماعيل بن يوسف ابن النغريلة بل ولده يوسف بن إسماعيل) وقد تبنيْتُ رأي إحسان عباس وأصلحت على مقتضاه نص ابن بسام في الذخيرة.

الإمام. رحل إلى المهدية سنة ٥١٤هـ. ولصاحبها: علي بن تميم بن المعز الصنهاجي ألف الكتاب الأخير. ثم استوطن مصر وقتاً ورحل إلى مكة وبها توفي سنة ٥١٨هـ[١].

وكتابه في الرد على ابن حزم ذكره صاحب أزهار الرياض في أخبار عياض[٢] كما أشاد بهذا الكتاب، ونقل منه أبو جعفر اللبلي في فهرسته، ومنه علمت أن اليابري. على ـ عادة المتعصبين من الأشاعرة قد انتقد ابن حزم بسبب جداله في الفصل مع الأشاعرة ـ.

قال اللبلي «.. كان ابن حزم كثيراً ما يتقول على الأشعرية وعلى غيرهم (..) لقصور معرفته لعلومهم، وكونه غير بصير بشيء من كلامهم، لأنه إنما قرأ كتبهم وحده، على ما ذكره الإمام أبو محمد عبد الله بن طلحة في كتابه[٣]».

كتابان في الرد على ابن حزم للقاضي أبي بكر ابن العربي:

بعد رجوع ابن العربي إلى الأندلس من رحلته المشرقية وجد مذهب ابن حزم قد طبق الآفاق، وكثر أتباعه فكانت له معهم مناظرات حادة، وقد بدت عداوته الشديدة لابن حزم في كتابه العواصم الذي حط فيه على ابن حزم والظاهرية، ولم يتكلم في شيخ أبيه بالقسط، مما جعل الإمام الذهبي ينقم عليه مثل هذا الفعل[٤].

٨ ـ كتاب النواهي والدواهي:

ألفه أبو بكر ابن العربي رداً على جزء لابن حزم عنوانه «نكث الإسلام» ومن الطريف أنه سيأتي حفيد لابن حزم وسينتصر لجده من ابن العربي. واسمه أبو عمر أحمد بن محمد بن حزم «ألف كتاباً وسماه بالزوابع والدوامغ». تابع فيه القاضي أبا بكر ابن العربي على فصول كتابه المسمى بالدواهي والنواهي في الرد على أبي محمد بن حزم، وحاذاه فيه كلاماً بكلام وحديثاً بحديث، وفقهاً بفقه، ونظماً بنظم، ونثراً بنثر، وإقذاعاً بإقذاع[٥].

٩ ـ كتاب الغرة:

ألفه للرد على كتاب «الدرة فيما يلزم الإنسان اعتقاده» لابن حزم[٦].

١٠ ـ فتوى أبي الوليد ابن رشد (ت٥٢٠هـ) في تجريح شهادة منكر القياس:

لقد سأل أحدهم، من حضرة المرية عن شاهد، مشهود له بالخير لكنه ظاهري، هل

---

(١) راجع ترجمته في المصادر التالية: ابن الأبار: التكملة ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١. محمد بن علي الداودي: طبقات المفسرين الجزء ١/ ٢٣٢ رقم ٢٢٣. السيوطي: بغية الوعاة (٢/ ٤٦). محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية: صفحة ١٣٠ رقم ٣٧٩. المقري: نفح الطيب ٢/ ٦٤٨ (وهو ينقل حرفياً ما عند ابن الأبار في التكملة).

(٢) الجزء الثالث صفحة ٧٧.

(٣) أبو جعفر اللبلي: (فهرسته) صفحة ٨٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء الجزء ١٨/ ١٨٨ـ ١٩٠.

(٥) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة السفر الأول، القسم الأول صفحة ٤٠٧.

(٦) الذهبي (المصدر نفسه).

ذلك جرحة في شهادته أم لا؟ فأجاب أبو الوليد ابن رشد بأن إنكار القياس في أحكام الدين عند العلماء بدعة، وذلك جرحة فيما اعتقده. ثم راح يحتج للقياس وشرعيته بالحجج المعروفة عند القائلين به (والتي سبق أن جادلهم ابن حزم فيها جدالاً قوياً) ثم قال: وأما إنكار بعض وجوه القياس لا يكون جرحة إن كان من العلماء الراسخين في العلم، الذين كملت لهم آلات الاجتهاد، فكان فرضه ما أداه إليه اجتهاده. وأما إن كان لا يلحق بهذه الدرجة، وكان فرضه التقليد، فترك ما عليه الجمهور، ومال إلى الشذوذ بغير علم، إلا اتباع هواه غير المستحسن، فما هدي لرشده.. إلخ[1]. (بتصرف)

١١ ـ كتاب في الرد على منكر القياس ألفه الحسن بن علي المسيلي (ت. حوالي ٥٨٠هـ):

قال أبو العباس الغبريني في كتابه عنوان الدراية: الإمام أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي، جمع بين العلم والعمل والورع. له المصنفات الحسنة (..) وله (كتاب): «النبراس في الرد على منكر القياس» وهو كتاب مليح، على ما أخبرت عنه، ولم أره وأنا شديد الحرص عليه، ولقد أخبرني بعض الطلبة المتمسكين بالظاهر ـ وهو من أنبلهم ـ أنه رأى هذا الكتاب، وأنه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله، فأنشدته:

[من الكامل]

ومليحة شهدت لها أعداؤها والحسن ما شهدت له الأعداء

فأعجبه ذلك (..) ولي المسيلي قضاء بجاية. وكان له رحمه الله وللفقيه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي، وللفقيه العالم أبي عبد الله بن عمر القرشي مجلس أظنه يجلسون فيه للحديث، وكثيراً ما كانوا يجلسون بالحانوت الذي سمي بعدهم «مدينة العلم» لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه[2]. بتصرف.

١٢ ـ كتاب في المسائل المنتقدة على ابن حزم جمعه أبو بكر بن خلف الأنصاري المواق:

قال الإمام البرزلي في نوازله، «جاءت أيام الأمير يعقوب [المنصور الموحدي (ت٥٩٥هـ)]«فأراد حمل الناس على كتب ابن حزم، فعارضه فقهاء وقته، وفيهم أبو يحيى (أبو بكر بن خلف الأنصاري القرطبي) ابن المواق، وكان أعلمهم بالحديث والمسائل. فلما سمع ذلك لزم داره، وعارض وأكبّ على جمع المسائل المنتقدة على ابن حزم حتى أتمها ـ وكان لا يغيب عنه (أي يعقوب المنصور) ـ فلما أتمها جاء إليه، فسأله عن حاله وغيبته ـ وكان ذا جلالة عنده ومبراً له ـ فقال له: يا سيدنا قد كنت في خدمتكم لما سمعتكم تذكرون حمل الناس على كتب ابن حزم، وفيها أشياء أعيذكم بالله من حمل الناس عليها، وأخرجت له دفتراً. فلما أخذه

(١) مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد) المجلد الثاني صفحات: ١٢٧٣ـ ١٢٧٩).
(٢) أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية صفحة ٣٣ـ ٣٦ ترجمة رقم ٢.

الأمير جعل يقرؤه ويقول: أعوذ بالله أن أحمل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على هذا. وأثنى على ابن المواق. ودخل منزله»[١]. و«ابن المواق من أهل قرطبة وسكن مدينة فاس، وكان حافظاً حافلاً في علم الفقه والخلاف فيه. ملازماً للتدريس، تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك (..) وعني بالحديث على جهة التفقه والتعليل والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات، وما يعارض وما يعاضد، ولم يعن بالرواية، وهو من شيوخ أبي الحسن ابن القطان، وحظي بخدمة السلطان بمراكش فنال دنيا عريضة (..) وولي قضاء فاس وبها توفي وهو يتولاه في آخر شوال سنة ٥٩٩هـ».

هكذا ذكره ابن الأبار في كتابه التكملة[٢] وعنه نقل ابن القاضي في جذوة الاقتباس[٣] ومحمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس[٤].

١٣ ـ كتاب تحرير المقال في موازنة الأعمال للقاضي عقيل بن عطية القضاعي (ت٦٠٨هـ):

قال ابن الأبار: «عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي: يكنى أبا طالب وأبا المجد، ولد بمراكش وأصل سلفه من طرطوشة (بالأندلس). روى بالأندلس وغيرها عن ابن بشكوال وابن خير وغيرهم، وولي قضاء غرناطة، وكان من أهل الحفظ والإتقان والضبط، يبصر الحديث ويتقدم في صناعته، مع حسن الخط والمشاركة في الأدب، وله رد على أبي عمر بن عبد البر في بعض تواليفه وتنبيه على أغلاطه.. وولي قضاء سجلماسة بأخرة من عمره، وتوفي بها في صفر سنة ٦٠٨هـ ومولده سنة ٥٤٩هـ[٥]». بتصرف.

ولم يذكر له ابن الأبار كتابه في الرد على الحميدي وشيخه ابن حزم. وفي كتاب أعلام مالقة لابن عسكر وابن خميس جاء في ترجمته ما نصه: «عقيل بن عطية المالقي يكنى أبا طالب. ليس من مالقة، لكنه أقام بها واستوطن، وكان يكتب المناكح على القاضي ابن يربوع. ثم إنه ولي قضاء غرناطة مدة، ثم انتقل عنها وولي قضاء سجلماسة.. وله كتاب سماه: تجريد (كذا) المقال في موازنة الأفعال يرد فيه على الحميدي..[٦]» وذكره أبو جعفر ابن الزبير في كتابه «صلة

---

(١) محمد عليش «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك» ١/١٠٣. انظر مجلة دعوة الحق (المغرب) عدد ٢٤٩ (١٩٨٥م) ص٢٦ ـ ٣٠، مقال للأستاذ سعيد أعراب: «موقف الموحدين من كتب الفروع وحمل الناس على المذهب الحزمي». وقد سبقه إلى هذا الموضوع الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري في كتابه: «ابن حزم خلال ألف عام»، ومع ذلك لم يشر إليه الأستاذ أعراب.

(٢) الجزء ١/ ١٨٠ ـ ١٨١.

(٣) القسم الأول / ١٠٦ رقم ٢٧.

(٤) الجزء الأول / ٢٢٤.

(٥) كتاب التكملة ٤/ ٣٣ ـ ٣٤.

(٦) أعلام مالقة: صفحة ٣٢٩ رقم ١٤٨.

الصلة»[١] فقال: وقفت له على تأليف سماه: فصل المقال في الموازنة بين الأعمال «تكلم فيه مع أبي عبد الله الحميدي، وشيخه أبي محمد بن حزم، فأجاد فيه وأحسن، وأتى بكل بديع وأتقن..» وقد نقل هذا الكلام عن ابن الزبير كل من ابن الخطيب في كتابه الإحاطة[٢]، وابن فرحون في كتابه الديباج[٣]. والحق أن العنوان المذكور أعلاه قد تحور عن أصله وما وجدته مكتوباً في مخطوطة الكتاب المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط هو التالي، قال المؤلف في مقدمته: .. وسميناه كتاب «تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل..».

سبب تأليف هذا الكتاب ومضمونه:

قال المؤلف: «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى أما بعد: فإن أحد الطلبة رعاهم الله عرض علي كتاباً صنعه أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ـ رحمه الله ـ في الموازنة يوم القيامة، وتقسيم أهلها وترتيب الجزاء. من الثواب والعقاب، عليها.

وكان هذا الطالب المشار إليه معجباً بذلك الكتاب، ومستحسناً لأغراضه، ومولعاً بتقسيمه، وزاده كلفاً به، كون أبي محمد علي بن أحمد بن حزم ـ رحمه الله ـ قد رواه عن مؤلفه».

ثم مهد عقيل بن عطية لسبب رده على كتاب الحميدي بذكره لترجمة أبان فيها عن منزلة الحميدي العلمية ثم قال: «لكن ليس ذلك بمانع أن يرد عليه بعض قوله (..) ونحن لما نظرنا الكتاب المبدأ بذكره، وتأملنا غرض مؤلفه فيه وجدناه غير مخلص للقسمة والأقسام التي عمد فيها إلى تنظيم بعضها ببعض وتضمحل عند التحصيل، فتحققنا أن الحميدي أصابته غفلة فيه، وكذلك أصابت الغفلة أبا محمد بن حزم استحسانه له وتصويبه لتقاسيمه، وما ذلك منه إلا لأن كثيراً من مضمنه هو مذهبه، فغاب عنه ما وراء ذلك، مما لو أمعن النظر فيه. لم يخف عليه، وقد قال الحميدي في أول كتابه هذا: إن الأصل ما سمعه من أبي محمد المذكور مشافهة.. وهكذا وجدناه في كتاب الفصل من تأليف أبي محمد، أشياء موافقة لما ذكره الحميدي في هذا الكتاب، مما نرى أن الحق في خلافه. فكان هذا كله داعية لنا إلى تتبع ما في كتاب الحميدي

---

(١) في القسم الرابع / ١٧٠ ـ ١٧١ رقم ٣٤٠.

(٢) المجلد ٤/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٣) الديباج المذهب، صفحة ٣١٣ رقم ٤١٨ قلت: والكتاب وصل إلى المشرق يقيناً، لأن الإمام بدر الدين الزركشي نقل عنه في كتابه «البحر المحيط في أصول الفقه»٤/ ٢٧٧. وسماه «تحرير المقال في موازنة الأعمال» والزركشي توفي سنة ٧٩٤هـ.

وقد ترجم الذهبي لعقيل بن عطية في وفيات سنة ٦٠٨ من كتابه «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» صفحة ٢٩٩ ـ ٣٠٠ رقم ٤٠٢ ولم يذكر له تحرير المقال، لأنه اعتمد على ابن الأبار كمصدر وحيد.

وانتقاده وإبرازه ما يصح من أمر الموازنة في الآخرة، وتقسيم أهلها بحسب مفهوم الشريعة، وضع ذلك كله في هذا الكتاب الذي تحرينا الحق، جهدنا في مضمنه، ونقحنا الكلام المودع فيه، هذا مع أنه قد تضمن أشياء زائدة على ذكر الموازنة (..) وقد رأينا أن نفصل بين كلامنا وكلامه، بحيث يمتاز أحدهما من الآخر، وذلك بأن ننقل كلامه بلفظه، فإذا كمل أردفنا عليه فصلاً أو فصولاً متتابعة من كلامنا لتحسين ما قاله أو لانتقاده وتبيين وهمه، أو لتتميم معناه، إن أخلّ به، أو لتقسيم حاصر لما يقصد به، أو لا يراد ما يليق بذلك الموضع مما لم يلم هو به، أو ألمّ به على وجه آخر. فإذا كمل ذلك رجعنا إلى نقل لفظه أيضاً، ثم عدنا إلى تلك الفصول كذلك، حتى يفرغ مقصودنا بحول الله في هذا الكتاب. ولم نترك من كلام الحميدي في كتابه المذكور شيئاً بل سقناه على ما هو عليه، بحيث لو شاء ناقل أن ينقل كتابه، أمكنه ذلك (..) ويأتي في الكتاب بحول الله تبيين ما عسى أن يرد عليه أو على أبي محمد بن حزم، إذا دعت إلى ذلك داعية. فإن كلامنا في هذا الكتاب إنما هو مع هذين الرجلين. أحدهما بالاختراع والتأليف، والثاني بالاستحسان والتصويب، فعلى الحقيقة إذا رددنا على الحميدي في شيء ما، تطرق ذلك إلى الرد على أبي محمد ابن حزم. هذا إذا لم يوجد لأبي محمد فيه كلام، وأما ما نصّ عليه فسيكون الرد على الحميدي فيه بحكم التبع، لأن ابن حزم من أهل النظر - في الجملة - وأما الحميدي فإنما هو من أصحاب الحديث، وإن كان من أهل التحذّق فيهم. ثم إنا لما فرغنا من التكلم مع الحميدي فيما تضمنه كتابه، أردفنا عليه قسمين لم يلم بذكرهما ويجب التنبيه عليهما والكلام فيهما.

القسم الأول: حكم المجانين وأهل الفترة ومن لم تبلغه الدعوة (..)

القسم الثاني: حكم الجن في القيامة، إذ هم أمة يلزمهم التكليف، وإذا لزمهم التكليف ترتب عليه الجزاء (..)

ونحن بحول الله نورد من الكلام على هذين القسمين ما يتمم المقصود ويكمل المطلوب، مما حررنا القول فيه وتحرينا الصواب فيما يحويه على النحو الذي سلكناه في جملة الكتاب، وسميناه كتاب تحرير المقال (إلخ..) لتكون هذه الترجمة تحتوي على مقصود الكتاب في الجملة، إذ لا يخرج عنها إلا ما يندرج في تضاعيف الكلام، مما يستدعيه القول ويوجبه النظر.

والحقيقة أن الكتاب رائع يدل على تبحر صاحبه في علوم الكتاب والسنّة، وعلى إنصاف ودقة نظر قل وجودهما. وللكتاب، حسب علمي، نسختان خطيتان كلتاهما بالخزانة العامة بالرباط.

النسخة الأولى: وتحمل رقم (ق١٠٩) تتألف من ٣١١ صفحة مكتوبة بخط أندلسي، وجاء بآخرها: «بلغت المقابلة بأصل مؤلفه فصح، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد رسوله الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً. وكان الفراغ منها في الحادي عشر من

جمادى الآخرة عام ثلاث وستمائة».

وفي الورقة الأولى ما يفيد أن هذه النسخة سمعت ثلاث مرات على المؤلف في سنة ٦٠٣هـ وحضر ذلك السماع جماعة من الطلبة (كان ذلك بسجلماسة كما سيظهر في النسخة الثانية) والناسخ هو محمد بن عبد الرحمن بن يحيى تلميذ المؤلف.

النسخة الثانية: وتحمل رقم (كاف، ٦٥٢) وهي نسخة مغربية منقولة عن نسخة بخط علي بن قاسم بن علي بن قاسم بن علي بن محمد بن أحمد البياضي الأنصاري[١] نسخها عام ٨٩١هـ وذلك بمدينة بلش (بالأندلس).

وتتألف من ٢٥٣ صفحة وتنقصها الورقة الأولى.

١٤ ـ رد على ابن حزم، لابن خروف الحضرمي الأندلسي (ت٦٠٩هـ):

قال ابن عبد الملك المراكشي في كتابه «الذيل والتكملة»: علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي إشبيلي (..) روى الحديث عن ابن خير وابن زرقون.. وابن بشكوال، وأخذ علم الكلام وأصول الفقه عن العارف أبي عبد الله الرعيني ركن الدين، وأبي الوليد ابن رشد الأصغر، والعربية والآداب عن أبي إسحاق بن ملكون، وأبي بكر بن طاهر. ولزمه وعليه أتقن «الكتاب» (لسيبويه) وعنه لقن أغراضه (..) وكان مقرئاً مجوداً حافظاً للقراءات، ونحوياً ماهراً، عددياً فرضياً عارفاً بالكلام وأصول الفقه، وقد صنف في كل ما ينتحله من العلوم مصنفات مفيدة شرقت وغربت (..) وكان كثير العناية بالرد على الناس، فرد على الجويني في كتابيه «الإرشاد» و«البرهان» وعلى ابن الطراوة في مقدماته على أبواب الكتاب، وعلى الأعلم في رسالته الرشيدية وغيرها، وعلى أبي محمد بن حزم في بعض مقالاته (..) توفي بإشبيلية في العشر الوسط من جمادى الآخرة، وقال ابن الأبار: توفي في صفر سنة تسع وستمائة، ابن ثمانين سنة أو نحوها[٢].

١٥ ـ رد على ابن حزم للفقيه أبي زكرياء يحيى بن علي الزَّوَاوِي (ت٦١١هـ):

قال محمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية، «أبو زكرياء يحيى بن علي المعروف بالزواوي الشيخ الفقيه الصالح الورع.. أخذ عن أعلام ورحل للمشرق، وأخذ عن أبي الطاهر إسماعيل بن مكي، والقاضي أبي سعيد مخلوف بن جاره.. وأبي طاهر السفلي وأبي القاسم بن فيره الشاطبي وغيرهم، وعنه أخذ أعلام توفي سنة[٣] ٦١١هـ» وذكره هنا في علماء فاس. وقال أبو العباس الغبريني: «ولما كان من أمر الفقيه أبي زكرياء الزواوي في شأن ابن حزم ما قد اشتهر، وتعصب له ناس ورفعوا القضية للخليفة بمراكش، اقتضى نظر الفقيه أي زكرياء أن يتوجه

---

(١) أندلسي من سكان حصن بلش الكائن شرقي مالقة، ثم هاجر إلى المغرب فاستوطن مكناسة الزيتون، وتوفي بها سنة ٩١٢هـ.

(٢) الذيل والتكملة السفر الخامس، القسم الأول صفحات: ٣١٩ـ ٣٢٣. رقم ٦٣٥.

(٣) شجرة النور الزكية. ص ١٨٤ـ ١٨٥ رقم ٦٠٩.

عنه الفقيه أبو محمد عبد الكريم (بن عبد الواحد الحسني) لمراكش، فتوجه وحمل تأليف الفقيه ورده على ابن حزم ـ المسمى حجة الأيام وقدوة الأنام ـ ولما وصل حضرة مراكش استحضره أمير المؤمنين بين يديه، بمحضر الفقهاء، وعرض تأليف الفقيه عليهم، وكان الفقيه أبو محمد عبد الكريم هو النائب في الحديث، فأحسن وأجاد، وأطلع أمير المؤمنين ومن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه ـ رضي الله عنه ـ ما دله على فضله ودينه وعلمه، فكان من قول الخليفة: يترك هذا الرجل على اختياره، فإن شاء لعن وإن شاء سكت، وانقلب أبو محمد عبد الكريم وهو المبرور، وسعيه المشكور[(١)]».

والأمير المذكور في الحكاية هو يعقوب المنصور الموحدي (ت٥٩٥هـ).

١٦ ـ كتاب «المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم» تأليف ابن زرقون الأنصاري (ت٦٢١هـ):

قال ابن فرحون «محمد بن أبي عبد الله بن محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري الإشبيلي، يكنى: أبا الحسن، شيخ المالكية، وكان من كبار المتعصبين للمذهب، فأوذي من جهة بني عبد المؤمن (الموحدين). ولما أبطلوا القياس وألزموا الناس بالأثر والظاهر، صنف كتاب المعلى في الرد على المحلى لابن حزم. توفي في شوال سنة ٦٢١هـ وله يومئذٍ ٨٠ سنة[(٢)]».

وعنوان الكتاب كاملاً كما ذكره تلميذا ابن زرقون: أبو الحسن الرعيني[(٣)] وابن الأبار[(٤)] هو: «كتاب المعلى في الرد على المحلى والمجلى» قال ابن الأبار «امتحنه السلطان من أجله، واعتقل مدة بسبتة».

وقد ولد ابن زرقون سنة ٥٣٩هـ وعاصر حكم أربع خلفاء من الموحدين وهم عبد المومن بن علي وابنه يوسف ثم يعقوب بن يوسف ثم الناصر ولد يعقوب.

كتب الردود على ابن حزم خلال القرن السابع الهجري:

وقد أحصيت خلال ذلك القرن ظهور أربعة من العلماء الأندلسيين ممن تصدوا للرد على ابن حزم، وسأذكرهم مرتبين حسب وفياتهم:

١٧ ـ كتاب «الرد على المحلى» للحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن القطان (ت٦٢٨هـ):

---

(١) عنوان الدراية صفحات ٢٤٧ـ ٢٤٨.

(٢) الديباج المذهب: صفحة ٣٨٠ رقم ٥١٣.

(٣) برنامج شيوخ الرعيني: صفحة ٣٢.

(٤) التكملة ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤. وامتحان السلطان لابن زرقون كان من أجل تعصبه الشديد لمذهب مالك رحمه الله. وهذا كان دأب أبيه من قبله، إذ دافع عن كتاب المدونة بمحضر من الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي، انظر: مجلة دعوة الحق، العدد ٢٤٩ ص٢٦ ـ ٢٨.

قال صاحب شجرة النور الزكية: «أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك المكناسي[١] يعرف بابن القطان، العالم الفقيه الراوية العارف بصناعة الحديث وأسماء رجاله، سمع أبا عبد الله بن الفخار وأبا عبد الله ابن البقال (..) وممن كتب إليه ولقيه أبو جعفر ابن مضاء.. وأبو عبد الله بن زرقون.. توفي سنة ٦٢٨»[٢].

وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي في ترجمته لابن القطان أنه «ألف كتاباً في الرد على المحلى مما يتعلق بعلم الحديث. ولم يتم[٣]» وهذا دليل كاف في أن ابن القطان ليس ظاهرياً بل كان من أهل الحديث فقط ولم يتقيد بمذهب.

١٨ ـ كتاب في الرد على ابن حزم لعبد الحق بن عبد الله الأنصاري (ت٦٣١هـ):

قال ابن الأبار: «عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق أبو محمد الأنصاري قاضي الجماعة بإشبيلية ومراكش، أصله من المهدية (تونس) وولي أولاً قضاء غرناطة ثم إشبيلية، ثم ولي سنة ٦١٩هـ قضاء مراكش وقتاً وامتحن فيه بالفتنة المتفاقمة حينئذٍ، وكان أحد العلماء المتفننين في وقته، فقيهاً مالكياً حافظاً نظاراً بصيراً بالأحكام، جزلاً صلباً في الحق، مهيباً، معظماً. وله كتاب في الرد على ابن حزم دل على حفظه وعلمه وأفاد بوضعه.. توفي سنة ٦٣١هـ بمراكش، ولقيته بإشبيلية سنة ٦١٨هـ[٤]» بتصرف.

قلت: وفي سنة ٦٠٥هـ تمّ تأخير أبي عبد الله الباجي عن قضاء إشبيلية، وتولاه أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأنصاري[٥]. أما الفتنة المذكورة فالمقصود بها المقاتلة بين يحيى بن الناصر والمأمون بمقربة من مراكش في يوم السبت ٢٥ ربيع الأول سنة ٦٢٧هـ فانهزم يحيى وفرّ إلى الجبل، وقبض المأمون على القاضي أبي محمد ابن عبد الحق، فحبس حتى افتدى منه بخمسة آلاف دينار أو نحوها[٦]. لكن القاضي على العموم كان معظماً عند بني عبد المؤمن إلى أن توفي رحمه الله، كما سجل ذلك ابن عذاري المراكشي في تاريخه[٧].

١٩ ـ الرد على نفاة القياس لعبد المجيد بن أبي البركات الطرابلسي (ت٦٨٤هـ):

قال في شجرة النور الزكية: «القاضي أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي الإمام الفقيه العمدة الأصولي. تفقه ببلده بابن الصابوني، ورحل للمشرق مرتين، الأولى سنة ٦٢٤هـ. والثانية سنة ٦٣٣هـ فأخذ بالإسكندرية عن جماعة، ثم قدم

---

(١) هذا خطأ إنما هو «الكتامي الفاسي» كما جاء في الذيل والتكملة للمراكشي.
(٢) محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية صفحة ١٧٩ رقم ٥٨١.
(٣) الذيل والتكملة: السفر الثامن القسم الأول: صفحة ١٦٧.
(٤) التكملة ٣/ ١٢٥ ـ ١٢٦.
(٥) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب (قسم الموحدين) صفحة ٢٥٤.
(٦) المصدر نفسه صفحة ١٨٤.
(٧) المصدر نفسه صفحة ٢٦٩.

نسخة فريدة مخطوطة بالخزانة الصبيحية بمدينة سلا[١]. وعدد أوراقها سبعة، وخطها مغربي مبسوط، نسخت عام ١٠٥٤هـ والناسخ غير مذكور، وجاء اسم المؤلف كاملاً في المقدمة هكذا: «وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه، الراجي منه عفوه ورضاه، أحمد بن الحسن الورياجلي المعروف بالصغير».

ومن هذا الرد يمكن استخراج بعض مذهب هذه الفرقة فمما جاء فيها:

فصل في الرد عليهم في: عدم اقتدائهم بمالك، لقولهم: إن غالب أقواله ظنية وذلك مما يؤدي بنا إلى المهالك[٢].

فصل في الرد عليهم في طعنهم على العلماء من أجل اختلافهم وقولهم: «لو كان مالك وأصحابه على الحق ما اختلفوا في مسألة»[٣].

فصل في قولهم: «القرآن عربي مبين وأنهم لا يحتاجون إلى ما نقل في (تفسيره عن العلماء) الراسخين»[٤].

فصل في إنكارهم الدعاء والابتهال إلى الله دبر الصلوات[٥]. وقد ظهر من هذا الرد أن مؤلفه فقيه نبيه مطلع، ومن مصادر كتابه:

كتاب نظم الدر المبدد في شرح رسالة أبي محمد، وشرح أصول السبكي للعراقي، نوازل ابن رشد (وهي المطبوعة تحت عنوان مسائل أبي الوليد ابن رشد[٦]) والهدي النبوي لابن القيم، وتفسير القرآن للماوردي، وفتح الباري لابن حجر، وينقل كذلك عن أبي بكر بن العربي وأحمد بن أبي زيد المعروف بابن حلُولُ القيرواني، وأحمد الونشريسي صاحب المعيار، والأبي شارح مسلم، والعالم الزاهد علي بن محمد بن فرحون القرطبي، والإمام ابن عرفة، ويحيى بن معاذ الرازي، وعبد الله بن سعيد بن أبي جمرة في كتابه على البخاري. وللمزيد من المعلومات حول الطائفة الأندلسية الضالة يراجع كتاب محمد حجي المسمى «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين» حيث ذكر مصادر أخرى مخطوطة ذكرت تلك الطائفة[٧]..

---

(١) راجع: محمد حجي: «فهرس الخزانة الصبيحية بسلا» منشورات معهد المخطوطات العربية، صفحة ٥٩٨ رقم ترتيبي ١٢٩١، ورقمها في الخزانة ٣/٣٣٣ في مجموع. وقد أدرجنا صورة من صفحاتها في آخر هذا المقال.

(٢) مخطوطة سلا: ورقة (٢ ظهر).

(٣) المصدر نفسه: ورقة (٣ وجه).

(٤) المصدر نفسه: ورقة (٤ وجه).

(٥) المصدر نفسه: ورقة (٥ وجه).

(٦) ينقل عن الفتوى التي ذكرناها سابقاً حجج ابن رشد في إثبات الرأي والقياس، إلخ..

(٧) محمد حجي، الحركة الفكرية ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٥

ثم ذكر اللبلي أحاديث اعتمدها ابن حزم في إبطال القول بالقياس وناقشه فيها. ولعل كتاب اللبلي في الرد على ابن حزم لم يظهر للوجود لأنه مات قبل تأليفه ولعله ضاع.

الرد على ابن حزم خلال القرن الثامن:

لم أقف في هذا الصدد إلا على خبر تأليف واحد، وهذا لا يعني أنه لم تظهر مؤلفات أخرى ولكن حسب ما وقع تحت يدي من المصادر لم أجد أكثر من ذلك التأليف وسأذكره الآن:

٢١ ـ الرد على ابن حزم لإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي (ت٧٣٤هـ):

قال ابن فرحون: إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي: قاضي القضاة بتونس: يكنى أبا إسحاق، كان علامة وقته، ونادرة زمانه، ألف كتاب «معين الحكام» في مجلدين (. .) نحا فيه إلى اختصار المتيطية: وله «الرد على ابن حزم في اعتراضه على مالك ـ رحمه الله ـ في أحاديث خرجها في الموطأ ولم يقل بها. وله اختصار أجوبة القاضي أبي الوليد ابن رشد. . روى عن جماعة الأندلس القادمين على مدينة تونس. توفي سنة ٧٣٤هـ عن ٩٧ سنة وأشهر ـ رحمه الله تعالى ـ[١] قال محمد مخلوف: مولده سنة ٦٣٧هـ وتوفي في رمضان سنة ٧٣٣ ودفن بتربته المعروفة بتونس»[٢].

الطائفة الأندلسية أو المحمدية ورد الفقهاء عليها (القرن ١٠هـ):

في القرن العاشر الهجري ظهر بالمغرب شيخ يقال له أبو عبد الله محمد الأندلسي، جمع إلى تأثره بالمذهب الظاهري أموراً أخرى، ووقع خلاف بينه وبين فقهاء مراكش وبينه وبين الفقراء (الصوفية) وجرت له أمور شرحها معاصره محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، وكذلك خصمه ابن القاضي المكناسي. قال ابن عسكر: «محمد الأندلسي نزيل مراكش: كان هذا الرجل يتبع طريق الجادة في المعاملات، وكان مولعاً بعلم الاقتباس وسر الحرف وعلم الكيمياء والرياضة والطب وعلم الهيئة والطبيعة. أخذ عن أشياخ جمة، ولكنه كان كثير الوقوع في الأئمة، فنحا منحى ابن حزم الظاهري وشاع ذلك عن أصحابه، فأفتى فقهاء مراكش بتضليله وأنهوا ذلك إلى السلطان فأمر بحبسه وبقي مدة ثم فرج عنه. ثم شنعوا عليه أيضاً أنه يقول «الاشتغال بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فتور عن الذكر» وأشياء مستغربة، فسجن أيضاً ثم خلي سبيله، فانتشر صيته وبعد ذكره وكثر أتباعه، ووقع بينهم وبين الفقراء خطب عظيم، وانتشر بسبب ذلك شغب في العامة، وكثر التعصب، ووقعت المجاهرة بالقتال وسفك الدماء. وتلقبت شيعته بالمحمدية، ويسمون من خالفهم المالكية نسبة إلى الإمام مالك، لقيته مراراً وتكلمت معه، فكان يتنصل من أكثر ما نسب إليه، ويظهر التمسك بالسنة والإضراب عن القول بالرأي والقياس، ويعيب طريقة الفقهاء. وبقي في نفوس العامة منه شيء، إلى أن دخل السلطان أبو عبد

---

(١) الديباج المذهب: صفحة ١٤٥ رقم ١٥٦.

(٢) شجرة النور الزكية صفحة ٢٠٧ رقم ٧١٩.

الله محمد ابن الغالب عبد الله بن محمد الشيخ (السعدي) مدينة مراكش، عند خروج السلطان عبد الملك عنها بالحركة إلى الجبل في ذي الحجة من سنة ٨٤ (وتسعمائة). فوجه القائد التركي محمد بن كرمان ليأتيه (بالأندلس)، فثار به أصحاب الشيخ الأندلسي فقتلوه. فأمر السلطان بإحضار الأندلسي والبحث عنه حيث كان، فأخرج من دار الشيخ أبي الحسن بن أبي القاسم، فثار به العامة وصلبوه في التاريخ المذكور[١]».

وقال ابن القاضي في درة الحجال: «محمد الأندلسي: رئيس الطائفة الأندلسية، ومخترع البدعة العظيمة المضرة بالسنة السمحة الحنفية فأهلكه الله وأتباعه، وأخلى منهم الأرض. توفي قتيلاً سنة ٩٨٥ في ذي الحجة منها. قتله السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف الحسني المخلوع. فاز رحمه الله بقتله إياه، لكن قتله ليس هو على بدعته، وإنما قتله لكونه رئيس الأندلس الذين غرروه، وكان ذلك سبب خلعه، وكان أمر الله قدراً مقدوراً (..) وزيد هذه الطائفة اليوم بالمغرب على من كان به من اليوسفية والعكازية، فليحذروه المسلم، ولا يغتر بخزعبلاتهم، وما أحدثوه في الدين، أخلى الله منهم الأرض. وهذه البدعة التي دعا إليها هذا المطرود من باب فضل الله إلى غضبه، وتمسك بها أصحابه من بعده كعبد الخالق الوامغاري، المتشرف وليس بشريف، إذ أصله صنهاجي، وكإبراهيم الراشدي، وكإبراهيم رفيق، ومن تبعهم،..قال بمثلها بعض الأندلسيين قبله (يقصد ابن حزم)، بل حذا حذوه في أقواله كلها وأفعاله، وشنع عليهم ابن العربي في العارضة (عارضة الأحودي شرح صحيح الترمذي)».

ومن أراد الوقوف على شناعاتهم جملة وتفصيلاً، وما قيل في هذه الطائفة الملعونة فليطالع:

تأليف الفقيه الخطيب أبي القاسم بن سلطان القسنطيني نزيل تطوان، فقد أبدع فيهم، وزيف أقوالهم، وبين فسادها، وهو في نحو مجلدين. وصنف أيضاً في الرد عليهم وريقات: أبو العباس أحمد الصغير أحد تلامذة المنجور. وكان يؤذيهم كثيراً، فغضبوا لذلك وعظم الأمر لديهم، فقتلوه ـ رحمة الله عليه ـ وأخزى طائفتهم[٢].

قلت أما رد ابن سلطان[٣] فلا نعلم لوجوده خبراً، وأما رد أحمد الصغير فقد حفظت منه

(١) محمد بن عسكر الشفشاوني: «دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر» صفحة ١٠٩ ترجمة ١٠٦ وعنه ينقل الناصري في تاريخه «الاستقصا» ٥/ ٥٠. وأخطأ الناصري فجعل الأمر بقتل الأندلسي هو الغالب بالله، كما جعل ذلك القتل سنة ٩٨٠هـ وهو خطأ.

(٢) كتاب «درة الحجال في أسماء الرجال» الجزء الثاني ص٣٥ـ ٣٧ ترجمة رقم ٤٨٠ـ أما عبد الخالق الوامغاري المذكور في النص فقد كان أحد رؤساء الطائفة الأندلسية في عصر ابن القاضي بمدينة مكناس وقد ترجم له في درة الحجال ٣/ ١٦٧ـ ١٦٨.

(٣) وأما ابن سلطان صاحب الرد على الطائفة الأندلسية فهو «الفقيه المعقولي الخطيب بقصبة تطوان كان صديقاً لابن القاضي، وقد أطلعه على رده ذلك سنة ٩٩٥هـ فقال عنه بأنه أجاد فيه كل الإجادة، راجع درة الحجال ٣/ ٢٨٨.

نسخة فريدة مخطوطة بالخزانة الصبيحية بمدينة سلا[١]. وعدد أوراقها سبعة، وخطها مغربي مبسوط، نسخت عام ١٠٥٤هـ والناسخ غير مذكور، وجاء اسم المؤلف كاملاً في المقدمة هكذا: «وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه، الراجي منه عفوه ورضاه، أحمد بن الحسن الورياجلي المعروف بالصغير».

ومن هذا الرد يمكن استخراج بعض مذهب هذه الفرقة فمما جاء فيها:

فصل في الرد عليهم في: عدم اقتدائهم بمالك، لقولهم: إن غالب أقواله ظنية وذلك مما يؤدي بنا إلى المهالك[٢].

فصل في الرد عليهم في طعنهم على العلماء من أجل اختلافهم وقولهم: «لو كان مالك وأصحابه على الحق ما اختلفوا في مسألة»[٣].

فصل في قولهم: «القرآن عربي مبين وأنهم لا يحتاجون إلى ما نقل في (تفسيره عن العلماء) الراسخين»[٤].

فصل في إنكارهم الدعاء والابتهال إلى الله دبر الصلوات[٥]. وقد ظهر من هذا الرد أن مؤلفه فقيه نبيه مطلع، ومن مصادر كتابه:

كتاب نظم الدر المبدد في شرح رسالة أبي محمد، وشرح أصول السبكي للعراقي، نوازل ابن رشد (وهي المطبوعة تحت عنوان مسائل أبي الوليد ابن رشد[٦]) والهدي النبوي لابن القيم، وتفسير القرآن للماوردي، وفتح الباري لابن حجر، وينقل كذلك عن أبي بكر بن العربي وأحمد بن أبي زيد المعروف بابن حلُولُ القيرواني، وأحمد الونشريسي صاحب المعيار، والأبي شارح مسلم، والعالم الزاهد علي بن محمد بن فرحون القرطبي، والإمام ابن عرفة، ويحيى بن معاذ الرازي، وعبد الله بن سعيد بن أبي جمرة في كتابه على البخاري. وللمزيد من المعلومات حول الطائفة الأندلسية الضالة يراجع كتاب محمد حجي المسمى «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين» حيث ذكر مصادر أخرى مخطوطة ذكرت تلك الطائفة[٧]. .

---

(١) راجع: محمد حجي: «فهرس الخزانة الصبيحية بسلا» منشورات معهد المخطوطات العربية، صفحة ٥٩٨ رقم ترتيبي ١٢٩١، ورقمها في الخزانة ٣/٣٣٣ في مجموع. وقد أدرجنا صورة من صفحاتها في آخر هذا المقال.

(٢) مخطوطة سلا: ورقة (٢ ظهر).

(٣) المصدر نفسه: ورقة (٣ وجه).

(٤) المصدر نفسه: ورقة (٤ وجه).

(٥) المصدر نفسه: ورقة (٥ وجه).

(٦) ينقل عن الفتوى التي ذكرناها سابقاً حجج ابن رشد في إثبات الرأي والقياس، إلخ. .

(٧) محمد حجي، الحركة الفكرية ١/٢٣٩ ـ ٢٤٥

الصفحة الأولى من مخطوطة «الرد على الطائفة الأندلسية الضالة»
تأليف أحمد بن الحسن الورياجلي المعروف بالصغير
(مخطوط خزانة الصبيعية سلا)

خاتمة:

لعل هذا البحث قد أعطى صورة جلية عن الجدل الدائر منذ عصر ابن حزم وحتى عصر السعديين حول مؤلفاته وآرائه. وقد أحصينا ٢٣ تأليفاً في هذا الشأن، وقفنا على خبرها في كتب مختلفة، وجمعنا شتاتها تيسيراً على الراغبين في معرفتها، ولعلها تكون عوناً للمعتنين بالتراث الحزمي، فتمكنهم من التعرف على بعض الكتب المخطوطة المبتورة أو المجهولة المؤلف.

والحق أن الإمام ابن حزم يستحق مزيداً من الدراسة، نظراً لما تمتع به من كثرة التأليف واتساع الدائرة في العلم، وقوة العارضة، ودقة الملاحظة. وسنسير على هذه الخطة فيما سننشره إن شاء الله عن هذا العلاّمة الأندلسي. وبالله التوفيق.

المصادر والمراجع

● **أزهار الرياض في أخبار عياض**، لأبي العباس المقري، الرباط ١٩٨٥.

● **أعلام مالقة**: لابن عسكر وابن خميس، تحقيق عبد الله الترغي المرابط، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٧هـ.

● **الصلة**، لأبي القاسم ابن بشكوال، نشر: الدار المصرية للتأليف ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

● **ابن حزم خلال ألف عام**، تأليف أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. (٤ أجزاء)

● **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

● **الإحكام في أصول الأحكام**، لابن حزم الظاهري، طبع دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

● **الإصابة في معرفة الصحابة**، لابن حجر العسقلاني.

● **الإيراد لنبذة المستفاد من الرواية والإسناد**. لعلي بن محمد الرعيني الإشبيلي، تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

● **البحر المحيط في أصول الفقه**، لبدر الدين الزركشي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت. ١٤١٤هـ.

● **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، لابن عذاري المراكشي، الجزء الثالث، تحقيق إ.ليفي بروفنسال. دار الثقافة بيروت. (بدون تاريخ)

● **التكملة لكتاب الصلة**، لأبي عبد الله ابن الأبار القضاعي البلنسي، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، بيروت (٤ أجزاء)

● **الحلة السيراء**، تأليف ابن الأبار البلنسي، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة.

● **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تحقيق مأمون بن محيى الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

● **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، لابن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

● **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، لمحمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق محمد بن شريفة وإحسان عباس. . (السفر الأول والخامس والثامن).

● **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ.

● **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، للنباهي المالقي، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت (بدون تاريخ).
● **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**. لعبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء/ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
● **المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي**، تأليف ابن الأبار البلنسي، نشرة فرانشيسكو كوديرا (إسبانيا)
● **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، لجلال الدين السيوطي. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
● **تذكرة الحفاظ**: للإمام محمد بن عثمان الذهبي، (طبعة دار الفكر، د.ت).
● **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، تحقيق سعيد أعراب (الجزء الثامن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
● **جذوة الإتباس**، لابن القاضي المكناسي (أحمد بن محمد).
● **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، لمحمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت - القاهرة ١٤٠٣/ ١٩٨٤.
● **درة الحجال في أسماء الرجال**، لأحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
● **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**. تأليف محمد بن عسكر الشفشاوني الحسني، تحقيق محمد حجي الرباط، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
● **رسائل ابن حزم**، تحقيق إحسان عباس، نشرة المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. (٤ أجزاء).
● **روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام**، لمحمد بن علي بن الأزرق الحميري الغرناطي (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩١م). تحقيق سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا ١٤٢٠هـ.
● **سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية بـ(فاس).
● **سير أعلام النبلاء**، لمحمد بن عثمان الذهبي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥م. تحقيق شعيب الأرنؤوط+ محمد نعيم العرقسوسي.
● **شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية**، لمحمد بن محمد مخلوف، طبع دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ).
● **شرح الإلمام بأحاديث الأحكام**، لابن دقيق العيد. الرياض ١٤٢١هـ.
● **طبقات الأمم**، لصاعد الأندلسي، طبع محمود علي صبيح، مصر (بدون تاريخ).
● **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين عبد الوهاب بن السبكي، طبع دار المعرفة، بيروت (٧ أجزاء) (بدون تاريخ).
● **طبقات المفسرين**، لمحمد بن علي الداودي. تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٤م.
● **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تأليف أبي العباس الغبريني: أحمد بن أحمد بن عبد الله. تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
● **فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك**، لمحمد بن أحمد عليش طبع دار الفكر، القاهرة. (جزآن).
● **فهرس المخطوطات العربية بالخزانة الصبيحية بسلا**. محمد حجي، منشورات معهد المخطوطات العربية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
● **فهرست اللبلي** (أبو جعفر بن يوسف اللبلي ت٦٩١هـ) تحقيق ياسين يوسف عياش وعواد عبد ربه أبو

زينة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

● فهرسة ابن خير الإشبيلي، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

● المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، نشأتها، أعلامها، وأثرها: للدكتور توفيق الغلبزوري، أطروحة دكتواره قدمت بكلية أصول الدين بتطوان ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م.

● مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، منشورات دار الآفاق الجديدة (المغرب) ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

● معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣م.

● مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم وأبي الوليد الباجي. تأليف عبد المجيد التركي، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

● نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، لأبي العباس المقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

● نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان. تأليف أحمد النائب الأنصاري تحقيق: علي مصطفى المصراتي، منشورات المكتب التجاري. بيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

الدوريات:

● مجلة دعوة الحق، عدد ٢٤٩ (١٩٨٥م)، مقال للأستاذ سعيد أعراب «موقف الموحدين من كتب الفروع، وحمل الناس على المذهب الحزمي».

● مجلة الذخائر ـ العدد٥، السنة الثانية، شتاء ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١هـ (ص٢٤٣ـ ٢٥٦) مقال مخطوطة أندلسية فريدة في الرد على ابن حزم الظاهري، سمير القدوري.

● مجلة المناهل، عدد ٧ سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م (ص٢٤١ـ ٢٦١) مقال «شيوخ ابن حزم في مقروآته ومروياته» محمد المنوني.

● مجلة هسبريس تامودا (tamuda Hesperis) الرباط ـ ١٩٧٣م (١٣٩٤هـ) المجلد ١٤، مقال للتهامي الزموري، تحقيق قسم «الاحتساب» من كتاب نوازل الأحكام للقاضي عيسى بن سهل (ت٤٨٦هـ).

● المخطوطات:

● التنبيه على شذوذ ابن حزم: للقاضي عيسى بن سهل، شريط رقم ٥، الخزانة العامة بالرباط.

● الرد على الطائفة الأندلسية الضالة: لأحمد بن حسن الورياجلي المعروف بالصغير، مخطوطة رقم ٣٣٣/٣ بالخزانة الصبيحية. سلا ـ المغرب.

● تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل: للقاضي أبي طالب عقيل بن عطية القضاعي، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم (ق، ١٠٩).

● المراجع الأجنبية:

- «Aben Hazam de cordoba y su Historia critica de las ideas religiosas». Miguel Asin Palacios. (Tomo.I) Madrid 1927.

- Ibn Hazm et la polémique islamo-chrétienne dans l'histoire de l'islam. Thése de doctorat presentée par Abdelilah al jâmi à la faculté de théologie de TILBOURG. Pays-Bas, 27 juin 2001.

- Revista: Al-Qantara: XIV. Madrid 1993. Fax 1. p.p:109-125.

- Sarah Stroumsa: «From Muslim Heresy to Jewish- Muslim Polemics: Ibn Al-R wandi's kt b Al-D migh» Journal of American oriental society 107/4(1987). 767-772.

- ZDMG. 1894: Martin schreiner: «Die apologetische schrift des Saloma b. Adret gegen einen Muhammedaner». p(39-42).

تفسير مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) الموسوم بـ الهِدايَةُ إلى بُلُوغِ النِّهايَةِ في عِلْمِ مَعَاني القُرْءَانِ وتَفْسِيرِهِ وأَحْكَامِهِ وجُمَلٍ مِن فُنُونِ عُلُومِهِ

عرض: الأستاذ عبد اللطيف دهاج(*)

مدخل:

إن المتتبع لأغلب البحوث في حقل الدراسات القرآنية خلال عصرنا الحديث، يلاحظ أن جل الباحثين يجعلون من ابن حرير الطبري (ت٣١٠هـ) رائد التفسير الأثري، ويرجعون إليه الفضل الكامل في تطوير هذا النوع من التفسير، بعد الانطلاقة التي كانت مع عبد الملك بن جريج (ت١٤٩هـ).

والحق أن ابن جرير لم يكن إلا امتداداً لجهود سابقة مثلتها مدرسة تفسيرية شهد الغرب الإسلامي بذرتها الأولى، غطت الفترة الفاصلة بين ابن جريج (١٤٩هـ) وابن جرير (٣١٠هـ).

فإذا رجعنا إلى كتب التراجم التي أرخت لفترة ما قبل ابن جرير، نجد علماء كبار فسروا القرءان كيحي بن سلام[(١)] وعبد الرحمن الهواري[(٢)] وغيرهم ممن حفظت لنا هذه الكتب

* باحث خريج دار الحديث الحسنية بالرباط ـ المغرب.

(١) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة الإمام العلامة أبو زكريا البصري نزيل المغرب بإفريقية، حدث عن سعيد بن أبي عروبة وفطر بن خليفة وشعبة والمسعودي والثوري ومالك، وأخذ القراءات عن أصحاب الحسن البصري، وجمع وصنف. روى عنه ابن وهب وهو من طبقته وولده محمد بن يحيى وأحمد بن موسى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وبحر بن نصر وآخرون، قال أبو حاتم: صدوق، قال أبو عمرو الداني: «روى الحروف عن أصحاب الحسن وغيره، وله اختيار في القراءة من طريق الآثار، سكن إفريقية دهراً وسمعوا منه تفسيره الذي ليس لأحد من المتقدمين مثله وكتابه الجامع» قال: وكان ثقة ثبتاً عالماً بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة والعربية، ولد سنة أربع وعشرين ومائة، وقال ابن يونس مات بمصر بعد أن حج في صفر سنة مائتين رحمه الله، اهـ من سير أعلام النبلاء ج٩ ص: ٣٩٦.

(٢) قال ابن الفرضي: «هو عبد الرحمن بن موسى الهواري، رحل أول خلافة عبد الرحمن بن معاوية، فلقي مالك بن أنس وسفيان بن عيينة ونظراءهما من الأئمة، ولقي الأصمعي وأبا زيد الأنصاري وغيرهما من رواة الغريب».. كان حافظاً للفقه والتفسير والقراءات، وله كتاب في تفسير القرءان قد رأيت بعضه، كان يرويه عنه محمد بن أحمد العتبي، رواه عنه محمد بن عمر بن لبابة. اهـ من تاريخ علماء الأندلس لابن =

أسماءهم.

وممن فطن إلى هذا الأمر السيد محمد الفاضل بن عاشور في كتابه «التفسير ورجاله» حيث أكد أنه: «مما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن الذين يشيرون إلى هذه الطريقة[١] وخصائصها من الكاتبين حديثاً في تاريخ التفسير، يُبادرونَ إلى ضرب المثل بتفسير محمد بن جرير الطبري، فيقطعون بذلك سلسلة التطور في الأوضاع التفسيرية بين القرن الأول والقرن الثالث بإضاعة الحلقة التي تمثل منهج التفسير في القرن الثاني.. والحال أن الحلقة التي يتم بها اتصال السلسلة وضاعت عن الكاتبين والمحدثين في تاريخ التفسير من المستشرقين وغير المستشرقين هي حلقة إفريقية تونسية.. وإنما نعني بهذا تفسيراً جليلاً من صميم آثار القرن الثاني.. وهو الذي يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي أو الأثري النظري.. ذلك هو تفسير يحي بن سلام..»[٢].

وإذا كنت أوافق الفاضل بن عاشور في كون ابن جرير مسبوقاً إلى هذه الطريقة بحلقة غير مشرقية، فهي لا تقتصر في نظري على كونها إفريقية تونسية، بل إفريقية أندلسية تُرْجع السبق إلى علماء الغرب الإسلامي في عمومه.

فإذا كان يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ) من أوائل من فسر القرءان خلال القرن الثاني، فهذا لا ينفي وجود تفاسير أندلسية سبقت ابن جرير الطبري، كما هو الحال مع تفسير القرءان لعبد الرحمن الهواري (ت٢٢٨هـ) وغيره ممن تتحفنا بهم كتب التراجم التي أرخت لعلماء الغرب الإسلامي.

كما أن هناك تفاسير عاصرت ابن جرير كما هو الحال مع تفسير بقي بن مخلد[٣]، ولا يسعنا في هذا المقام المرور على قولة ابن حزم الشهيرة في رسالته فضل أهل الأندلس: «.. وفي تفسير القرءان كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد، فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولاغيره»[٤].

وعذر الباحثين والذي يقدمون ابن جرير الطبري على سواه، أن التفاسير التي كتبت قبله

= الفرضي ص ٢٥٧ ترجمة رقم ٢٥٨ باب عبد الرحمن.

(١) يقصد التفسير بالمأثور.

(٢) محمد الفاضل بن عاشور ـ التفسير ورجاله، ص: ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) بقي بن مخلد (ولد سنة ٢٠١ وتوفي سنة ٢٧٦هـ) قال ابن أبي خيثمة: ما كنا نسميه إلا المكنسة، وهل احتاج بلد فيه بقي بن مخلد أن يأتي إلى هنا منه أحد، قال ابن الفرضي: ولبقي بن مخلد تفسير القرءان. انظر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ص ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣، ت ر ٢٨٣.

(٤) من نفح الطيب ج٢ ص ١٦٨.

أو في نفس الفترة التي وجد فيها قد ضاعت[١]، كما وقع لتفسير عبد الملك بن حبيب، وتفسير بقي بن مخلد، أو أنها ظلت حبيسة الخزائن كما هو الشأن بالنسبة لتفسير يحي بن سلام[٢].

وقد شكلت هذه التفاسير الأساس الذي ستقوم عليه مدرسة التفسير في الغرب الإسلامي، إذ سَتُعْطَى من العناية ما لم يُتح لغيرها، ففي القرنين الرابع والخامس ستعرف الساحة العلمية اختصارين لتفسير يحي بن سلام، الأول لعبد الملك بن أبي زمنين (ت٣٩٨هـ)، والثاني لأبي المطرف القنازعي (٤١٣هـ)، كما سيقوم عبد الله بن محمد بن حنين (٣١٩هـ) باختصار تفسير بقي بن مخلد، قبل أن يطالعنا أول اختصار لتفسير ابن جرير الطبري على يد محمد بن أحمد التجيبي بن صماد ح(ت٤١٩هـ).

ولعل هذا السبق الذي مثله مفسرو الغرب الإسلامي راجع بالأساس إلى العناية التي خصوا بها كتاب الله تعالى واحتفالهم به، وهو ما يقرره أبو حيان في مقدمة تفسيره: «وليس العلم على زمان مقصوراً، ولا في أهل زمان محصوراً، بل جعله الله حيث شاء من البلاد، وبثه في التهائم والنجاد، وأبرزه أنواراً تتوسم، وأزهاراً تتنسم، وما زال بأفقنا المغربي الأندلسي، على بعده من مهبط الوحي النبوي، علماء بالعلوم الإسلامية وغيرها كملة، وفهماء تلاميذ لهم دراة نقلة، يروون فيروون، ويسقون فيرتوون، وينشدون فينشدون، ويهدون فيهدون، هذا وإن اختلفوا في مدارك العلوم وتباينوا في الفهوم، فكل منهم له مزية لا يجهل قدرها، وفضيلة لا يسر بدرها، ومما برعوا فيه علم الكتاب، انفردوا بإقرائه مد أعصار دون غيرهم من ذوي الآداب، أثاروا كنوزه، وفكوا رموزه، وقربوا قاصيه، وراضوا عاصيه، وفتحوا مقفله، وأوضحوا مشكله، وأنهجوا شعابه، وذللوا صعابه، وأبدوا معانيه في صورة التمثيل، وأبدعوه بالتركيب والتحليل»[٣].

وقد أدى هذا الاهتمام بكتاب الله إلى ظهور علماء كبار في مختلف فروع علوم القرءان، من أمثال ابن عمار المهدوي، ومكي بن أبي طالب القيسي، وأبي عمرو الداني، وأبي الوليد الباجي، وابن عطية، وأبي بكر بن العربي، والقرطبي، وأبي حيان، وابن جزي وغيرهم.

ومن خلال هذا العرض سأحاول الوقوف على إنتاج لأحد هؤلاء الأعلام، ونعني بذلك

---

(١) يقول الطاهر بن عاشور في مقدمات تفسيره التحرير والتنوير: «فمنهم من سلك مسلك نقل ما يؤثر عن السلف.. وأشهر أهل هذه الطريقة فيما هو بأيدي الناس محمد بن جرير الطبري»، التحرير والتنوير طج١ ص: ١٠.

(٢) بقي منه أغلب الأجزاء بمكتبة العطارين بتونس، وقدر آخر بحوزة بعض الخواص، انظر القيروان عبر الندوات الإسلامية، يحيى بن سلام رائد التفسير القرءاني بالقيروان، مقال للدكتور عبد الله الوصيف، ص٥١.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص ١٠٠.

مكي بن أبي طالب من خلال تفسيره: «الهِدايَةُ إلى بُلُوغِ النِّهايَةِ فِي عِلْمِ مَعَانِي القُرْءَانِ وتَفْسِيرِهِ وَ أَحْكَامِهِ وجُمَلٍ مِنْ فُنُونِ عُلُومِهِ».

وقبل الشروع في المقصود لابد من التذكير ببعض الرموز الواردة في العرض:

- ت ر: ترجمة رقم.
- خ ع: الخزانة العامة بالرباط.
- خ م: الخزانة الملكية بالرباط.
- (..) كلمة غير واضحة في المخطوط.

بعض الرموز الواردة بعد أرقام المخطوطات.

ك ـ: مخطوطات الأسرة الكتانية بالخزانة العامة.

ق: مخطوطات الأوقاف بالخزانة العامة.

ترجمة مكي بن أبي طالب[1]؛

أبو محمد مكي بن أبي طالب ـ حموش ـ بن محمد بن مختار القيسي القيرواني المقرىء النحوي اللغوي الفقيه الأديب الإمام العلامة المفسر صاحب التصانيف، إمام القرءان في وقته، خاتمة أئمة القراء بالأندلس.

وقد وَهِمَ غير واحد ممن ترجم له فذكر ـ حيوس ـ بدل ـ حموش ـ، وممن فعل ذلك الإمام الذهبي في كتابه «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار»[2]، وتابعه ابن الجزري على هذا القول في كتابه «غاية النهاية في طبقات القراء»[3]. وقد اعتذر الدكتور حَاتِم صالح الضامن ـ محقق كتاب «مشكل إعراب القرآن» ـ عن أصحاب هذا القول بكون ما قاموا به من إبدال (حموش) ب (حيوس): «أنه من خطأ النساخ»[4].

ولد بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (٣٥٥هـ) وبها أخذ تعليمه الأول، قال ابن مهدي المقرىء: «أخبرني ـ أي مكي ـ أنه سافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتردد إلى المؤدبين بالحساب، فأكمل القرءان، ورجع إلى القيروان، ثم رحل فقرأ القراءات على

---

(١) انظر ترجمته في: جذوة المقتبس للحميدي ج٩ ص ٣٥١ ترجمة رقم ٨٢٠/ الصلة لابن بشكوال ج٢ ص ٦٣١ ـ ٦٣٣ ت.ر ١٣٩٠/ بغية الملتمس للضبي ص ٦٥٥ ت.ر ١٣٦٧/ الديباج المذهب لابن فرحون ج ٢ ص ٣٤٢/ معرفة القراء الكبار للذهبي ـ الطبقة العاشرة، ت.ر ٢٣/ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج٢ ص ٣٠٩/ طبقات المفسرين للداودي ج٢ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.. وغيرها من المؤلفات التي اهتمت بتراجم الأعلام، إضافة إلى الدراسات الحديثة التي حاول بعضها تحرير ترجمة جامعة لما تناثر من أخباره في كتب القدماء.

(٢) الطبقة العاشرة ترجمة رقم ٢٣.

(٣) ج٢ ص ٣٠٩.

(٤) مشكل إعراب القرءان لمكي بن أبي طالب، مقدمة المحقق، ص١٠ ـ١١.

ابن غلبون سنة ست وسبعين وثلاثمائة (٣٧٦هـ)، ثم رحل سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة (٣٨٢هـ)، وحج سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (٣٨٧هـ)، وجاور ثلاثة أعوام»[١] ا. هـ.

دخل قرطبة أيام المظفر بن أبي عامر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة (٣٩٣هـ)، ووُلِّيَ الشورى والخطبة والصلاة إلىٰ أن أُقعِدَ منها زمن الفتنة[٢].

قرأ القرءان على أبي الطيب بن غلبون وابنه طاهر، وأبي عدي بن عبد العزيز، وسمع من علي بن محمد الأدفوي[٣]، روى كل كتب النحاس إجازة عن شيخه الأدفوي تلميذ النحاس[٤]، وسمع بمكة من أحمد بن فراس[٥] العَبْسَقِي[٦] وأبي عبد الله السَّقطي، ومن أبي محمد بن أبي زيد بالقيروان وكذا القابسي[٧].

قال ابن مهدي: «جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرءان، مُحْسِناً مُجَوِّداً، عالماً بمعاني القرءان»[٨].

أما عن تآليفه فنجد في الصلة لابن بشكوال: «وله ثمانون تأليفاً»[٩]، وعند الضبي في بغيةِ الملتمس: «رأيت بعض أشياخي قد جمع ذكر أسماء تآليفه في جزء» وقال: «مبلغ تآليفه خمس وثمانون تأليفاً»[١٠].

كانت وفاته رحمه الله سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (٤٣٧هـ).

التعريف ببعض نسخ الكتاب:

النسخة الأولى:

مكان وجودها: الخزانة العامة بالرباط المغرب.

رقمها: ٣٣٧ كـ.

عدد صفحاتها: ٣٩٩.

مسطرتها: ٣٢.

تبتدىء من أول سورة مريم، وتنتهي بآخر آية من سورة الزمر.

يبتدىء المخطوط بعد الحمد بقول مكي:

---

(١) الصلة لابن بشكوال ج١ ص ٣١٦ - ٣١٧.
(٢) طبقات المفسرين للداودي ج٢ ص ٣٣١ - ٣٣٢.
(٣) معرفة القراء الكبار/ الطبقة ١٠ ترجمة ٢٣.
(٤) الصلة ج١ ص ٣١٦ - ٣١٧.
(٥) معرفة القراء الكبار/ الطبقة ١٠ ترجمة ٢٣.
(٦) الصلة ج١ ص ٣١٦ - ٣١٧.
(٧) معرفة القراء الكبار ط١٠ ت ر٢٣.
(٨) الصلة ج١ ص ٣١٦ - ٣١٧.
(٩) الصلة ج١ ص ٣١٦ - ٣١٧.
(١٠) بغية الملتمس للضبي ص ٢٢٥.

«سورة مريم كان نزولها قبل أن يهاجر أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة، لأنهم قرؤوا صدرها على النجاشي بعد هجرتهم إلى أرض الحبشة. قوله تعالى (كهيعص)، قرأ بعض القراء بإمالة الهاء والياء، وعلة الإمالة أنها حرف مقصور، فإذا ثُنِّيَتْ ثنيت بالياء، فشابهت ما ثني بالياء من الأسماء»(١)..

وفي آخر المخطوط كتب الناسخ: «كمل السفر الثالث من كتاب الهداية بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه وصلى الله على خير خلقه محمد نبيه وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً. وكان الفراغ منه بعون الله وقوته من جميع ما فيه ومقابلته من الأم الصحيحة لعشر بقين لربيع الأول عام خمس وثمانين وأربعمائة، فرحم الله عبدا دعا لكاتبه وقارئه بالرحمة والمغفرة والنجاة من النار، والعون على طاعته، آمين رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وشرف وكرم»(٢).

وفي الصفحة الموالية كتب نص إجازة طُمِست حروفها، ونقلت على الصفحة المقابلة بخط وحبر مغاير ونصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، يقول حازم بن محمد سمع على الإمام السفر الأول من كتاب الهداية لأبي محمد مكي رضي الله عنه الفقيه أبو محمد عبد العزيز بن الحسين الحضرمي الميورقي (..) عنه على طريق السماع عن مؤلفها وأجرته (..) أسعده الله. وكتب حازم بن محمد بخط يده في منسلخ خمس من شهر رجب سنة خمس وتسعين وأربعمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيئين» اهـ.

وبعد هذا النص وبنفس الخط الذي نقلت به الإجازة كتب تعليق هذا نصه: «الحمد لله، المجاز بها في الأصل وهو عبد العزيز بن الحسن الحضرمي من أشياخ ابن بشكوال، وقد ترجمه في الصلة مؤرخاً وفاته سنة ٥٢٦هـ». اهـ.

كتبت هذه النسخة على رق الغزال، مما جعلها تصمد في وجه ما يلحق أغلب المخطوطات من التغير، ويمكن اعتبارها من أهَمِّ النسخ لمجموعة من الأسباب أهمها:

- أنها مقابلة على الأم الصحيحة.

- كونها منتسخة في نفس الفترة الزمنية التي كتب فيها الأصل، أو في نفس القرن إذا توخينا الدقة، وذلك أن تاريخ الفراغ من انتساخها كان سنة٤٨٥هـ ووفاة مؤلفها كان سنة ٤٣٧هـ.

- إضافة إلى كونها ضمت سماع أحد علماء الأندلس في عصره، وأحد شيوخ ابن بشكوال.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية/ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ٣٧٧ كـ لوحة ١/أ.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية/ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ٣٧٧ كـ لوحة ١٩٩/أ.

السور الواردة في هذه النسخة:

مريم ـ طه ـ الأنبياء ـ الحج ـ المومنون ـ النور ـ الفرقان ـ الشعراء ـ النمل ـ القصص ـ العنكبوت ـ الروم ـ لقمان ـ السجدة ـ الأحزاب ـ سبأ ـ فاطر ـ يس ـ الصافات ـ ص ـ الزمر.

فتكون هذه النسخة قد ضمت واحداً وعشرين سورة، استغرقت الربع الثالث من القرءان الكريم بأكمله، وأربع سور من الربع الرابع.

وقد أخطأ الأستاذ الفاضل المرحوم محمد المنوني عندما ذكر أن آخر سورة في هذه النسخة هي سورة غافر، والصواب أنها سورة الزمر.

قال رحمه الله في مقال بمجلة دار الحديث الحسنية: «الهداية إلى بلوغ النهاية. خ.ع.ك ـ ٣٣٧، الثالث من أول سورة مريم إلى آخر سورة غافر»[١] اهـ. وقد تكرر نفس الخطأ في كتابه قبس من عطاء المخطوط المغربي قال: «المخطوطات التونسية بالمغرب.. ٢ ـ خ ع ك ـ ٣٧٧ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرءان، لأبي محمد مكي بن أبي طالب، الموجود منها الجزء الثالث الذي يبتدأ من أول سورة مريم إلى آخر سورة غافر.. منه نسخة أخرى تحمل رقم ٢١٧ خ ع ق وتشتمل على الجزء الأول»[٢] اهـ. والصواب أنه ينتهي عند آخر آية من سورة الزمر.

النسخة الثانية:

مكان وجودها: الخزانة العامة بالرباط المغرب.

رقمها: ٦٠٣ ق.

عدد صفحاتها: ٣٠٩.

مسطرتها: ٣١.

الصفحات الاثني عشر الأولى مقطوعة من بعض جهاتها، وبها خروم، مما يجعل قراءتها عسيرة شيئاً ما.

أول المخطوط: نحمد الله جل ذكره بجميع محامده (..) ونشكره على ما نقول ونفهم من المعرفة به ونرغب إليه (..) حسن التوفيق المؤدي إلى رضوانه، ونستهديه طريقة (..) نسأله العصمة من الخطأ والعفو عن الزلل بفضله..[٣] إلخ.

وقد ضمت الصفحات الأولى مقدمة المؤلف[٤]، استعرض خلالها سبب التأليف وطريقته في عرض المادة، وأورد أسماء عدد من الكتب التي كان معوله عليها، وإن كانت أغلب فقرات المقدمة غير مقروءة بسبب الخروم التي طالت هذه النسخة.

---

(١) مقال للأستاذ المرحوم محمد المنوني ـ مجلة دار الحديث الحسنية ـ العدد الثالث ١٩٨٢ ـ ص ٦٦.

(٢) قبس من عطاء المخطوط المغربي ـ محمد المنوني ـ ج٣ ص ٦٩٥.

(٣) مخطوط الهداية ـ الخزانة العامة بالرباط رقم ٦٠٣ ق لوحة ١/أ.

(٤) سيجد القارىء في نهاية هذا البحث نص المقدمة التي افتتح بها مكي تفسيره.

بعد المقدمة شرع المؤلف في تفسير سورة الفاتحة: «سورة الحمد مكية في قول ابن عباس، وقيل بل هي مدنية وهو قول مجاهد، استدل من قال إنها مكية ـ أي ـ بمكة فرضت الصلوات بإجماع، ومحال أن تفرض الصلاة ولا ينزل ما هو تمامها وبه قوامها».

وهي سورة الحمد لقول النبي ﷺ من الخبر الثابت «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرءان فهي خداج فهي خداج»، قالها ثلاث مرات، والخداج النقص..[1] اهـ.

آخر المخطوط:

تنتهي هاته النسخة بآخر آية من سورة آل عمران، ثم يبدأ سورة النساء، لكن الصفحات التي كتب فيها تفسير هاته السورة غير موجودة[2].

والسور التي تضمنتها هذه النسخة هي: الفاتحة ـ البقرة ـ آل عمران. أي ما مقداره نصف الربع الأول.

النسخة الثالثة:

مكان وجودها: الخزانة العامة بالرباط المغرب.

رقمها: ٥٨ ق.

عدد صفحاتها: ٣٢٠.

مسطرتها: ٣٢.

أول المخطوط: «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، السفر الثالث من سورة يونس إلى سورة مريم بالله التوفيق..»[3].

ومن طريف ما كتب في نهاية هذه النسخة قول صاحبها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وهذا الكتاب لمكي سفر منه اشتريته بخمس أواق من التمر»[4].

النسخة الرابعة:

مكان وجودها: الخزانة العامة بالرباط المغرب

رقمها: ٢١٧ ق.

عدد صفحاتها: ٤٤٦.

ضمت الجزء الأول من الكتاب، وفيها من السور بعد المقدمة: الفاتحة ـ البقرة ـ آل عمران ـ النساء ـ المائدة ـ الأنعام ـ الأعراف.

جاء في آخر النسخة: «كمل بحمد الله تعالى وحسن عونه والصلاة والسلام التامان

---

(١) مخطوط الهداية ـ الخزانة العامة بالرباط ـ رقم ٦٠٣ ق لوحة ٢/أ.
(٢) انظر مخطوط الهداية ـ الخزانة العامة بالرباط ـ رقم ٦٠٣ ق لوحة ١٥٤/ب.
(٣) مخطوط الهداية ـ الخزانة العامة بالرباط ـ رقم ٥٨ ق لوحة ١/أ.
(٤) مخطوط الهداية ـ الخزانة العامة بالرباط ـ رقم ٥٨ ق لوحة ١٦٠/ب.

الأكملان على مولانا وسيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه وأمته، على يد العبد المذنب الراجي غفران ربه محمود مسعود بن الحسن بن تغر الجزري (..) الله عليه آمين، ورحم الله من نظر فيه، ثم دعا لي بمغفرة ذنوبي، ويسر عليّ في الدارين»[١].

النسخة الخامسة:

مكان وجودها: الخزانة الملكية بالرباط المغرب.

رقمها: ٢١٥.

عدد صفحاتها: ٣٧٠.

مسطرتها: ٢١.

مكتوبة بمداد أسود وأحمر، تبتدىء بسورة الواقعة وتنتهي بسورة الناس[٢].

النسخة السادسة:

مكان وجودها: الخزانة الملكية بالرباط المغرب.

رقمها: ٨٧٨٢.

بها ٤٠٩ ورقة.

مسطرتها: ٣٥.

تبتدىء بسورة يس، خط مغربي متوسط بمداد أسود وأحمر.»[٣]

النسخة السابعة:

مكان وجودها: الخزانة الملكية بالرباط المغرب.

رقمها: ٥٣٧٥.

١٠٨ ورقة.

مسطرتها: ٣٢.

تشتمل على الجزأين الأول والثاني، وهي عتيقة بخط مغربي حسن بمداد أسود.»[٤]

النسخة الثامنة:

مكان وجودها: الجامع الكبير بمكناس المغرب.

تبتدىء بتفسير الآية الثانية من سورة النساء [وآتو اليتامى أموالهم]، وتنتهي بالآية ٢٠٤ من الأعراف [وإذا قرء القرءان..] خطه مغربي وسط، ويعد من نوادر المخطوطات، وقد تم إصلاحه أخيراً بوزارة إحياء التراث بإيطاليا، بواسطة وزارة الشئون الثقافية بالمغرب»[٥].

---

(١) مخطوط الهداية ـ الخزانة العامة بالرباط ـ رقم ٢١٧ ق لوحة ٢٢٣/ب.
(٢) دليل مخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي ـ وضعية المخطوطات وآفاق البحث، ص: ١٣٤.

وهناك نسخ أخرى نذكر منها:

٢١٨ ق الخزانة العامة بالرباط.

٩٧٨٢ بالخزانة الملكية بالرباط.

١٣١٥ بالخزانة الملكية بالرباط.

كما توجد نسخة مخطوطة بمدريد اعتمدها الدكتور أحمد حسن فرحات في كتابه «مكي بن أبي طالب وتفسير القرءان».

عنوان الكتاب

نَصَّ مكي بن أبي طالب على عنوان كتابه في المقدمة التي صدر بها تفسيره، كما ذكر نفس العنوان أو مقاطع منه عدد ممن أتى بعد مكي.

قال مكي في مقدمة تأليفه: «جعلته هداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلغ إلي من فهم كتاب الله تعالى.. وسميت هذا الكتاب كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرءان وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه»[1].

ولما كان كلامه موهماً بأنه وصل في تفسيره إلى الغاية التي لا يحتاج معها إلى تأليف تفسير غيره، فقد استدرك منبهاً أنه إنما قصد: «أي ما وصل إلَيَّ من ذلك، لأن علم كتاب الله لا يقدر أحد أن يبلغ إلى نهايته، إذ فوق كل ذي علم عليم.»[2].

ونفس العنوان أو بعض مقاطعه نجدها مبثوثة في الكتب التي ترجمت لمكي كما هو الحال عند:

- الداودي في كتابه «طبقات المفسرين» عندما تعرض لمؤلفاته: «وصنف تصانيف كثيرة في علوم القرءان منها.. والهداية في التفسير»[3].

- ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»: «ثم صنف التصانيف الكثيرة منها الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرءان الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزءاً»[4].

وممّن ذكره بنحو هذا العنوان «ابن خير» في فهرسته وكذا «المنتوري» كما سنقف عليه في موضعه من هذا البحث.

---

(١) مخطوط الهداية ٦٠٣ ق خ ع الرباط لوحة ١/أ، و٢١٧ ق خ ع الرباط لوحة ١/ب.
(٢) مخطوط الهداية ٦٠٣ ق خ ع الرباط لوحة ١/أ، و٢١٧ ق خ ع الرباط لوحة ١/ب.
(٣) طبقات المفسرين ج٢ ص٣٣٢.
(٤) شذرات الذهب ج٢ ص ٢٦١.

وكذا نجد ذكراً لهذا الكتاب عند المقري في نفح الطيب، فبعد انتهائه من سرد رسالة ابن حزم في فضل أهل الأندلس، أعقبها برسالة لابن سعيد استدرك فيها بعض ما فات ابن حزم فقال: رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الأندلس بما حضرني والله تعالى وليُّ الإعانة. أما القرءان فمن أجلّ ما صُنِّفَ فيه تفسير «الهداية إلى بلوغ النهاية في نحو عشرة أسفار، صنفه الإمام العالم الزاهد أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي..»[1]. وقد أخطأ الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي عندما نسب هذا القول لابن حزم[2]. إذ أن ابن حزم في رسالته فضل أهل الأندلس إنما تحدث عن تفسير بقي بن مخلد، ولم يرد فيها ذكر لتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب[3].

وممن نسب الهداية إلى مكي بن أبي طالب من المفسرين، القرطبي في تفسيره، فعند بيانه لمعنى قوله تعالى [من محاريب وتماثيل] قال: «حكى مكي في الهداية له أن فرقة تجوز التصوير وتحتج بهذه الآية، قال ابن عطية وذلك خطأ وما أحفظ عن أحد من أئمة العلم من يجوزه، قلت: ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله»[4].

---

(١) نفح الطيب ج٢ ص ١٩٧.

(٢) انظر مقدمة كتاب العمدة ص ٤١.

(٣) قال المرعشلي في مقدمة كتاب العمدة ص ٥١ في معرض ذكر مؤلفات مكي: «الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير سبعون جزءاً، قال ابن حزم فيه: أما القرءان فمن أجل ما صنف في تفسيره كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في نحو عشرة أسفار..» اهـ، ونفس الكلام نجده عند محقق كتاب «الكشف عن وجوه القراءات السبع..» محي الدين رمضان إذ يقول: «كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية سبعون جزءاً ذكره المقري، ونقل قول الإمام ابن حزم فيه وهو: أما القرءان فمن أجل ما صنف في تفسيره كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في نحو عشرة أسفار، صنفه الإمام الزاهد أبو محمد مكي بن أبي طالب» اهـ.

أمّا كون المقري قد ذكره في كتابه فصحيح، وأما كون المنقول هو كلام ابن حزم فلا. والصواب ما ذكره المقري في كتابه نفح الطيب وعبارته فيه: «قال ابن حزم في رسالة فضل أهل الأندلس.. وفي تفسير القرءان كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد، فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد ابن جرير الطبري ولا غيره» اهـ، من نفح الطيب ج٢ ص ١٦٨.

قال المقري بعد نهاية هذه الرسالة: «تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم، وقال ابن سعيد بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته: رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد من مفاخر أهل الأندلس بما حضرني والله تعالى ولي الإعانة، أما القرءان فمن أجل ما صنف في تفسيره كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في نحو عشرة أسفار، صنفه الإمام العالم الزاهد أبو محمد مكي بن أبي طالب.» اهـ. من النفح ج٢ ص ١٩٧.

(٤) الجامع لأحكام القرءان ج١٤ص: ٢٧٢.

ونفس النسبة نجدها عند أبي حيان في شرحه لنفس الآية: «وحكي مكي في الهداية أن قوما أجازواالتصوير»[١].

رواة كتابة الهداية إلى بلوغ النهاية:

حفظت لنا بعض الفهارس وخصوصاً فهرستي «ابن خير»[٢] و«المنتوري»[٣] أسماء من تلقَّوا هذا الكتاب عن مؤلفه، وأسماء من اهتم بإقرائه وتدريسه حتى حدود القرنين السادس والتاسع، على اعتبار أن وفاة ابن خير كانت في (٥٧٥هـ) القرن السادس، والمنتوري في (٨٣٤هـ) القرن التاسع.

فعند ابن خير نجد ما نصه: «كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرءان وتفسيره وأنواع علومه، سبعون جزءاً، تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب المقرىء رحمه الله، حدثني به حفيده شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي رحمه الله مناولة منه لي في أصل جده مؤلفه المذكور، قال حدثني به أبي رحمه الله، وأبو مروان عبد الملك بن سراج، كلاهما عن جدي أبي محمد مكي مؤلفه رحمه الله. وحدثني به إجازة الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب رحمه الله عن أبي محمد مكي مؤلفه رحمه الله»[٤].

أما المنتوري فيسوق سنده على الشكل التالي: «كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في تفسير القرءان للشيخ أبي محمد مكي القيرواني نزيل قرطبة، قرأت بعضه تفقها على شيخنا الأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد القيجاطي وأجاز لي جميعه، وحدثني به عن الأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد بن بيبش، عن الأستاذ أبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير، عن الراوية أبي الحسن علي بن محمد الشاري، عن الشيخ أبي محمد بن محمد بن عبيد الله، عن القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، عن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب عنه»[٥].

ولابأس من إدراج هذين الإسنادين في خطاطة لتسهيل قراءتها:

---

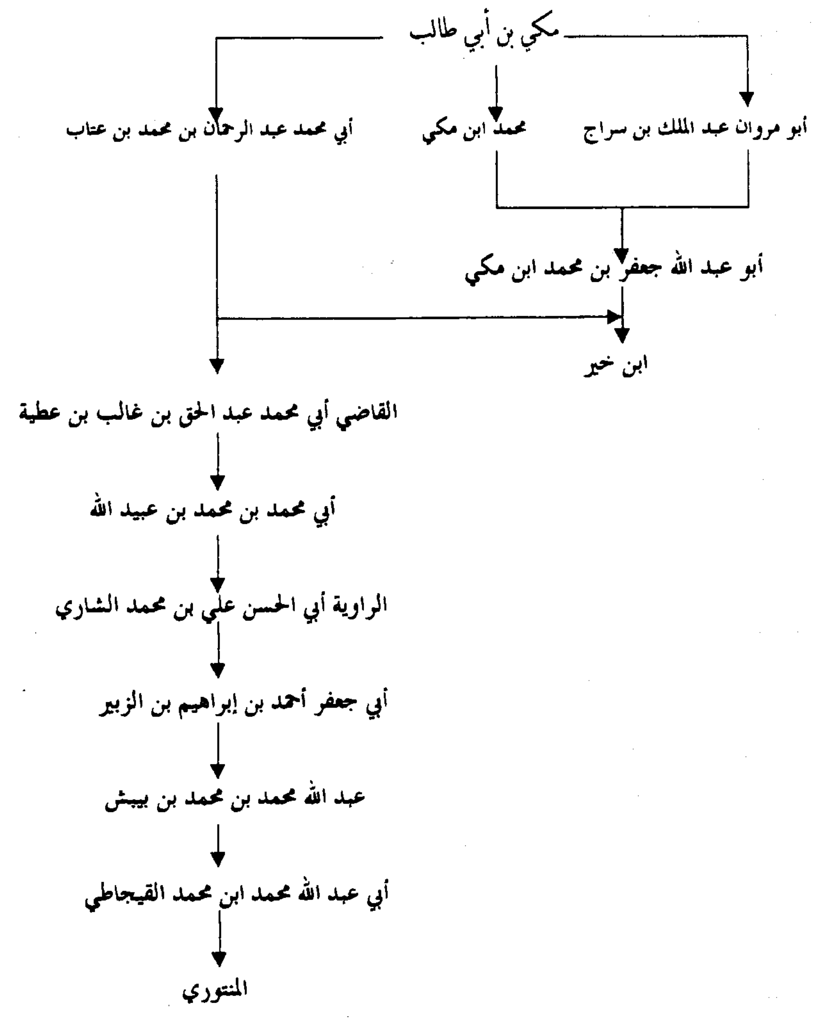
(١) البحر المحيط لأبي حيان ج٧ ص: ٢٥٥.

(٢) أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي اللمتوني الفاسي نزيل إشبيلية (ت ٥٧٥هـ).

(٣) محمد بن عبد الملك المنتوري الأندلسي (ت ٨٣٤هـ).

(٤) فهرسة ابن خير ص ٤٤.

(٥) فهرسة المنتوري ـ مخطوط الخزان الملكية رقم ١٥٧٨٠ لوحة ١٧/أ.



مصادر مكي في تفسيره:

كان مكي بن أبي طالب يسعى إلى جمع شتات الكتب التي سبقته في مختلف علوم القرءان، مع تقريبها وتبسيطها للطلاب: «ولأن غرضي في هذا الكتاب إنما هو تفسير التلاوة، وبيان القصص والأخبار، وكشف مشكل المعاني، وذكر الاختلاف في ذلك، وتبيين الناسخ والمنسوخ، وشرح وذكر الأسباب التي نزلت فيه الآي إن وجدت إلى ذكر ذلك سبيلاً من روايتي، أو ما صح عندي من رواية غيري، وترجمة عن معنى ما أشكل لفظه من أقاويل المتقدمين بلفظي، ليقرب ذلك إلى فهم دارسيه»[١].

(١) مخطوط خ ع، ٦٠٣ ق لوحة ١/ب، وَ مخطوط خ ع ٢١٧ ق لوحة ١/ب.

كما أن الهدف الأسمى ـ طلب ثواب الله، والانتفاع بذلك في الدار الآخرة ـ والذي من أجله يتصدر غير واحد من جلة العلماء لوضع تآليفهم، لم يكن غائباً على مكي وهو يضع هذا التفسير، حيث نجده يذكر هذا الأمر ويؤكد عليه، قال أبو محمد: «أسأل الله ذا الفضل والمَنِّ ألا يحرمنا أجره، وأن يبارك لنا في ذكره، وأن ينفع به، إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه لا إله إلا هو.. أسأل الله التوفيق لما يُزْلِفُ لديه ويقرب منه، وأرغب إليه جل ذكره أن يجعله لوجهه خالصاً، وأن يغفر لمن ترحم علينا ودعا لنا بالمغفرة، فما أخرجت هذا الكتاب وبذلته للناس ـ بعد أن كنت عملته في صدر العمر وحجام الفهم لنفسي خاصة ولمذاكرتي مفرداً ـ إلا طعماً أن يترحم علينا مع طول الزمان مترحم، أو يستغفر لنا من أجله مستغفر، ويذكرنا بالخير عليه ذاكر، مع ما نرجو من ثواب الله عليه..»[1] اهـ.

وقد كان من اللازم لتحقيق هذه الغاية ـ جمع شتات الكتب التي سبقته ـ الاعتماد على مجموعة من المؤلفات التي سبقته، وهو ما حصل بالفعل، فقد تعددت هذه المصادر لتتخذ في النهاية ثلاثة أشكال:

الأول: مصادر لم يحدد عناوينها ولا أسماء أصحابها، بل أشار إليها بصيغة التعميم، قال: «... ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرءان والتفسير (..) والمعاني والغرائب والمشكل، انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر في علوم القرءان، مشهورة مروية»[2].

ويقول في موضع آخر من المقدمة: «هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، وذكر ما وصل إلي من مشهوره، ونقل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له، وذكرت المأثور..؟ ذلك عن النبي ﷺ ما وجدت إلى ذلك سبيلاً»[3].

الثاني: مصادر حدد أسماء مؤلفيها: «جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله تعالى، وهو الكتاب المسمى بكتاب الاستغنا، المشتمل على نحو ثلاث مائة جزء في علوم القرءان، إذ أفضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه ومكنوز علومه، مع ما أضفت إلى ذلك من كتاب «الجامع في تفسير القرءان» تأليف أبي جعفر الطبري، وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج وتفسير ابن عباس، وابن سلام، ومن كتاب الفراء»[4].

ويلاحظ أنه قد اعتمد على تفاسير مشرقية كتفسير ابن جرير، وتفاسير غرب إسلامية كتفسير يحيى بن سلام الذي سبقت الإشارة إليه في مقدمة هذا البحث.

---

(١) مخطوط خ ع، ٦٠٣ ق لوحة ١/أ، وَ مخطوط خ ع ٢١٧ ق لوحة ١/ب ـ ٢/أ.
(٢) مخطوط الهداية ٦٠٣ ق خ ع الرباط لوحة ١/أ، و٢١٧ ق خ ع الرباط لوحة ١/ب ـ ٢/أ.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.

الثالث: ما تبلور عند مكي من علم وفهم من خلال مطالعاته، أو من خلال مجالس الدرس والمذاكرة بينه وبين شيوخه، أو بينه وبين تلاميذه: «جعلته هداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلغ إلي من علم كتاب الله تعالى ذكره، مما وقفت على فهمه ووصل إلَيَّ علمه من ألفاظ العلماء، ومذاكرات الفهماء، ومجالس القراء، ورواية الثّقاة من أهل النقل والروايات ومباحثات أهل النظر والدراية.

وإذا كان مكي قد اعتمد على هذه المصادر، فإنه لم يكن مجرد نقل وجميع للأقوال، بقدر ما كان تمحيصاً وتوجيهاً وانتقاء بحسب ما يحتاجه المقام، فقد كان يتدخل فيما ينقل إما مصوباً أو معللاً أو شارحاً أو موجهاً، أو مضيفاً لأقوال جديدة في غالب الأحيان.

خصائص الصنعة التأليفية

١ ـ ترتيب الكتاب:

من خلال النسخ المخطوطة التي وقفت عليها فإن مكي قد افتتح كتابه بمقدمة ذكر فيها غرضه من التأليف، وعدد مصادره حسب ما أوضحناه في الفقرة السابقة، ثم شرع في تفسير سور القرءان، متبعاً في ذلك الترتيب المتعارف عليه بين العلماء، فابتدأ تفسيره بسورة الفاتحة وختمه بسورة الناس.

وقد كان في تفسيره للآيات يتبع نسقاً غير مطرد، فبعض الآيات يخصها بصفحة أو صفحات، في حين يقتصر في تفسير بعض الآيات على سطر أو سطرين، وقد أشار رحمه الله إلى هذا الأمر ـ أي الاختلاف بين الطول والقصر ـ بقوله: «قدمت في أوله نُبذاً من علل النحو وغامضاً من الإعراب، ثم خففت ذلك فيما بعد لئلا يطول الكتاب»[١]. أما طريقته في التفسير فإنه يقوم بتقسيم الآيات إلى مجموعات، ثم يشرع في تفسير كل مجموعة على حدة.

قال أبو محمد: قوله تعالى ذكره: «والصافات صفا ـ إلى قوله ـ بل عجبت ويسخرون» أي ورب الصافات وهي الملائكة...

وقد سلك هذه الطريقة ـ أي ـ تقسيم السورة إلى وحدات في غالب تفسيره.

٢ ـ العلوم الموظفة في تفسيره:

قام مكي بتوظيف كل العلوم التي قد تسهم في رفع إشكال الآية، وقد أشار في مقدمته إلى بعض تلك العلوم: «جمعت فيه علوماً كثيرة وفوائد عظيمة من تفسير مأثور، أو معنى مفسر، أو محكم مبين، أو ناسخ أو منسوخ، أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره، من قراءة غريبة، أو إعراب غامض، أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع».

كما نجد في ثنايا الكتاب إشارة إلى بعض العلوم التي استعان بها مكي رغم أنه لم ينص

(١) مخطوط الهداية ٦٠٣ ق خ ع الرباط لوحة ١/أ، و٢١٧ ق خ ع الرباط لوحة ١/ب.

عليها في المقدمة، قال أبو محمد: «فأتبعه شهاب ثاقب[(١)]، والشهب التي يرمون بها ليست من الكواكب الثابتة، لأنا نراها ونرى حركتها، فهي أقرب إلينا من الكواكب الثابتة، وذلك لا نرى حركات الكواكب الثابتة، وهي تجري بلا شك لكن لا يُرى جريها لبعدها منا»[(٢)].

مما يلاحظ في هذا النص أن مكي بن أبي طالب وظف علم الفلك لشرح الآية وإظهار هذا المعنى الدقيق في التفريق بين الشهب والكواكب الثابتة، وموطن الاستدلال أن مكي وظف علماً لم ينص عليه في المقدمة صراحة، وإن كان قد أشار إليه وإلى غيره تلميحاً عند قوله: «مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها»[(٣)].

والحقيقة أن الوقوف على مصادر مكي في هذا الكتاب، والعلوم التي وظفها فيه وغيرها من القضايا، يحتاج إلى دراسته دراسة متأنية، ولن يتيسر هذا إلا بعد طبع الكتاب ووضعه بين أيدي الباحثين.

طريقته في التفسير:

إذا كان العلماء الذي اشتغلوا بالتفسير قد انقسموا إلى طائفتين، اعتمدت الأولى تفسير كتاب الله بما ثبت عن النبي ﷺ وعن الصحابة ومن بعدهم من التابعين، وطائفة اعتمدت تحكيم العقل والأهواء، فإن مكي بن أبي طالب كان يمثل أحد أقطاب المدرسة الأولى التي اصطلح على تسميتها: التفسير بالمأثور.

ومادام مكي قد سار إلى حد ما على نهج أسلافه من المفسرين الأثريين، فلا محيد عن اتباع طريقتهم مع ما سيدخل عليها من عناصر التجديد.

وبناء على ذلك فإننا ملزمون باتباع التفريع التالي.

١ ـ تفسير القرءان بالقرءان:

اعتمد مكي في غالب الأحيان لبيان الآيات على ما ورد في كتاب الله، إذ أن آيات الله يشرح بعضها بعضاً ويفسر بعضها بعضاً، فمن ذلك:

قوله: ملك يوم الدين، الدين، الجزاء في هذا الموضع، وقد يكون الدين «التوحيد» نحو قوله «إن الدين عند الله الإسلام»، وقال مجاهد الدين الحساب، كما قال «غير مدينين[(٤)]» غير محاسبين، ويكون الدين العادة، ولم يقع في القرءان.. فأما من قرأ ملك يوم الدين وفهم الأكثر من القراء، وشاهده إجماعهم على ملك الناس[(٥)] [(٦)] اهـ.

٢ ـ تفسير القرءان بأحاديث رسول الله ﷺ:

اشترط مكي على نفسه أن لا يستدل إلا بما صحَّ من سنة رسول الله قال: «...

(١) سورة الصافات آية ١٠.
(٢) مخطوط خ ع رقم ٣٣٧ كـ/ صفحة ٣٣٩.
(٣) مخطوط الهداية ٦٠٣ ق خ ع الرباط لوحة ١/أ، و٢١٧ ق خ ع الرباط لوحة ١/ب.
(٤) سورة الواقعة آية ٨٩.
(٥) سورة الناس آية ٢.
(٦) مخطوط الهداية ٦٠٣ ق خ ع الرباط لوحة ٣/أ.

وذكرت المأثور من ذلك عن النبي ﷺ ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، من روايتي أو ما صح عني من رواية غيري.».

والملاحظ ـ أن مكي اشترط على نفسه ألاّ يورد إلاّ ما صح عن النبي ﷺ، ـ وهو بذلك يخالف ابن جرير الطبري الذي لا يشترط على نفسه ذكر الصحيح دون السقيم، بل يورد ما أمكنه من الأحاديث مدرجاً لأسانيدها، تاركاً العهدة على الباحث أو الدارس ليحكم على الحديث بالصحة أو الضعف، وذلك ـ أي اشتراط الصحة ـ ما جعل مكي يصرح بحذفه للأسانيد، إذ في اشتراط الصحة غنى عن الإطالة بذكرها، قال: «وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده».

ولعل هذا المنهج الذي اتبعه مكي في حذف الإسناد هو نفسه الذي سيفتح الباب فيما بعد لإدخال من شاء ما شاء من الأقوال ممن ألف في التفسير بعده، مما سيدفع ابن كثير في مرحلة لاحقة إلى العودة بالتفسير إلى منهجه القديم ـ أي ـ إسناد الأقوال ـ إلى أصحابها ليتميز الزائف من البهرج.

طريقة مكي في الاستدلال بالسنة:

١ ـ يحذف الإسناد.

٢ ـ يقطع الحديث ويكتفي بذكر موطن الاستدلال.

قال مكي في معرض استدلاله على أن البسملة ليست آية من الفاتحة:

ويدل على ذلك أيضاً من الخبر الصحيح ما روى أبو هريرة أن النبي قال: يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي شطرين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين (الحديث).

فلو كانت بسم الله الرحمن الرحيم آية من الحمد لابتدأ بها.

والشاهد أنه حذف الإسناد وعلق عليه بكونه خبراً صحيحاً، واكتفى بذكر الشاهد من الحديث وأحال على بقيته.

قال مكي «وهي سورة الحمد لقول النبي عليه السلام من الخبر الثابت كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرءان فهي خداج قالها ثلاث مرات، والخداج النقص». والشاهد أنه حذف إسناد الحديث وأشار إلى كونه خبراً ثابتاً.

٣ ـ التفسير بما وصله من أخبار الصحابة والتابعين:

قال مكي: «وذكر ما وصل إلي من مشهوره، ونقل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي».

بل إن تفسير ابن عباس من بين المصادر التي اعتمدها مكي وأشار إليها في المقدمة تصريحاً: «وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام».

وهنا أيضاً تبرز مكانة مكي حيث يتحرى الصحيح من الأقوال، ويبتعد عن الشاذ والسقيم، وهو في نقله عن الصحابة يحاول استقصاء ما بلغه من الأقوال، وإن كانت متعارضة

لا يرجح بينها في بعض الأحيان.

فمن ذلك قوله: «سورة الحمد مكية في قول ابن عباس، وقيل بل هي مدنية، وهو قول مجاهد، استدل من قال: إنها مكية، أي بمكة فرضت الصلوات بإجماع.. وهو قول سعيد بن جبير أيضاً وعطاء، وقال مجاهد نزلت الحمد بالمدينة، واختلف عن ابن عباس في المدينة ورُوِيَ عنه بمكة.. والله اعلم بأي ذلك كان».

ولابأس أن نورد مثالاً آخر أحاول من خلاله المقارنة بين مكي بن أبي طالب وابن جرير الطبري، وذلك باستعراض تفسيرهما لنفس الآية.

قال مكي: «قوله تعالى والزاجرات زجراً، جمع زاجرة ـ أي ـ تزجر عن معاصي الله وهي الملائكة، قال ذلك ابن مسعود والسدي. وقيل: الزاجرات الملائكة تزجر السحاب تسوقه إلى الموضع التي يريد سقيها؛ قاله مجاهد والسدي أيضاً، وقال قتادة: الزاجرات ما زجر الله عنه في القرءان فهي ـ أي ـ القرءان التي زجرنا الله بها، قال قتادة: الزاجرات كل ما زجر عنه»[1] اهـ.

قال الطبري في بيان نفس الآية: «أما الزاجرات زجراً فقد اختلف فيها أهل التأويل، فقال بعضهم: هي الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وهذا قول مجاهد، وقال آخرون: هي آيات القرءان التي تزجر المسلم وتردعه عن الحرام وهذا قول قتادة، والراجح القول الأول»[2] اهـ.

من خلال النصين يمكن ملاحظة ما يلي:

١ ـ أن مكي لم يكتف بما ذكره الطبري من نسبة أحد الأقوال لابن مجاهد والآخر لقتادة، بل أضاف كلاً من ابن مسعود والسدي.

٢ ـ أورد مكي أربعة أقوال فيما اكتفى ابن جرير بقولين اثنين:

تفسير الآية	مكي	الطبري
ـ الملائكة تزجر عن معاصي الله	ابن مسعود + السدي	
٢ ـ الملائكة تزجر السحاب تسوقه	مجاهد + السدي	مجاهد
٣ ـ الزاجرات كل ما زجر عنه	قتادة	
٤ ـ ما زجر الله عنه في القرءان = القرءان الذي زجرنا الله بها.	قتادة	قتادة

وبذلك يظهر أن مكي ليس مجرد ناقل عن ابن جرير باعتباره أحد مصادره، بل يضيف ما أمكنه مما وقف عليه، وهو بذلك سيكون عمدة لمن سيأتي بعده من المفسرين والمغاربة منهم على وجه الخصوص في نقل تلك الأقوال، صرحوا بذلك أم لم يصرحوا[3].

---

(١) مخ خ ع ٣٣٧ ك لوحة ١١٣ ب.

(٢) تفسير الطبري ج٦ ص ٣٤٠.

(٣) فعند القرطبي مثلاً نجد ما يلي: «فالزاجرات الملائكة في قول ابن عباس وابن مسعود ومسروق وغيرهم على ما ذكرناه، إما لأنها تزجر السحاب وتسوقه في قول السدي، وإما لأنها تزجر عن المعاصي بالوعظ والنصائح. وقال قتادة: هي زواجر القرآن» فنلاحظ أنه نسب زجر الملائكة للسحاب إلى السدي، وهو ما=

مكية الآيات ومدنيتها:

اهتم مكي كغيره من العلماء بتحديد مكية الآيات ومدنيتها وذلك لما لها من الأهمية في تحديد ناسخ القرءان من منسوخه، والتدرج في تنزيل الأحكام إلى غير ذلك من الفوائد. ولايسعنا إلا أن نورد أمثلة من تفسيره تبين الطريقة التي سلكها.

١ ـ قال مكي: «سورة طه مكية»[(١)].

٢ ـ قال مكي: «سورة الحج مكية، سوى ثلاث آيات نزلت في المدينة في ستة نفر من قريش، ثلاثة مؤمنون وثلاثة كافرون، فالمؤمنون: عبيدة بن الحارث بن عمرو، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، دعاهم للبراز عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، فأنزل الله تعالى ذكره [هذان خصمان اختصموا في ربهم][(٢)] إتمام الثلاث آيات.»[(٣)]

٣ ـ قال مكي: «سورة مريم، كان نزولها قبل أن، يهاجر أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة، لأنهم قرؤوا صدرها على النجاشي بعد هجرتهم إلى أرض الحبشة»[(٤)].

٤ ـ قال مكي: «سورة الرعد مكية، وقيل: بل مدنية، قال ابن جبير ومجاهد: هي مكية، قال قتادة: هي مدنية إلا آية واحدة.»[(٥)]

قبل الختام:

إن المساحة التي أتاحها هذا العرض لم تتسع لكل ما كان في نيتي تقديمه عن هذا المؤلف، إذ لم أتعرض لعدد من الجوانب التي لها متعلق بالموضوع، ولعل أهم الأسباب التي تجعل من الدراسة شيئاً متعسراً، كون الكتاب لم يطبع بعد، وهو ما نأمل حصوله في القريب العاجل، إذ أن التعامل مع المخطوط يحتاج إلى مساحة زمنية كافية، وجهد إضافي لا يمكن توفره في مثل هاته الأبحاث التي تروم تقديم صورة مختصرة لا غير.

خاتمة العرض

سأكتفي في ختام هذا العرض بوضع مقدمة الكتاب بين يدي القراء الكرام، علها تسد بعض الفراغ في حقل الدراسات القرآنية المتعلقة بهذه المنطقة من الرقعة الإسلامية من جهة، وبهذا العلم من جهة أخرى.

= نجده عند مكي ولا نجده عند ابن جرير الطبري، وكذا القول بأن الملائكة تزجر عن المعاصي، وهو الذي نجده عند مكي دون ابن جرير. انظر تفسير القرطبي ج١٥ ص ١٦.

(١) مخ خ ع ٣٣٧ كـ لوحة ١٣/أ.

(٢) سورة الحج آية ١٩.

(٣) مخ خ ع ٣٣٧ كـ لوحة ٤٠/أ.

(٤) مخ خ ع ٣٣٧ كـ لوحة ١/أ.

(٥) مخ خ ع ٥٨ق لوحة ٥٥/أ

نص المقدمة(١):

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم وآله وصحبه وسلم.

قال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي المقرىء رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة منزلاً ومأوًى له:

«نحمد الله جل ذِكْرُهُ بجميع محامده، ونثني عليه بتواتر آلائه ونعمه، ونشكره على ما خَوَّلَ وفَهَّم من معرفة به، ونرغب إليه في المزيد من مِنَنِه، مع حُسْنِ التوفيق المؤدي إلى رضوانه، ونستهديه طريق الصواب في القول والعمل بمنه، ونسأله العصمة من الخطأ والعفو عن الزلل بفضله، ونصلي على خير خلقه محمد ﷺ وعلى أهله، ونقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال أبو محمد: هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، وذكر ما وصل إلي من مشهوره، ونقل الصحابة والتابعين ومن بَعْدَهُم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له، وذكرت المأثور من ذلك عن النبي ﷺ ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، من روايتي أو ما صح عني من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده.

جمعت فيه علوماً كثيرة وفوائد عظيمة من تفسير مأثور، أو معنى مفسر، أو حُكْم مبين، أو ناسخ أو منسوخ، أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره، من قراءة غريبة، أو إعراب غامض، أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع، مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها.

جعلته هداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلغ إلَيَّ من علم كتاب الله تعالى ذكره، مما وقفت على فهمه، وَوَصَلَ إلَيَّ علمه من ألفاظ العلماء، ومذاكرات الفهماء، ومجالس القراء، ورواية الثقاة من أهل النقل والرواية، ومباحثات أهل النظر والدراية.

قدمت في أوله نبذاً من عِلَلِ النحو، وغامضاً من الإعراب، ثم خففت ذكر ذلك فيما بعد لئلا يطول الكتاب، ولأني قد أفردت كتاباً مختصراً في شرح مشكل الإعراب خاصة، ولأن غرضي في هذا الكتاب إنما هو تفسير التلاوة، وبيان القصص والأخبار، وكشف مشكل المِعاني، وذكر الاختلاف في ذلك، وتبيين الناسخ والمنسوخ، وشرح وذكر الأسباب التي نزلت فيه الآي إن وجدت إلى ذكر ذلك سبيلاً، من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري، وترجمة عن معنى ما أشكل لفظه من أقاويل المتقدمين بلفظي، ليقرب ذلك إلى فهم دارسيه،

---

(١) المقدمة منقولة عن:
مخطوط الهداية ٦٠٣ ق خ ع الرباط لوحة ١/أ.
ومخطوط الهداية ٢١٧ ق خ ع الرباط لوحة ١/ب ـ ٢/أ.

وربما ذكرت ألفاظهم بعينها ما لم يشكل.

وسميت هذا الكتاب، كتاب «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرءان وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه».

أعني بقولي «بلوغ النهاية» أي ما وصل إلي من ذلك، لأن علم كتاب الله لا يقدر أحد أن يبلغ إلى نهايته، إذ فوق كل ذي علم عليم.

جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله تعالى، وهو الكتاب المسمى بكتاب «الاستغنا»، المشتمل على نحو ثلاث مائة جزء في علوم القرءان، إذ أفضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه ومكنوز علومه، مع ما أضفت إلى ذلك من كتاب «الجامع في تفسير القرءان» تأليف أبي جعفر الطبري، وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام، ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرءان والتفسير (..) والمعاني والغرائب والمشكل، انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر، مؤلفة في علوم القرءان مشهورة مروية.

أسأل الله ذا الفضل والمن ألا يحرمنا أجره، وأن يبارك لنا في ذكره، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، لا إله إلا هو.

فواجب على كل ذي دين ومروءة، كتب كتابنا هذا أو قرأه، أن يغمض عن زلل كاتب، أو وهم ناسخ إن وجد فيه، ويشكر الله على ما يستفيده منه، ويسمح في وهم أو غلط إن وقع منا فيه، فالعصمة لا يدعيها أحد بعد الأنبياء صلوات الله عليهم.

أسأل الله التوفيق لما يزلف لديه ويقرب منه، وأرغب إليه جل ذكره أن يجعله لوجهه خالصاً، وأن يغفر لمن ترحم علينا ودعا لنا بالمغفرة، فما أخرجت هذا الكتاب، وبذلته للناس - بعد أن كنت عملته في صدر العمر، وحجام الفهم، لنفسي خاصة ولمذاكرتي مفرداً - إلا طمعاً أن يترحم علينا مع طول الزمان مترحم، أو يستغفر لنا من أجله مستغفر، ويذكرنا بالخير عليه ذاكر، مع ما نرجو من ثواب الله عليه في انتفاع دارسيه، واكتفائهم به عن سائر كتب المفسرين وأهل المعاني، وسائر أكثر علوم كتاب الله تعالى»[1] اهـ.

المصادر والمراجع

- البحر المحيط: لمؤلفه أبي حيان، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية ط١ - ١٩٩٣.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: لمؤلفه أحمد بن يحيى الضبي، مطبعة روخس - مدينة مجريط ١٨٨٢ م.
- التفسير ورجاله: لمؤلفه محمد الفاضل بن عاشور، دار الكتب الشرقية - تونس - ط٢ - ١٩٧٢.
- تاريخ علماء الأندلس: لمؤلفه ابن الفرضي.
- التحرير والتنوير: لمؤلفه محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - ١٩٦٤.
- الجامع لأحكام القرءان: لمؤلفه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم

(١) مخطوط الهداية ٦٠٣ ق خ ع الرباط لوحة ١/أ، و٢١٧ ق خ ع الرباط لوحة ١/ب - ٢/أ.

البردوني، دار الشعب القاهرة ط٢/ ١٣٧٢.

- دليل مخطوطات الخزانة الحسنية بالمغرب.

- الصلة: لمؤلفه أبو القاسم خلف بن بشكوال، تراثنا - المكتبة الأندلسية - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦.

- طبقات المفسرين: لمؤلفه شمس الدين الداودي، تحقيق محمد علي عمر، دار الكتب - ط١/ ١٩٧٧.

- سير أعلام النبلاء: لمؤلفه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٩/ ١٤١٣.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لمؤلفه ابن العماد الحنبلي، بيروت.

- العمدة في غريب القرءان: لمؤلفه مكي بن أبي طالب، شرح وتعليق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة ط١/ ١٩٨١.

- غاية النهاية في طبقات القراء: لمؤلفه شمس الدين بن الجزري، عني بنشره (ج برجستراسر)، دار الكتب العلمية ط٢/ ١٩٨٠.

- قبس من عطاء المخطوط المغربي: لمؤلفه محمد المنوني، دار الغرب الإسلامي ط١.

- فهرس ابن خير: لمؤلفه أبي بكر بن خير الفاسي نزيل إشبيلية، مطبعة قومش بسرقسطة - دار الآفاق الجديدة - ١٩٨٣.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع: لمؤلفه مكي بن أبي طالب، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ط٢/ ١٩٨١.

- معرفة القراء الكبار: لمؤلفه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

- مشكل إعراب القرءان: لمؤلفه مكي بن أبي طالب، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ط٢/ ١٩٨٤.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لمؤلفه أحمد بن محمد المغربي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

المخطوطات:

- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب القيسي - مخطوط الخزانة العامة - رقم ٣٣٧ك -
- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب القيسي - مخطوط الخزانة العامة - رقم ٦٠٣ ق.
- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب القيسي - مخطوط الخزانة العامة - رقم ٥٨ ق.
- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب القيسي - مخطوط الخزانة العامة - رقم ٢١٧ ق.
- فهرس المنتوري: محمد بن عبد الملك المنتوري الأندلسي - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط - رقم ١٥٧٨٠.

المجلات والندوات:

- القيروان عبر الندوات الإسلامية - مقال لعبد الله الوصيف: يحيى بن سلام رائد التفسير بالقيروان، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان.

- مجلة دار الحديث الحسنية العدد ٣/ ١٩٨٢ مقال محمد المنوني ص: ٦٦.

- المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي: وضعية المخطوطات وآفاق البحث - مؤسسة الملك عبد العزيز - مطبعة النجاح الجديدة ١٩٩٠.

ورقات عن حضارة المرينيين

الأستاذ الدكتور بدري محمد فهد(*)

الأستاذ محمد المنوني من الباحثين المغاربة المعاصرين الذين أفنوا أعمارهم بين رفوف الكتب المخطوطة والمطبوعة، والتنقير عن المعلومات في مكتبات المغرب العتيد، ما بين المكتبة الصبيحية في سلا، والمكتبة الملكية في المشور الملكي، والخزانة العامة في الرباط، وخزانة المختصين بالنتاج العلمي المغربي بشكل عام، ولا سيما المخطوط منه الذي لا يعرفه إلا قلّة من الباحثين. ومن هنا جاءت أهمية أبحاثه وكتبه للمعنيين بالتراث، والحضارة العربية الإسلامية.

وقد سبق لي أن عرَّفت بكتابة [تاريخ الوراقة المغربية] في مجلة الذخائر (العدد ٩ السنة الثالثة ٢٠٠٢م/ ١٤٢٢هـ)، ثم وجدت دعوة بالمجلة ذاتها للكتابة عن المغارب، في وقت كنت أقرأ فيه كتاب [ورقات عن حضارة المرينيين] وهو عنوان يذكر بعنوان كتاب المرحوم الباحث التونسي حسن حسني عبد الوهاب، وأقصد به كتاب [ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية] الذي أغنى المكتبة العربية بنشره، لما حواه من معلومات قيّمة لا يتسنى جمعها إلا لمثله أو لمثل المنوني.

وكتاب ورقات عن حضارة المرينيين يقدم صورة عن المغرب العربي الكبير بأقطاره الثلاثة، وإن كان محور الكتاب عن المغرب الأقصى الذي يجهل أهل المشرق العربي بعض جوانبه، كجهلهم بالكثير مما ينشر أو يحقق هناك، نتيجة لعدم وجود دور النشر التي تربط جناحي الوطن العربي، وتأخذ على عاتقها مسألة التعريف بما ينشر في كل منهما.

وقد طبع هذا الكتاب بالقطع العادي في ٥٨٨ صفحة، ويحتوي على عدة صور تمثل جوانب من الحضارة المدينية كالمساجد والمدارس. والكتاب في الأصل مجموعة أبحاث نشرها المؤلف في المجلات المغربية، ثم قامت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة ١٩٩٦ بنشرها تحت عنوان [ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين] سنة ١٩٧٤، ثم اختصر العنوان في هذه الطبعة.

(*) أستاذ في كلية الاداب ـ جامعة بغداد ـ العراق.

امتازت هذه الطبعة للكتاب بميزات منها الإضافات المسهبة، ومنها تناوله في فصل مطول إبراز المسار الثقافي لمجموعة من العلوم الإسلامية والبحتة في العصر المريني (ص ٢٦٣ ـ ٣٧١)، فضلاً عن إضافات قصيرة تخللت بعض الفصول. كما أن من المزيد في هذه الطبعة الملحق الرابع لفصل الصلات الثقافية بين المغرب المريني وتونس الحفصية (ص ٤٨٨ ـ ٥١٢)، وثم تعديلات في ترتيب بعض المباحث، وعنونة مضامين الكتاب بمداخل وأبواب وفصول.

يبدأ الكتاب بمقدمة أو مدخل يشرح فيه وضع الدولة الموحدية في دور الانحلال، ويعرف بالدولة المرينية التي ابتدأ ظهورها في المغرب الأقصى في أواخر سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، ثم قامت بصورة نهائية سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م في عهد عثمان بن عبد الحق، وفي سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م استولى يعقوب بن عبد الحق على مدينة مراكش حيث انقرضت الدولة الموحدية. ومن هذا التاريخ أصبح الأمير يعقوب يلقب بأمير المسلمين.

وقد بلغت الدولة المرينية أقصى اتساع لها ما بين معاقل الصحراء وتوات وتمنطيت جنوباً إلى القسم الجنوبي من إسبانيا (الأندلس) على مقربة من مالقة، وشرقاً إلى مصراتة في وسط (ليبيا الحالية).

ولما بدأ الانحلال يدب في جسم هذه الدولة تعرض المغرب لبداية الاستعمار الأوربي، فاستولى البرتغاليون على مدينة سبتة في سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م وقصر مصمودة (القصر الصغير) سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م، ثم طنجة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م، وهو التاريخ الذي انتهت فيه الدولة المرينية بعد أن استمرت ٢٥٣ سنة وكانت اصمة الدولة هي فاس.

أما أبواب الكتاب، فيتضمن الباب الأول ثلاثة فصول تتناول في الأول منها بناء فاس الجديد، والقصر الملكي وملحقاته. والفصل الثاني تناول فيه معسكرات الجيش. والفصل الثالث ملحق المدينة ومؤسساتها مثل المدارس والجوامع، والقصور، والرياض، والملاعب.

وفي الباب الثاني نجده قد خصص لنظم الدولة المرينية، فكان الفصل الأول للنظام المدني، حيث تناول فيه الإدارة العامة، ومجالس السلطة العليا. وفي الفصل الثاني تناول النظام العسكري، فتكلم عن الجيش والأسطول وآلات الحصار. وفي الفصل الثالث النظام الاقتصادي حيث تناول الميزانية، والنقود، والنشاط الاقتصادي (التجارة، والصناعة، والفلاحة). وفي الفصل الرابع تحت عنوان أنظمة عامة تناول فيه مبادىء الدولة كالمذهب واللغة، وجنسية الموظفين والأعلام. أما في الفصل الخامس فخصصه للعلاقات المرينية المشرقية.

وجعل الباب الثالث لتاريخ الفكر الإسلامي والدخيل، فتناول العلوم الأصيلة والدخيلة، وأنظمة الكتاب القرآني والإجازات، ثم الدراسات الحديثية، والفقهية، والدراسات الأصولية والنحوية، والكلامية، والأدبية، والرياضية.

وفي الفصل الثاني تناول التيارات الفكرية في المغرب المريني. والفصل الثالث جعله لاستقرار أصول الهداية المغربية. وفي الفصل الرابع تناول الصلات الثقافية بين المغرب

المريني وتونس الحفصية.

وتحت عنوان الباب الرابع الذي جعله لمنوعات موضوعية، تناول في الفصل الأول الاحتفالات بالمولد النبوي رسمياً وشعبياً، وفي الفصل الثاني جاء وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني.

وإننا عند تصفحنا للكتاب نجد من ميزاته البارزة رجوع مؤلفه إلى المخطوطات التي لم تنشر بعد. إلا أننا نأخذ على المؤلف في الوقت نفسه تجاهله ما تم نشره من تلك المخطوطات، لا سيما أن بعضها قد قام بتحقيقه ودراسته أكثر من باحث معروف. فالمنوني لم يشر مثلاً إلى كتاب [تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية] لعلي بن محمد بن سعود الخزاعي ٧٨٩هـ/ ١٦٨٥م. وإلى الجهود التي تناولت الكتاب تحقيقاً وتعريفاً، واختصاراً فقد جلب انتباه رفاعة الطهطاوي لصلته بتفكيره في نظام الدولة فلخصه. ثم نال إعجاب الشيخ عبد الحي الكتاني فعلق عليه، وأضاف إلى أجزائه وفصوله وسماه [كتاب التراتيب الإدارية] وكان أكثر جهده استكثاراً أو إلحاقات. وإلا فإن الخزاعي كان كثير الاستقصاء والتدقيق، والفرق بينه وبين الكتاني هو الفرق بين مكتبتين، يغرف كل واحد منهما بحسب ما تيسر لديه من مصادر. وقد طبع التراتيب الإدارية في جزأين في فاس سنة ١٣٤٦هـ، وأعيد طبعه بالتصوير أكثر من مرة. وكان ينقصه الفصل العاشر، وهو الفصل الختامي.

ثم تناول كتاب «الدلالات السمعية» بالتحقيق فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو سلامة من علماء الأزهر. فظهرت طبعته بمصر سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، وحققه أيضاً الدكتور إحسان عباس وطبع عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م لدى دار الغرب الإسلامي ببيروت. وهي طبعة كاملة.

وأخيراً قام الدكتور عبد الله الخالدي بتحقيق وطبع كتاب [التراتيب الإدارية] ببيروت بدار الأرقم سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

كان والد مؤلف «الدلالات السمعية» هو محمد بن سعود الخزاعي، ممن لقي الحظوة لدى بني زيان حكام تلمسان (في غرب جمهورية الجزائر الحالية) فعمل لديهم كاتباً، ثم أصبح وزيراً في أيام السلطان أبي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن الزياني (٧٠٣ ـ ٧٠٧هـ)، ثم تقلد كتابة الأشغال السلطانية في ظل أبي تاشفكين عبد الرحمن الزياني (٧١٨ ـ ٧٣٦هـ) وقد جمع محمد بين خطتي السيف والقلم. وفي تلمسان رزق ابنه علي سنة ٧١٠هـ في عهد بني عبد الواحد ونشأ في ظلهم وتولى من بعد في تلمسان ما كان ينولاه أبوه، خطة الأشغال السلطانية لأمير المسلمين المتوكل على الله أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن (٧٣٧ ـ ٧٥٣هـ) فكان صدراً في تلك المحافل والنوادي، ثم استقر في مدينة فاس في أيام السلطان المريني أبي عنان فارس الملقب بالمتوكل ليقوم بما كان يقوم به من مهام.

وكان علي بن محمد الخزاعي معاصراً ومزاملاً لأبي القاسم بن رضوان صاحب كتاب [الشهب اللامعة في السياسة النافعة] في بلاط أبي سالم إبراهيم (٧٦٠ ـ ٧٦٢هـ).

وهناك كتاب آخر لم يشر المنوني، ولو إشارة بسيطة إلى من تناوله بالدراسة، وهو كتاب

[الشهب اللامعة في السياسة النافعة] لابن رضوان المزامل للخزاعي، وصديق العلامة ابن خلدون، وكان الكتاب الأول في ميدان السياسة، في حين أنه قد سبق بمؤلفين مغاربة أو مشارقة مثل أبي بكر محمد بن الحسين المرادي الحضرمي (ت٤٨٩هـ) الذي ألف كتاب [الإشارة إلى أدب الإمارة] وقد قام بتحقيقه الدكتور رضوان السيد وطبعه ببيروت بدار الطليعة ١٩٨٠.

وقد قام محققه بكتابة مقدمة عن حياة المؤلف ما بين الأندلس والمغرب، وتقديم بيان واضح عن كتب السياسة عند العرب التي منها ما يعرف [بمرايا الأمراء] وهذا الكتاب منها.

ثم قام بنشره الدكتور علي سامي النشار بعنوان [كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة] وهو ممن درّس في آخريات عمره في جامعة محمد الخامس بالرباط ـ فطبع في الدار البيضاء، في دار الثقافة سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ووضع له مقدمة بيّن فيها حياة المؤلف، وتكوّن أفكاره، ثم استقراره قاضياً في مدينة أسكي جنوب المغرب، وأنه قدم كتابه إلى الأمير أبي بكر بن عمر المرابطي الذي توفي عام ٤٧٠هـ. وكان قد أصبح حاكماً للصحراء بعد أن استقر ابن عمه يوسف بن تاشفين في المغرب منذ عام ٤٥٣هـ ليصبح سلفاً لحكام الدولة المرابطية فيها.

وبيّن النشار أيضاً أهمية كتاب المرادي وتأثيره فيمن جاء بعده من المؤلفين في ميدان السياسة، مثل ابن رضوان صاحب كتاب [الشهب اللامعة في السياسة النافعة]، أو ابن الأزرق في كتاب [بدائع السلك في طبائع الملك] إذ كلاهما قد استند إلى المرادي في مواضع عدة من كتابيهما في علم الاجتماع السياسي.

وكان ابن رضوان قد استفاد من كتاب المرادي أكبر استفادة، إذ نقل نصوصاً هامة منه. وكان ينسب النصوص إليه أحياناً، وأحياناً أخرى يوردها مرسلة بدون ذكر المرادي.

ومن المؤكد أنه كان لدى ابن رضوان نسخة كاملة من الكتاب، ومن المؤكد أيضاً أنه كان في مكتبة القصر المريني نسخة منه.

ولعل ابن خلدون الذي كان هناك صديقاً لابن رضوان، ومن كتاب السلطان المريني أبي سالم، قد أفاد دون أن يذكر ذلك من تعبيرات المرادي.

وابن الأزرق ممن ذكر كتاب المرادي مراراً في كتاب [بدائع السلك] وهذا يظهر أهمية كتاب المرادي في نسق هذه المادة الهامة السياسية، أو فلسفة السياسة أو علم الاجتماع السياسي.

ومع ملاحظتنا عن عدم إشارة المنوني لما طبع من تراث المغرب، لا سيما المريني.

يبقى هذا الكتاب مهماً ويمثل جهداً علمياً قيّماً.

ملاحظات وتعقيبات على تحقيق كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني

الدكتور محمد الحافظ الروسي(*)

إن المدخل الصحيح لفهم أي نص قديم هو حسن قراءته، إذ يترتب على سوء القراءة سوء الفهم، وعلى سوء الفهم الخطأ في الاستنتاج، لأن ما بني على خطأ فهو خطأ. ولا يتأتى حسن القراءة إلا بعد ضبط النص وتحقيقه.

ومن أهم النصوص القديمة النص المتبقي من كتاب أبي الحسن حازم القرطاجني (ت: ٦٨٤هـ) «منهاج البلغاء وسراج الأدباء». وهذا النص هو الذي قام بتحقيقه الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة من علماء تونس المعاصرين[١].

وقد لاحظتُ وأنا أقرأ كتاب «المنهاج» أن مجموعة من نصوصه التي تناقلها الناس تحتاج إلى تصويب وإلا استمرت هذه الأخطاء في الشيوع. وهي أخطاء قد تكون هينة أحياناً، ولكنها في أحيان أخرى أخطاء جسيمة، وذلك كزعم وجود علم لم يوجد[٢] أو كاختلاق مصطلح لم يستعمله حازم[٣]. فكان من ذلك هذا البحث.

وليس في هذا العمل تطاول على أحد ولا ادعاء علم وإنما هو عمل بما قاله السبكي رحمه الله تعالىٰ في «عروس الأفراح»، وذلك إذ قال متحدثاً عن كتابه: «فإن تصفح الناظر فيه الغلط فليصفح ولا يكن من أناس بالأغاليط يفرحون، وليصلح ما يجده فاسداً فإن الله تعالىٰ ذم رهطاً قال فيهم: يفسدون في الأرض ولا يصلحون»[٤].

---

* أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ تطوان ـ المغرب.

(١) صدرت طبعته الأولى بتونس سنة: ١٩٦٦. وهو في الأصل رسالة جامعية نال بها صاحبها درجة الدكتوراه من جامعة باريس سنة: ١٩٦٤. والطبعة المعتمدة عندنا هي طبعة دار الغرب الإسلامي. بيروت. ١٩٨٦.

(٢) ن. متن النص. ٢٢.

(٣) ن. متن النص: ٢.

(٤) السبكي. عروس الأفراح: ١/١٨ـ١٩.

وأيضاً فإن هذه الملاحظات ليست طعناً في جودة تحقيق محقق المنهاج، بل إنها مساهمة في سعي لاشك أن المحقق سعى إليه وهو إخراج هذا الكتاب على أفضل صورة ممكنة. وقد كان هذا الكتاب يحتاج إلى مثل الشيخ ابن الخوجة في سعة علمه ليخرج على هذه الصورة، فالكتاب في غاية الصعوبة، ومع ذلك استطاع المحقق أن يسهل قراءته على الناس، وأن يتجنب في تحقيقه كثيراً مما وقع المحققون فيه من أخطاء[١].

وقد قسمت حديثي في هذا التحقيق أقساماً أربعة، فقسم خصصته للحديث عما اعتبرته أخطاء في قراءة النص من لدن المحقق. وقسم للتعليق على الهوامش، وقسم للتعليق على معجم المصطلحات والألفاظ الغريبة، وقسم للفوات، وأقصد بذلك ما فات المحقق إدراجه من أنقال العلماء عن المنهاج، وهي الأنقال التي جعلها في ملحق. وهذا أمر له أهميته، إذ هناك من الدارسين من اعتبر هذا الملحق جامعاً فاقتصر عليه في محاولته إعادة بناء القسم المفقود من المنهاج[٢]. كما أن ما أثبته من نصوص في (الفوات) قد يدلنا على جملة من الاستنتاجات لا يوصل إليها بالاعتماد على ما ورد في ما وصلنا من المنهاج، ولا على ما أثبته المحقق في ملحقه. فمن ذلك مثلاً أنها تدلنا على أن حازماً قد استعمل مصطلحات خاصة به في الجزء المفقود من كتابه، وذلك كمصطلح (تجنيس الرسالة). وأنها تدلنا على سبب حرص حازم على استعمال تجنيس الاشتقاق في شعره حتى قال عنه الشريف السبتي في «رفع الحجب»: (.. والناظم كثيراً ما يستعمل هذا النوع من التجنيس حتى لا يكاد يخلي نظامه ولا نثاره منه)[٣]. ذلك أنه يعتبر أحق التجنيس أن يحتمل تكراره المشتق والملحق به[٤].

أولاً ـ متن النص:

١ ـ النص:

(ومن فساد المقابلة قول أبي عديّ:

يـا ابـن خيـر الأخيـارِ مـن عبـدِ شمـسٍ ... أنـتَ زَيْـنُ الـدنيـا وغيـثُ الجُـودِ

لأن غيث الجود ليس مقابلاً لزين الدنيا من طريق المقاربة ولا التضاد)[٥].

---

(١) مثال ذلك حسن روايته لبيت الصنوبري:

فكـأنمـا أنفـاسُـهُ مـن شَعْـرِهِ ... وكـأنمـا قـرطـاسـه مـن جلـده

بينما درج المحققون ومنهم من وضع تحقيقه بعد تحقيق «المنهاج» على رواية الشطر الأول من هذا البيت: فكأنما أنفاسه من شعره.

ن. مثلاً: المنزع البديع: ٤٦٧. وكفاية الطالب: ٢٢٠. والعمدة: ١/ ٦٣٤. والأنفاس: جمع نفس. وهو المداد. ن.ل.٦/ ٢٤٠ يقصد كأن مداده اشتق من شعره لشدة سواد هذا الشعر.

(٢) ن. محمد العمري. البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها: ٥١٢ـ٥١٨.

(٣) السبتي. رفع الحجب المستورة: ١/ ٢٣.

(٤) ن. السبكي. عروس الأفراح: ٤/ ٤٣٣.

(٥) المنهاج: ٥٥.

التعليق:

هذا البيت من شواهد قدامة في (نقد الشعر)[١] وقد ورد هناك بلفظ (الجنود) لا (الجود)، وكذلك ورد في (سر الفصاحة) لابن سنان[٢]. ولعل المحقق قرأها (الجود) رعياً للتناظر بين (الجود) و(الغيث).

٢ـ النص:

(.. وجب أن تكونَ الأقاويل الخطبية. اقتصادية كانت أو احتجاجية. غير صادقة ما لم يُعْدَل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأن ما يُتَقَوَّم به وهو الظن مناف لليقين، وأن تكونَ الأقاويل الشعرية اقتصادية كانت أو استدلالية غير واقعة أبداً في طرفٍ واحدٍ من النقيضين اللذين هما الصدق والكذب، ولكن تقع تارة صادقة وتارة كاذبة..)[٣]..

التعليق:

سبق لحازم أن قدَّم بأن (كل كلام يحتمل الصدق والكذب إمَّا أن يَرِد على جهة الإخبار والاقتصاص وإما أن يردَ على جهة الاحتجاج والاستدلال)[٤]، فهما فرعا كل كلام هذه صفته، ومن هذا الكلام الشعر والخطابة، فكل منهما لا تخلو أقاويله من أن تكون إخبارية اقتصاصية أو احتجاجية استدلالية. لذلك كان الوجه هنا، والله أعلم، أن تكون العبارة هي: اقتصاصية في مكان اقتصادية، في المرتين. وبذلك أخذ د. عبد الرحمان بدوي في بحثه: حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في البلاغة والشعر[٥].

٣ـ النص:

(إضاءة: فأفضل الشعْرِ ما حسنت محاكاته وهيأته، وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه، وقامت غرابته. وإن كان قد يعدُّ حذقاً للشاعر اقتدارهُ على ترويجِ الكذب وتمويهه على النفس وإعجالها إلى التأثر له قَبْلُ، بإعمالها الروية في ما هو عليه. فهذا يرجعُ إلى الشاعر وشدة تحيُّله في إيقاع الدُّلْسَةِ للنَّفْسِ في الكلام. فأما أن يكون ذلك شيئاً يرجع إلى ذات الكلام فلاَ)[٦].

التعليق:

يمكن توجيه هذه العبارة توجيهاً مَّا، بأن نقول، بأن الشاعرَ يُعجل نفس المتلقي إلى التأثر بوساطة دفعها إلى إعمال الروية في التمويه نفسه فيستغرقها ذلك عن النظر إلى أنه تمويه، أي أنه

---

(١) قدامة. نقد الشعر: ١٩٣. خ.٢٠٢.ك.
(٢) ابن سنان. سر الفصاحة: ٢٦٨.
(٣) المنهاج: ٦٢ـ٦٣.
(٤) المنهاج: ٦٢.
(٥) بدوي. إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين: ٩٢.
(٦) المنهاج: ٧١ـ٧٢.

يصرفها بتأثيره عن طبيعته.

وهذا توجيه مع ذلك بعيدٌ لأنه إذا أعمل الروية فيه فإنه لاشك منتبه إلى أنه تمويه وكذبٌ، لذلك كان من المرجح أن تكون العبارة هي: (..وإعجالها إلى التأثر له قَبْلَ إعمالها الرويةَ في ما هو عليه). وبهذا يكون الشاعر قد استطاع باقتداره أن يجعل التأثير أسبق على نفس المتلقي من التفكير، فإذا أعمل المتلقي الروية بعد ذلكَ لم يمح ذلك من تأثير الشعر شيئاً لتمكنه في النفس قبلها، والله أعلم.

وقد قال الفارابي في «إحصاء العلوم»: (فإنَّ الإنسانَ كثيراً ما تتبع أفعالهُ تخيلاته أكثر مما تتبع ظنه أو علمه)[1].

وقال أيضاً وهو ما يزكي التصحيح المقترح: (وإنما تستعمل الأقاويل الشعرية في مخاطبة إنسانٍ يُستنهض لفعل شيء ما باستفزازه إليه واستدراجه نحوه: وذلك إما بأن يكون الإنسان المستدرجُ لا روية له ترشده فينهض نحو الفعل الذي يلتمس منه بالتخييل فيقوم له التخييل مقام الروية، وإما أن يكون إنساناً له روية في الذي يلتمس منه، ولا يؤمن إذا روَّى فيه أن يمتنع، فيعاجل بالأقاويل الشعرية لتُسبق بالتخييل رويتهُ، حتى يبادر إلى ذلك الفعل، فيكون منه بالعجلة قبل أن يستدرك برويته ما في عقبى ذلك الفعل، فيمتنع منه أصلاً، أو يتعقبه فيرى أن لا يستعجل فيه ويؤخره إلى وقت آخر)[2].

٤ ـ النص:

(تنوير: فإن حسنت الهيأة والمحاكاة ولم يكن الكذب شديدَ الوضوح، خادعاً النفسَ عَمَّا تستشعره أو تعتقده من الكذب، وحرَّكاها إلى اعتماد الشيء بفعلٍ أو اعتقادٍ أو التخلي عنه تحريكَ مغالطة، فهذا أدنى مراتب الشعر إذا لم يعتدَّ بما ذكرناه أوَّلاً)[3].

التعليق:

ظني، والله أعلم، أنه قال: إذا لم يعتدَّ بما ذكرناه أوَّلاً، والذي ذكره أولاً هو: قُوَّةُ الصِّدْقِ، الذي هو أحد أسباب تحريك النفس وإنهاضها إلى فعل أو اعتقاد أو الامتناع عن فعل أو اعتقاد، والأسباب الأخرى هي: حسن المحاكاة، وحسن الهيأة، وقوة الشهرة؛ وإنما جاء حديثه عن (الكذب الخفي) بعد ذلك عند شروعه في الإضاءة الأولى من هذا المعرف[4].

أما قراءتها: إذا لم يعتد بما ذكرناه أولاً، فتقتضي وجود أمورٍ إذا اعتد بها الشاعر جعلت (تحريك المغالطة) فوق رتبته وهي: الرتبة الأدنى في الشعر[5]. وهي أمورٌ ألاحظ لها ذكراً.

---

(١) الفارابي. إحصاء العلوم: ٨٤.
(٢) المصدر نفسه: ٨٤ـ٨٥.
(٣) المنهاج: ٧٢.
(٤) ن. المنهاج: ٧١.
(٥) ن. المنهاج: ٧٢.

فقراءتي لها: إذْ، التي هي للتعليل: كما في قوله[١]:

وإن مُـدَّتِ الأيـدي إلـى الـزَّادِ لـم أكـن   بـأعجلهـم إذ أجشـع القـوم أعجـلُ

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾[٢]، في مكان (إذا) التي هي ظرف متضمن معنى الشرط.

٥ـ النص:

(ولا يخلو الشيء الحسن من أن يكون أحسنَ ما في معناهُ، أو أن يكون ثَمَّ ما هو أحسن منه. وكذلك القبيح قد يوجد أقبح منه أو لا يوجد. فالحسن الذي لا أحسن منه، والقبيح الذي لا أقبح منه، ولا يوجد مساوٍ لهما في معنييهما، لا ينبغي أن تكون الأقوالُ فيها صادقةً في الأوْلَى والأكثر؛ فإن محاكاتَه بما هو دونه تقصير به وليس هناك إلى ما يطمح به. فأما الحسن والقبيح اللذان يوجد في معناهما ما هو أعظم منهما أو ما يساويهما، فإن الأقاويل الشعرية تَرِدُ فيهما صادقةً وكاذبة، بحسب ما يعتمده الشاعر من اقتصاد في الوصف أو مبالغة)[٣].

التعليق:

إن قراءة العبارة على ما وردت عليه تغير المعنى إلى نقيضه، وإنما الصوابُ في قراءة: لا ينبغي أن تكونَ الأقوالُ فيهما صادقةً، أن تقرأ: ينبغي أن تكون الأقوال فيهما صادقة، والعبارة التي بعد هذه تفسر السبب وهو أنه ليس هناك مجال للكذب أو المبالغة في شيء لا حَسَنَ فوقه فيشبه به، فكل تشبيه يصبح في هذه الحالة تقصيراً به لأنه من باب جعل المشبه أقوى من المشبه به في المعنى، وكذلك الأمر في القبيح الذي لا أقبح منه، فإن محاكاته بما هو أقل منه قبحاً إعلاء من شأنه وذهاب إلى غير المقصود من الكلام. فيكون الصدق في مثل هاتين الحالتين أوجب.

فإذا وجد للشيء مساوٍ في الحسن أو القبح أو وجد ما هو أعظم منه فيهما، فللشاعر إذا أراد الاقتصاد في الوصف أن يصدق، وإذا أراد المبالغة أن يستعمل الأقاويل الكاذبة. والذي يؤكد ما ذهبت إليه قول حازم نفسه في صفحة أخرى: (وأنا أذكر الأنحاء التي يترامى إليها صدق الشعر أو كذبه.. وهي ثمانية أنحاء:

تحسين حسن لا نظير له. فهذا يجب أن تكون الأقاويل فيه صادقة وكذلك تقبيح القبيح الذي لا نظير له)[٤].

٦ـ النص:

(كل هذه المذاهب الاستساغية والاستحسانية والصدقية يقع في جميع أنحاء الشعر الثمانية

---

(١) الشنفرى في لامية العرب.
(٢) ن. ابن هشام. مغني اللبيب: ١١٣ـ١١٥.
(٣) المنهاج: ٧٣.
(٤) المنهاج: ٧٤.

وهي:

١ـ تحسين حسن له نظير، ٢ـ وتحسين حسن لا نظير له، ٣ـ وتقبيح قبيح له نظير، ٤ـ وتقبيح قبيح لا نظير له، ٥ـ وتحسين قبيح له نظير، ٦ـ وتقبيح حسن لا نظير له)[١].

التعليق:

زعم حازمٌ، هنا، أن أنحاء الشعر ثمانية ثم لم يذكر منها إلا ستة. وعلق ابن الخوجة على ذلك بقوله في هامش الصفحة: «راجع بقية الأنحاء الشعرية في التفصيل الوارد: ٧٤ـ٧٦». وليس في ص: ٧٦ ذكر لشيء من هذه الأقسام. والغالب أن المحقق يريد الإحالة على التنوير السادس من المعرف الخاص بالدلالة على المعرفة بماهية الشعر وحقيقته، فهو الذي يستغرق هذه الصفحات كلها[٢]. وقد ذكر هناك أيضاً أن الأقسام ثمانية، أشار إلى ستة منها بوضوح وهي:

١ـ تحسين حسن لا نظير له[٣].

٢ـ وتقبيح قبيح لا نظير له[٤].

٣ـ وتحسين حسن له نظير[٥].

٤ـ وتقبيح قبيح له نظير[٦].

٥ـ وتحسين قبيح له نظير[٧].

٦ـ وتقبيح حسن له نظير[٨].

وألمع إلى اثنين منها، هما:

٧ـ تحسين قبيح لا نظير له[٩].

٨ـ وتقبيح حسن لا نظير له[١٠].

وذلك في قوله: (وقد يقع الصدق أيضاً في تحسين القبيح؛ ووقوعه في ما هو الغاية في القبح أقلُّ من وقوعه في ما هو دون الغاية من ذلك. وكذلك حكم تقبيح الحسن، فإن الصدقَ في

---

(١) المنهاج: ٨١.
(٢) المنهاج: ٧٤ـ٧٥.
(٣) المنهاج: ٧٤.
(٤) المنهاج: ٧٤.
(٥) المنهاج: ٧٤.
(٦) المنهاج: ٧٥.
(٧) المنهاج: ٧٥.
(٨) المنهاج: ٧٥.
(٩) المنهاج: ٧٥.
(١٠) المنهاج: ٧٥.

ما هو الغاية في ذلك أقل منه في ما دونها)[١].

فيكون القسمان الملمع إليهما في هذا النص هما:

١ـ تحسين قبيح لا نظير له ـ تحسين قبيح هو الغاية في القبح.

٢ـ وتقبيح حسن لا نظير له ـ تقبيح حسن هو الغاية في الحسن.

أما أحدهما وهو: تقبيح حسن لا نظير له، فقد ورد في صفحة: ٨١ بوضوحٍ، وأما الآخر وهو: تحسين قبيح لا نظير له، فلا يستشف إلا من شيئين:

أولهما: هذا النص الذي ذكرته.

وثانيهما: اتباع القسمة المنطقية التي يأخذ بها حازم، والتي تجعل في مقابل تحسين قبيح له نظير ضرورة وجود: تحسين قبيح لا نظير له. فيكون قد سقط من هذا النص بعد قوله: وتحسين قبيح له نظير، (وتحسين قبيح لا نظير له وتقبيح حسن له نظير) ليأتي بعده قوله: وتقبيح حسن لا نظير له.

وواضح من النظر في هذا النص أنه كما يبدأ بما له نظير ثم يتبعه بما لا نظير له، وقد جاء وضعي لهذه العبارة بهذا الشكل منسجماً مع بقية النص على هذا الاعتبار. فكان وضعها هنا من المحقق بين قوسين ضرورياً لكي تتم قسمة الأنحاءِ، لوضوح سقوطها من الناسخ لما ذكرتهُ من القرائن النصية والسياقية. فهذا أفضل من الإحالة على تنوير طويل سابق تباعد ذكر الأقسام فيه مع اقتصار حازم في قسمين منها على الإلماع، مما يجعل القارىء محتاجاً لضبطها إلى صبر وأناةٍ وشدة انتباهٍ.

٧ـ النص:

(فجائز أن يغزوَ أرضَ قومٍ من الجيوش ما يصير حَزْنَهَا سهلاً وخيارها وعثاً[٢])[٣].

التعليق:

الغالب أنها (الخَبَارُ) أي ما استرخى من الأرض وتحفَّرَ[٤]، إذ لا يبدو معنى للخيار هنا. ويقصد حازم: ما يصيرها طريقاً مستقيماً ليناً، أي يصير المتحفر ليناً.

٨ ـ النص:

(وجهات التقابل أربعة: ١ـ جهة الإضافة. . ٢ـ وجهة التضاد. . ٣ـ وجهة الغنية والعدم. . ٤ـ وجهة السلب والإيجاب)[٥].

---

(١) المنهاج: ٧٥.

(٢) وعثاً: أي ليناً: ن.ل: ٢/ ٢٠١ـ٢٠٢.

(٣) المنهاج: ١٣٥.

(٤) ل. ٤/ ٢٢٨.

(٥) المنهاج: ١٣٧.

التعليق:

إن الذي يقابل العدم في كتب المنطق وفي اللغة: القنية بالقاف، وهي اسم لما يقتنى[١] وقد يعبر عنها بالملكة[٢] وكذلك وردت بالقاف: (قنية)، في سر الفصاحة[٣] ونقد الشعر[٤].

٩ـ النص:

(إنه وصف الحباب في البيت الأول بالبياض حين شبهها بالشيب)[٥].

التعليق:

الصواب: حين شبهه، لأن الضمير عائد على الحباب. وهذا النص نقله حازم عن (سر الفصاحة)[٦]، والعبارة هناك سليمة. بل إن حازماً نفسه يقول بعد ذلك: (ثم وصف الحباب في البيت الثاني بالسواد حين شبهه بتفري الليل)[٧].

١٠ـ النص:

(وقد تَكَلَّمَ الخفاجي في هذا، وأغفل التفرقة بين الأقاويل التي ترد على الأنحاء المتقدمة من جهة ما تقع فيه من المواطن والأحوال، وبَيَّنَ ما يسوغ من ذلك في حالٍ دون حالٍ وموطن دون آخر)[٨].

التعليق:

يقصد حازم أن الخفاجي تكلم فيما يوضع من المعاني وضع غيره، يشير إلى ما جاء في (سر الفصاحة) من حديث حول الصحة وأن منها ألا يوضع الجائز موضع الممتنع مع جواز وضع الممتنع موضع الجائز إذا كان ذلك على نحو من المبالغة[٩]. غير أنه يأخذ على ابن سنان عدم مراعاته للأحوال والمواطن، لأن وضع الجائز موضع الممتنع جائز عند حازم إذا كان المقصود به هزلاً أو مكابرة ومشاجرة، وهما حالان غير حال الجد التي لا يصلح فيها ذلك. فابن سنان لم يُبَيِّن ما يسوغ من ذلك في حالٍ دونَ حالٍ، بل إنه أغفل هذا التبيين. فتكون قراءة كلمة (بيْنَ) بتسكين الياء لا بتضعيفها كما فعل المحقق.

١١ـ النص:

(فأما قولُ هذيل الأشجعي:

---

(١) ن. الكفوي. الكليات: ٧٣٤.
(٢) ن. تلخيص كتاب المقولات لابن رشد: ١٣٦. وإسحاق بن حنين، كتاب المقولات. منطق أرسطو: ٦٣.
(٣) ن. ابن سنان. سر الفصاحة: ٢٣٩.
(٤) ن. قدامة. نقد الشعر. ك. ٢٠٤. وخ. ١٩٥.
(٥) المنهاج: ١٤١.
(٦) ن. ابن سنان. سر الفصاحة: ٢٤٣.
(٧) المنهاج: ١٤١.
(٨) المنهاج: ١٤٦.
(٩) ن. ابن سنان. سر الفصاحة: ٢٤٥.

فَمَا بَرِحَتْ تَرْمِي إِلَيْهِ بِطَرْفِهَا ... وَتُومِضُ أَحْيَاناً إِذَا خَصْمُهَا غَفَلْ

فيحتمل أن يكون من القسمة المتداخلة لأن الإيماء بالطرف والإيماض به سواء)(1).

التعليق:

إن قولَهُ: لأن الإيما بالطرف.. يدل على أنه قد روى البيتَ بعبارة: (تُومِي) في مكان (تَرْمِي) التي أثبتها المحقق. وقد نقل حازم شواهد المعرف الذي ورد فيه هذا البيت كلها عن (سر الفصاحة) إلا شاهداً واحداً لابن الرومي. وقد ورد البيت عند ابن سنان بلفظة (تومي) وكذلك ورد في (نقد الشعر) أول كتاب أورد هذا البيت شاهداً على فساد القسمة بسبب التكرير، وكذلك فعل من نقل عنه كالمرزباني في (الموشح)(2).

١٢ـ النص:

(فَمِمَّا يُمَكِّنُ المعاني: أن تُوضَع مواضعَها اللائقة بها المهيَّأة، وألاَّ توضع موضعاً غيرُها من المعاني أولى به، وإن كان للمعنى الموضوعِ أيضاً موقع من ذلك الموضع لأنه مُقَصِّرٌ عن موقع غيره من المعاني فيه)(3).

التعليق:

لا يمكن أن يكون للمعنى الموضوع موقعٌ من الموضع الذي غَيْرُهُ من المعاني أليق به بسبب تقصيره عن موقع غيره من المعاني فيه، وإنما يقصد حازم أن له موقعاً إلا أنه بالنسبة إلى موقع غيره من المعاني فيه يُعَدُّ موقعاً فيه تقصير. ومثال ذلك بيتا المتنبي:

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأنك في جفن الردى وهو نائمُ

تمر بك الأبطالُ كلمى هزيمةً ... ووجهكَ وضَّاحٌ وثغركَ باسمُ

على رأي من رأى أن الشطر الثاني من البيت الأول مناسب للشطر الأول من البيت الثاني، والشطر الثاني من البيت الثاني مناسب للشطر الأول من البيت الأول. فيكون المعنى الوارد في الشطرين الأخيرين من البيتين. على هذا الرأي. ذا موقع ولكنه موقع فيه تقصير، والموقع الذي لا تقصير فيه هو أن يكون (آخر البيت الأول آخراً للبيت الثاني وآخر البيت الثاني آخراً للبيت الأول). فتكون العبارة على هذا هي: (إلا أنه مُقَصِّرٌ عن موقع غيره من المعاني فيه)، لا كما وردت في المنهاج أي: (لأنه مُقصر عن موقع غيره..).

١٣ـ النص:

(كتاركة بيضها بالعرا ... ومُلبسةٍ بيضَ أخرى جناحا)(4)

(1) المنهاج: ١٥٧.

(2) ن. قدامة. نقد الشعر. ك: ١٩٩. وابن سنان. سر الفصاحة: ٢٣٧. والمرزباني. الموشح: ١١٠.

(3) المنهاج: ١٥٨.

(4) المنهاج: ١٥٨.

التعليق:

تتفق كل المصادر التي رجعنا إليها على أن رواية البيت هي: بالعراء، بهمزة في آخر الكلمة وليست بالقصر كما وردت في المنهاج[١]. فتكون الرواية على هذا: بالعراءِ، على اعتبار وجود القبض في العروضة وهذا ممكن، كما في المثال الذي يذكره العروضيون:

أفـــاد، فجـــاد، وســـاد، فـــزادَ وقـــاد، فـــذاد، وعـــاد، فـــأفْضَـــلْ[٢]

والدليل على صحة هذا القول أن البيت الذي قبله ورد مقبوض العروضة كذلك في قوله:

وإني وتركي ندى الأكرمين..

١٤ـ النص:

(.. وَجُودُ كعب على النمري بالجُرَعِ التي آثرهُ بها على نفسه حتى مات عطشاً في المكان الذي كانا فيه أعظمُ أثراً في الكرم من وجودِ غيره بكل حظ جليلٍ لا تعود به السماحة عليه بمثل ما عادت على كعب)[٣].

التعليق:

هي: أعظم أثراً في الكرم من جود غيره.

١٥ـ النص:

(يحدث من تركيب.. العقل والعفة التنزُّهُ والرغبة عن المساوي والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك)[٤].

التعليق:

هي الرغبة عن المسألة لا المساوي، لأن الرغبة عن المسألة من عفة النفس، فهي التي تتركب من فضيلة العقل وفضيلة العفة. وكذلك هي في (نقد الشعر)[٥] وفي الكتب التي نقلت عن (نقد الشعر) ومنها (العمدة)[٦] التي ينقل عنها حازم هذا النص.

١٦ـ النص:

(وجميع تلك الأفعال ونقائِصها إنما تعد فضائل أو رذائل فيُستوجَبُ عليها الثناء المطلق أو الذم المطلق..)[٧].

---

(١) ن. في ذلك مثلاً: ابن سنان. سر الفصاحة: ٢٥٥. والعسكري. الصناعتين: ١٦٣. وابن طباطبا. عيار الشعر: ١٢٥. والمرزباني. الموشح: ٣٠٠ـ٣٠١.

(٢) ن. الواقي للتبريزي: ١٩١.

(٣) المنهاج: ١٦٣.

(٤) المنهاج: ١٦٦ـ١٦٧.

(٥) قدامة. نقد الشعر. ك: ٦٨.

(٦) ابن رشيق. العمدة: ٢/ ٧٧٩.

(٧) المنهاج: ١٦٧.

التعليق:

الرذائل نقائض الفضائل وليست نقائض لها، فالعبارة، إذن، هي: ونقائضها، بالضاد المعجمة لا بالصاد.

١٧ـ النص:

(السابعة: القوة على التحيل في تسيير تلك العبارات متزنة وبناء مباديها على نهاياتها ونهاياتها على مباديها)[١].

التعليق:

الواضح أنها: في تصيير تلك العبارات، بالصاد. وذلك كما قال: (ثم يشرع في نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منتثرة فيصيرها موزونة)[٢].

١٨ـ النص:

(.. وإما أن يترك التصريع ويفتتح بعمدة غرضه كيفما حضرته العبارة ولو واقعاً في أولها الخزم. وبهذا المذهب كان الفرزدق يكمل نحو قوله:

منـا الـذي اختبـر الـرجـالَ سمـاحـةً ... وجـوداً إذا هَـبَّ الـريـاحُ الـزعـازعُ)[٣]

التعليق:

١ـ كتب المحققُ (اخْتُبَرَ) بالباء وضبط اللفظة كلها بالشكل، والبيت بهذا الشكل غير مستقيم عروضياً، إذ يصبح الشطر الأول منه على بحر الكامل في قصيدة من الطويل، أو تصبح (مفاعيلن) فيه (مفاعلتن) وهو ما لا يوجد في العروض كله، إذ ليس في العروض العربي تحريك ساكن. والصحيح أنها اختير بالياء، كما في ديوان الفرزدق[٤] وكما في الكتاب لسيبويه[٥] وكما في خزانة الأدب[٦]. أراد: اختير من الرجال، فحذف الجار وعدَّى الفعل. عنى أباه غالباً.

٢ـ وأثبت المحقق: ولو واقعاً في أولها الخزم (بالزاي)، والبيت يدل على أن حازماً يقصد الخرم (بالراء) لا الخزم. لأن الذي في أول هذا البيت بهذه الرواية (خرم)، وقد ورد غير مخروم أي موفوراً في الخزانة، وذلك بإضافة الواو في أوله[٧].

ولعل قول حازم (يكمل) أوهم المحقق أنه يقصد (الخزم) وإنما يقصد حازم (إكمال البناء)

---

(١) المنهاج: ٢٠٠.

(٢) المنهاج: ٢٠٤.

(٣) المنهاج: ٢٠٧.

(٤) ديوان الفرزدق: ١/ ٤١٨. (دار صادر. بيروت). وديوان الفرزدق: ٣٦٠. (دار الكتب العلمية). وشرح ديوان الفرزدق: ٢/ ٧١. (دار الكتاب اللبناني).

(٥) كتاب سيبويه: ١/ ٣٩.

(٦) البغدادي. خزانة الأدب: ٣/ ٦٧٢. و٣/ ٦٦٩.

(٧) ن. المصدر نفسه: ٣/ ٦٧٢.

بعد أن يكون الشاعر قد بنى القصيدة على ما تكاثر من المقاطع، لا على المطلع، فالمطلع حينها إكمالٌ.

١٩ـ النص:

(فهذا ينبغي ألا يلتفت إلى ما وضعه أو غيَّره العروضيون أو الرواة من الأبيات التي تدفعها المقاييس البلاغية والقوانين الموسيقية والأذواق الصحيحة في هذا الوزن وغيره، نحو ما غيَّروه من قول القائل:

جـــــــانـــــا مبشـــــرنـــــا بـــــالبيـــــانِ والنـــــذرِ

فصيروه بتحريفهم وجهلهم بما يضمحلُّ في أصول وضع الأوزان إلى هذا التغيير الفاسد وهو:

أتـــــانـــــا مبشـــــرنـــــا بـــــالبيـــــانِ والنـــــذرِ)[1]

التعليق:

الصواب أن تقرأ (جانا) في البيت: جاءنا، إذ هي بهذا الشكل الذي وردت عليه في (المنهاج) لا تستقيم على بحر المقتضب وتخرج بهذا الشطر إلى إيقاع البسيط (مستفعلن فعِلن). وإنما الدليل عنده في قوله: جاءنا، أي فاعلن عند حازم. فيكون إيقاع البيت هو: فاعلن مفاعلتن أو فاعلات مفتع لن بحسب تجزئة العروضيين لمثل هذا البيت. ويكون الفساد في قولهم:

أتـــــانـــــا مبشـــــرنـــــا بـــــالبيـــــان والنـــــذرِ

ناشئاً عن وجود (فعولات) أو (مفاعيل) في الشطر الأول و(فاعلات) في الشطر الثاني، مع تخالفهما. لذلك فهو ينكر وجود (فعولات) في (المقتضب).

٢٠ـ النص:

(.. فمن ذلك اقترانُ السببين الثقيل والخفيف والوتد المجموع والمضاعف في الضرب السادس من الكامل. وهو الذي آخر أجزائه متفاعلان، واقتران الوتد المجموع والسبب الخفيف والسبب المتوالي في الرمل في الضربِ الذي آخر أجزائه فاعليَّانْ)[2].

التعليق:

هذه العبارة الأخيرة لا تصدق على (فاعليَّان) إلا بتغيير ترتيبها ليصبح: اقتران السبب الخفيف والوتد المجموع والسبب المتوالي. وذلك فيه نظر لأن حازماً حريص على وصف مؤلفات الجزء وهي الأسباب والأوتاد على حسب ورودها، كما راعى ذلك في وصف مؤلفات (متفاعلان). فإذا راعينا الترتيب في الوصفِ ووُجهنا بأنه ترتيب لا تقبله قواعد حازم، إذ هو يرى

---

(١) المنهاج: ٢٣٥.

(٢) المنهاج: ٢٤٠.

أن أجزاء عروض الشعر كلها إنما ينبت على توالي الشبيهين، إما بأن يتقدم السببان ويتأخر الوتد أو بأن يتقدم السبب ويتأخر الوتدان[١]. وليس في قواعده: توسط الوتد بين سببين. لذلك أرى رجحان أن يكون حازم قد قال: اقتران الوتد المفروق والسبب الخفيف والسبب المتوالي. فهذا هو الذي يصدق على (فاعليّان) ويراعى فيه الترتيب وينسجم مع قواعد حازم.

٢١ـ النص:

(ويشعثون الفاصلة التي في الجزء الأوّلِ فيصير مستفعلتن إلى مفعولاتن، نحو قوله:

شوقي شوقي به ووجدي وجدي)[٢].

التعليق:

المشار إليه هنا وزن الدبيتي كما يقدر حازم شطره، والتشعيث هو حذف أول أو ثاني الوتد المجموع أي ما سقط أحد متحركي وتده، فتتحول مستفعلتن إلى: مستفعلن لا إلى مفعولاتن كما ذكر. فيكون الصحيح أنه قال: ويسكنون الفاصلة التي في الجزء الأول. فبذلك تتحول: مستفعلتن إلى مفعولاتن، ويرجح هذا تقارب حروف يسكنون ويشعثون مما يجعل الخطأ في القراءة وارداً.

٢٢ـ النص:

(فأما الوزن الذي سموه المضارع، فما أرى أن شيئاً من الاختلاق على العرب أحقُّ بالتكذيب والردّ منه، لأن طباع العرب كانت أفضل من أن يكون هذا الوزن من نتاجها. وما أراه أنتجه إلا شعبة بن برسام خطرت على فكر من وضعه قياساً. فياليته لم يضعه ولم يدنس أوزان العرب بذكره معها، فإنه أسخف وزن سمع، فلا سبيل إلى قبوله ولا العمل عليه أصلاً)[٣].

قال المحقق في الهامش مشيراً إلى قوله: خطرت: (كذا بالأصل، والتقدير صورته، أي صورة الوزن).

التعليق:

من الدارسين من نقل النص كما هو في المنهاج وأضاف إليه ما وضعه المحققُ في الهامش وهي كلمة (صورته)، دون أن يشير إلى ذلك موهماً القارىء أن هذه الكلمة من وضع حازم. وهو الدكتور أحمد فوزي الهيب في (الجانب العروضي عند حازم القرطاجني)[٤]، ومنهم من غير كلام حازم بكلام من عنده فقال: (وعندي أن في كلام حازم السابق تصحيفاً لعل صوابه أن يكون هكذا: «وما أراه أنتجه إلا عِلَّةُ برسامٍ، خطرت على فكر من وضعه قياساً»[٥]. ثم شرح البرسام

---

(١) ن. المنهاج: ٢٣١.

(٢) ن. المنهاج: ٢٤٢.

(٣) المنهاج: ٢٤٣.

(٤) أحمد فوزي الهيب. الجانب العروضي عند حازم القرطاجني: ٢٤.

(٥) محمد العلمي، العروض والقافية: دراسة في التأسيس والاستدراك: ٢٨٢.

بالجدري، وأتبعه بقوله: «فكأن حازماً، وهو يجعل طباعَ العرب أفضل من أن يكونَ هذا الوزن من نتاجها، لأنه أسخف وزنٍ سُمع، يجعل علة الجدري تصيب فكر من وضَعَهُ، وتكون نتيجةُ ذلك هذا الوزن السخيفَ عنده»[١]. وهذا شرح بعيد لكلام أعيدت صياغته دون مسوغ.

والأمر أقرب من هذا كله إذا أدركنا أن المحقق قرأ الميم باءً في قول حازم: شعبةٌ من برسام، فتصور العبارة: شعبة بن برسام، ثم ظن شعبة بن برسام شخصاً هو الذي اختلق المضارع، فأثبته في فهرس الأعلام[٢]. فالعبارة إذن هي: (وما أراه أنتجه إلا شعبةٌ من برسامٍ خطرت على فكر من وضعه قياساً). والذي وضع المضارع هو الخليل، ولكنَّ حازماً تأدب بعدم ذكره. وقد وضعه مع أن العروضيين على أنه لم يسمع من العرب، ولم يجيء فيه شعر معروف[٣]. فضمه إلى غيره من الأوزان. لذلك نرى حازماً يقول: (فياليته لم يضعه ولم يدنس أوزان العرب بذكره معها). ووضعه له في نظر حازم كان على سبيل القياس فكأنه قاس المضارع على المجتث، لأنه إنما سمي المضارع لأنه ضارع المجتث، ولكنه قياسٌ غير صحيح، وقد يوقع الغلط في القياس في كثير من المذاهب الفاسدة. قال حازم في مكان آخر من كتابه: (وعلى هذا النحو وقع كثيرٌ من المذاهب الفاسدةِ في كلام العرب لأن أرداف الفصاحةِ منهم إذا رأوا لصدورهم استعمالاً مَّا في شيء قاسوا على ذلك ما يرون أنه مماثل لذلك الشيء، وقد تكون بينهما مفارقة من وجه أو أوجه فيغلطون في القياس..)[٤]. ولأن هذا القياس فاسدٌ اعتبره حازم ناتجاً عن ضرب من التخليط، إذ يقال: برسم إذا خلط في مرضه. فيكون معنى العبارة، إذن، (وما أراه أنتجه إلا شعبة من التخليط والهذيان خطرت، أي هذه الشعبة، على فكر من وضع هذا البحر وهو المضارع قياساً على غيره) ومثل هذه العبارة كثير متداول، فمنه على سبيل المثال لا الحصر، قول المتنبي:

إنَّ بَعْضاً مِنَ القَريضِ هُذَاءٌ ... ليس شيئاً وبعضَه أحكامُ

منه ما يجلبُ البراعةُ والفضلُ ومنه ما يجلبُ البِرْسَامُ[٥]

أي: ومنه ما يجلبه البرسامُ أي ما يكون عن مرضٍ وهذيانٍ.

ومنه أيضاً قول الآمدي عن بعض شعر أبي تمام: (فإن هذا من كلام المبرسَمِين)[٦]. ومثل ذلك بعض ما جاء في الذخيرة مما قاله ابن أرقم في رده على ابن سيده إذ قال: (في هذا البرسام

---

(١) المرجع نفسه: ٢٨٢.
(٢) المنهاج: ٤٢٦.
(٣) ن. الواقي للتبريزي، مثلاً: ١٦٣. وعروض الورقة للجوهري: ٦١. والعمدة لابن رشيق: ٢/ ١٠٧٥.
(٤) المنهاج: ١٨٠.
(٥) ديوان المتنبي: ٤/ ٢٢٥ـ٢٢٦. ون. ابن الأثير. المثل السائر: ١/ ١٩٩.
(٦) الآمدي. الموازنة: ١/ ٢٨٦.

غريبتان. .)[١].

وعلى أية حال فهذا تعبير لا يمكن حصره لفشوه وكثرة تداوله، على أنه يمكن ذكر عبارة لابن سنان هي من أقرب العبارات إلى عبارة حازم، حتى لتكاد تكون هي نفسها. وهي قوله عن بيت لمسلم بن الوليد: . .(لكني إخال خطرةً من الوسواس أو شعبة من البرسام عرضت له وقت نظم هذا البيت، فليته لما عاد إلى صحة مزاجه وسلامة طباعه جحده فلم يعترف به)[٢]. ولا يخفى ولوع حازم بابن سنان، فلا يبعد أن يكون قد تمثل عبارته وبنى عليها هذا التركيب الذي يعقبه تمنٍّ.

٢٣ـ النص:

(وقد يقع نُقلة الترقي المضادة لهذا الوضع في المضارعاتِ أيضاً تناسب في الوضع وحُسن مسموع)[٣].

التعليق:

الصواب أن تكون العبارة: وقد يقع لِنُقْلَةِ الترقي. . تناسبٌ في الوضعِ. فالفاعل هو تناسب لا نُقلة.

٢٤ـ النص:

(ومتى أمكن أن يهيء الشيء الذي يجعل تذكرةً لشيءٍ آخر ويقصدُ به تمثيله في الأفكار بهيأة تشبه هيأة ذلك الشيء المقصود تذكرة من وجوه كثيرة يتسق بها الشبه كان أنجع في التحريك إليه والانصباب في شُعب الولوع به)[٤].

التعليق:

الواضح أن العبارة هي: . .تَذَكُّرُهُ من وجوه كثيرة. .

٢٥ـ النص:

(واعلم أن السواكنَ التي تفصل بين قطرين أصليين لا يجوز حذفهما وإن كانت من أسباب)[٥].

التعليق:

يقصد حازم أنه لا يجوز حذف السواكن التي ذكر حالتها لا القطرين. وبذلك فإن العبارة هي: لا يجوز حذفها.

---

(١) ابن بسام. الذخيرة: ٥/ ٣٩٠.

(٢) ابن سنان. سر الفصاحة: ١٠٤ـ١٠٥.

(٣) المنهاج: ٢٤٧.

(٤) المنهاج: ٢٥٠.

(٥) المنهاج: ٢٥٨.

٢٦ـ النص:

(.. أي متوالٍ فيه أربع سواكن)[١].

التعليق:

الصواب: ..فيه أربعة سواكن، لأن الساكن يُذَكَّر، وهي صحيحة في كل الكتاب إلا هنا[٢].

٢٧ـ النص:

(فالتأليف من المتناسبات له حلاوة في المسموع، وما ائتلف من غير المتناسبات والتماثلات فغير مستحلى ولا مستطاب. ويجب أن يقال في ما ائتلف على ذلك النحو شِعْرٌ، وإن كان له نظام محفوظ لأنا نشترط في نظام الشعر أن يكون مستطاباً)[٣].

التعليق:

من الواضح أنها: ولا يجب أن يقال.. إلخ.

٢٨ـ النص:

(قال بعض العرب لبنيه: «اطلبوا الرماحَ فإنَّها قرون الخيل..)[٤].

التعليق:

صحح هذه العبارة د. محمد ابن شريفة[٥] فجعلها: أطيلوا الرماح، ثم قال: ولعل الصواب ما أثبتنا.

وهو كما ذكر، إذ أنها هكذا وردت في وصية حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري[٦].

وأيضاً فقد وضع المحقق القوسَ الدال على انتهاء كلام حصن بن حذيفة بعد كلام لم يقله حصن وإنما هو من شرح حازم. فجاء الكلام على هذا الشكل: (قال بعض العرب لبنيه: «اطلبوا الرماحَ فإنها قرون الخيل وأجيدوا القوافي فإنها حوافر الشعر. أي عليها جريانه واطراده، وهي مواقفه. فإن صحت استقامت جَرِيَّتُهُ وحسنت مواقفه ونهاياته»)[٧].

وواضح أن القوس إنما يجب أن يوضع بعد قوله: حوافر الشعر، لأن ما بعد ذلك هو من كلام حازم.

---

(١) المنهاج: ٢٥٨.

(٢) ن. المنهاج: ٢٦٠، مثلاً.

(٣) المنهاج: ٢٦٧.

(٤) المنهاج: ٢٧١.

(٥) التنبيهات: ١١.

(٦) ن. جمهرة خطب العرب: ١/١٢٩.

(٧) المنهاج: ٢٧١.

٢٩ـ النص:

(فأما إذا كانت الواو مضموماً ما قبلها والياء مكسوراً ما قبلها فلا يرد معهما ما ليس فيه حرفُ علةٍ للطولِ الذي فيهما؛ إذا كانت حركة ما قبل كليهما من جنسه)[١].

التعليق:

إن حركة ما قبل كليهما من جنسه. لذلك فإن الصواب أن تكون العبارة هي: إذْ كانت حركة.. إلخ أي لهذه العلة كان الطول فيهما. فإذ هنا للتعليل.

٣٠ـ النص:

(.. وكثيراً ما تَتْبَعُ معانيَ من شأنُه هذا ألفاظُهُ في القوافي، وذلك عيب)[٢].

التعليق:

العيبُ هو أن يتبع المعنى اللفظَ، وأما أن يتبع اللفظُ المعنى، فهو مطلوب[٣]. وهذا يدل على أن ضبط المحقق لمعاني بالفتح ولألفاظه بالضم غير صحيح، والصواب هو فتح ألفاظ ونزع الفتح عن معاني، فتكون العبارة هي: (وكثيراً ما تتبع معاني من شأنه هذا ألفاظَهُ في القوافي..).

٣١ـ النص:

(معلم دالٌّ على طرق العلم بما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من قال: هي أوائل البيوت وأواخرها)[٤].

التعليق:

الواقعُ أنَّ أكْبَرَ عنايةِ حازم انصرفت إلى البحث في موضوعِ المطالع والمقاطع على رأي من يقول هي استهلالاتُ القصائد وأواخرها. أما الرأيُ الذي ذكرهُ في تصدير المعلم فلم يخصه إلا بتنويرٍ واحدٍ هو التنوير الثامن آخر المعلم[٥]. لذلك يُرَجَّح أن يكون قد سقط من هذه العباراتِ جزءٌ أقدِّرُ أن يكون هو: (وعلى رأي من قالَ هي استهلالاتُ القصائد وأواخرها).

ويدل على ذلك أن العبارة التي جاءت في المنهاج بعد قوله: (هي أوائل البيوت وأواخرها)[٦]. هي: (فأما ما يجب في المطالع على رأي من يجعلها استهلالاتِ القصائد.. إلخ)[٧]، وهي عبارة لا علاقة لها بالأولى، ولكنها ذات علاقة بالكلام الذي قدرتُ سقوطَهُ.

---

(١) المنهاج: ٢٧٣.
(٢) المنهاج: ٢٨١.
(٣) ن. مثلاً. المنهاج: ٢٨٢. إضاءة: ١.
(٤) المنهاج: ٢٨٢.
(٥) ن. المنهاج: ٢٨٦.
(٦) المنهاج: ٢٨٢.
(٧) المنهاج: ٢٨٢.

٣٢ـ النص:

(فإن للتصريع في أوائل القصائدِ طلاوةً وموقعاً من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبةٍ تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب وتماثل مقطعها لا تحصل لها دون ذلك)[١].

التعليق:

ليس للقافية أكثر من مقطع واحدٍ لا يمكن أن يماثل نفسه. وإنما الضمير هنا عائد إلى العروض والضرب لا إلى القافية، فتكون العبارة هي: مقطعهما لا مقطعها. فبتماثل مقطعي العروض والضرب يحصل التناسب في القافية.

٣٣ـ النص:

(.. فكما أنَّ الحروفَ إذا حسنت حسنت الفصولُ المؤلفة منها إذا رُتِّبت على ما يجب وَوُضِعَ بعضها من بعضٍ على ما ينبغي كما أنَّ ذلك في الكلم المفردةِ كذلك. وكذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسانِ إذا كان تأليفها منها على ما يجب)[٢].

التعليق:

الصحيح أن تكون العبارة هي: فكما أن الأبياتَ إذا حسنت إلخ. بثلاثِ قرائن هي:

أولاً: إن الذي يؤلف الفصولَ هي الأبيات لا الحروف، وإنما تؤلف الحروفُ الكلمة لا الفصولَ.

ثانياً: إن الذي يشرح قوله: كما أن ذلك في الكلم المفردةِ كذلك هو أن تكون العبارة كما قلتُه لا كما جاء في المنهاج. لأن الكلم المفردة عنده هي التي تناظر الفصول، فبها يقع التشبيه وتتمّ المناظرة. فيكون المعنى: إنها تحسن كالفصولِ إذا حسنت الحروف المؤلفة لها ورتبت على ما يجب ووضع بعضها من بعضٍ على ما ينبغي.

ثالثاً: لأن قوله: فكما أن الأبياتَ.. إلخ. هو ما يقابل على الترتيبِ العبارة التي تليه وهي: وكذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسانِ كما يحسن ائتلافُ الكلامِ من الألفاظ الحسان.

فقد ابتدأ أولاً بما يتعلق بالشعر المنظوم ثم قابله ثانياً بما يتعلق بالكلام المؤلف، فينبغي أن يكون ترتيب العبارتين واحداً.

٣٤ـ النص:

(فأما القانون الثاني وهو ترتيبُ بعض الفصولِ إلى بعضٍ، فيجب أن يُقدَّم من الفصولِ ما

---

(١) المنهاج: ٢٨٣.

(٢) المنهاج: ٢٨٧.

يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام.. ويتلوه الأهم فالأهم إلى أن تَتَصَوَّرَ التفاتة ونسبة بين فصلين تدعو إلى تقديم غير الأهم على الأهم. فهناك يُترك القانون الأصلي في الترتيب)[١].

التعليق:

هذه الالتفاتة لا تُتَصَوَّرُ في كل الأحوال، لذلك يُرجح أن يكون حازم قد قال: (إلا أن تتصور.. إلخ) أي باستثناءِ ذلك.

٣٥ـ النص:

(معرف دالٌ على طرق المعرفةِ بما يجب اعتماده في الفصولِ من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح[٢] أقناص المعاني ومعاضدة التخييل فيهما بالإقناع)[٣].

التعليق:

١ـ تُجمع (القانص) على قُنّاصٍ، ورأى ابن جني أنها تجمع على قَنِيصٍ أيضاً. وتجمع (القانصة) على القوانص. وأما (أقناص) فليست جمعاً لأحدهما[٤]. والذي أراه أنها: مسانح اقتناص المعاني، بدليل أنها كذلك وردت في مكان آخر من الكتاب، حيث قال: (.. فمثل هذه الجهات يعتمد وصف ما تعلق بها من الأحوال التي لها عُلقة بالأغراض الإنسانية، فتكون مسانح لاقتناص المعاني بملاحظة الخواطر ما يتعلق بجهة جهة من ذلك)[٥].

٢ـ وأيضاً فإن الراجح أن تكون بقية العبارة هي: ومعاضدة التخييل فيها، أي الفصول. وذلك ما يبينه في الإضاءة الثالثة من هذا المعرف[٦].

٣٦ـ النص:

(لما وجدوا النفوس تسأم التمادي على حال واحدة.. وتسكن إلى الشيء، وإن كان متناهياً في الكثرة، إذا... احتيل في ما يستجد نشاط النفس لقبوله من تنويعه والافتنان، في أنحاء الاعتماد، به اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام فيها إلى فصول)[٧].

التعليق:

يقصد حازم: الافتنان به في أنحاء الاعتماد، لذلك وضعتُ: في أنحاء الاعتماد، بين فاصلتين، وهو ما لم يفعله المحقق. وحديثه عن الافتنان والتنويع لا عن الافتنان. وقد وردت

---

(١) المنهاج: ٢٨٩.
(٢) أي معارض.
(٣) المنهاج: ٢٩٢.
(٤) ن. ل. ٧/ ٨٣.
(٥) المنهاج: ٧٧.
(٦) ن. المنهاج: ٢٩٣.
(٧) المنهاج: ٢٩٦.

هذه الكلمة على وجهها الصحيح في مكان آخر من نفس الصفحة، لذلك لا يبعد أن يكون هذا الخطأ هنا من أخطاء الطباعة.

٣٧ـ النص:

(وأحسن ما ابتدىء به من أحوال المحِبّيْنِ ما كان مؤلماً من جهة ملذاً من أخرى.. ثم يتدرَّجُ من ذلك إلى ذكر ما يؤلم من بعض الأحوالِ التي لها علقة بهما معاً، ثم إلى ذكر ما يؤلم ويلذ من الأحوال التي لها بهما أيضاً علقة)[١].

التعليق:

الصواب أن تكون العبارة هي: (.. إلى ذكر ما يلذ من الأحوال..) لأنه إذا كانت العبارة كما نقلها المحقق، لكان ذلك يعني أن على الشاعر أن يبتدأ بالأحوال الشاجية ثم يتدرج إلى ذكر الأحوال المؤلمة ثم إلى ذكر الأحوال الشاجية مرة أخرى. وهذا غير ممكن لعدة اسباب:

١ـ منها: أن حازماً يرى أن إيراد هذه الأحوال قائم على ضرب من المقابلة بين ما يسر وما يُحزن[٢]. وليس بين الأحوال الشاجية والأحوال المؤلمة مقابلة.

٢ـ ومنها: أنه عندما ذكر الأحوال التي ترجع إلى المحب والمحبوب معاً، نص على استحسان إرداف ما يشجو وقوعه بما يسر وقوعه.

٣ـ ومنها: أنه ليس في هذه الأحوال ذكر ما يلذ، مع أنه يوجد في أحوال المحِبَّيْنِ ما يلذ. وهذا أمر لا يمكن أن يغفله حازم.

٤ـ ومنها أن في هذه العبارة تكرارٌ وعودة إلى ما ابتدأ به. إذ لا يمكن للشاعر أن يعود إلى ذكر الطرق الشاجية بعد فراغه منها.

٥ـ ومنها: أن هذه العبارة لا تخصص لما يلذ مكاناً، كما خصصت لما يؤلم مكاناً.

٦ـ ومنها: أن حازماً حريص على تنويع ذكر الأحوال، لأنه يعتبر التنويع قيمة رئيسة في الشعر، وهذه العبارة التي تغفل ذكر ما يلذ وقوعه تنقص من كمال التنويع.

٧ـ ومنها: أن حازماً عندما يتحدث عن التدرج في ذكر الأحوال إنما يستلهم ما قاله ابن سينا في كتاب الشعر من الشفاء. وإنما تحدث ابن سينا عن الانتقال من حالة غير جميلة إلى حالة جميلة بالتدريج[٣]، وهو ما يناسبه الانتقال مما يؤلم إلى ما يلذ، وليس الانتقال مما يؤلم إلى ما يؤلم ويلذ في الوقت نفسه.

٣٨ـ النص:

(فِـرَاقٌ وَمَـنْ فَـارَقْـتُ غَيْـرُ مُـذَمَّـمِ ... وَأَمٌّ وَمَـنْ يَمَّمْـتُ غَيْـرُ مُيَمَّـمِ)[٤]

---

(١) المنهاج: ٣٠٤.
(٢) ن. المنهاج: ٣٠٤.
(٣) ن. ابن سينا. فن الشعر. بدوي: ١٧٩.
(٤) المنهاج: ٣٠٧.

التعليق:

الصواب: خَيْرُ مُيَمَّمٍ. فإن المتنبي لم يرد ذم كافور، وإنما أراد الجمع بين مدحه وقد قصده وبين مدح سيف الدولة وقد فارقه[١].

٣٩ـ النص:

(أيها البرقُ بِتْ بِأَعْلَى البُرَاق واغْدُ فيها بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ)[٢]

التعليق:

هذا البيت لأبي تمام، وإنما هو البِرَاق بالكسر (جمع بُرْقة، مثل بُرْمَة وبِرَام، وهي الأرض ذات الطين والحصى تكون ذات ألوان مختلفة)[٣]. وليس البُراق بالضم[٤].

٤٠ـ النص:

(فهذه مذاهب الحذَّاق المطبوعين: تحسين هيآت القصائد وتحصين مبانيها قد أبنتها، فمن سلك ذلك السبيل وذهب ذلك المذهب فقد سرى على سواء المنهج من هذه الصناعة، إن شاء الله)[٥].

التعليق:

سرى إذا سرا ليلاً[٦]. وأظنها (سار)، إذ لا موجب لهذا التخصيص.

٤١ـ النص:

(.. وكثيراً ما كانوا يتسلسلون فيه في ذكر المواضع نحو قول امرىء القيس:

فَغَوْلٍ، فَحِلِّيتٍ، فَنَفْيٍ فمَنْعِجٍ[٧] إلى عاقِلٍ[٨]، فَالْجُبِّ ذِي الأَمَرَاتِ[٩])[١٠]

التعليق:

الصواب: فَنَفْءٍ، بالهمزة[١١]. وكذلك ذكر المحقق في هامش نفس الصفحة أن طالع القصيدة التي منها هذا البيت هو:

---

(١) ون. ديوان المتنبي ٤/ ٢٦٣. ويوسف البديعي. الصبح المنبي: ٤٥٧. وابن الأثير. المثل السائر: ٣/ ١٠٥.

(٢) المنهاج: ٣٠٨.

(٣) الآمدي. الموازنة: ١/ ٤٦٤. ون. ديوان أبي تمام: ٢/ ٤٤٧.

(٤) ومن الذين أخطأوا في ضبط هذه الكلمة أيضاً محقق حلية المحاضرة: ١/ ٢٠٩.

(٥) المنهاج: ٣٠٩.

(٦) ن.ل.١٤/ ٣٨١.

(٧) هذه كلها مواضع.

(٨) عاقل: جبل.

(٩) الأَمَرَات، واحدها أَمَرَة، وهي الجبيل الصغير.

(١٠) المنهاج: ٣١٠.

(١١) ن. ديوان امرىء القيس: ٧٨.

غَشِيتُ دِيارَ الحيِّ بالبَكَراتِ[١] فَعارِمَةٍ فَبُرْقَةٍ[٢] العِيَاراتِ

والصواب أنها: العِيَرَات، أي مواضع الأعيار وهي حمر الوحش.

٤٢ـ النص:

(ومثله قول حسان:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوتِ منجى الحرث بن هشام)[٣]

التعليق:

هو الحارث بن هشام[٤] وليس الحرث بن هشام.

٤٣ـ النص:

(فأما من لا يقوى من الشعراء على أكثر من أن يجمع خاطره في وصف شيء بعينه.. ثم يرتب تلك المعاني على الوجه الأحسن فيها ويلاحظ تشكلها في عبارات منتشرة.. ثم ينظم تلك العبارات المنتشرة.. فهذا لا يقال فيه بعيد المرامي في الشعر)[٥].

التعليق:

الأقرب أن يكون حازم قد قال: في عبارات منثرة، بالثاء. لأن هذا ما يلائم حديثه عن نظمها بعد ذلك، ويلائم حديثه عن القوى الفكرية العشر، إذ تحدث عن القوة على التحيل في تصيير العبارات متزنة، وهي القوة السابعة من هذه القوى[٦]، ويلائم قوله في المنهاج: (..ثم يشرع في نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منثرة فيصيرها موزونة..)[٧].

٤٤ـ النص:

(فأما طريق معرفة القسمة الصحيحة التي للشعر من جهة أغراضه فهو أنَّ الأقاويل الشعرية لمَّا كان القصد بها استجلابَ المنافعِ واستدفاعَ المضارِّ ببسطها النفوسَ إلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بما يخيل لها فيه من خير أو شر.. سمي القول في الظفر والنجاة تهنئةً..)[٨].

التعليق:

الأقرب أن تكون العبارة: وقبضها عما لا يراد..

(١) جُبَيْلات بطريق مكة.

(٢) أرض فيها حجارة ورمل.

(٣) المنهاج: ٣١٦.

(٤) ن. السجلماسي. المنزع البديع: ٤٦٢. والعسكري. الصناعتين: ٤٤٨. والبغدادي. قانون البلاغة: ١١٤. وابن المعتز. البديع: ٦١. والحاتمي. الحلية: ١/٢١٦ـ٢١٧. وبديع أسامة: ٧٦. وابن أبي الإصبع. تحرير التحبير: ١٣٠ـ١٣١.

(٥) المنهاج: ٣٢٤.

(٦) ن. المنهاج: ٢٠٠.

(٧) المنهاج: ٢٠٤.

(٨) المنهاج: ٣٣٧.

٤٥- النص:

(فأما الأمور التي لم تحصل مما شأنه أن يطلب أو يُهرب عنه فلا يخلو من أن يكون المتكلم هو الطالبَ لها أو الهاربَ منها من تلقاء السامع، و يكونَ السامع هو الطالبَ لها أو الهاربَ عنها من تلقاء المتكلم. فما كان من المتكلم إلى السامع مما شأنه أن يطلب يُسَمَّى إذا لم يعلم رأيه فيه غرضاً، وما كان من تلقاء السامع إلى المتكلم وكان طلباً جزماً سمي اقتضاءً، فإن كان بتلطف سمي استعطافاً، وإن كان يرى أنه قد جاوز الوقتَ الذي كان يجب فيه سمي استبطاء، فإن كان ممَّا شأنه أن يهرب منه وأَنذَرَ به المتكلمُ من تلقاء نفسه أو من غيره سمي ذلك إيعاداً وتهديداً وإنذاراً وتخويفاً ونحو ذلك. فإن خافه من تلقاء السامع واستدفعه إياه سمي ذلك استعفاء أو استقالة أو ترضياً أو نحو ذلك.

فقد حصل بهذا الاعتبار إذن أقاويلُ عرضيات وترهيبات وتخويفيات واستدفاعيات ومنها الإطماعيات أيضاً ومقابِلَتُها وهو ما أَطْمَعَ القائلُ فيه أو أَيأَسَ منه)[١].

(.. فينقسم القول على هذا إلى قصص ومشاجرة وحُكم وإشارة واستشارة وغرض واقتضاء وكفاية واستكفاء وترغيب وترهيب وإطماع وإياس)[٢].

التعليق:

الذي أراه أنه قال (العرض) ولم يقل (الغرض)، لقوله: فقد حصل بهذا الاعتبار إذن أقاويلُ عرضيات.. إلخ. فالترهيبات والتخويفيات هي ما يسمى الإيعاد والتهديد والإنذار والتخويف ونحو ذلك، والاستدفاعيات هي ما يسمى بالاستعفاء والاستقالة والترضي ونحو ذلك، والإطماعيات هي: الاقتضاء والاستعطاف والاستبطاء. فبقي العرضيات وليس في مقابلها إلاَّ ما كان من المتكلم إلى السامع مما شأنه أن يطلب ولم يعلم رأيه فيه.

ثم إن كل ما ذكره من استعطاف واستبطاء واقتضاء وتخويف واستعفاء أغراضٌ أيضاً[٣]. فأين ما يميز هذا النوع الأول، إذا لم يكن قد سماه عَرَضاً؟

٤٦- النص:

(وقد يستشير أيضاً في الفضل بين المتنازعين)[٤].

التعليق:

الصواب: ..في الفصل بين المتنازعين، (بالصاد). لقوله قبل هذا: (..فيكون الكلامُ على هذا إمَّا اقتصاصاً وإما مشاجرة وإما فصلاً في مشاجرة)[٥].

---

(١) المنهاج: ٣٤٠.
(٢) المنهاج: ٣٤٠.
(٣) ن. المنهاج: ٣٤١. معرف. ب.
(٤) المنهاج: ٣٤٠.
(٥) المنهاج: ٣٣٩.

٤٧ـ النص:

(وقصيدة عدي بن زيد يرثي ولده علقمة:

أَعَرَفْتَ أمسِ من لَمِيسَ طَلَلْ)[١].

التعليق:

رواية هذا الشطر في الأغاني هي:

تَعْرِفُ أَمْسِ مِنْ لَمِيسَ الطَّلَلْ[٢].

وقد أشار إلى ذلك المحقق نفسه في الهامش. وهي رواية صحيحة الوزن، بينما لا يصلح وزن هذا الشطر من السريع كما ورد في المنهاج إلا بتسكين العين، ولا أعتقد مثل حازم يجيز هذه الرواية ويفضلها على غيرها.

٤٨ـ النص:

(وليس يستعمل الكلام بالنظر إلى من قُصِدَ بالقول أولى ممن اتفق له بالعَرَضِ سكونُ نفسٍ إلى ما لا تسكن النفوس إليه خاصة بل بالنظر إليه وإلى غيره ممن يُقَدَّرُ مرور ذلك الكلام على سمعه عامة)[٣].

التعليق:

الصواب: إلى من قصد بالقول أوَّلاً.. والمقصود بالقول أولاً قد يتفق له ما ذكر، أي سكون النفس إلى ما لا تسكن إليه النفوس من توالي ذكر المعاني الموحشة، لذلك لا يُستعمل الكلام بالنظر إليه فقط، بل بالنظر إليه وعلى غيره ممن لا يقصد بالقول أولاً ايضاً.

٤٩ـ النص:

(فإن النظام اللطيف المأخذ، الرقيق الحواشي، المستعملَ فيه الألفاظُ العرفية في طريق الغزل، تخيل رقة نفس القائل)[٤].

التعليق:

الصواب: يخيل رقة نفس القائل، بالياء. لأن المقصود هو النظام.

٥٠ـ النص:

(أَسَفِـــي عَلَـــى أَسَفِـــي الَّـــذِي دلهْتِنِـــي عـــن علمـــه فيـــه علـــيَّ خفـــاء)[٥]

التعليق:

الصواب: فيه عَلَيَّ خَفَاءُ، بالباء. والخطأ في إثباته (فيه) واضح معنى وعروضاً. إذ يقصد

---

(١) المنهاج: ٣٥٢.
(٢) ن. الأغاني: ٢/١٥٣.
(٣) المنهاج: ٣٥٩ـ٣٦٠.
(٤) المنهاج: ٣٦٤.
(٥) المنهاج: ٣٦٨.

المتنبي أنه حزن لذهاب عقله لما لقي في هوى محبوبته من الشدة حتى لقد خفي عليه حزنه الذي إنما يدرك بالعقل[١].

٥١ـ النص:

(واعتبر ذلك بقول أبي سعيد المخزومي . .)[٢].

التعليق:

الصحيح أنه أبو سَعْد لا أبو سعيد. ولا يَبْعُدُ أن يكون الخطأ من حازم نفسه. ن. سمط اللآلي ١/ ٥٧٨. والموشح: ٤٢٧. وأخبار أبي تمام: ٤٥ و٢٦٨. والمختار من شعر بشار: ٨٠. وطبقات ابن المعزّ: ٢٩٤. والأغاني في أماكن متفرقة من ترجمة دعبل: ٢٠/ ١٦٥ـ١٧٥. وشرح الحماسة للشنتمري: ١/ ٣١٠. ون. تصحيح المرصفي لهذا الخطأ على هامش زهر الآداب: ٢/ ٣٨٥. وهو من الأخطاء التي نبه عليها المرزباني في (معجم الشعراء).

٥٢ـ النص:

(كم أذنبتْ إليَّ الخيلُ بكري في جوانبها)[٣].

التعليق:

الصواب: كم أذنبتُ إلى الخيلِ بكري في جوانبها.

٥٣ـ النص:

(وقد جارانا الكلام في هذا الباب الفقيه العلامة أبو الحسن سهلٌ بن مالك، وكان إماماً في هذه الصناعة، وهناك الكاتب الأبرع أبو المطرف ابن عميرة نسيجُ وحده في البلاغة.

فقال ابو الحسن. . فقال لي أبو المطرِّف. .)[٤].

التعليق:

الخطاب لأبي الحسن بن سهل بن مالك فوجب إسقاط (لي) من النص، وكذلك فعل د. محمد ابن شريفة عند استشهاده به في مقدمة التنبيهات[٥]. وكأني بالناسخ توهم أن أبا الحسن هنا في قوله: فقال أبو الحسن. . هو أبو الحسن حازم القرطاجني فأضاف (لي) من عنده، والله أعلم.

ثانياً ـ الهوامش:

١ـ قال حازم: (والمعاني الشعرية منها ما يكونُ مقصوداً في نفسه بحسب غرض الشعر ومُعْتَمَداً إيرادُهُ ومنها ما ليس بمعتمد إيراده ولكن يورد على أن يُحاكَى به ما اعْتُمِدَ من ذلك أو

(١) ن. ديوان المتنبي: ١/ ١٤٢.
(٢) المنهاج: ٣٧٢.
(٣) المنهاج: ٣٧٢.
(٤) المنهاج: ٣٧٢ـ٣٧٣.
(٥) ن. التنبيهات: ١٢.

يحالَ به عليه أو غيْرَ ذلك. ولنسمِّ المعاني التي تكون من متن الكلام ونفس غرض الشعر المعاني الأول، ولنسمِّ المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض ولكنها أمثلة لتلك أو استدلالات عليها أو غيرُ ذلك لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأُوَل بها أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيآت التي تتلاقى عليها المعاني ويصارُ من بعضها إلى بعض: المعاني الثواني. فتكون معاني الشعر منقسمةً إلى أوائل وثوان)[١].

وقال المحقق في الهامش: «انظر محمد الطاهر ابن عاشور: ٥٦».

التعليق:

يتحدث حازم عن معاني الشعر، لا عن معاني الألفاظ، التي يتحدث عنها عبد القاهر، فعبد القاهر يتحدث عن المعنى (المعنى الأول)، ومعنى المعنى(المعنى الثاني) فقولنا: هو أسد، له (معنى أول) هو مدلول هذا الكلام، و(معنى ثان) هو كونه شجاعاً[٢].

بينما يتحدث حازم عن معان أول هي التي لها علاقة مباشرة بالغرض الشعري، وثوانٍ لا علاقة لها مباشرة بالغرض، وإنما تذكر بوساطة المعاني الأول لعلاقة تجمع بينهما كالاستدلال أو التشبيه أو الإحالة وما شابه ذلك اقتضت ذكر هذه المعاني الثواني وجعلت لها مكاناً ضمن متن النص[٣]. (فالأُوَلُ هي التي يكون مقصد الكلام وأسلوب الشعر يقتضيان ذكرها وبنية الكلام عليها. والثواني هي التي لا يقتضي مقصد الكلام وأسلوب الشعر بنية الكلام عليها)[٤].

لذلك فإن إشارة المحقق في نهاية هذه الإضاءة بالرجوع إلى كتاب شرح المقدمة الأدبية لمحمد الطاهر ابن عاشور فيه تغليط للقارىء، إذ أن ما يذكره ابن عاشور في كتابه، هو تعريف عبد القاهر للمعاني الأول والمعاني الثواني، ينقله عنه بالنص؛ وهو مختلف عن تعريف حازم لهما كما ذكرتُ.

٢ـ قال حازم: (وقد قال أبو علي ابن سينا: (الأقاويل الشعرية مؤتلفة من المقدمات المخيلة من حيث يعتبر تخييلها، كانت صادقة أو كاذبة. وبالجملة تؤلَّفُ من المقدمات من حيث لها هيئة وتأليف تقبلها النفس بما فيها من المحاكاة، بل ومن الصدق؛ فلا مانع من ذلك)[٥].

وقال المحقق في الهامش: هذا النص غير موجود في نشرة بدوي.

التعليق:

هو موجود في (الإشارات والتنبيهات) لابن سينا[٦].

---

(١) المنهاج: ٢٣.
(٢) ن. الجرجاني. دلائل الإعجاز: ٢٦٣ـ٢٦٤. والتهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون: ٣/ ١٠٨٥.
(٣) المعاني الثواني هي معانٍ تابعة بعبارة حازم. المناج: ٢٤.
(٤) المنهاج: ٢٤.
(٥) المنهاج: ٨٣.
(٦) قال ابن سينا: (..والشعرية.. مؤلفة من المقدمات المخيلة، من حيث يعتبر تخييلها.. كانت صادقة أو =

٣ـ قال حازم: (ثم قال ابن سينا: (ولا يلتفت إلى ما يقال من أنَّ البرهانية واجبة والجدلية ممكنةٌ أكثريةً والخطبيةَ ممكنة متساويةٌ لا ميل فيها ولا ندرة. والشعريةَ كاذبة ممتنعة. فليس الاعتبار بذلك، ولا أشار إليه صاحب المنطق)[١].

وقال المحقق في الهامش: هذا النص غير موجود في نشرة بدوي.

التعليق:

هو في (الإشارات والتنبيهات) لابن سينا[٢].

٤ـ قال حازم: (وقال أبو علي أيضاً في موضع آخر: «وليس يجب في جميع المخيلات أن تكون كاذبة، كما لا يجب في المشهورات وما يخالف الواجب قبوله أن تكون لا محالة كاذبة. وبالجملة التخييل المحرك من القول متعلق بالتعجب منه: إما لجودة هيئته أو قوة صدقه أو قوة شهرته أو حسن محاكاته)[٣].

وقال المحقق في الهامش: تقرأ هذه الجملة بهذا الوجه لا كما هي عليه عند بدوي: ١١٠.

التعليق:

ليس في الصفحة المشار إليها شيء من ذلك، ولست أدري إلى ماذا يشير في نشرة بدوي، فالنص المذكور إنما يوجد في (الإشارات والتنبيهات)[٤].

٥ـ قال حازم: (وقد قال أبو علي ابن سينا: «إنهم كانوا ينزلون الشاعر منزلة النبي فينقادون لحكمه ويصدقون بكهانته)[٥].

وقال أيضاً: (وكان القدماء.. على حالٍ قد نَبَّه عليها أبو علي ابن سينا فقال: «كان الشاعر في القديم ينزل منزلة النبي فيعتقد قوله، ويصدق حكمه، ويؤمن بكهانته)[٦].

= كاذبة. وبالجملة تؤلف.. من المقدمات من حيث لها هيأة وتأليف.. تستقبلها.. النفس بما.. فيها من المحاكاة، بل ومن الصدق. فلا مانع من ذلك ويروجه الوزن.

ولا تلتفت إلى ما يقال من أن.. البرهانية واجبة. والجدلية ممكنة أكثرية. والخطابية ممكنة.. متساوية لا ميل فيها ولا ندرة. والشعرية كاذبة ممتنعة. فليس الاعتبار بذلك، ولا أشار إليه صاحب المنطق). الإشارات والتنبيهات: ٤٦٢ـ٤٦٣.

(١) المنهاج: ٨٤.
(٢) ابن سينا. الإشارات والتنبيهات: ٤٦٢ـ٤٦٣. ن. الهامش ما قبل السابق.
(٣) المنهاج: ٨٤.
(٤) ابن سينا. الإشارات والتنبيهات: ٣٦٣.
(٥) المنهاج: ١٢٢.
(٦) المنهاج: ١٢٤.

التعليق:

علق المحقق على هذا النص بقوله[١]: لم نقف على هذه الجملة في نشرة بدوي. والنص في (الخطابة)[٢] لا في كتاب الشعر.

٦ـ قال المحقق في هامش صفحة: ١٤٦. معلقاً على بيت خالد بن صفوان:

فَإِنْ صُورَةٌ رَاقَتْكَ فَاخْبُرْ فَرُبَّمَا أَمَرَّ مَذَاقُ العُودِ وَالعُودُ أَخْضَرُ

(أورده قدامة بن جعفر والمرزباني ومثلا به لما عيب من معاني الشعر بسبب مخالفتها للعرف)[٣].

التعليق:

بل قال قدامة[٤] ونقل عنه المرزبني[٥]: (ومن عيوب المعاني أيضاً أن ينسب الشيء إلى ما ليس منه، كما قال خالد بن صفون..)، أما (مخالفة العرف) فهو العيب المذكور قبل ذكر هذا العيب، فكأن المحقق انتقل بصره من هناك إلى البيت مباشرة.

٧ـ قال حازم: (وقد فرّق الناس بين ما يكون المدح أو الذم حقيقياً، وما ليس بحقيقي من ذلك. وقسموا الفضائل التي يكون بها المدح الحقيقي إلى أربع خلال على ما أنا شارع في ذكره. فمن ذلك قول ابي الفرج قدامة، وقد سبقه القدماء إلى هذه القسمة..)[٦].

قال المحقق في الهامش: (المراد بالقدماء هنا الرواة وشراح الأشعار ونقادها، إذ ليس قبل كتاب قدامة كتب ذات مقاييس وقواعد).

التعليق:

المراد بالقدماء هنا قدماء الفلاسفة فهم الذين تحدثوا عن الكمال الذي يحصل بالفضائل[٧]. أما رواة الشعر وشراحه فقد كانوا أبعد الناس عن الحديث في مثل هذا.

---

(١) المنهاج: ١٢٢.

(٢) قال ابن سينا: (..ولمثل هذا ما كان الشاعر في القديم ينزل منزلة النبي، فيعتقد قوله، ويصدق حكمه، ويؤمن بكهانته). ابن سينا الخطابة: ٢٢١. وقد زعم مصطفى الجوزو أن هذا الكلام المنسوب إلى ابن سينا غير موجود في كتبه المعروفة لدينا. (ن. نظريات الشعر عند العرب: ٢٠٨). وكأن د. علي لغزيوي شك في هذه النسبة أيضاً في بحثه: (مناهج النقد الأدبي في الأندلس) إذ قال، بعد أن نقل كلام الجوزو: «ومهما يكن من أمر بشأن نسبة هذه المقولة إلى ابن سينا فإن المعنى اللغوي للفظة (شعر) عند العرب يحمل شيئاً من تلك الدلالة». (مناهج النقد الأدبي في الأندلس: ١٥٦).

(٣) المنهاج: ١٤٦.

(٤) قدامة. نقد الشعر. ك: ٢١٥.

(٥) ن. المرزباني. الموشح: ٢٩٥.

(٦) المنهاج: ١٦٥.

(٧) ن. ابن تيمية. كتاب الرد على المنطقيين: ٤٤٦ـ٤٤٧. وأرسطو. الخطابة: ٥٠ـ٥١.

٨ـ قال حازم: (لكني أوردُ في ما تَعَلَّقَ ببعض ذلك كلاماً كنت قيدتُهُ فيما تَقَدَّمَ، فإن فيه زيادة إفادةٍ إلى ما ذكرته)[١].

وقال المحقق في الهامش: الإشارة هنا إلى نفس ما احتوى عليه المعرف ذاته لارتباط المعلم (با)إثر ذلك به.

التعليق:

هذه الإشارة. كما هو بين لكلام سوف يأتي لا إلى كلام مضى. لذلك لا يمكن القول إنها إشارة إلى نفس ما احتوى عليه المعرف. وأما قوله: كنت قيدته فيما تقدم، فالظاهر، والله أعلم، أنه يريد، فيما تقدم من الزمان، وهو إشارة إلى كونه كان قد كتب المعلم الذي أورده بعد هذا المعرف، قبل كتابته لهذا المعرف نفسه. فكأنه وجد ما كتبه في هذا المعرف شديد الإجمال ووجد نفسه قد قيد ما أورده في المعلم الذي يليه في مرحلة سابقة من الزمانِ، فأتى به تالياً له، تتميماً وتكميلاً وتفصيلاً. وهو قوله في أول المعلم: (وأنا شارع في تتميم ذلك وتكميله وإيراد القول فيه مفصلاً)[٢]. ودليل ذلك هذا التكرار الذي نجده في المعلم الموالي، إذ لو كان كتبه لاحقاً لتجنبه لسَبْقِ وروده لحرصه على الإجمال واللمحة الدالة وبنائه لكتابه على ذلك. ولكنه كان مكتوباً على هذا الشكل أو قريب منه من قبل، ومثال ذلك قوله في أول هذا المعلم: (وبيان المعاني يكون بتعريها من الأوصافِ التي تبعدها عن البيان. وتلك الأوصافُ تنقسم: إلى ما يرجع إلى المعنى وإلى ما يرجع إلى اللفظ المعبر عنه. وتلك الأشياء الراجعة إلى المعنى أو إلى العبارة: إما أن تكون راجعة في كليهما إلى مادة أو إلى وضع وترتيب أو إلى مقدار أو إلى ما يكون متضمناً لهما أو ملتزماً)[٣].

فهذا الكلام يكاد يكون هو نفسه الوارد في الإضاءة السابعة من المعرف الذي سبق هذا المعلم وهو قوله: (وجملة الأمرِ أن اشتكال المعاني وغموضها من جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها يكون لأمور راجعةٍ إلى موادِّ المعنى أو مواد العبارة أو إلى ما يكون عليه إجراؤهما من وضع وترتيبٍ أو إلى مقادير ما ترتب من ذلك أو إلى أشياء مضمنة فيهما أو أشياء خارجة عنهما)[٤].

٩ـ قال المحقق معلقاً على بيت أبي دهبل الذي ذكره حازم وهو:

صاح حيي الإله أهلاً وداراً ... عند أصل القناة من جيرونِ

(.. والبيت طالع قصيدة لأبي دهبل في شامية أراد أن يتزوجها)[٥].

---

(١) المنهاج: ١٧٦.
(٢) المنهاج: ١٧٧.
(٣) المنهاج: ١٧٧.
(٤) المنهاج: ١٧٥.
(٥) المنهاج: ٢٤٠.

التعليق:

الصحيح أنها في شامية كان قد تزوجها[١].

١٠ـ وذكر حازم قول القائل:

«هـــذا ولهـــي، وقـــد كتمـــت الـــولهـــا صـــونـــاً لحـــديـــث مـــن هـــوى النفـــس لهـــا

يـــا آخـــر محبتـــي ويـــا أولهـــا أيـــام عنـــائـــي فيـــك مـــا أطـــولهـــا»

فقال المحقق: «الشاهد من فرائد المنهاج»[٢].

التعليق:

هذا الشاهد ليس من فرائد المنهاج، فقد ورد في المدهش لابن الجوزي[٣].

١١ـ قال المحقق معلقاً على قول حازم: (وقد وقع ما فيه الألفُ مع ما ليس فيه على قبح)[٤]:

«ويسمى هذا سنادا. ومنه قول العجاج:

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي.

ثم قوله:

بسمسَم وعن يمين سَمْسَمِ»[٥].

التعليق:

ما ذكره المحقق لا شاهد فيه على ما يريده حازم، ولكن الشاهد على سناد التأسيس هو قوله من هذه القصيدة: فخندف هامة هذا العالم.

إذ أن كل القصيدة غيرُ مؤسَّسَة إلا هذا البيتَ وحدهُ[٦].

١٢ـ وقال المحقق معلقاً على قول حازم: (ومن المراثي قول الشاعر:

أَيَـــا جَـــارتَـــا مَـــنْ يجتمـــعْ يتفَـــرَّقِ وَمَـــنْ يَـــكُ رهْنـــاً للحـــوادثِ يَغْلَـــقِ)[٧]

(البيت من فرائد المنهاج).

التعليق:

كيف يكون هذا البيت من فرائد المنهاج وقد جعله حازم ضمن أبيات قال عنها: إنها مما

---

(١) ن. الأصفهاني. الأغاني: ٧/ ١٢٧.

(٢) المنهاج: ٢٤٢.

(٣) ن. ابن الجوزي. المدهش: ٤٠٨.

(٤) المنهاج: ٢٧٢.

(٥) المنهاج: ٢٧٢.

(٦) ن. في ذلك: ابن الدهان. الفصول في القوافي. ٧٤. وابن رشيق. العمدة: ١/ ٣١٨. والمرزباني. الموشح: ١٩ و٣١.

(٧) المنهاج: ٣١٢.

اختاره الناس قبله ؟[١]. فهذا بيت معروفٌ ذكرهُ أكثر من واحد، منهم القالي في أماليه، والبكري في فصل المقال واللآلي، والعسكري في الجمهرة. وهو لزُميل بن أُبَيْر الفزاري، قاتل سالم بن دارة. وقد يروى لطارق بن صفوان الضبي أو لعمارة بن صفوان[٢].

١٣ـ قال حازم (فأما العبث في العبارات والزيادة في حروف الكلم على ما سُمع من العرب، كقول بعضهم:

شَرِبْتُ بِمَاخُورِ   على دُفٍّ وَطَنْبُورِ

فليس يقع مثل هذا لمن يقصد أن يكون كلامه عربياً..)[٣].

التعليق:

لم يذكر المحقق صاحب هذا البيت، والظاهر أنه لم يتوصل إلى معرفته، لأنه حريصٌ على تخريج الأبيات. وهو للأحنف العكبري وقد ذكره الثعالبي في (اليتيمة)[٤].

١٤ـ قال حازم: (فقد عاب بعض المتكلمين في هذه الصناعة قول أبي نصر بن نباتة:

وقال لنا الزمانُ: ظلمتموهم   فقلنا للزمان: دعِ الفضولاَ

لأن هذا ليس من نمطِ ما بني عليه كلامه من الجد.. ولو ورد مثل هذا في شِعر ابن حجاج وأضرابه من أهل الهزل والمجون لكان مرضياً مختاراً بالنسبة إلى طريقته)[٥].

وقال المحقق في الهامش معلقاً على قول حازم: فقد عاب بعض المتكلمين..: (يريد النقاد والأدباء).

التعليق:

الحقيقة إنما يريد حازم ابن سنان لا غيره، فهو صاحب هذا الشاهد، وعنه نقله حازم، ونقل عنه تعليقه عليه أيضاً. قال ابن سنان: (..ألا ترى أن قول ابن نباتة:

وقال لنا الزمان: ظلمتموهم   فقلنا للزمان دع الفضولاَ

ليس بمختار على طريقته في الجد وفنه، ولو ورد في شعر أبي عبد الله ابن الحجاج كان مرضياً مختاراً)[٦].

١٥ـ وقال المحقق معلقاً على قول حازم: «قال القائل:

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف   يجيء بحق أو يجيء بباطل»

(١) ن. المنهاج: ٣١٢.
(٢) ن. سمط اللآلي للميمني: ٢/ ٦٨٨. وجمهرة الأمثال للعسكري: ٢/ ٢٢٠. وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري: ٢٦.
(٣) المنهاج: ٣٣٢.
(٤) ن. الثعالبي. اليتيمة: ٣/ ١٣٩.
(٥) ن. المنهاج: ٣٣٢.
(٦) ابن سنان. سر الفصاحة: ١٦٩.

(البيت من فرائد المنهاج)[١].

التعليق:

هذا بيت معروف للأحوص. وكيف يكون من فرائد المنهاج بيت أورده ابن قتيبة في الشعر والشعراء، والأصبهاني في الأغاني؟[٢].

١٦ـ وقال المحقق معلقاً على شاهدٍ أورده حازم، وهو قول الشاعر:

ألا يا لقومي للرقاد المسهّدِ

«لم نقف على بقية البيت، وهو من فرائد المنهاج»[٣].

التعليق:

هذا بيت لإسماعيل بن يسار ذكره الأصفهاني في الأغاني وبقيته:

وللماءِ ممنوعاً من الحائمِ الصَّدِي[٤].

١٧ـ وقال المحقق معلقاً على قول الشاعر الذي أورده حازم، وهو:

تَبَدَّلَ بالأنسِ صَوْتَ الصَّدَى ... وسَجْعَ الحمامةِ تدعو هديلاَ

«البيت من فرائد المنهاج»[٥].

التعليق:

هذا البيت لكثير عزة، وقد ورد في الأغاني بروايةٍ:

تبدل بالحي صوتَ الصَّدى ... ونَوْحَ الحمامةِ تدعو هَديلاَ[٦]

١٨ـ وقال المحقق معلقاً على قول حازم:

«واعتبر ذلك بقول أبي سعد المخزومي:

ذنبي إلى الخيل كري في جوانبها ... إذا مشى الليث فيا مَشْيَ مُخْتَتِلِ»

[البيت من فرائد المنهاج][٧].

---

(١) المنهاج: ٣٦١.

(٢) ن. ابن قتيبة. الشعر والشعراء: ١/٥٠٦. والأصبهاني. الأغاني: ٩/٢٥٩. والزجالي. ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام (مخطوط): (٧١.أ).

(٣) المنهاج: ٣٦٩. ها:٣.

(٤) ن. الأصفهاني. الأغاني: ٤/٤٠٦. و٤/٤٢١.

(٥) المنهاج: ٣٧٠. ها:١.

(٦) ن. الأصفهاني. الأغاني: ٨/٣٧٣. والهديل صوت الحمام أو خاص بوحشيها. أو هو فرخ على عهد نوح مات عطشاً وضيعة، أو صاده جارح من الصيد، فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه. ن. ابن قتيبة. أدب الكاتب: ١٦٠ـ١٦٢. والفيروز آبادي. القاموس: ٤/٦٩. والبغدادي. حاشية على شرح بانت سعاد: ٢/٣١.

(٧) المنهاج: ٣٧٢.

التعليق:

كيف يكون من فرائد المنهاج بيت ورد ضمن حماسة أبي تمام بشرح الأعلم الشنتمري (٤١٠-٤٧٦هـ)؟ وهو من حماسية أولها:

مَــنْ لِــي بِــرَدِّ الصِّبــا واللَّهْــوِ والغــزلِ هيهــات مــا فــاتَ مــن أيــامهــا الأُولِ[١]

ثالثاً - معجم المصطلحات والألفاظ الغريبة:

ألحق المحقق بآخر الكتاب معجماً وضعهُ للمصطلحاتِ والألفاظ الغريبة، وهو على أهميته يتخلله قصورٌ من جهاتٍ عدةٍ، يمكن رَجْعُها إلى خمسة أمورٍ هي:

أولاً - الاقتصار في تعريف المصطلح على تكرار تعريف حازم له:

وهو أمر لا يحتاج معه القارىء إلى ذكر مثل هذا التعريف في المعجم لوروده في متن الكتاب، وإنما يُحتاج إلى كشف أعمق عن معنى ذلك المصطلح بزيادة شرحٍ وبيانٍ، ومثال ذلك قول المحقق في تعريف الدخيل: (.. المتصورات أو المعاني الأصيلة. المتصورات أو المعاني الدخيلة ما لم يوجد لها فرح أو ترح أو شجو في خطرة النفوس ومعتقداتها العادية. فلا يتألف منها كلام عال في البلاغة)[٢]. فهذا إنما هو تكرار وإعادة لما قاله حازم في تعريفه. إذ قال: (فالمتصورات التي في فطرة النفوس ومعتقداتها العادية أن تجد لها فرحاً أو ترحاً أو شجواً هي التي ينبغي أن نسميها المتصورات الأصيلة. وما لم يوجد ذلك لها في النفوس ولا معتقداتها العادية فهي المتصورات الدخيلة)[٣].

ثانياً - النقل من بعض المعاجم المصطلحية دون النظر إلى خصوصية المصطلح المستعمل عند حازم:

ومثال ذلك نقله عن (التعريفات) للجرجاني تعريفه للنظم بقوله بأنه (الألفاظ المرتبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل)[٤]. فهذا تعريف لا يشرح بالضرورة معنى مصطلح (النظم) في (المنهاج) بقدر ما يشرح معنى مصطلح (النظم) بصفة عامة.

ثالثاً - عدم التمييز بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي:

ومثال ذلك تعريفه لمصطلح الشجو بأنه يعني الهم والحزن[٥]، وهذا تعريف معجمي صحيح، ولكنه بالنظر إلى استعمال حازم لهذه الكلمة غير صحيح، أي أنه تعريف (مصطلحي) غير صحيح، لأن حازماً يقسم طرق الشعر من حيث التأثير إلى ثلاث جهات: جهة الفرح، وجهة التفجع والحزن، وجهة ثالثة هي الشاجية، وهي التي تجمع بين الفرح والحزن، واللذة

---

(١) ن. شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري: ١/ ٣١٠-٣١٣.
(٢) ابن الخوجة. م.م. المنهاج: ٤٠٢.
(٣) المنهاج: ٢٢.
(٤) المنهاج: ٤١٧. والجرجاني. التعريفات: ٢٤٢.
(٥) ن. المنهاج: ٤٠٧ و٢٢.

والألم[١]. فتعريف الشجو بما عرفه به ابن الخوجة فيه تكرارُ ذكرٍ للطريقة الثانية، وإغفال لما يقصده حازم بالشجو.

ومن ذلك أيضاً تعريفه لمصطلح الأسلوب بأنه يعني الطريق والمنهج[٢]. وهو تعريف عام لا يساعد على فهم ما يقصده حازم بالأسلوب، ولو نقل تعريف حازمَ له لكان أجْدَى، فقد عرف حازم الأسلوب بقوله: (فالأسلوب هيأة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظية)[٣].

رابعاً ـ شرح الألفاظ شَرْحاً عاماً غير خاص:

ومن ذلك شرحه لكلمة الطراءة بكونها تعني اللين[٤] وذلك في قول حازم الذي نقله عن ابن سينا: (وللمحاكاة شيء من التعجيب ليس للصدق لأن الصِّدْقَ المشهور كالمفروغ منه، ولا طراءة له. والصدق المجهول غير ملتفت إليه)[٥].

وواضح أن اللين قد يلحق المحاكاة كما قد يلحق الصدق بنوعيه. فيكون قصده هنا أن الصدق المشهور لا جِدَّة له ولا غرابة، وذلك لشهرته. من طرى إذا تجدَّدَ أو من الطري بمعنى الغريب[٦]. والأمر أوضح في قول حازم: (. . وأيضاً فإن محاكاة الشيء بغيره أطرف من محاكاته بصفات نفسه. وهي أكثر جدة وطراءة منها. .)[٧].

خامساً ـ تقديم تعريفات غير دقيقة لمصطلحات حازمية:

فمن ذلك تعريف المحقق لمصطلح (الركن) في (معجم المصطلحات والألفاظ الغريبة) بقوله: (. . من البيت زاويته. ومن الوزن الشعري السواكن مطردة كانت أو غير مطردة)[٨].

وهذا تعريف غير دقيق إذ لا يعتبر حازم الساكن غير المطرد ركناً إلا إذا جاءَ بعد حركتين فأكثر. وهذا أمرٌ إن لم يكن قاله فقد دلت عليه أمثلته. وذلك كما لم يعتبر الحركة بين ساكنين قطراً[٩]. ولهذا الأمر جَعَلَ الكامل قائماً بعد القطع (حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله: فعلاتن) على أحد عشر ركناً وقبله على اثني عشر ركناً، لأنه لم يعد الساكن الأخير الذي جاء بعد حركة واحدة ركناً. وكذلك الأمر في الوافر إذ جعله قائماً على عشرة أركان، لأنه لا يعد الساكن الأخير في (فعولن) ركناً لوروده بعد حركة واحدة. بل وكذلك الأمر في سائر البحور التي

---

(١) ن. المنهاج: ٢١ـ٢٢.
(٢) ن. المنهاج: ٤٠٦.
(٣) المنهاج: ٣٦٤.
(٤) المنهاج: ٤١٠.
(٥) المنهاج: ٨٦.
(٦) ن.ل. مادة. طرا: ٦/١٥.
(٧) المنهاج: ١٢٩.
(٨) المنهاج: ٤٠٤.
(٩) ن. المنهاج: ٢٥٤ـ٢٥٦.

ذكر عدد أركانها[١]. وإذا كان الأمر كذلك فإنه ليس صحيحاً أن حازماً يقصد بالأركان السواكن على إطلاقها كما يفهم من كلام المحقق.

ومن ذلك أيضاً تعريفه لمصطلح الغرض بقوله في معجم المصطلحات والألفاظ الغريبة: (غرض. متداول = قصد. ما يهدف إليه الشاعر من القول)[٢]. وهذه عبارة لا تسعف كثيراً في فهم ما يريده حازم الذي يفرق بين الغرض والمقصد وذلك في مثل قوله: (معرف دال على طرق المعرفة بكيفيات مآخذ الشعراء في نظم الكلام وإنشاء مبانيه وما يقدمونه بين يدي ذلك من تصور أغراض القصائد والمقاصد اللائقة بتلك الأغراض وتصور المعاني المنتسبة إلى تلك المقاصد والمنتمية إليها..)[٣]. إذ عبارة المحقق عامة، وتوحي مع ذلك أن الغرض والقصد شيء واحد. والذي يبدو، والله أعلم، أن الغرض أعم من المقصد، والمثال الذي نقدمه على ذلك مما يمكن أن يكون كالتفسير لعبارة حازم التي أوردناها، هو قول الأخطل:

وقد جعل الله الخلافة فيكم ... لأزهر لا عاري الخوان ولا جدبِ

فالغرض هنا هو: المدح. والمقصد هو: مدح الخليفة. والمعنى غير المنتسب إلى هذا المقصد هو مدحه الخليفة بما لا يمدح به الملوك ويمدح به غيرهم[٤]. فهذا المعنى قد ينتسب إلى الغرض الذي هو المدح ولكنه لا ينتسب إلى المقصد الذي هو مدح الخليفة. لذلك نظر إلى المعاني في انتسابها إلى المقاصد لا إلى الأغراض، ونظر إلى المقاصد في انتسابها إلى الأغراض. ومثال عدم تصور المقصد للغرض قول الأخطل:

قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤه ... فاليوم طَيَّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

(أراد أن يمدحه فهجاه)[٥].

رابعاً ـ الفوات:

١ـ قال السبكي: (وقال حازم في منهاج البلغاء: الفصاحة أخصُّ من البلاغة)[٦].

٢ـ قال السبكي عند حديثه عن شروط فصاحة المفرد: (..منها أن تكون متوسطة بين قلة الحروف وكثرتها. والمتوسطة ثلاثة أحرف. فإن كانت الكلمة على حرف واحد مثل: قِ، فعل أمر، في الوصل قبحت وإن كانت على حرفين لم تقبح إلا بأن يليها مثلها. ذكره حازم)[٧].

---

(١) ن. المنهاج: ٢٥٦ـ٢٥٧.
(٢) المنهاج: ٤١٢.
(٣) المنهاج: ٢٠٢.
(٤) ن. المرزباني. الموشح: ١٩٢. والعسكري. الصناعتين: ٩٠. وابن رشيق. العمدة: ٢/ ٧٧٤. وابن سنان. سر الفصاحة: ٢٦٠.
(٥) المرزباني. الموشح: ٣٨٠. وابن سنان. سر الفصاحة: ٢٥٩.
(٦) السبكي. عروس الأفراح (شروح التلخيص): ١/ ٧٥.
(٧) المصدر نفسه: ١/ ٩١.

٣- قال السبكي: (وقد ذكر حازم كراهة لفظ (الجرشى)[١] وعلله بتتابع الكسرات وتماثل الحروف وكونها حوشية)[٢].

٤- قال السبكي: (ونقل حازم عن جماعة أن التكرار يحسن في مواضع الشوق والمدح والهجاء. ويرد بأن هذه المواضع وغيرها سواء في اختلاف ذلك باختلاف المقام والحال. وذكر من المستحسن قول أبي تمام:

كـريـمٌ متـى أَمْـدَحْـهُ أَمْـدَحْـهُ والـورى ... معـي وإذا مـا لمتـه لُمْتُـهُ وحـدي

قال: فإنه لا سبيل إلى التعبير عن هذا المعنى إلا بالتكرار. وقال: وكذلك كل ما لا يمكن التعبير عنه إلا بالتكرار فهو حسن. قال: فهذا بيت تكررت فيه حروف الحلق وتكررت فيه ألفاظ وهو يحسن. قلتُ: ومنه يُعلمُ أن ما لعله يُتخيل فيه من الثقل إنما هو للتكرار لا لاجتماع الحاء والهاء كما سبق. ألا ترى إلى قوله: تكررت فيه حروف الحلق ولم يقل تعددت. قال: ومِمَّا لا يمكن التعبير عنه إلا بالتكرار فَحَسُنَ، وإن خالف فيه بعضهم، قول المتنبي:

وحمـدان حمـدون وحمـدون حـارث ... وحـارث لقمـان ولقمـان راشـد

فلعل ممدوحه كان له قصد في ذكره الأسماء على هذا الترتيب)[٣].

٥- قال السبكي: (قال حازم نقلاً عن أفلاطون: الفصاحة لا تكون إلا لموجود، والبلاغة تكون لموجود ومفرد)[٤].

٦- قال السبكي: (وأما الكاف وكأنَّ فالمتبارد إلى الذهن أن (كأن) أبلغ وكذلك صَرَّحَ به الإمام فخر الدين في «نهاية الإيجاز» وكذلك حازم في «منهاج البلغاء». وقال: وهي إنما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به أو غيره. ولذلك قالت بلقيس: كأنه هو)[٥].

٧- قال السبكي: (وشرط قدامة في الطباق اتحادَ اللفظ أي اشتراكَ المعنيين المتقابلين في لفظ واحدٍ. قال: وأما ذكر الشيء وضده من غير اتحاد اللفظ فيسمى: التكافؤ. كذا نقله عنه جماعة منهم حازم[٦] وابن الأثير وعبد اللطيف[٧]

---

(١) أي في قول المتنبي:

مبـارك الاسـم أغـر اللقـب ... كـريم الجـرشـى شـريـف النسـب

الجرشى أي النفس. ون. ابن سنان. سر الفصاحة: ٦٦ وديوان المتنبي: ١/ ٢٢٧.

(٢) السبكي. عروس الأفراح: ١/ ٩١.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ١١٧.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ١٣٥.

(٥) المصدر نفسه: ٣/ ٣٩٤. والزركشي. البرهان: ٢/ ٤٠٨. والسيوطي. معترك الأقران: ٢/ ٢٤٦. وقد أثبت المحقق هذا النص (المنهاج: ٣٩٠) ولكنه غفل عن وروده في (عروس الأفراح) فأورده نقلاً عن الزركشي.

(٦) ن. المنهاج: ٤٨.

(٧) يقصد البغدادي.

وغيرهم)[١].

٨ـ قال السبكي: (ذكر غير المصنف أنواعاً من التجنيس منها التجنيس المعتل، وهو ما تقابل في لفظيه حرفًا مَدٌّ ولين متغايران أصليان أو زائدان، مثل: نار ونور، وشمال وشمول. ومنها التجنيس المقصور، نحو: سنا وسناء، ومثل: جنا وجناح. ومنها تجنيس التنوين، إما مقصور نحو: شجى وشجن، أو منقوص نحو: مطاعن ومطاع في قافية نونية. ذكر ذلك كله حازم. ومنها تجنيس الإشارة وسماه حازم تجنيس الرسالة، وهو أن يُكنى عن إحدى الكلمتين كقوله:

إنـــي أحبـــك حبـــاً لـــو تضمنـــه سلمـى سميـك زل الشـاهـق الـراسـي[٢]

أراد بسميها سلمى أحد جبلي طيء.. قال حازم: ومنها تجنيس الإضافة مثل: بدر تمام وليل تمام، كقول البحتري:

أيـــا قمـــر التمـــام أعنـــت ظلمـــاً علـــي تَطَـــاوُلَ الليـــلِ التَّمـــامِ[٣])[٤]

٩ـ قال السبكي: (الصنف الواحد من التجنيس في الصفة الواحدة لا ينبغي أن يقع بين أكثر من لفظين وأن لا يعززا بثالث إلا حيث يكون المعنى يقتضي اقتران أشياء يصدق عليها لفظ متفق باشتراك وتواطؤ، فيكون في اقتران تلك الأشياء على وجوه من التعلق تحسين للمعنى، فيعبر عن تلك الأشياء على جهة تجنيس أو تصدير أو ترديد ونحوه، فأما ما فوق ذلك فمكروه عندهم؛ نقله حازم. قال: وأما مقدار ما يستعمل في القصيدة من أصناف التجنيس فيجب أن لا يعنى بكثرته كل العناية فإن ذلك شاغل عن النظر في المعاني. قال: وأحق التجنيس أن يحتمل تكراره المشتق والملحق به، وأحقهما بالإقلال المركب والمصحف)[٥].

بيــان الرمـوز

ل: لسان العرب.
ك: كمال مصطفى.
خ: محمد عبد المنعم خفاجي.
ن: انظر.
ت: توفي.
ط: طبعة.
ق.ب: قبل الميلاد.

---

(١) السبكي. عروس الأفراح: ٤/ ٢٨٧.
(٢) البيت لدعبل. ن. ابن رشيق. العمدة: ١/ ٥٦٥. والسجلماسي. المنزع البديع: ٤٩٦ـ٤٩٧. وسماه تجنيس الكناية.
(٣) ن. ابن رشيق. العمدة: ١/ ٥٦٢. والجرجاني. الوساطة: ٤٤، وسماه التجنيس المضاف.
(٤) السبكي. عروس الأفراح: ٤/ ٤٣٢ـ٤٣٣.
(٥) المصدر نفسه: ٤/ ٤٣٣.

لائحة المصادر والمراجع

● الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى). ت: ٣٧٠هـ.

- **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**: تحقيق: السيد أحمد صقر. ج: ١و٢. دار المعارف. ط: ٤. دراسة وتحقيق: د. عبد الله حمد محارب. ج: ٣. ق: ١و٢. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط: ١. ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.

● ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين). ت: ٦٣٧هـ.

- أ. **كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب**: تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان. الزهراء للإعلام العربي - القاهرة.

- ب - **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانه. دار نهضة مصر - القاهرة.

● أرسطوطاليس. ت: ٣٢٢ق.م.

- **فن الخطابة**: ترجمة عن اليونانية وعلق عليه وقدم له: د. عبد الرحمان بدوي. دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد. ط: ٢. ١٩٨٦م.

● إسحاق بن حنين. ت: ٢٩٩هـ.

- **كتاب المقولات**. (كتاب أرسطوطالس المسمى «قاطيغوريا» أي «المقولات»): طبع ضمن كتاب «منطق أرسطو». ج: ١. حققه وقدم له: د. عبد الرحمان بدوي. وكالة المطبوعات. الكويت. دار القلم. بيروت. ط: ١. ١٩٨٠م.

● ابن أبي الإصبع (أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المصري). ت: ٦٥٤هـ.

- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**: تحقيق: د. حفني محمد شرف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة.

● الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين). ت: ٣٥٦هـ.

- **كتاب الأغاني**: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب).

● بدوي (عبد الرحمان).

- **حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في البلاغة والشعر**: ضمن كتاب: إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين. طبعة: ١٩٧١م.

● البديعي (الشيخ يوسف البديعي الدمشقي). ت: ١٠٧٣هـ.

- **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**: تحقيق: مصطفى السقا. محمد شتا. عبده زيادة عبده. دار المعارف. ط: ٢.

● البرقوقي (عبد الرحمان). ت: ١٩٤٤م.

- **شرح ديوان المتنبي**: دار الكتاب العربي. بيروت. ١٩٨٠م.

● ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني). ت: ٥٤٢هـ.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تحقيق: د. إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

● البغدادي (عبد القادر بن عمر). ت: ١٠٨١هـ.

- أ. **حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام**: تحقيق: نظيف محرم خواجه. دار النشر فرانز شتايزج: ١. شتوتغارت/ دار صادر. بيروت. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ج: ٢. فيسبادن/ دار صادر. بيروت. ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ط: ١.

- ب. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية**: دار صادر. بيروت. ط: ١.

● البكري (أبو عبيد). ت: ٤٨٧هـ.

- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**: تحقيق: د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: ٣. ١٩٨٣م.

● التبريزي (الخطيب التبريزي). ت:٥٠٢هـ.

- **الوافي في العروض والقوافي**: تحقيق: عمر يحيى وفخر الدين قباوة. دار الفكر. ط: ٣. ١٩٧٩م/ ١٣٩٩هـ.

● أبو تمام. (حبيب بن أوس الطائي). ت: ٢٣١هـ.

- **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**: تحقيق: محمد عبده عزام. دار المعارف. القاهرة. المجلد الأول. ط: ٥. المجلدان الثاني والثالث. ط: ٤. المجلد الرابع. ط: ٣.

● التهانوي (محمد أعلى بن علي).

- **كتاب كشاف اصطلاحات الفنون**: دار صادر. بيروت.

● ابن تيمية (تقي الدين أحمد). ت:٧٢٨هـ.

- **كتاب الرد على المنطقيين**: دار المعرفة. بيروت. (طبعة مصورة عن طبعة بمباي بالهند. ١٣٦٨هـ).

● الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل). ت:٤٢٩هـ.

- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**: تحقيق: مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ١. ١٩٨٣م.

● الجرجاني (الشريف علي بن محمد). ت:٨١٦هـ.

- **كتاب التعريفات**: دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ١. ١٩٨٣م.

● الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد). ت: ٤٧١هـ.

- **دلائل الإعجاز. (كتاب دلائل الإعجاز)**: قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط: ٢. ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

● الجرجاني (علي بن عبد العزيز). ت:٣٦٦هـ.

- **الوساطة بين المتنبي وخصومه**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. علي محمد البجاوي. دار القلم. بيروت.

● الجوزو (مصطفى).

- **نظريات الشعر عند العرب «الجاهلية والعصور الإسلامية»**: دار الطليعة. بيروت. ط:٢. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

● ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين بن علي). ت: ٥٩٧هـ.

- **المدهش**: تحقيق: مروان قباني. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ٢. ١٩٨٥م.

● الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد). ت: ٣٩٣هـ أو ٤٠٠هـ.

- **عروض الورقة**: تحقيق: محمد العلمي. دار الثقافة. الدار البيضاء. ط: ١. ١٩٨٤م.

● الحاتمي (أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر). ت: ٣٨٨هـ.

- **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**: تحقيق: د. جعفر الكتاني. دار الرشيد للنشر. العراق. ١٩٧٩م.

● حازم القرطاجني (أبو الحسن حازم بن محمد). ت: ٦٨٤هـ.

- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**: تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. دار الغرب الإسلامي. ط: ٣. بيروت. ١٩٨٦م.

● ابن حيدر البغدادي (أبو طاهر محمد بن حيدر). ت: ٥١٧هـ.

- **قانون البلاغة في نقد النثر والشعر**: تحقيق: د. محسن غياض عجيل. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: ١. ١٩٨١م.

● الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان). ت:٤٦٦هـ.

- **سر الفصاحة**: دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ١. ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ.

● ابن الدهان (أبو محمد سعيد بن المبارك). ت: ٥٦٩هـ.

الفصول في القوافي: تحقيق: د. محمد عبد المجيد الطويل. دار الثقافة العربية. القاهرة. ط:١. ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

● ابن رشد (أبو الوليد بن رشد). ت: ٥٩٥هـ.

- **تلخيص كتاب المقولات**: تحقيق: د. محمود قاسم. راجعه وأكمله وقدم له وعلق عليه: د. تشارلس بترورث و د. أحمد عبد المجيد هريدي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٠م.

● ابن رشيق (أبو علي الحسن). ت: ٤٥٦هـ.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه: تحقيق: د. محمد قرقزان. دار المعرفة. بيروت. ط: ١. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

● الزجالي (أبو يحيى). ت: ٦٩٤هـ.

- **ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام**. (**مخطوط المكتبة العامة بالرباط**).

● الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله).

- **البرهان في علوم القرآن**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة. بيروت. ط: ٢.

● السبكي (أحمد بن تقي الدين علي بن عبد الكافي بهاء الدين). ت: ٧٧٢هـ.

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: طبع ضمن «شروح التلخيص». دار الكتب العلمية. بيروت.

● السجلماسي (أبو محمد القاسم). (القرن الثامن للهجرة).

- **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**: تحقيق: د. علال الغازي. مكتبة المعارف. الرباط. ط:١. ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

● سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر). ت: ١٧٧هـ.

- **الكتاب**: تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. عالم الكتب. بيروت.

● ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله). ت: ٤٢٣هـ.

- أ - **الإشارات والتنبيهات**. (**القسم الأول**): تحقيق: د. سليمان دنيا. دار المعارف. القاهرة. ط: ٣.

- ب - **الخطابة (الشفاء/ المنطق)**. ج: ٤. : تحقيق: د. محمد سليم سالم. تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور. القاهرة.

- ج. **فن الشعر من كتاب الشفاء**: تحقيق: عبد الرحمان بدوي. (ضمن كتاب «فن الشعر»). دار الثقافة. بيروت. ط: ٢. ١٩٧٣م.

● السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر). ت: ٩١١هـ.

معترك الأقران في إعجاز القرآن: ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ١. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

● الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم). ت: ٤٧٦هـ.
- **تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة**: تحقيق: د. علي المفضل حمودان. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي. دار الفكر. بيروت. ط: ١. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
● صفوت (أحمد زكي).
- **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**: دار الحداثة. بيروت. ط: ١. ١٩٨٥م.
● ابن طباطبا (محمد بن أحمد). ت: ٣٢٢هـ.
- **عيار الشعر**: تحقيق: د. طه الحاجري. د. محمد زغلول سلام. المكتبة التجارية. القاهرة. ١٩٥٦م. وبتحقيق: عباس عبد الساتر. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ١. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
● العسكري (أبو هلال). ت. بعد: ٣٩٥هـ.
- أ - **جمهرة الأمثال (كتاب جمهرة الأمثال)**: ضبطه: د. أحمد عبد السلام. خرج أحاديثه: محمد سعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ١. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ب - **الصناعتين (كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر)**: تحقيق: مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ١. ١٩٨١م.
● العلمي (محمد).
- **العروض والقافية: دراسة في التأسيس والاستدراك: دار الثقافة. الدار البيضاء**. ط: ١. ١٤٠٤هـ(١٩٨٣م.
● **العمري (محمد)**.
- **البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها**: أفريقيا الشرق. الدار البيضاء. بيروت. ١٩٩٩م.
● ابن عميرة (أبو المطرف أحمد ابن عميرة).
التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات. ت: ٦٥٨هـ: تحقيق: محمد ابن شريفة. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. ط: ١. ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
● الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان). ت: ٣٣٩هـ.
- **إحصاء العلوم**: تحقيق: د. عثمان أمين. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ط: ٣. ١٩٦٨م.
● الفرزدق (همام بن غالب بن صعصعة). ت: ١١٤هـ.
- **ديوان الفرزدق**: دار صادر بيروت. وبشرح: علي فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: ١. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- **شرح ديوان الفرزدق. إيليا الحاوي**: دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة. بيروت. ط: ١. ١٩٨٣م.
● الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب). ت: ٨١٧هـ.
- **القاموس المحيط: دار الجيل. بيروت**.
● **أبو القاسم السبتي (محمد بن أحمد). ت: ٧٦٠هـ**.
- **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**: تحقيق وشرح: محمد الحجوي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
● ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم). ت: ٢٧٦هـ.
- أ - **أدب الكاتب**: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة. مصر. ط: ٤. ١٩٦٣م.

- ب - **الشعر والشعراء**: تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار المعارف. القاهرة. ١٩٨٢م.

● قدامة بن جعفر (أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة). ت: ٣٣٧هـ.

- **نقد الشعر**: تحقيق: كمال مصطفى. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط:٣. وبتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية. بيروت.

● **الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني). ت: ١٠٩٤هـ.**

- **الكليات**: أعده للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة. ط: ١. ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

● الغزيوي (علي).

- **مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن للهجرة.** (مرقون): أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في اللغة العربية وآدابها، أعدت تحت إشراف: د. محمد ابن شريفة. السنة الجامعية: ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩-١٩٩٠م. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط.

● امرؤ القيس (امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو).

- **ديوان امرىء القيس**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. ط: ٥.

● المرزباني (أبو عبيد الله محمد بن عمران). ت: ٣٨٤هـ.

- **الموشح**: **مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر: تحقيق: علي محمد البجاوي. دار الفكر العربي. القاهرة.**

● **ابن المعتز (عبد الله). ت: ٢٩٦هـ.**

- **البديع** (**كتاب البديع**): تحقيق: أغناطيوس كراتشقوفسكي. طبعة مصورة عن طبعة لندن. ١٩٣٥م.

● ابن منظور المصري (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم). ت: ٧١١هـ.

- **لسان العرب المحيط**: دار صادر. بيروت.

● ابن منقذ (أسامة بن منقذ). ت: ٥٨٤هـ.

- **البديع في نقد الشعر**: تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي. د. حامد عبد المجيد. مراجعة: إبراهيم مصطفى. مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ١٩٦٠م/ ١٣٨٠هـ.

● الميمني الراجكوتي (عبد العزيز). ت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- **سمط اللآلي المحتوي على اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأونبي**: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

● ابن هشام(أبو محمد جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري). ت: ٧٦١هـ.

- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: تحقيق: د. مازن المبارك. محمد علي حمد الله. مراجعة: سعيد الأفغاني. دار الفكر. بيروت. ط: ٥. ١٩٧٩م.

● الهيب (أحمد فوزي).

- **الجانب العروضي عند حازم القرطاجني في منهاج البلغاء وسراج الأدباء: دراسة مقارنة**: دار القلم. الكويت. ط: ١. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

اصدارات

القسم الثاني

إعداد: الأستاذ: حسن عريبي الخالدي

- ف -

● فائت شعر ابن حيوس الفاسي المتوفّى سنة ٥٧٠هـ - عبد العزيز الساوري. مجلة/ المناهل (الرباط) ع٥١ (٠٠٠ - ١٩٩٦م) ٣٠٥ - ٣٢٤.

● فاعول صيغة عربية صحيحة: دراسة ومعجم - ط١، بغداد، منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٣٠٧ص.

● فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي - تح: محمد أبي الأجفان ط١، ابو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٢٩٢ص.

● الفتح القدسي في آية الكرسي - لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي القاهري الدمشقي الأديب المفسر (٨٠٩ - ٨٨٥/ ١٤٠٦ - ١٤٨٠م) دراسة وتحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، ط١، دبي، منشورات، دار البحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

● فتح المتعال لشرح القصيدة المسماة لامية الأفعال - لمحمد بن محمد الرائقي الصعيدي (تصريف الأسماء) - تح: إبراهيم بن سليمان البعيمي مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع٢، مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٧) ٢٩٨ - ٣٧٦.

● فتح الوصيد في شرح القصيد - للعلم السخاوي علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد الشافعي المقرىء المفسر (٥٥٨ - ٦٤٣هـ/ ١١٦٣ - ١٢٤٥م) دراسة وتحقيق مولاي محمد إدريس الظاهري رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ: التّهامي الراجي الهاشمي، جامعة محمد الخامس (الرباط/ المغرب).

● الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور - لناصر الدين شافع بن علي بن عباس الكناني العسقلاني المؤرخ الأديب الشاعر (٦٤٩ - ٧٣٠هـ/ ١٢٥١ - ١٣٣٠م) تح د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ١٤١٩ - ١٩٩٨، ٢١٦ص.

● فقه النوازل في سوس: قضايا وأعلام من القرن التاسع إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري - الحسن العبادي، ط١، أكادير (المغرب) منشورات كلية الشريعة، ١٤١٩ -

١٩٩٩، ١١٦ص.

● **الفكر الاقتصادي عند إمام الحرمين الجويني** ـ د. رفيق المصري، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ ـ ٢٠٠١م، ٩٦ص.

● **الفلاحة الرومية ـ قسطا بن لوقا البعلبكي الطبيب الحكيم** (٠٠٠ ـ بعد ٢٦٠هـ/ ٠٠٠ ـ ٨٧٣م) تح: وائل عبيد، ط١، عمان (الأردن) منشورات دار البشير للنشر والتوزيع، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩، ٤٦٩ص.

● **فلس عباسي نادر حزب حجر اليمامة** ـ نايف عبد الله الشرعان مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع٢، مج١ (١٤١٧ ـ ١٩٩٧) ٤٨١ ـ ٤٩٨.

● **فلسطين من التقسيم إلى أوسلو ١٩٣٧ ـ ١٩٩٥** ـ د. طاهر خلف البكاء ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ٣٠٣ص.

● **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول** ـ رائد مصطفى عبد الرحيم رسالة دكتوراة بإشراف د. عبد الجليل عبد المهدي، الجامعة الأردنية (عمان) ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

● **الفهارس المفصلة لمجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلدات ١ ـ ٤٤** (١٣٧٤ ـ ١٤٢١هـ/ ١٩٥٥ ـ ٢٠٠٠م) كل مجلد في ١ ـ ٢ج في الأغلب ـ إعداد محمد فتحي عبد الهادي ود. فيصل الحفيان. وقد بلغت جملة الفهارس فيه عشرة.. وسيصدر في جملة مطبوعات معهد المخطوطات العربية في القاهرة عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

● **الفهرس العام لمجلة هيئة اللغة** السريانية (المجمع العلمي العراقي) المجلدات ١ ـ ١٨ للسنوات (١٤٠٦ ـ ١٤٢١هـ/ ١٩٨٦ ـ ٢٠٠١م) إعداد: عمانوئيل موسى شكوانا مجلة هيئة اللغة السريانية (بغداد) ع١٨ (٠٠٠ ـ ٢٠٠١م) ٢٠٩ ـ ٢٣١.

● **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية (المصاحف المخطوطة، التجويد، القراءات القرآنية، التفسير، علوم القرآن)** ط١، دمشق، منشورات مكتبة الأسد، مديرية المخطوطات، وزارة الثقافة، ١٤١٣ ـ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٣ ـ ١٩٩٧، ١ ـ ٥ج، ٢٥٩ص+ ٢٥٢ص+ ٣١٤ص+ ٢١٠ص+ ٣٩٤ص.

● **فهرس لمخطوطات منتخبة من مكتبة عارف حكمت** ـ إعداد: عابدين سليمان المشوخي، عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج٣ (١٤١٩ ـ ١٩٩٨) ٣ ـ ٢٤٣.

● **في الوطن العربي. المملكة، مصر، السودان، الشام، العراق، اليمن، الإمارات، عمان، قطر، البحرين، الكويت** ـ تأليف علامة الجزيرة المرحوم الشيخ حمد الجاسر (١٣٢٨ ـ ١٤٢١هـ/ ١٩١٠ ـ ٢٠٠٠م) ط١، الرياض، منشورات مجلة (العرب)، دار اليمامة للبحث والنشر، ط مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩، ٤١٢ص. من رحلات حمد الجاسر.

● **فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح للسيوطي ـ لابن الطيب الشرقي أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الشرقي الفاسي المدني المالكي المحدث،**

ولمسند، اللغوي (١١١٠ - ١١٧٠هـ/١٦٩٨ - ١٧٥٧م) دراسة وتحقيق د. محمد يوسف فجال، ط١، دبي، منشورات دار البحوث للدراسات الإسلامية وتحقيق التراث، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م.

- ق -

● **قائمة بيليوجرافية بمؤلفات ابن جني** - عبد العزيز الخريف. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض) ع١، مج٥ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩).

● **القاضي عياض مؤرخاً: دراسة منهجية نقدية مقارنة** - عبد الواحد عبد السلام شعيب، تقديم: محمد بن عبود، ط١، تطوان (المغرب) منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٢١٣ص.

● **قاعدة معلومات الكتب العلمية ودروها في إشاعة المصطلح العلمي العربي** - د. حسام إسماعيل العاني. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٩٠١ - ٩١٨.

● **قاموس الأمثال العربية التراثية** - عفيف عبد الرحمن، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٣١٩ - ١٩٩٩، ٦١٥ص.

● **كتاب القبائل العربية، أنسابها وأعلامها** - د. إحسان النص، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١ - ٢ج.

● **قبيلة الأزد: من فجر الإسلام إلى قيام الدولة السعودية الأولى** - محمد بن علي بن حسين الحريري، ط١، أبها، نادي أبها الأدبي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١٤٤ص.

● **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي** - د. محمود الصغير، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ٦٢٨ص.

● **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني** - محمد الحبش، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ٠٠٠٠ - ١٩٩٩، ٣٧٤ص.

● **قراءة أخرى لختم دمغة من الرصاص باسم عبد الرحمن الداخل** - إبراهيم باجس عبد المجيد. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع٢/ مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٧) ٥١٢ - ٥١٤.

● **قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد.** تأليف د. عبد الصالح العثيمين عرض د. عبد العزيز بن صالح الهلابي. العرب (الرياض) ج١ - ٢، س٣٧ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٨٩ الكتاب أصلاً عرض لكتاب إمارة آل رشيد تأليف د. مضاوي الرشيد وإمارة آل رشيد في حائل تأليف د. محمد الزعارير وعبد العزيز بن رشيد والحماية البريطانية، الكتابان الأول والثاني رسالتان جامعيتان.

● **قراءة نقدية في كتاب الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش. مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** - محمد تضغوت، دراسات مغاربية (الرباط) ع١٣ (٠٠٠ - ٢٠٠١م) ٤٥ - ٥٢.

● **قراضة الذهب في علمي النحو والأدب** - عثمان زادة، تح د. محمد التونجي ط١، بيروت، دار صادر، ١٤١٩ - ١٩٩٨، ٣٥٠ص.

● **القرطبي: حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير** - مفتاح السنوسي بلعم، ط١،

بنغازي، منشورات جامعة بنغازي، ١٤١٨ - ١٩٩٨، ٣٢٧ص.

● **قصور العراق العربية والإسلامية حتى نهاية العصر العباسي (٦٥٦هـ)** تأليف الأستاذ: طالب علي الشرقي، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٣٩٩ص.

● **قصيدة وأرجوزة لأبي النجم العجلي (منتزعة من النصوص لصاعد الأندلسي)** د.حاتم صالح الضامن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (عمان) ع٦٠، س٢٥ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٢٢٥ - ٢٣٩.

● **قضاة بغداد** - تأليف: إبراهيم عبد الغني الدروبي (١٣١٢ - ١٣٧٨/ ١٨٩٤ - ١٩٥٩)، مراجعة وتقديم الأستاذ: أسامة ناصر النقشبندي ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - ١ - ٢ج، ٤٣٥ص.

● **قضية التعريب في مصر** - محمود حافظ. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج ٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٨٦٣ - ٨٩٢.

● **قطوف من ثمار الأدب الأندلسي**: علي أحمد عبد الهادي الخطيب. القاهرة، دار نهضة المشرق، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٢٦٨ص.

● **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان** - لابن الشعّار كمال الدين أبي البركات المبارك بن أحمد بن حمدان الموصلي المؤرخ الأديب (٥٩٥ - ٦٥٤هـ/ ١١٩٨ - ١٢٥٦م) تح: د. خورشيد رضوي، ط١، لاهور (باكستان) منشورات مركز الشيخ زايد الإسلامي بجامعة بنجاب، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج٦ في ٨٤٤ص.

أقول: نُشِر الجزء الثالث منه بتحقيق المرحوم د.نوري حمودي القيسي والأستاذ محمد نايف الدليمي. في الموصل، عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، وقامت على نشره وطبعه جامعة الموصل، وقع هذا الجزء في ٤٤٤ص منها الفهارس الفنية للكتاب، واشتمل على (١٤٥) ترجمة، راجعه الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني، وصنع فهارسه الفنية محمد نايف الدليمي، ولم تستكمل جامعة الموصل طبع الكتاب على ما عرف أنَّ الكتاب قد أنجز تحقيقه.

● **قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي** عرضاً ودراسة وتحليلاً - عبد الرحمن الكيلاني، ط١، دمشق، دار البشائر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٤٨٨ص.

● **القول الأقوى في تعريف الدعوى** - للعمادي حامد بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن الفقيه الأديب الشاعر (١١٠٣ - ١١٧١هـ/ ١٦٩٢ - ١٧٥٨م). تح: عبد الله بن محمد بن مسعد الحجيلي. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج (١٤١٧ - ١٩٩٦) ٦٥ - ١٠٢.

● **القول المجمل في الرد على المهمل** - للسيوطي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الخضيري (٨٤٩ - ٩١١هـ/ ١٤٤٥ - ١٥٠٥م). تح: أحلام خليل محمد. مجلة آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع٣٤، س٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١٦٩ - ١٨٣.

● **قيام الدولة الزيدية في اليمن** - حسن

خضيري أحمد، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٣١٦ - ١٩٩٦، ٢٤٠ص.

● الكتاب التذكاري، نعيم اليافي، بقلم مجموعة من الدارسين والأدباء، ط١، دمشق، منشورات الأوائل، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ١٧٦ص+ صور.

● كتاب (التنبيه) مخطوطاً. موضوعه. مصادره. أثره في خالفيه - وليد محمد السراقبي، مجلة عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٦) ١٢٥ - ١٣٦ والمبحث عرض لمخطوطة التنبيه لمحمد بن ناصر بن محمد السلامي (٤٩٠ - ٥٥٠هـ).

● كتاب الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة - للتقي الفاسي: تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد بن علي بن محمد الحسني العلوي المكي المؤرخ القاضي (٧٧٥ - ٨٣٢هـ/ ١٣٧٣ - ١٤٢٩م). بقلم: أحمد علي محمد، مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٦) ١٣٧ - ١٤٤.

● كتاب العين في ضوء النقد اللغوي - نعيم البدري، ط١، عمان (الأردن) دار أسامة للنشر، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ٢٧٢ص.

● كتاب غاية البيان نادرة الزمان في آخر الأوان - لقوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازي الفارابي الإتقاني الحنفي الفقيه اللغوي المحدث (٦٨٥ - ٧٥٨هـ/ ١٢٨٦ - ١٣٥٦م). بقلم أبي زكريا صالح الحجي مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١(١٤١٧ - ١٩٩٦) ١٧٢ - ١٨١.

● كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى - لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي (٠٠٠ - ٢٥٢هـ/ ٠٠٠ - ٨٦٧م). تح: موفق فوزي الجبر، ط١، دمشق، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، ٠٠٠ - ١٩٩٧ ١١٠ص (سلسلة تراثنا).

● كتاب الماء: أول معجم طبي لغوي - لأبي محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصُّماري البصري البغدادي المتوفى ببلنسية (٠٠٠ - ٤٥٦هـ/ ٠٠٠ - ١٠٦٤م). تح الأستاذ د. هادي حسن حمودي - عرض الأستاذ د. عبد الهادي التازي. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٨٢٣ - ٨٢٦.

● الكتابة - د. ديرينجز ترجمة وتعليق د. عامر سليمان، ط١، بغداد منشورات المجمع العلمي العراقي، ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ٢٥٦ص.

● كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة خطوة - عبد الله الكمالي، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ١١٩ص.

● كتب «الغريب» بين حقيقة المعنى وواقع التأليف - د. محمد كشاش، مجلة اللسان العربي (الرباط) ع٤٩ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٤٣ - ٥٤.

● الكتب والمكتبات في الأندلس - حامد الشافعي دياب، القاهرة، دار قباء، ٠٠٠ - ١٩٩٨، ١٦٠ص.

● كَحَل العيون النُّجل في حل مسألة الكحل - لابن الحنبلي رضي الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن (٩٠٨ - ٩٧١هـ/ ١٥٠٢ - ١٥٦٣م) تح: وليد محمد السراقبي. مجلة/ عالم

المخطوطات والنوادر (الرياض) ع٢، مج٣ (١٤١٩ - ١٩٩٨/ ١٩٩٩) ٤٢٨ - ٤٥٧.

● **كشف المعاني في متشابه المثاني - لابن جماعة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي البياني الفقيه (٦٣٩ - ٧٣٣هـ/ ١٢٤١ - ١٣٣٣م).** تح: محمد داود، ط١، القاهرة، دار المنار، ٠٠٠ - ١٩٩٨، ٢٧٤ص (سلسلة تحقيق التراث - ١).

● **كتاب الكناش في فني النحو والصرف - للملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد الأيوبي الأديب الشاعر المؤرخ (٦٧٢ - ٧٣٢هـ/ ١٢٧٣ - ١٣٣١م).** دراسة وتحقيق رياض الخوام، ط١، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ١ - ٢مج.

- ل -

● **اللجلاج الحارثي أهو عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي - عبد الله بن سليم الرشيد** مجلة العرب (الرياض) ج١ - ٢، س٣٧ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٤٦ - ٤٩.

● **لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة - لابن مماتي أبي المكارم أسعد بن المهذب بن مينا الكاتب الأديب الشاعر (٥٤٤ - ٦٠٦هـ/ ١١٤٩ - ١٢٠٩م).** تح وتقديم نسيم مجلي، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٣٦٩ص. الكتاب أصلاً تلخيص لكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني وقد اعتمد المحقق على نسخة محفوظة في مكتبة جامعة القاهرة. وجاءت مطبوعة الكتاب خالية من الفهارس سوى فهرس المحتويات.

● **لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية - فوز سهيل كامل نزال،** رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية (عمان) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م وكانت بإشراف د. محمود السمرة.

● **اللغة والنحو والصرف والهجاء في البرديات الأموية - د. جاسر خليل أبو صفية.** مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (عمان) ع٦٠، س٢٥ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١١ - ٥٨.

● **كتاب لمحات الأنوار ونغمات الأزهار وري الظمآن لمعرفة ماورد من الآثار في ثواب قارىء القرآن - للملاحي أبي القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج الغافقي الأندلسي المحدث الحافظ المؤرخ النسابة الأديب (٥٤٩ - ٦١٩هـ/ ١١٥٤ - ١٢٢٢م).** دراسة وتحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ١ - ٣مج.

● **لمحات الأنوار ونفحات الأزهار في فضائل القرآن العظيم - للملاحي أبي القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغرناطي الأندلسي (٥٤٩ - ٦١٩هـ) ١١٥٤ - ١٢٢٢م).** دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي العزاوي، ط١، بغداد، شركة الخنساء، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ١٨٤ص.

● **اللهجات العربية في القراءات القرآنية - عبده الراجحي،** ط١، الرياض مكتبة المعارف، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ٣١٢ص.

- م -

● **المآخذ على شرح ديوان المتنبي لابن**

معقل (ت٦٤٤هـ) ـ د. عبد العزيز بن ناصر المانع. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج٦ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ٤ ـ ٦٥ المقال تعريف بمخطوطة الكتاب المودعة مكتبة فيض الله باستانبول، وهي نسخة المؤلف. وقد وطأ بهذا المقال نفسه للكتاب الذي نشره فيما بعد.

● كتاب المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي ـ لعز الدين أبي العباس أحمد بن علي بن الحسين بن معقل المهلبي الأزدي الحمصي الأصل والولادة، الدمشقي التوطن والوفاة، الأديب النحوي، الناقد العروضي الشاعر (٥٦٧ ـ ٦٤٤هـ/ ١١٧١ ـ ١٢٤٦م). تح د. عبد العزيز بن ناصر المانع، ط١، الرياض، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مطبعة مركز الملك فيصل. ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ١ ـ ٥ج في ١ ـ ٤مج، ٣٠٨ص +٢٤٠ص +(١٧١ +٩٣ص في مجلد واحد) +٥٢٥ص، تحقيق التراث، (١). وقد ردَّ المؤلف فيه على ابن جني في (الفسر) وأبي العلاء المعري في (اللامع العزيزي) وابن الخطيب التبريزي في (الموضح) وأبي اليمن الكندي في الصفوة في معاني شعر المتنبي وشرحه، والواحدي في (شرح ديوان المتنبي).

● ماذا في آلةِ المحقق ـ د. إبراهيم السامرائي. العرب (الرياض) ج٥ ـ ٦، س٣٧ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م) ٢٦٩ ـ ٢٧٨.

● الماوردي والاجتماع السياسي، دراسة سوسيولوجية وسياسية تحليلية ـ محمود محمد سلمان ط١، بغداد، منشورات بيت الحكمة، ٠٠٠ ـ ٢٠٠١م، ٤٨٢ص.

● ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه ـ للمحبي محمد أمين بن فضل الله بن محب الله الحموي الأصل الدمشقي الحنفي المؤرخ (١٠٦١ ـ ١١١١هـ/ ١٦٥١ ـ ١٦٩٩م). تح د. محمد حسن عبد العزيز. راجعه د. حسن الشافعي، ط١، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، ومن المقرر أن يطبع الجزء الثاني منه بتحقيق د. فتحي جمعة محمد ومراجعة د. أمين علي السيد والجزء الثالث بتحقيق عاطف.

● مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار ـ لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي المغربي المالكي الفقيه (٠٠٠ ـ ١١٢٨/ ٠٠٠ ـ ١٧١٦م). دراسة وتحقيق: عبد العزيز بوعصاب، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ... ـ ١٩٩٩، ٣٤٢ص.

● المبادىء الأساس في وضع المصطلح وتوليده ـ محمد أحمد السيد، مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٣، مج٧٥ (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) ٦١٧ ـ ٦٤٨.

● مبادىء اللغة مع شرح أبياته ـ للخطيب الإسكافي أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأديب الكاتب الشاعر اللغوي الأصبهاني (٠٠٠ ـ ٤٢٠هـ/ ٠٠٠ ـ ١٠٢٩م). تح: عبد المجيد دياب، ط١، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ٠٠٠ ـ ٢٠٠٠م، ٣٩٩ص (من نوادر كتب اللغة).

● المبرد والقراءات القرآنية ـ د. علي ناصر غالب. مجلة/ المورد (بغداد) ع٤، مج٢٩ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ٣٥ ـ ٤١.

● المبهج: للثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري

الأديب (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ/ ٩٦١ ـ ١٠٣٨م). تح: إبراهيم صالح، ط١، دمشق دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩، ١٣٢ص.

● **المتبقي من شرح ابن كيسان لمعلقة طرفة بن العبد** ـ تح: بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج٢ (١٤١٨ ـ ١٩٩٧) ١٣٣ ـ ١٤٥.

● **المتشابه** ـ للثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري الأديب (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ/ ٩٦١ ـ ١٠٣٨م). تح المرحوم د. إبراهيم السامرائي (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠١م) ط١، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩) ٧٢ص.

● **المجاز معياراً نقدياً في النقد العربي القديم** ـ ارميض مطر حمد الدليمي رسالة دكتوراة بإشراف د. حسن يحيى الخفاجي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٠٠٠ ـ ٢٠٠٠م، ١٩٨ص.

● **المجالس** ـ للخطيب الإسكافي أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأديب الكاتب الشاعر اللغوي الأصبهاني (٠٠٠٠ ـ ٤٢٠هـ/ ٠٠٠ ـ ١٠٢٩م). فرغ د. غانم قدوري حمد، من تحقيقه وسيصدر في عمان (الأردن) عن دار عمار عام ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

● **مجالس ابن الجوزي في بغداد وآثارها الاجتماعية** ـ الأستاذ د. حسن عيسى الحكيم. مجلة/ المورد (بغداد) ع٤، مج٢٩ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ٦٣ ـ ٦٦.

● **مجمعي في ذمة الله**. الأستاذ: إبراهيم السامرائي (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠١م) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (عمان) ع٦٠، س٢٥ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ٢٥٠ ـ ٢٥١.

● **مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري** ـ لابن البختري أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي البصري المحدث (٠٠٠ ـ ٣٤٣هـ/ ٠٠٠ ـ ٩٥٤م). تح: نبيل جرار، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٠٠٠ ـ ٢٠٠١م، ٥١٥ص (مجامع الأجزاء الحديثية ١).

● **مجموعات المخطوطات العربية في العالم الإسلامي** ـ تصنيف مبدئي ـ بقلم: يحيى محمود بن جنيد الساعاتي. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١ (٤١٧ ـ ١٩٩٦) ٦ ـ ٢٣.

● **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي** ١٢٩٧ ـ ١٣٢٥هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٠٧م: تأليف: د. نادية وليد الدوسري، إصدار دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ١٤٢٢هـ.

● **المحجة في سير الدلجة** ـ لابن رجب الحنبلي زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن رجب البغدادي ثم الدمشقي (٧٣٦ ـ ٧٩٥/ ١٣٣٦ ـ ١٣٩٣). تح: يحيى مختار غزاوي، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٠٠٠ ـ ١٩٩٨ ١٢٧ص.

● **المحكم والمحيط الأعظم** ـ لابن سيدة أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (٣٩٨ ـ ٤٥٨/ ١٠٠٧ ـ ١٠٦٦م) فهرس الشعر ـ سيصدر في جملة منشورات معهد المخطوطات العربية في القاهرة بعد أن أتم المعهد طباعة الكتاب في ١ ـ ١٢ج. وكان المعهد يعتزم إعداد فهارس فنية شاملة له. إلا أن غزارة مادته وسعة الكتاب وضيق

الوقت حالت دون ذلك، فاقتصر على صنعة فهرس الشعر على أن يشفع به قريباً جزء آخر يشتمل على بقية الفهارس.

● **محمد بن مسعود الغَزْني وجهوده في النحو** - د. محمد حسن عواد. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (عمان) ع٦٠، س٢٥ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٥٩ - ٨٢.

● **محمد بن ناصر السلامي (٤٦٧ - ٥٥٠هـ)**. محدث العراق. د. بهجت كامل ود: زكية حسن. مجلة/ الآداب (بغداد) ع٥٢ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٩٧ - ١١٢.

● **محمود محمد شاكر (١٣٢٧ - ١٤١٨/ ١٩٠٩ - ١٩٩٧)** إبراهيم الكوخجي، ط١، عمان، دار البشير للنشر والتوزيع، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٣٣٥ص.

● **محمود محمد شاكر الرجل والمنهج** - عمر القيام، ط١، عمان (الأردن) دار البشير للنشر والتوزيع ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٢٨٧ص.

● **المخالفة الصوتية في اللغة العربية** - علي خليف، مجلة/ المورد (بغداد) ع٢، مج٢٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٣٢ - ٤١.

● **مخالفة المبرد لأهل البصرة من خلال كتاب المقتضب** - وفاء عبد الغفور العزاوي رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م (قيد الطبع).

● **مختار أشعار القبائل لأبي تمام نصوص مجموعة** - أحمد محمد علي عبيد الهنداسي مجلة/ العرب (الرياض) ج٣ - ٤، س٣٧ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١٦٣ - ١٧٧.

● **المختار من شرحي ابن خروف والصفار لكتاب سيبويه** - تح د. محمد خليفة الدفاع، ط١، بيروت، دار النهضة العربية، ٠٠٠ - ١٩٩٦، ٢٧٠ص.

● **مختارات من شعر خضر الطائي (١٩٠٨ - ١٩٦٩)**. إعداد ودراسة د. عبد الله الجبوري، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة، ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ١٧٥ص.

● **مختصر تاريخ الخلفاء - لأبي محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن يحيى البغدادي الخطي المؤرخ المحدث الإخباري الأديب الخطيب (٢٦٩ - ٣٥٠/ ٨٨٢ - ٩٦١م)**. دراسة وتحقيق الآنسة سعاد صمد حمد السوداني، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذة الفاضلة نبيلة عبد المنعم داوود، مجلس التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٢٦١ص.

● **مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء** - أسامة خياط، ط١، بيروت دار ابن حزم، ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ٤٩٣ص (سلسلة الرسائل الجامعية - ٦)

● **المخطوطات الإسلامية في العالم (مجموعاتها وفهارسها)**. بقلم مجموعة من الدارسين، أشرف على تحرير الطبعة الإنجليزية: جيوفري وربير. ترجمة وتحقيق د. عبد الستار الحلوجي. تقديم الشيخ أحمد زكي يماني، ط١، لندن، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٧- ١٤٢١هـ/ ١٩٩٧- ٢٠٠٠م، ١-٢ج، ٧٥٧ص + ٩٨٨ص، شمل الجزء الأول تسعاً وعشرين دولة (أثيوبيا - البرازيل) وشمل الجزء الثاني سبعاً وثلاثين دولة (البرتغال - سيراليون) نشر الأصل الإنجليزي للكتاب في الأعوام ١٤١٢ - ١٤١٤/ ١٩٩٢ -

١٩٩٤ في أربعة مجلدات، ووقع فيما يزيد على ألفي صفحة وشمل (١٠٧) دولة، وعنوانه في الأصل (مسح دولي للمخطوطات الإسلامية). وقد اشتملت الطبعة (الاصدارة) العربية منه على مانشر من فهارس بعد صدور الأصل الإنجليزية وماجَدَّ من معلومات بشأن مجموعات المخطوطات. ومن المؤمل أن تبلغ النسخة العربية خمسة مجلدات. وتعد أوسع قائمة فهارس خصت المخطوطات. على الإطلاق.

● **مخطوطات خزانة أحمد سالم الكيلاني** - أسامة ناصر النقشبندي، مجلة/ المورد (بغداد) ع٤، مج٢٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٩٥ - ١١٢.

● **المخطوطات العربية بجامعة برنستون مجموعة جاريت** - أحمد بن علي تمراز، عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج٢ (١٤١٨ - ١٩٩٧) ٩١ - ٩٧.

● **المخطوطات العربية في ألمانيا (مكتبة برلين وفهرس آلورد)** - د. عادل سلیمان جمال. مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ج٢، مج٤٤ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

● **المخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال** - ترجمة: مي كنفاني، ط١، بيروت، عالم الكتب، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٤١٣ص.

● **مخطوطات العلامة السيد محمد سعيد الراوي المتوفى سنة ١٩٣٦** - د. عماد عبد السلام رؤوف، ط١، بغداد، منشورات مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

● **مخطوطات مجموعة: محمد إبراهيم الخشني في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة** - عبد الرحمن بن سليمان المزيني، مجلة عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ٢٤ - ٤٣.

● **مخطوطات الموسيقى والغناء والسماع في دار صدام للمخطوطات** - إعداد الأستاذ: اسامة ناصر النقشبندي، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، وزارة الثقافة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١١٩ص.

● **المخطوطات وذاكرة الأمة** - ندوة عقدتها كلية دار العلوم جامعة القاهرة يوم ١٣ مارس عام ٢٠٠١م افتتح الندوة د. عبد اللطيف عبد الحليم وكيل الكلية، وأدار الجلسة د. أحمد كشك. وألقيت في الندوة بحوث متخصصة للأستاذ أيمن فؤاد سيد والأستاذ عصام الشنطي ود. محمد فتحي عبد الهادي وغيرهم.

● **مخطوطة أخرى لكتاب (في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها)** لحنين بن إسحق (١٩٤ - ٢٦٠هـ/ ٨٠٩ - ٨٧٣م) - محمد فؤاد الذاكري. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج٢ (١٤١٨ - ١٩٩٧) ١٩٨ - ٢١٥.

● **مخطوطة شرح ابن مالك لألفية ابن معطي** - سليمان بن سليمان الراجح العنقري. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع٢، مج٦ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م/ ٢٠٠٢م).

● **المدارس النحوية بين أيدي الدارسين** - د. نعمة رحيم العزاوي. مجلة/ المواد (بغداد) ع٣، مج٢٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٤ - ٢١.

● **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب**

المسلم حتى القرن التاسع هـ/ ١٥م - د. إبراهيم حركات، الدار البيضاء (المغرب)، دار الرشاد الحديثة، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ١ - ٣مج، ٤٥٨ص +٤٤٢ص +٢٤٧ص.

● مدخل إلى علم اللغة - د. محمود فهمي حجازي، ط جديدة مزيدة ومنقحة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، - ١٩٩٨، ٢٦٤ص.

● المدخل إلى فقه النوازل - عبد الناصر أبو البصل. مجلة/ أبحاث اليرموك (الأردن) ع١، مج١٣ (١٤١٨ - ١٩٩٧) ١٢٣ - ١٥١.

● المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه - د. محمد عبد المطلب البكاء، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة، ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ٢٦٩ص.

● مدخل إلى مناقشة مختصر المستصفى لابن رشد - وليد خوري. مجلة الفكر العربي المعاصر (بيروت) ع١٠٨ - ١٠٩ (٠٠٠ - ١٩٩٩) ١٢٨ - ١٣١.

● مدرسة بغداد الفلسفية: دراسة تحليلية لتأسيساتها الأولى حتى عصر الكندي ١٤٥ - ٢٥٢هـ/ ٧٦٢ - ٨٦٦م - صالح مهدي هاشم، تقديم د. حسام الدين الألوسي، ط١، عمان (الأردن) دار الكرمل للنشر والتوزيع ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ٢٥٩ص.

● المدرسة البغدادية في الخط العربي - محمود شكر الجبوري، ط١، بغداد منشورات بيت الحكمة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ج١، ٤٥٦ص.

● مدرسة الحديث بالأندلس: معجم شيوخ أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي الأندلسي - معمر نوري، تطوان (المغرب) مطبعة الهداية، ٠٠٠ - ١٩٩٦، ١٤٠ص.

● مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري - أمين القضاة، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٩ - ١٩٩٨، ٦٧٢ص.

● مدرسة الحديث في بلاد الشام - محمد بن عزوز، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٦٩٦ص.

● المدرسة العمرية بدمشق - محمد مطيع الحافظ، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٤٨٠ص.

● المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٧ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، دراسة تاريخية. إعداد: عبد الرحمن مديرس المديرس، ط١، الرياض، منشورات مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، سلسلة (رسائل جامعية).

● المذكر والمؤنث - لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني البصري (١٧٢ - ٢٥٥هـ/ ٧٨٨ - ٨٦٩م) تح د. عزة حسن، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٤١٨، ١٩٩٧، ٣٢٨ص.

● مذكرات برترام توماس، الحاكم السياسي البريطاني لمنطقة الناصرية - العراق ١٩١٩ - ١٩٢٠، ترجمة عبد الهادي فنجان، تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري، (ط٢) مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

● مذكرات الكابتن مان، الحاكم

السياسي البريطاني لمنطقة الشامية - العراق ١٩١٩ - ١٩٢٠، ترجمة: كاظم هاشم الساعدي، تقديم وتعليق: كامل سلمان الجبوري، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

● **مذكرات وخواطر طبيب بغدادي** - الدكتور مهدي عبد الأمير السماك، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، وزارة الثقافة، ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ج١، ٤٨٠ص.

● **المذهب في أصول المذهب** - د. ولي الدين محمد صالح فرفور، وهو شرح على كتاب المنتخب لحسام الدين محمد بن محمد الاخسيكتي الحنفي المتوفى سنة ٦٤٤هـ قدم للكتاب د. مصطفى سعيد الخن. وقد اعتمد الشارح على نسخة خطية وحيدة من المنتخب كانت بحوزته، دمشق، منشورات دار الفرفور، ١ - ٢ج، ٦٨٦ص.

● **مراثي الآباء والأمهات للبنين والبنات من الجاهلية**.. عبد المعين الملوحي، ط١، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ٠٠٠ - ١٩٩٦، ٣١٤ص.

● **المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام** - مقبول علي بشير النعمة، ط١، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، - ١٩٩٧، ٢٥٦ص.

● **مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري إقليم توات نموذجاً** - عبد الكريم عوفي. مجلة آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع٣٤، س٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١١٣ - ١٣٠.

● **مسائل في التجويد والقراءات** - لابن النجار شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن داود الدمشقي الشافعي المقرىء (٧٨٨ - ٨٧٠تقريباً/ ١٣٨٦ - ١٤٦٦م). تح د. طه محسن. مجلة المورد (بغداد) ع٢، مج ٢٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٨١ - ٩٢.

● **المستدرك على دواوين الشعراء** - د. حاتم صالح الضامن، ط١، بيروت، عالم الكتب، ٠٠٠ - ١٩٩٩م، ١٢٠ص.

● **المسلك السهل في توشيح ابن سهل** - **تأليف محمد الأفراني**. تح: محمد العمري الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب، ٠٠٠ - ١٩٩٨ ٥١٥ص عرض: عمر أوكان. مجلة اللسان العربي (الرباط) ع٤٩ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٦٧ - ٧٢.

● **مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (مع الإشارة إلى كتاب المقفى الكبير) وكلاهما للمقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المؤرخ** (٧٦٩ - ٨٤٥هـ/ ١٣٦٧ - ١٤٤١م). حقق المخطوطة وكتب مقدمتها الأستاذ د. أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٦ - ١٩٩٥، عرض د. قاسم السامرائي مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع٢، مج٦ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م/ ٢٠٠٢م).

● **مسيرة تعريب المناهيج بالكليات العلمية في الجماهيرية الليبية** - د. عبد الكريم أبو شويرب. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج٧٥ (١٤٢١هـ -

٢٠٠٠م) ٨٩٣ - ٩٠٠.

● مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م للرحالة الإنجليزي جاكسون. ترجمة د. خالد فاروق عمر، ط١، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١٣١ص +١٢ص صور.

● كتاب مشتبه النسب في الخط واختلافهما في المعنى واللفظ - لأبي محمد عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان الأزدي المصري، المحدث الحافظ النسابة (٣٣٢ - ٤٠٩هـ/ ٩٤٤ - ١٠١٨م) تح د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ٢٢٩ص.

● مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص - لأبي المواهب الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي المراكشي (١٠٤٠ - ١٠٠٣/ ١٦٣١ - ١٦٩١). تقديم وتحقيق وعرض وتحليل وفهرسة: حميد حماني، الدار البيضاء (المغرب) دار الفرقان، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٥٤١ص.

● مشكلات موطأ مالك بن أنس - لابن السيد البطليوسي الأندلسي أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد الأديب النحوي اللغوي (٤٤٤ - ٥٢١هـ/ ١٠٥٢ - ١٢٢٧م). تح: طه التونسي، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ١٩٨ص.

● مشكلة الهمزة العربية - د. رمضان عبد التواب، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٠٠٠ - ١٩٩٦، ١٨٤ص.

● مشيخة أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسي الحنبلي، تخريج الحافظ محمد بن القاسم بن محمد البرزالي، تح الأستاذ: إبراهيم صالح، ط١، دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، - ١٩٩٧، ١٤١ص.

● مشيخة أبي طاهر بن أبي الصقر محمد بن أحمد الأنباري - تح الشريف: حاتم العوني، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٠٠٠ - ١٩٩٧م.

● مصادر البيروني في علم الأحجار الكريمة - عماد عبد السلام رؤوف. مجلة/ المورد (بغداد) ع٢، مج٢٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٦٧ - ٧٢.

● المصادر التاريخية العربية في الأندلس: القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر - ك. يوكيا - نقله إلى العربية: نايف أبو كرم، دمشق دار علاء الدين - ١٩٩٩، ١٧٤ص.

● مصادر التراث الأندلسي من كتاب كشف الظنون - د. مقداد رحيم، ط١، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ١٧٤ص.

● مصارعة الفلاسفة - للشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشافعي الفقيه الحكيم المتكلم (٤٦٧ - ٥٤٨هـ/ ١٠٧٥ - ١١٥٣م). تح وتعليق: موفق فوزي الجبر، ط١، دمشق، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع ٠٠٠ - ١٩٩٧ ١٢٨ص (سلسلة تراثنا).

● المصباح في علم النحو - للمطرزي برهان الدين أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن

علي الخوارزمي الأديب النحوي اللغوي (٥٣٨ - ٦١٠هـ/ ١١٤٣ - ١٣١٣م) حققه وعلق عليه: ياسين محمود الخطيب. راجعه وقدم له: مازن المبارك، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ١٤٤ص.

● **مصباح مشكاة الأنوار من صحاح حديث المختار - لابن الربيع وجيه الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الزبيدي اليمني الشافعي** (٨٦٦ - ٩٤٤هـ/ ١٤٦١ - ١٥٣٧م). تح: علي البواب، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ٧٥٩ص.

● **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية** - عبد العزيز الصنيع، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٣٠٤ص.

● **المصطلح العلمي بين الأمس واليوم** - عبد الهادي التازي، مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، ع٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٨٠٩ - ٨٢٢.

● **المصطلح الفلسفي عند العرب نصوص من التراث الفلسفي في حدود الأشياء ورسومها** - دراسة وتحقيق وتعليق د.عبد الأمير الأعسم، ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٥٢٥ص.

● **المصطلح النحوي في كتاب الأصول لابن السراج**. دراسة تحليلية - خولة مالك حبيب داود. رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها بإشراف د.لطيفة عبد الرسول عبد، كلية التربية، الجامعة المستنصرية (بغداد) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٢١٩ص.

● **مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي** - د.أحمد قدور، ط١، دمشق وزارة الثقافة، ٠٠٠ - ١٩٩٦، ٥٧٦ص.

● **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح** - لعيسى بن محمد الراسي البطوئي (؟) دراسة وتحقيق حسن الفكيكي، الرباط، منشورات مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ١٧٠٠ص.

● **مع السعيدين: سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير في رحلة العمر** - سلمان نصيف الدحدوح، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٠٠٠ - ١٩٩٨، ٩٥ص.

● **مع كتاب أخبار فخ، وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله - لأحمد بن سهل الرازي**. دراسة وتحقيق د.ماهر جرار، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٠٠٠ - ١٩٩٥، عرض المرحوم د.إبراهيم السامرائي مجلة/ العرب (الرياض) ج١١ - ١٢، س٣٣ (١٤١٩ - ١٩٩٨) ٧٥٠ - ٧٧٠.

● **المعاجم السريانية ومحتواها** - د. يوسف حبي، مجلة هيئة اللغة السريانية (بغداد) ع١٨ (٠٠٠ - ٢٠٠١م) ٣ - ١٥.

● **المعاجم الطبية باللغة العربية** - محمد زهير البابا. مجلة/ التراث العربي - دمشق) ع٧٧ (٠٠٠ - ١٩٩٩) ١٠٩ - ١٢٦.

● **معالم تاريخ الدولة الساسانية** - د. مفيد العابد، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ٠٠٠ - ١٩٩٩،

١٦٠ص.

● **معالم من السجال الديني بالمغرب والأندلس من خلال كتابي السيف الممدود ورسالة السائل والمجيب** - عبد الواحد العسري. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٦) ١٤٥ - ١٧١.

● **معاني القراءات - لأبي منصور الازهري محمد بن احمد بن الازهر الشافعي النحوي** (٢٨٢ - ٣٧٠هـ/ ٨٩٥ - ٩٨٠م)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩، ٦٣٢ص.

أقول: طبع الكتاب بين ١٩٩١ - ١٩٩٣ في القاهرة، بتحقيق: د. عيد مصطفى درويش وعوض أحمد التوزي في ١ - ٣ج.

● **معاني القرآن - للكسائي أبي الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي المقرىء اللغوي** (٠٠٠ - ١٨٩هـ/ ٠٠٠ - ٨٠٥م). جمع: عيسى شحاتة عيسى، ط١، القاهرة، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩ - ١٩٩٨، ٣٠١ص.

● **معاني القرآن - للاخفش الأوسط أبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي ولاء النحوي اللغوي العروضي** (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة ط، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١ -٢ج، في ٨٤٥ص.

وكان الكتاب قد طبع عام ١٤٠٠ - ١٩٧٩ ط١ بتحقيق فائز فارس الحمد في ١ - ٢ج ٢٦٥ص+ ٤٠١ص وصدرت طبعته الثانية عن دار البشير ودار الأمل عام ١٤٠١ - ١٩٨١م وأصل الكتاب رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية الآداب (جامعة القاهرة) عام ١٩٧٧، وطبع الكتاب بتحقيق د:عبد الامير محمد أمين الورد وهو في الاصل رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية الآداب (جامعة بغداد) عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، وقد حققه علامة الشام المرحوم احمد راتب النفاخ (١٣٤٦ - ١٤١٢هـ/ ١٩٢٧ - ١٩٩٢م) ولم ينشره وجميع طبعاته اعتمدت مخطوطة وحيدة يتيمة تامة نسخت عام ٥١١هـ.

● **المعتمد في الادوية المفردة - للملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الرسولي الغساني اليمني** (٦١٩ - ٦٩٤هـ/ ١٢٢٢ - ١٢٩٥م) ضبطه وجمعه: محمود عمر الدمياطي، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠، ٤٣٢ص.

● **المعتزلة فرسان علم الكلام** - عصام الدين محمد علي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٥٧٢ص.

● **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله** - أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، القاهرة، مكتبة مدبولي ٠٠٠ - ٢٠٠٠م.

● **معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم: تكملة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** - وضعه د. إسماعيل أحمد عمايرة ود.عبد الحميد مصطفى السيد، ط٤، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨ - ١٩٩٨، ٨١٣ص.

● **معجم الأديبات الشواعر** - محمد الحسن السمان، جمال الدين الحسيني، أحمد يوسف الدقاق، ط١، دمشق، دار الثقافة العربية، ٠٠٠ - ١٩٩٦، ٥٩٩ص.

● **معجم أسماء الأشياء** - أحمد بن محمد اللبابيدي الدمشقي الحنفي (٠٠٠ - ١٣٢٥/٠٠٠ - ١٩٠٧م) تح: أحمد عبد التواب عوض، ط١، القاهرة، دار الفضيلة، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٣٧٨ص.

● **معجم اعلام الاباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر** - إعداد: جمعية التراث - لجنة البحث العلمي بغروايه (الجزائر). تأليف الاستاذ: محمد بن موسى بابا عمي ود. إبراهيم بن بكير مجاز ود. مصطفى بن صالح باجو، الأستاذ: مصطفى بن محمد شريفي، الاستشارة والمراجعة د. محمد صالح ناصر، ط٢، بيروت دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٠، ١ - ٢مج، في ٨٥٢ص.

● **المعجم الأكدي** - د. عامر سليمان، مجلة هيئة اللغة السريانية (بغداد) ع١٨ (٠٠٠ - ٢٠٠١م) ٤٨ - ٥٧.

● **معجم الالفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة** - رفعت رؤوف البزركان ط١، بغداد، الامراء للطباعة والتصميم، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، ١٩١ص.

● **معجم البلاغة العربية** - د. بدوي طبانة، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ٠٠٠ - ١٩٩٧ ٨٠٣ص.

● **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية** - حسان حلاق وآخرون، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ٢٤٦ص.

● **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية قراءة في عمل العلامة الشيخ حمد الجاسر** - د. أحمد بن محمد الضبيب. مجلة العرب (الرياض) ج٩ - ١٠، س٣٦ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٣٨١ - ٤٠١ (١) ج١١ - ١٢، س٣٦ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٤٩٣ - ٥٠٩. (٢).

● **معجم الحضارة الأندلسية** - تأليف وإعداد يوسف فرحات ويوسف عيد، ط١، بيروت، دار الفكر العربي، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٣٢٢ص.

● **معجم الرياضيات** - مجمع اللغة العربية، ط١، القاهرة، مجمع اللغة العربية ط الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠، ج٢ في ١٦٩ص.

● **المعجم السرياني والسرياني العربي** - د. يوسف فوزي. مجلة هيئة اللغة السريانية (بغداد) ع١٨ (٠٠٠ - ٢٠٠١م) ١٦ - ٢٣.

● **المعجم الشامل لمصطلحات الحاسب الآلي والإنترنت** - محمود الربيعي، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٥١٨ص.

● **معجم الشعراء في تاريخ الطبري** - عزمي سكر، ط١، بيروت، المكتبة العصرية ٠٠٠ - ١٩٩٩، ٥٤٤ص.

● **معجم شيوخ ابن الاعرابي البصري** احمد بن محمد بن زياد (ت٣٤١هـ) تحقيق: محمود محمد نصار، السيد يوسف حمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٩ -

١٩٩٨، ج٢، ٥٦٣ص+ ٥٨٧ص.

● المعجم العلمي المختص (المنهج والمصطلح) د. جواد حسني سماعنة، مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٩٦٣ - ٩٩٤.

● المعجم في بقية الأشياء - لأبي هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل اللغوي الأديب (٠٠٠ - بعد ٣٩٥هـ/ ٠٠٠ - ١٠٠٥م). تح: أحمد عبد التواب عوض، ط١، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ١٩١ص.

● معجم القانون - مجمع اللغة العربية، ط١، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ط١ الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، ١٤٢٠ - ١٩٩٩، ٧٤١ص.

● المعجم الكبير - مجمع اللغة العربية، ط١، القاهرة الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث في مجمع اللغة العربية، ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ - ٢٠٠٠م ج٤- (حرف الجيم) ٧٥٥ص+ ج٥ (حرف الحاء) ٩٨٩ص.

● معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - لأبي عبيد البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب اللغوي المؤرخ النسابة (٤٣٢ - ٤٨٧/ ١٠٤٠ - ١٠٩٤). تح: جمال طلبة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، - ١٩٩٨، ١ - ٥ج في ١ - ٣مج.

● المعجم المبتكر في ما يتعلق بالمؤنث والمذكر - ذو الفقار النقوي، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٠٠٠ - ١٩٩٨، ٤٧٩ص.

● معجم مسائل النحو والصرف في تاج العروس - شوقي المعري، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ٠٠٠ - ١٩٩٦، ٢٣٥ص.

● المعجم المسماري، معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية ج١، مقدمة في الكتابة المسمارية وفقه اللغتين السومرية والأكدية - د. نائل حنون، ط١، بغداد منشورات بيت الحكمة، ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ٣٥٧ص.

● معجم مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية - أحمد هريدي وأخرون، ط١، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٢٨٧ص.

● معجم مصطلحات أصول الفقه - د. قطب سانو، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٤٨٤ص.

● معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - د. أحمد مطلوب، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ٠٠٠ - ١٩٩٦، ٦٧٩ص.

● معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية منذ دخول الطباعة إليها حتى عام ١٩٨٠ - د. أحمد خان، ط١، القاهرة - الرياض، معهد المخطوطات العربية - المكتبة الوطنية السعودية، ٦١٨ص رتب الكتاب على مداخل المؤلفين، وشفع الكتاب بكشاف لعناوين الكتب.

● معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية - المرحوم الأستاذ د. علي جواد الطاهر (١٩١٩ - ١٩٩٦) أشرف على

طبعه علامة الجزيرة المرحوم الشيخ حمد الجاسر (١٣٢٨ - ١٤٢١هـ/ ١٩١٠ - ٢٠٠٠م) ط٢ منقحة ومصححة وفريدة، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٧ - ١٩٩٧، ١ - ٤ج، ١٩٩٤ص.

● **المعجم المفصل في الاشجار والنباتات في لسان العرب** - كوكب دياب بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ٣٢٨ص.

● **المعجم المفهرس** - لابن حجر العسقلاني شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني (٧٣٣ - ٨٥٢هـ/ ١٣٧٢ - ١٤٤٩م). تح: محمد شكور الميادين ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٠٠٠ - ١٩٩٨، ٦٨١ص.

● **المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم**، تأليف: محمد نايف معروف، ط١ بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٠، ٧٠٤ص.

● **المعجم المندائي** - د. صبيح مدلول السهيري، مجلة هيئة اللغة السريانية (بغداد) ع١٨ (٠٠٠ - ٢٠٠١م) ٥٨ - ٦٤.

● **معجم الموضوعات المطروقة في التراث الإسلامي وبيان ماألف فيها** - عبد الله بن محمد الحبشي، ط١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١ - ٢ج في ١٣٧٦ص، خص المعجم الكتب المفردة في المواضيع الخاصة المستقلة، وقد اقتصر المعجم على ذكر العلماء القدامى.

● **المعراض مصطلح بلاغي قديم** - قاصد ياسر الزيدي. مجلة/ العرب (الرياض) ج١ - ٢، س٣٧ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٢٣ - ٣٢.

● **المعرب في القرآن الكريم**: دراسة تاصيلية لغوية تحليلية في ضوء الساميات رجب عثمان محمد، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٩٩، ٢٣٢ص.

● **المعرب والدخيل في المجلات المتخصصة** - ممدوح محمد خسارة. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٩١٩ - ٩٤٢.

● **المعرفة والتاريخ** - لأبي يوسف يعقوب بن سفيان النسوي المحدث الحافظ المؤرخ الحافظ (١٩١ - ٢٧٧هـ/ ٨٠٧ - ٨٩٠م) وضع حواشيه: خليل المنصور بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٩٩، ١ - ٣ج، ١١٩٢ص.

● **المعلم بشيوخ البخاري ومسلم**: لابن خلفون أبي بكر محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن الازدي المحدث الحافظ القاضي الاندلسي (٥٥٥ - ٦٣٦هـ/ ١١٦٠ - ١٢٣٩م) تحقيق: أبي عبد الرحمن عادي بن سعد، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ٦٤٠ص.

● **المعنى الشعري المخترع في النقد العربي القديم** - فائز طه عمر. الآداب (بغداد) ع٥٢ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١٧١ - ١٨٤.

● **المعونة على مذهب عالم المدينة** - لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن احمد بن الحسين الثعلبي البغدادي المالكي الفقيه الاديب الشاعر (٣٦٢ - ٤٢٢هـ/ ٩٧٣ -

١٠٣١م). تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط١، بغداد طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والإعلام ٢٠٠٠م، ج٣، ٣٨٨ص (سلسلة خزانة التراث).

● معيار النظار في علوم الأشعار - لعز الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد الزنجاني النحوي اللغوي (٠٠٠ - ٦٦٠هـ/ ٠٠٠ - ١٢٦٢م). تح: محمد رزق الخفاجي، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٤١١ - ١٩٩١.

● المغرب في ترتيب المعرب - للمطرزي برهان الدين أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي الخوارزمي الأديب النحوي اللغوي (٥٣٨ - ٦١٠هـ/ ١١٤٣ - ١٣١٣م). تح: محمود فاخوري وآخرين، ط١، بيروت، مكتبة لبنان ٠٠٠ - ١٩٩٩، ٣٠٩ص.

● المغول في التاريخ - برتولد شبولر ترجمة يوسف شلب الشام، ط١، دمشق، دار طلاس، ٠٠٠ - ١٩٨٩، ٢٥٦ص.

● مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني - لأبي العلاء الكرماني محمد بن أبي المحاسن بن أبي الفتح المقرىء (٠٠٠ - ٥٦٣حيا/ ٠٠٠ - ١١٦٨م). تح: عبد الكريم مصطفى مدلج، ط١، بيروت، دار ابن حزم ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ٥٠٢ص. أصل الكتاب دراسة وتحقيقاً - رسالة دكتوراة قدمت إلى كلية الآداب، جامعة بغداد عام ١٤١٩ - ١٩٩٩.

● مفهوم الزمن في القرآن الكريم - إعداد وتأليف: محمد موسى باباعمي إشراف د. احمد موساوي. ط١، الغرب الإسلامي، ٢٠٠٠، ٣٣٤ص.

● المفيد في القراءات الثمان - لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي الاديب (ت حدود ٥٦٠هـ/ حدود ١١٦٥م)، دراسة وتحقيق: محمد أحمد يوسف الصماتي، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة الانبار (العراق) ١٤٢١ - ٢٠٠٠.

● مقالات وبحوث - تأليف: د. إحسان عباس، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٠٠٠ - ٢٠٠٠، ١ - ٣مج، ٦٢٢ص+ ٦٨٦ص+ ٦٣٧ص مج - ١ (محاولات في النقد والدراسات الادبية) مج٢ (بحوث ودراسات في الادب والتاريخ، مج٣ (بحوث ودراسات أدبية وتاريخية).

● مقام الأطباء عند الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م). د. بهجة كامل عبد اللطيف. مجلة/ المورد (بغداد) ع٤، مج٢٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٧٥ - ٨٠.

● المقامات اللزومية - لابن الاشتركوني جمال الدين أبي الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله المازني التميمي السرقسطي الأندلسي المالكي الأديب اللغوي الشاعر (٠٠٠ - ٥٣٨هـ/ ٠٠٠ - ١١٤٣م). تح د. بدر أحمد ضيف، تقديم: د. محمد مصطفى هدارة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢ - ١٩٨٢، ٦٠٥ص أقول: نشر الكتاب بتحقيق د. حسن الوراكلي في الرباط عام ١٤١٥ - ١٩٩٥ وصدر عن مطابع عكاظ، ووقع في ٥٦٤ وكان في الأصل

رسالة دكتوراة دولة بإشراف فرناندودي لاكرا فخار قدمت إلى جامعة مدريد المركزية عام ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠.

● **المقامات المشرقية** (٥٥٠ ـ ١٢٠٠هـ)، خالد بن محمد الجديع، ط١، الرياض، المؤلف، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ٧٢٠ص.

● **مقامة حضرة الارتياح الغنية عن الراح ـ لابن أبي حاتم المالقي الشهير بابن البناء المتوفى سنة ٨١٥هـ**. تقديم وتحقيق: عبد الله علي الصويعي مجلة/ المناهل (الرباط) ع٥١ (٠٠٠ ـ ١٩٩٦) ٢٥٩ ـ ٢٩١.

● **المقامة الخصيبية**: للقاضي الرشيد الأسواني، تحقيق ودراسة: د. بدري محمد فهد، بالاشتراك مع: د. ابتسام مرهون الصفار ـ ط دار الحكمة، لندن ٢٠٠٢م.

● **مقترحات في منهجية الاستفادة من كتب التراث في وضع المصطلحات ـ الشاهد البوشيخي**. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج٧٥ (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) ٩٥٣ ـ ٩٦٢.

● **المقتضب ـ للمبرد أبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالي الازدي البصري الاديب النحوي اللغوي (٢١٠ ـ ٢٨٥هـ/ ٨٢٥ ـ ٨٩٨م)** تحقيق: حسن حمد، مراجعة د: اميل يعقوب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ ١ ـ٥ج، في ١ ـ٣مج، مج ـ١ في ١ ـ٢ج، مج ـ٢، ٣ ـ٤ج، مج٣ الفهارس ٢٩٨ص+ ١ـ٣ ـ ٦٣٠ص+ ٣٢١ص+ ٣٢٥ص+ ٦٣٢ص+ ٣٣٥ص+ (الفهارس الفنية).

● **المقتضب من كلام العرب في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين ـ لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي** (٠٠٠ ـ ٣٩٢هـ/ ٠٠٠ ـ ١٠٠١م). تقديم وتحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود. مجلة عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع٢، مج٣ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨/ ١٩٩٩م) ٢٦٠ ـ ٤٢٧.

● **كتاب مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ـ لابن أبي الدنيا أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان الأموي القرشي مولاهم البغدادي المحدث الحافظ** (٢٠٨ ـ ٢٨١هـ/ ٨٢٣ ـ ٨٩٤م) رواية الحسين بن صفوان البرذعي. تح: إبراهيم صالح، ط١، دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ١٣٥ص (نوادر الرسائل ـ ١٧).

● **مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني وإعجاز القرآن ـ لابن النقيب جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين المقدسي الفقيه المفسر** (٦١١ ـ ٦٩٨هـ/ ١٢١٤ ـ ١٢٩٩). تح د. زكريا سعيد علي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥.

● **مقدمة تفسير الإمام القرطبي [الجامع لأحكام القرآن] ـ لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد اللخمي الإشبيلي الأندلسي المحدث** (٦٥٢ ـ ٦٩٩هـ/ ١٢٢٧ ـ ١٢٩٩م). تح: محمد طلحة منيار، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ٠٠٠ ـ ١٩٩٧، ٢٧٨ص.

● المقدمة السلطانية في السياسة الشرعية - طوغان شيخ المحمدي المصري الأشرفي الحنفي (٠٠٠ - حياً ٨٧٨هـ/ ٠٠٠ - ١٤٧٣م). تقديم وتحقيق: عبد الله محمد عبد الله ط١، القاهرة، مكتبة الزهراء، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٣٦٥ص.

● المقنع في علم الشروط لأبي جعفر أحمد بن مغيث بن احمد بن مغيث الصدفي الطليطلي الاندلسي النحوي المفسر (٤٠٦ - ٤٥٧هـ/ ١٠١٥ -١٠٦٥م)، وضع حواشيه: ضحى الخطيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ٢٤٨ص.

● المكتبات في العراق منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر - فؤاد يوسف قزانجي ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والإعلام ٢٠٠١، ١٤١ص.

● مكتبة الجامع الكبير بمكناس - فاطمة العيساوي. مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ج١، مج٤٣ (. . . . - ١٩٩٩) ٥١ - ٥٩.

● المكتبة العربية ومنهج البحث - د. محمد رضوان الداية، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ٣٢٨ص.

● المكثرون من التصنيف في القديم والحديث - محمد خير يوسف، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ١٧٥ص.

● الملاحظات والتعقيبات (حول كتاب جريدة النسب للسيد محمد حسين الحسيني الجلالي)، بأقلام جمع من الأعلام، صدر عن (The open school-Shicago) ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

● الملتقط في الفتاوى الحنفية لناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن علي العلوي السمرقندي الحنفي الفقيه (ت٥٥٦هـ/ ١١٦١م).

● من أعلام العصر (كيف عرفت هؤلاء) - محمد رجب البيومي، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٧ - ١٩٩٦، ٣٨٩ص.

● من تراث ابن البناء المراكشي - عمر أوكان، ط٢، الدار البيضاء (المغرب) أفريقيا الشرق للطباعة والنشر، ١٤١٩ - ١٩٩٨، ١١٩ص.

● من تراث خزانة ابن يوسف النقدي - خالد الداوسي بن الحبيب مجلة/ المشكاة (المغرب) ع٣١٨ (٠٠٠ - ١٩٩٦) ١٠٨ - ١١٨.

● من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني في الآداب والسلوك - حققها وخرج أحاديثها الشريف محمد حمزة الكتاني. شارك في تخريج أحاديثها غسان أبو صوفة، بيروت، دار الرازي، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٣٢٧ص،

● من شعراء بيت أبي سلمى المزني - عبد المجيد محمد الأسداوي، مجلة/ العرب (الرياض) ج٥ - ٦، س٣٣ (١٤١٨ - ١٩٩٨) ٣٣٩ - ٣٥٠ ج٧ - ٨، س٣٣ (١٤١٩ - ١٩٩٨) ٥٠٣ - ٥٠٧.

● من الصمت إلى الصوت (فصول أدبية لغوية) مهداة إلى الدكتور حسام الخطيب، تحرير: محمد شاهين، ط١، بيروت، دار

الغرب الإسلامي، ٢٠٠٠، ٥٣٦ص.

● من طرائف التصحيف في الجزء الأول من كتاب (الزهرة) لمحمد بن داود الأصفهاني (ت٢٩٦هـ) - محمد خير البقاعي. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (عمان) ع٦٠، س٢٥ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٢١٥ - ٢٢٣.

● من العربية المحكية في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري - إبراهيم السامرائي العرب (الرياض) ج١ - ٢، س٣٣ (١٤١٨ - ١٩٩٧) ١٧ - ٣٣ (١)، ج٣ - ٤، س٣٣ (١٤١٨ - ١٩٩٨) ١٦٣ - ١٧٧.

● من كتاب المجلة في الأمثال - لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٨هـ) حاكم حبيب الكريطي. مجلة اللغة العربية وآدابها (جامعة الكوفة) ع١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٦٤ - ٩٩.

● من المخطوطات النادرة: الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية - للملك الناصر صلاح الدين داود بن عيسى بن محمد الأيوبي (٦٠٣ - ٦٥٦هـ) جمع وتصنيف الملك الأمجد مجد الدين أبي محمد الحسن بن داود بن عيسى الأيوبي المتوفى سنة (٦٧٠هـ). عرض وتحليل - عبد القادر أحمد عبد القادر. مجلة/ آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع٣٤، س٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١٥٠ - ١٦٨.

● كتاب المناسك - لابن أبي عروبة تح: عامر صبري، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٩٢ص (سلسلة الأجزاء والكتب الحديثية ١٤ - ١٥)

● مناقب الأسد الغالب علي بن أبي طالب - لابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد (٧٥١ - ٨٣٣هـ/ ١٣٥٠ - ١٤٢٩م). تح: طارق الطنطاوي، ط١، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٩٤، ٩٦ص.

● مناقب الإمام إياس بن معاوية المزني (ت١٢١ - ١٢٢هـ/ ٧٣٨ - ٧٣٩م) للشيخ صالح بن علي الحضار (٠٠٠ - ٠٠٠). تح: عبد المجيد الأسداوي، ط٢، الزقازيق مكتبة (المتوكل بالزقازيق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٥١ص.

● مناهج السلامي في كتاب التنبيه - وليد محمد السراقبي، مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع٢، مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٧) ٤١٧ - ٤٤٢.

● المنتجات الزراعية المتميزة في جنوب جزيرة العرب في العهود الإسلامية الأولى - د. صالح أحمد العلي. مجلة/ العرب (الرياض) ج٥ - ٦، س٣٧ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) ٢١٧ - ٢٢٩.

● المنتحل - للثعالبي ابي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (٣٥٠ - ٤٢٩هـ/ ٩٦١ - ١٠٣٨م) حققه وشرحه أحمد أبو علي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٣٦٤ص.

● المنتخب والمختار في النوادر والأشعار - لابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن المكرم بن علي الرويفعي الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١/ ١٢٣٢ - ١٣١١م). تح: عبد الرزاق حسين، ط١، عمان - القصيم، دار عمار - مكتبة الذهبي ١٤١٥ - ١٩٩٤.

● المنتخل لأبي الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي بن إسماعيل الميكالي الاديب

الشاعر الامير (ت٤٣١هـ/١٠٤٤م)، تحقيق: د. يحيى وهيب الجبوري، ط ـ١ بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠، ١ ـ ٢ج، في ١١٣٦ص. من ضمنها الفهارس الفنية. الكتاب مختارات شعرية انتظمت في (١٥) باباً.

● منتزع الاخبار في اخبار الدعاة الاخيار (من الداعي الذويب بن موسى الوادعي إلى الداعي داؤدجي بن قطب) تأليف: قطب الدين سليمان جي برهانبوري (ت١٢٤١هـ/١٨٢٦م)، تحقيق: سامر فاروق طرابلسي ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩، ٣٢٠ص.

● المنتقى شرح موطا مالك لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجي القرطبي الباجي المالكي الفقيه (٤٠٣ ـ ٤٧٤هـ/١٠١٣ ـ ١٠٨١م)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية. ١٩٩٩، ١ ـ ٩ج في ٤٦٨٠ص.

● المنثور في القواعد للزركشي بدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الشافعي (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ/١٣٤٤ ـ ١٣٩٢م)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ٠٠٠ ـ ٢٠٠٠، ١، ٢ج، ٨٨٠ص

● منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي (٧٥١ ـ ٨٣٣هـ/١٣٥٠ ـ ١٤٢٩م) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٩، ٨٨ص.

● المنجد في اللغة للأب لويس معلوف اليسوعي ـ ثائر عبد الحميد جابر السوداني، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها بإشراف د. نعمة رحيم العزاوي، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، ١٨٥ص.

● المنح المكية في شرح الهمزية للبوصيري ـ لأحمد بن محمد بن حجر الهيثمي (ت٩٧٣هـ). تح: بسام محمد بارود، ط١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤١٨ ـ ١٩٩٨، ١ ـ ٣مج، ١٥٥٢ص.

● المنخل مختصر إصلاح المنطق ـ لابن المغربي (الوزير المغربي) أبي القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي الشاعر الناثر الوزير (٣٧٠ ـ ٤١٨هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٢٧). حققه وعلق عليه وصنع فهارسه د. جمال طلبة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ ـ ١٩٩٤، ٣٦٣ص.

أقول: إن الكتاب ـ دراسة وتحقيقاً ـ رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها للطالب عبد العزيز ياسين عبد الله بإشراف المرحومة د. مناهل فخر الدين. قدمت إلى كلية الآداب، جامعة الموصل (العراق) عام ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ وقد وطأ للكتاب بدراسة غنية مبسوطة عن المؤلف والكتاب وتحقيقه، وقد اعتمد على أربع نسخ مخطوطة، وهي نسخة دير الأسكوريال، ونسخة فيض الله أفندي ونسخة المتحف العراقي ونسخة دار الكتب المصرية. وقد وقفنا عليها وأبان لنا الجهد المشكور عن مكنة واقتدار من شرائط البحث والتحقيق. وعمله يفضل عمل د. جمال طلبة كثيراً رغم كونه رسالة جامعية أيضاً.

● المنخول من تعليقات الأصول ـ للغزالي زين الدين أبي حامد محمد بن

محمد بن محمد الطوسي الشافعي الفقيه (٤٥٠ - ٥٠٥/١٠٥٨ - ١١١١). تـح د. محمد حسن هيتو، ط٣، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ - ١٩٩٨ ٦٤٨ص.

● المنسوجات ذات الزخارف المطبوعة عبر العصور الإسلامية - عبد العزيز حميد صالح وعائدة حسين أحمد. مجلة/ الآداب (بغداد) ع٥٢ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٦١ - ٧٨.

● منظومة في الشهور الرومية - للصرصري الشاعر جمال الدين أبي زكرياء يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الأنصاري الضرير اللغوي الفقيه المقرىء (٥٨٨ - ٦٥٦هـ/ ١١٩٢ - ١٢٥٨م) تـح: مخيمر صالح. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٦) ١٠٣ - ١٠٧.

● منهج ابن ملكون في مخطوط إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج - محمد الحيري. مجلة/ آفاق الثقافة والتراث، دبي) ع٢٢ - ٢٣ (٠٠٠ - ١٩٩٨) ٢١٣ - ٢١٧.

● المنهج التاريخي عند القلقشندي: دراسة تحليلية - تأليف د. ظمياء محمد عباس السامرائي، ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٢٥٤ص.

● منهج التأليف التاريخي عند أبي الفداء - أحمد الصغير، ط١، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع ٠٠٠ - ١٩٩٨، ٧٠ص.

● منهج التبريزي في شروحه، والقيمة التاريخية للمفضليات - فخر الدين قباوة ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٤١٦ص.

● منهج مقترح لوضع المصطلح العلمي العربي بمساعد الحاسوب - د. عماد الصابوني، مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٣، مج٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٥٩١ - ٦١٦.

● المنهج والظاهرة: دراسات في التراث الأدبي - محمد حور، ط١، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٣٨٣ص.

● منهجية بناء المصطلحات وتطبيقاتها - د. أحمد شفيق الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٣، مج٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٤٩٧ - ٥٧٠.

● منهجية وضع وتوحيد المصطلح العلمي العربي وواقعنا المعرفي - محمد العربي ولد خليفة. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٣، مج٧٥ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٦٧٥ - ٦٩٠.

● المنظومات التاريخية في التراث العربي - د. أدهم حمادي ذياب النعيمي. مجلة كلية المعلمين (بغداد/ الجامعة المستنصرية) ع٢٨ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١ - ٢٦.

● مهاد الكِلْتَين وجلا ذات الحلتين - لابن النحاس بهاء الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد الأديب المقرىء النحوي (٦٢٧ - ٦٩٨/ ١٢٣٠ - ١٢٩٩). تـح: د. تركي بن سهو العتيبي، ط١، ١٤١٤ - ١٩٩٤ عرض المرحوم علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر. مجلة/ العرب (الرياض) ج٣ -

٤، س٣٣ (١٤١٨ - ١٩٩٨) ٢٢٤ - ٢٢٧.

● **مواضيع مختارة في علم الحيوان** - د.زهير راضي عبد زاهد، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ١٠٢ص.

● **الموالي والمناصب الإدارية في الدولة الأموية** - زريق معايطة، مجلة/ الآداب (بغداد) ع٤٩ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٢٢٤ - ٢٤٦.

● **موجز تاريخ الموسيقى والغناء العربي**: د. صبحي أنور رشيد، ط١ بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والإعلام ٢٠٠٠، ٢٦٣ص.

● **المؤرخون الاباضيون في افريقيا الشمالية**، تأليف: تاويوس ليفينسكي ترجمة ماهر جرار وريما جرار، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٠، ٢٢٤ص.

● **موسوعة أعلام الحلة منذ تأسيس الحلة حتى نهاية ٢٠٠٠م** (٤٩٥ - ١٤٢١هـ/ ١١٠١ - ٢٠٠٠م) الأخ الأستاذ: سعد الحداد، ط١، بابل - النجف الأشرف، مكتب الغسق - دار الضياء، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج١، ٣٥٠ص.

● **موسوعة أعلام من القرنين ١٤، ١٥ الهجري في العالم العربي** - إبراهيم الحازمي، الرياض، دار الشريف للنشر والتوزيع، ١٤١٩ - ١٩٩٨، ١ - ٣ج.

● **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي** - للخطيب التبريزي أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني النحوي (٤٢١ - ٥٠٢هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٠٩م) دراسة وتحقيق د.خلف رشيد نعمان، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والإعلام، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، ج١، ٤٧٤ص سلسلة خزانة التراث.

● **الموطأ للإمام مالك بن أنس الاصبحي المدني الفقيه** (٩٣ - ١٧٩هـ/ ٧١٢ - ٧٩٥م) رواية عبد الله بن سلمة القعنبي حققه على نسختين خطيتين وقدم له ووضع فهارسه د. عبد المجيد تركي، ك١، بيروت، دار الغرب الإسلامي. ١٩٩٩، ٥٦٠ص.

● **الموطأ للإمام مالك بن أنس... رواية يحيى بن يحيى الليثي الاندلسي** (١٥٢ - ٢٤٤هـ) حققه وخرج احاديثه وعلق عليه د.بشار عواد معروف البغدادي، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط دار صادر ١٩٩٧، ١ - ٢ج، ٦٦٤ص+ ٧١٩ص.

● **موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة** - محمد السيد عزوز، ط١، بيروت، عالم الكتب، ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ١٤٤ص.

- ن -

● **ناسخ القرآن ومنسوخه** (ظ قائمة العدد الثامن).

● **نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية** - لصفي الدين أبي المحاسن عبد العزيز بن سرايا السبنسي الأديب الحلي الشاعر (٦٧٧ - ٧٥٢هـ/ ١٢٧٨ - ١٣٥١م). تح: رشيد العبيدي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٢٩٦ص.

● **نتائج المذاكرة** - لابن الصيرفي أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي الأديب الكاتب الشاعر (٤٦٣ - ٤٥٢هـ/ ١٠٧١ - ١١٤٧م). تح: إبراهيم صالح، ط١، دمشق، دار البشائر للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩، ٨٦ص. (نوادر الرسائل - ١٥).

● **النتاج الثقافي النسائي العراقي في القرن العشرين ١٩٠٠ - ٢٠٠٠م**. إعداد ودراسة: باسم عبد الحميد حمودي، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة ٠٠٠ - ٢٠٠١م، ٨٤ص.

● **نثار الأزهار في الليل والنهار - لابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن المكرم بن علي الرويفعي الأنصاري المصري (٦٣٠ - ٧١١هـ/ ١٢٣٢ - ١٣١١م)**. تعليق: أحمد عبد الفتاح إمام، ط١، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٨ ٢٨٠ص.

● **النثر الأندلسي في عهد الموحدين وبني الأحمر** - حسن أسعد نصر، ط١، الدار البيضاء (المغرب)، أفريقيا الشرق للطباعة والنشر، ١٤١٩ - ١٩٩٨.

● **النثر الفني في صدر الإسلام والعصر الأموي**. دراسة تحليلية - مي يوسف خليف، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٢٤٥ص.

● **النجف الأشرف وحركة الجهاد ١٩١٤/ ١٣٣٢ - ١٣٣٣هـ**، تأليف: كامل سلمان الجبوري، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

● **النحو الكوفي: مباحث في معاني القرآن للفراء** - كاظم إبراهيم كاظم، ط١، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ٠٠٠ - ١٩٩٧، ٢٠٧ص.

● **نسب معد واليمن الكبير: لابن الكلبي، أبي المنذر، محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ)**، صدر بتحقيق: أ. محمود فردوس العظم، ١ - ٣، ط دمشق ١٩٨٩.

● **نشر الشعر وتحقيقه في العراق حتى نهاية القرن السابع الهجري**.

● **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين** - حسين مؤنس القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٥٥ص.

● **نصوص معجمية فريدة - السماء والعالم للقرطبي، المثلث للقزاز القيرواني، ذيل الحيوان للسيوطي**. تح وتقديم د. صلاح مهدي الفرطوسي، سرايفو، دار الشرق الأوسط، ٠٠٠ - ١٩٩٩، ١٤٠ص.

● **نظام الملك كبير الوزراء السلاجقة في الدولة الإسلامية** - عبد الهادي البراق، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٩ - ١٩٩٨.

● **نظرات في ديوان الأحنف العكبري (ت٣٨٥هـ) جمع الحسن بن شهاب العكبري الحنبلي (ت٤٢٨هـ)**. تح: سلطان بن سعد السلطان.. عرض: الأستاذ د. عبد العزيز بن ناصر المانع. مجلة/ العرب (الرياض) ج٣ - ٤، س٣٧ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١٣٤ - ١٥٠. (١) ج٥ - ٦، س٣٧ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) ٢٤٥ - ٢٦٨. (٢).

● **نظرات في شعر ابن دراج القسطلي بعد طبع ديوانه وبعد العثور على شذرات منه بخزانة القرويين** - محمد بن عبد العزيز الدباغ مجلة/ المناهل (الرباط) ع٣٨ (٠٠٠ - ١٩٨٩) ١٩٤ - ٢٠٣.

● **نظرات في المصون في سر الهوى المكنون: للحصري القيرواني أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الشاعر (٠٠٠ - ٤١٣هـ/ ٠٠٠ - ١٠٢٢م)**. تح

د. النبوي شعلان.. عرض د. محمد خير البقاعي. مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ع١، مج٤٢ (٠٠٠ - ١٩٩٨) ٢١٥ - ٢٥٣.

● **نظرات نقدية تحقيقية في ديوان جران العود النميري**. تح د. نوري حمودي القيسي - عرض الأستاذ: عباس هاني الجراخ. مجلة/ العرب (الرياض) ج١ - ٢، س٣٧ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٥٠ - ٦٩.

● **نظرات نقدية في كتاب غرر البلاغة في النظم والنثر** - للثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (٣٥٠ - ٤٢٩هـ/ ٩٦١ - ١٠٣٨). تح د. قحطان رشيد صالح. عرض الأستاذ عباس هاني الجراخ مجلة/ المورد (بغداد) ع٤، مج٢٩ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١١٣ - ١٢٢.

● **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين** - تأليف حسن الملخ، ط١، عمان (الأردن) دار الشروق، ٠٠٠ - ٢٠٠٠م، ٢٩٥ص.

● **نظرة في الضرورة الشعرية والقاعدة النحوية** - نبهان ياسين حسين، ملحق مجلة آداب المستنصرية (بغداد) ع٢٩ (٠٠٠ - ١٩٩٧) ١ - ١٧.

● **النفحة النسرينية واللمحة المرينية** - لابن الأحمد أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد الخزرجي الأنصاري النصري الأندلسي المؤرخ الأديب النسابة (٠٠٠ - ٨٠٧/ ٠٠٠ - ١٤٠٤م). تح الأستاذ د. عدنان آل طعمة، ط١، دمشق، سعد الدين للطباعة والنشر، ٠٠٠ - ١٩٩٢، ٧٢ص.

● **نقد كتاب التنبيهات على مافي التبيان من التمويهات** - لابن عميرة: دراسة تحليلية تكشف أخطاء المؤلف في مآخذه على تبيان الزملكاني - نزيه عبد الحميد السيد فراج، القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي ٠٠٠ - ١٩٩٦، ٣٧٣ص.

● **نقشان تذكاريان بمسجد الإجابة في مكة المكرمة** - هشام محمد عجيمي، مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٦) ٢٢٩ - ٢٤٩.

● **نقوش إسلامية مبكرة في وادي العسيلة بمكة المكرمة** - ناصر بن علي الحارثي وعادل محمد نور غباشي. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج٢ (١٤١٨ - ١٩٩٧) ١٢ - ٦٥.

● **نقوش شاهدية: دراسة تحليلية** - عبد الله المنيف. مجلة/ عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع١، مج١ (١٤١٧ - ١٩٩٦) ٢١٥ - ٢٢٨.

● **نقول الجاحظ من أرسطو في الحيوان** - د: جليل أبو الحب، ط١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٣٢٤ص.

● **نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال** - لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي المحدث الفقيه (٠٠٠ - ٦٣٤/ ٠٠٠ - ١٢٣٧م). تح: علي كردي ط١، دمشق، دار سعد الدين، ١٩٩٥، ٣٩٨ص.

● **نوادر الإجازات والسماعات** - لمحمد الدمشقي. تح: د. محمد مطيع الحافظ، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٩٨، ٩٢ص.

● **نوادر الرسائل** - تح: إبراهيم صالح،

ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٠٠٠ ـ ١٩٨٦، ٢٣٨ص.

● نور الطرف ونور الظرف: كتاب النورين ـ للمصري القيرواني أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الشاعر (٠٠٠ ـ ٤١٣/ ٠٠٠ ـ ١٠٢٢م). تح: لينة أبي صالح، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٠٠٠ ـ ١٩٩٦، ٤٥٥ص.

● نور المسرى في تفسير آية الإسرا ـ لأبي شامة المقدسي عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (٥٩٩ ـ ٦٦٥/ ١٢٠٢ ـ ١٢٦٧م). دراسة وتحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، ط١، دبي، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

● نوري حمودي القيسي (١٣٥٠ ـ ١٤١٥هـ/ ١٩٣٢ ـ ١٩٩٥). بقلم علامة الجزيرة المرحوم حمد الجاسر. مجلة/ العرب (الرياض) ج٣ ـ ٤، س٣٣ (١٤١٨ ـ ١٩٩٨) ٢١٩ ـ ٢٢١.

● نونية أبي بكر بن عمار الأندلسي (ت٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م) حياة قارة. دراسات أندلسية (تونس) ع٢٢ (٠٠٠ ـ ١٩٩٩) ٩٧ ـ ١٠٢.

ـ هـ ـ

● هبة الدين الحسيني (الشهرستاني)، آثاره الفكرية ومواقفه السياسية (١٣٠١ ـ ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٤ ـ ١٩٦٧م)، تأليف: محمد باقر أحمد البهادلي، ط بغداد ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٢٧٤ص، وطبعة ثانية في بيروت ٢٠٠٢م، وهي رسالة ماجستير في تأريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر.

● هجر العلم ومعاقله في اليمن ـ إسماعيل الأكوع، ط١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ٠٠٠ ـ ١٩٩٥، ١ ـ ٥ج، ٣١٢٤ص.

● هدى مهاة الكِلْتَين وجلا ذات الحُلْتَين ـ لابن النحاس بهاء الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد الأديب المقرىء النحوي (٦٠٧ ـ ٦٩٨هـ/ ١٢٣٠ ـ ١٢٩٩م). تح: تركي بن سهو العتيبي، ط١، ١٤١٤ ـ ١٩٩٤ (عرض) مجلة العرب (الرياض) ج٣ ـ ٤، س٣٣ (١٤١٨ ـ ١٩٩٨) ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

● هلال ناجي ومنهجه في الاستدراك على الدواوين ـ الأستاذ عباس هاني الجراخ. جريدة/ الجمهورية (بغداد) الصادرة في ١٧/ ٩/ ٢٠٠١م.

● هوامش حول كتاب (رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث) الأستاذ المحقق: هلال ناجي. مجلة/ العرب (الرياض) ج٧ ـ ٨، س٣٦ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ٣٠١ ـ ٣١٣ ج٩ ـ ١٠، س٣٦ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ٤٠٢ ـ ٤٠٨. ج١١ ـ ١٢، س٣٦ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ٥١٠ ـ ٥١٦.

ـ و ـ

● الواضح في شرح مختصر الخرقي ـ لنور الدين أبي طالب عبد الرحمن بن عمر بن أبي القاسم بن علي بن عثمان البصري العبد لياني الحنبلي البغدادي الضرير الفقيه المفسر المحدث (٦٢٤ ـ ٦٨٤هـ/ ١٢٢٧ ـ ١٢٨٥م). تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ١ ـ ٥مج.

● وجيزة في علم الرجال: للشيخ أبو

الحسن المشكيني (ت١٣٥٨هـ)، تحقيق: زهير الأعرجي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

● وراقو بغداد في العصر العباسي: د. خير الله سعيد، ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٦٥٢ص.

● الوسوسة وأحكامها في الفقه الإسلامي - حامد بن مدة بن حميدان الدعجاني، ط١، جدة، المؤلف، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. ٤٧٨ص.

● وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود - المنسوب إلى دعبل بن علي الخزاعي الشاعر (ت ٢٤٦هـ) رواية علي بن محمد بن دعبل الخزاعي. تح: نزار أباظة، ط١، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠ - ١٩٩٧، ١٤٣ص.

● وقفات نقدية مع من القائل؟ لابن خميس: إبراهيم بن سعد الحقيل، ط١، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- ي -

● يمانيات في التاريخ والثقافة والسياسة - د. حسين العمري، ط١، دمشق دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٩٦ - ٢٠٠٠م، ١ - ٢ج، ٣٠٨ص+ ٢٦٤ص.



مجلة فصلية محكمة
تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

صاحبها ورئيس تحريرها
كامل سلمان الجبوري

AL - DHKHAER

Periodica Reffereed Magazine

Concerned With

Archaeology, Heritage, Manuscript & Documents

Director General &

Editor in Chief

Kamil Salman Al-Gobory

ISSUE No11 -12 THIRD YEAR - SUMMER-AUTUMN –1423 A.H-2002 A.D

Letters Should to Editor in Chief:
P.O.Box: 131/25 - Al - Gbeary - Beirut - Lebanon
Fax: 00961-1-543488
00961-1-543438

AL-DHKHAER

Periodica Reffereed Magazine

Concerned With
Archaeology, Heritage, Manuscript &
Documents

ثمن العدد:

● لبنان 7000 ل.ل. ● سوريا 250 ل.س. ● الأردن 2.5 دينار ● العراق 5000 دينار ● الكويت 2 دينار ● الامارات العربية 25 درهماً ● البحرين 2,50 دينار ● قطر 25 ريالاً ● السعودية 25 ريالاً ● عُمان 2,500 ريال ● اليمن 300 ريالاً ● مصر 5 جنيهات ● السودان 750 جنيهاً ● الصومال 150 شلناً ● ليبيا 5 دنانير ● الجزائر 25 ديناراً ● تونس 2,5 دينار ● المغرب 28 درهماً ● إيران 1000 تومان ● موريتانيا 700 أوقية ● تركيا 15000 ليرة ● قبرص 5 جنيهات ● فرنسا 40 فرنكاً ● ألمانيا 20 ماركاً ● إيطاليا 15000 لير ● بريطانيا 5 جنيهات ● سويسرا 20 فرنكاً ● هولندا 30 فلورن ● النمسا 125 شلناً ● كندا 18 دولاراً ● أميركا وسائر الدول الأخرى 15 دولاراً.

ISSUE No11 -12 THIRD YEAR - SUMMER-AUTUMN -1423 A.H-2002 A.D

موضوعات العدد

الأبحاث والدراسات

النصوص المحققة

أعلام

فهارس المخطوطات والبيبليوغرافيات

العرض والنقد والتعريف

أنباء التراث